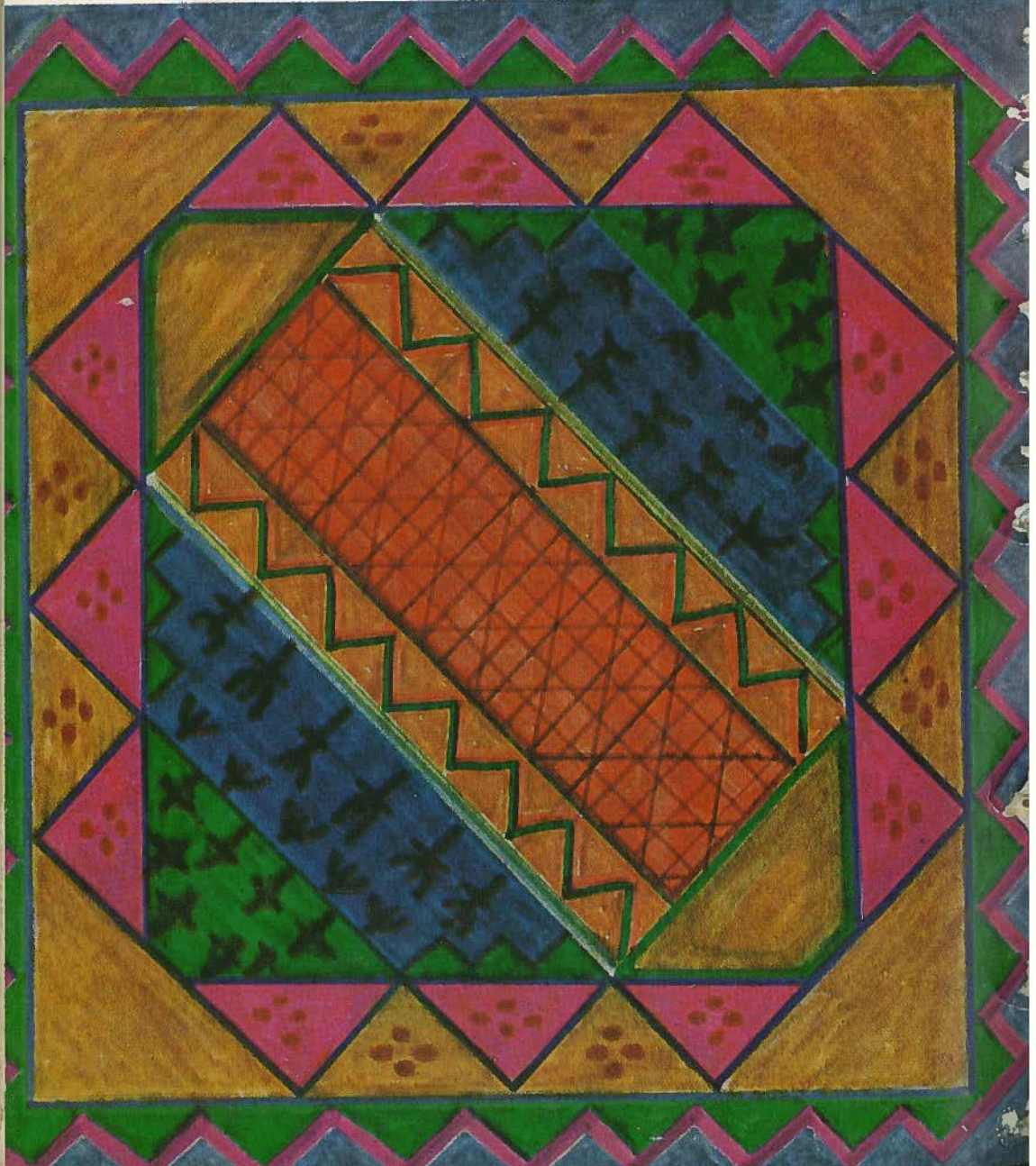


الشؤون الفلسطينية

نيسان (أبريل) ١٩٧٣

٢٠



شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

نيسان (ابريل) ١٩٧٣

رقم ٢٠

- دورية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
- تصدر شهريا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .
- **سكرتير التحرير :** ابراهيم العابد **مدير التوزيع :** غازي خورشيد .

هيئة التحرير : المقدم الهيثم الايوبي ، بلال الحسن ،
د. سعيد حمود ، احمد خليفة ، الحكم دروزة ، محمود درويش ،
د. يوسف شبل ، د. نبيل شعث ، منير شفيق ، د. صادق العظم ،
ناجسي علوش ، حبيب قهوجي ، د. محمد الجنوب ،
عبد الحفيظ محارب ، د. حنا ميخائيل .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء
منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بنايسة الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت - لبنان ،
ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،
برقيا مرابحات ، بيروت .

ثمن العدد : ٢١/٢ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٣١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٥ ل.ل. في اوربا
وافريقيا وآسيا ، ٨ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٣٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٤٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ،
٦٠ ل.ل. في اوربا وافريقيا وآسيا ، ٩٠ ل.ل. في سائر دول العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٤٥ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

صورة الغلاف مستوحاة من تطريز فستان فولكلوري فلسطيني في غزة

المحتويات

شؤون فلسطينية ، الدكتور انيس صايغ .	٤
عبدالقادر الحسيني في ذكراه الخامسة والعشرين ، الدكتورة خيرية قاسمية .	٦
اللفظ العربي سلاح في خدمة قضايانا القومية ، الدكتور عاطف سليمان .	١٣
التسليح السوفياتي والصراع العربي - الاسرائيلي ، المقدم الهيثم الايوبي .	٣٣
القبعة والنبي ، غسان كنفاني .	٤٥
الامبريالية والاقتصاد الاسرائيلي ، لاري لوكوود .	٧٧
المنظمة الصهيونية العالمية ١٩٤٦ - ١٩٥١ ، الدكتور أسعد رزوق .	١١٢
الوقوف على الحد الفاصل ، خالد ابو خالد .	١٣٦
ملاحظات اولية على حزب الشعب الثوري الاردني ، عصام الصالح .	١٤٣
مراجعات : الطريق الى الحرية والخلاص والسلام ، صبحي طه . غسان كنفاني : الاثار الكاملة ، الياس خوري . اسوار اسرائيل ، الدكتور خليل أحمد خليل . النيوستيتيسمان والشرق الاوسط ، أ.ن. سعد .	١٥١

١٦٧ **تقارير اعلامية :** الاسبرانتو والاعلام العربي ، حسين محمد العاملي .
نشاط الطلاب العرب الاعلامي في اميركا ، الدكتور الياس زين . الاعلام
العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية ، محمد علي العويني .
جماعة السينما الفلسطينية وجماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث،
مصطفى ابو علي .

١٨٥ **شهريات :** (١) المقاومة الفلسطينية ، بلال الحسن . غزة ثورة دائمة على
الاحتلال، زياد عبد الفتاح . (٢) القضية الفلسطينية عربيا ، ناجي علوش .
(٣) القضية الفلسطينية دوليا ، الدكتور صادق جلال العظم . رسالة من
مراسلنا في السويد ، ه.د. (٤) المناطق المحتلة ، عبد الحفيظ محارب .
(٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، المقدم الهيثم الايوبي . تقرير عن صواريخ
سام السوفياتية ، هشام عبدالله . جدول بالعمليات العسكرية لقوات
الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من
٢/١١ - ١٩٧٣/٣/١٢ ، غازي خورشيد .

٢٣٣ **اسرائيليات :** عماد شقور .

٢٤١ **وثيقة خاصة :** افادات اعضاء الجبهة الحمراء .

شؤون فلسطينية

الدكتور انيس صايغ

عاد الاخ مدير توزيع شؤون فلسطينية من جولة في بعض ربوع الوطن العربي لدرس مسائل التوزيع مع وكلائنا بعدد من الملاحظات والانطباعات والاستفسارات التي جمعها خلال لقاءاته مع العشرات من رجال الفكر ومن الموزعين والناشرين وأصحاب المكتبات في العديد من المدن العربية . وأبرز الملاحظات التي تضمنها تقريره عن رحلته استفسار تكرر في أكثر من لقاء وأكثر من مناسبة عما اذا كانت صفحات شؤون فلسطينية تتسع لنتاج المثقفين العرب ، من غير الفلسطينيين ومن غير المقيمين في لبنان ومن الذين ليست لديهم علاقات مباشرة مع مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . والواقع ان هذا الاستفسار جاءنا ، بأشكال أخرى ، من العشرات من الكتاب العرب . وكان أحيانا يتخذ شكل العتاب بأن المجلة لا تستكتب الكثيرين من هؤلاء ، أو ان المجلة تحصر نفسها بعدد محدود من الكتاب الفلسطينيين المتصلين بمركز الابحاث بشكل أو بآخر .

والواقع ان العكس ، هو الصحيح . لقد كانت خطة المجلة منذ صدورهما ، بل خلال فترة النحضر لها ، ان تستكتب أكبر عدد ممكن من الكتاب غير العرب ، والعرب غير الفلسطينيين ، من كافة أنحاء العالم ، ذلك ان المجلة هي مجلة الفكر الفلسطيني وليست مجلة الفكر الفلسطيني . هي أداة الاتصال مع الجماهير العربية لحمل فكر الثورة الفلسطينية وأدبياتها ونتائجها الثقافي ولكنها ليست مطبوعة اعلامية تصدرها الثورة كناطق بلسانها . ولما كان البحث في الشؤون الفلسطينية ، بمعناها الثقافي الواسع ، موضوع عالمي يخوضه الالاف من الكتاب (من مفكرين ومن صحافيين ومن أدباء ومن منظرين ومن باحثين) كانت تطلعات أسرة التحرير ، ولا تزال ، ان تجتذب الي مجلتنا أكبر عدد ممكن من هؤلاء الكتاب ، ممن يتواخر لديهم الشرطان الاساسيان : الايمان بعدالة القضية الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني ببلده وبالثورة من أجل استعادته ، من الجهة الاولى ، والكفاءة العلمية والقدرة على الكتابة والتحليل بعمق وبدقة وبنزاهة وبصدق مع تحري الحقائق ودعم الاراء بالاثباتات ، من الجهة الاخرى . توافر هذان الشرطان في الكتاب وفي البحث هما اللذان على ضوءهما يجاز نشر هذا المقال أو ذلك . ويستكتب بفضلها هذا الكتاب أو ذلك . وذلك دون النظر في جنسية الكاتب أو مكان اقامته او مدى علاقته بمركز الابحاث الذي يقوم بنشر « شؤون فلسطينية » . وعلى العكس ، وكما قلت سابقا ، ان المجلة خططت وتخطط لان تزداد نسبة الكتاب غير العرب على الكتاب العرب ، والكتاب العرب غير الفلسطينيين على الكتاب الفلسطينيين ، والكتاب المنتشرين في العالم على الكتاب المقيمين في البلاد العربية خارج لبنان ، والكتاب المقيمين في هذه الدول العربية على الذين يقيمون في لبنان ، والكتاب الذين لم يسبق ان نشر لهم مركز الابحاث دراسات على الذين تعاملوا مع المركز ، وحتى من ضمن هؤلاء المتعاملين مع المركز نحاول ان نزيد نسبة المتعاونين من بعيد على الذين يعملون في المركز عملا مباشرا ، وبكلام آخر ، كانت خطة المجلة ولا تزال ان توسع رقعة كتابها قدر الامكان .

ولعل نظرة فاحصة على نهائس ومحتويات اعداد السنين السابقتين تدلل على ما اقول وتثبت صحته بشكل قاطع . لقد كتب في شؤون فلسطينية ٢٤٥ كتابا ، كان بينهم ٣٧ كتابا غير عربي . وبين هؤلاء ، من هو جدير بلفت النظر اليه ، عدد لا بأس به من الكتاب اليهود غير الصهيونيين . وربما كانت هذه النسبة (١٦ ٪) أعلى نسبة من نوعها في أية مجلة عربية سياسية . أما الكتاب العرب غير الفلسطينيين فقد بلغ عددهم ٧٠ كتابا ، ونسبتهم الى مجموع الكتاب ٢٨ ٪ . وهم موزعون على جنسيات عربية مختلفة ومعظمهم من السوريين والعراقيين والمصريين . وهذا يعني ان ٤٤ ٪ من كتاب شؤون فلسطينية ليسوا فلسطينيين اطلاقا . ولا بد للقارئ من أن يقدر للمجلة انها نجحت باستكتاب ما يزيد على المئة كاتب غير فلسطيني ووفقت في حملته على الكتابة في الشؤون الفلسطينية المختلفة في مدة سنتين فقط .

لكن نجاح المجلة في هذا المجال هو في الواقع أقل من نجاحها في مجال دعوة الكتاب الى المساهمة بتحريرها من خارج لبنان وخارج الوطن العربي . وبينما يسكن ٤٥ ٪ من كتابها (١١٠) في لبنان يقطن الباقون (٥٥ ٪ = ١٣٥) خارج لبنان : يقطن ٦٠ كتابا منهم ، اي الربع في الدول العربية المختلفة ، وينتشر الباقون (وهم ٧٥ كتابا ، اي الثلث) في أرجاء المعمورة ، ومعظمهم في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية واسكندنافيه . وهذه الأرقام هي أيضا تدل على جهد المجلة بالألا تكون مجلة الكاتب (سواء الفلسطيني أو غير الفلسطيني) المقيم في لبنان بل أن تتخذ لنفسها طابعا عالميا واسعا لتؤمن لنفسها انتشارا عالميا واسعا .

بقي موضوع مركز الأبحاث ، ان ٢٧ فقط من الكتاب الـ ٢٤٥ يعملون في المركز ، اي بنسبة ١١ ٪ فقط . أما الاغلبية الساحقة (٨٩ ٪) فليسوا من باحثي المركز . منهم ٤٠ سبق أن نشر المركز لهم دراسات دون أن يعملوا به ومنهم ١٧٨ ليس لهم أية علاقة بالمركز . وتتضح أهمية هذه الأرقام والنسب حينما نتذكر ان مركز الأبحاث ، الذي ينشر « شؤون فلسطينية » والذي يعتبرها واحدة من أضخم وأهم مشاريعه الانتاجية ، يضم في أسرته سبعين زميلا نصفهم على الأقل من الكتاب الذين سبق لهم أن نشروا دراسات أو بحوثا في القضية الفلسطينية في الماضي ، وبينهم عدد لا بأس به من كبار المتخصصين بالقضية الفلسطينية . وقد لا يتوافر هذا العدد في أي مكان واحد آخر في الوطن العربي ، لا في مركز ولا في معهد ولا في صحيفة ولا في دار نشر ولا حتى في أية جامعة في الوطن العربي . ومع هذا تحاول رئاسة تحرير المجلة أن لا تجعل المجلة وقفا على كتابات هؤلاء الاختصاصيين الموجودين في المركز . بل انها تبذل جهدا خاصا لان تجعل نسبة مساهمتهم في المجلة ضئيلة — ومن هنا كانت النسبة مجرد ١١ ٪ بينما بإمكان باحثي المركز الذين يزيدون على الثلاثين باحثا ان يملأوا صفحات شؤون فلسطينية بأقلامهم هم وان يجعلوها مجلة خاصة بالمركز اذ بينهم الباحث السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي والأدبي والاجتماعي والتقني والتاريخي وغير ذلك من حقول التخصص العلمي . أعود الى الاستفسارات التي حملها مدير التوزيع معه بعد جولة في عدد من البلدان العربية . اننا ندعو جميع الكتاب والباحثين القادرين على معالجة الشؤون الفلسطينية المختلفة معالجات علمية صحيحة ، المترمين بخط الثورة الفلسطينية والمؤمنين بأهدافها ، ندعوهم جميعا الى اعتبار هذه المجلة مجلتهم هم أيضا بمقدار ما هي مجلة الـ ٢٤٥ كتابا الذين سبق لهم أن كتبوا بها منذ صدورها ، اذ بقدر ما يسعد المجلة أن يتسع مجال توزيعها يسعدنا أيضا أن تتسع رقعة المساهمين بتحريرها . فلسطين ، في النهاية ، هي أمانة في عنق كل أحرار العالم . والمساهمة في تحريرها مطلوبة من جميع الشعوب . وكذلك فان الكتابة في جوانبها المتعددة ، فكرا وأدبا وعلميا ، مطلوبة أيضا من جميع الذين لديهم المادة الجيدة والجديدة .

عبد القادر الحسيني في ذكراه الخامسة والعشرين

الدكتورة خيرية قاسمية

مرت بخيال رفيقة نضال عبدالقادر الحسيني ذكريات عابرة مما عاشته ولمسته وسمعته عن حياة عبدالقادر ، روتها لي في مقابلات عديدة في القاهرة . كانت قد رافقته منذ عام ١٩٢٥ ، وحملت عنه كل مسؤولياته العائلية كي يتفرغ هو لمهمته النبيلة وتعرضت للاهانة السلطات البريطانية ، ولكنها عملت بصمت . لم تذمر ولم تشك ، بل كانت وراءه تحته على المنابعة . افتقدته كزوجة وأم وهو لم يزل شابا في وقت كانت فلسطين في أشد الحاجة اليه . وقد أرجعتني السيدة الفاضلة الى الاستاذ محمد علي الطاهر — وهو من الصحفيين الفلسطينيين الأوائل — لاستجلاء حقائق بعض الاحداث نظرا لانه كان على معرفة وثيقة بعبدالقادر منذ نزل القاهرة عام ١٩٢٥ لاكمال دراسته فيها وكان لم يزل بعد قتي يافعا . ومن هذه الذكريات خرجت ببعض من جوانب حياة عبدالقادر التي هي جزء من حياة شعب فلسطين الحافلة بروائع البطولات .

خ . ق .

ولد عبدالقادر في القدس عام ١٩٠٨ وتلقى دراسته الاولى في مدرسة صهيون الانجليزية ومدرسة روضة المعارف الاهلية . وعاصر وهو لم يزل طفلا بعد بداية المأساة في فلسطين وقت أن دخلتها القوات البريطانية وهي تحمل في ركابها تصريح بلفور وشهد وهو فتى تدرج الحكم البريطاني في ترسيخ قدم الصهيونية واعطائها الصيغة الشرعية . وجوده قرب والده موسى كاظم الحسيني — رئيس البلدية — الذي قاد العمل الوطني منذ توليه رئاسة المؤتمر الفلسطيني الثالث ١٩٢٠ ، قد أمدته بتجربة حية الى جانب ما يتمنع به من ميزات شخصية .

وانتقل عام ١٩٢٥ الى القاهرة ليتابع دراسته الثانوية فيها ، ثم التحق بالجامعة الامريكية — قسم العلوم — لدراسة الرياضيات . وقد مارس الى جانب ذلك الشعر والادب ، كما عمل بالتدريس ، وتردد على دار جريدة الشورى — لصاحبها محمد علي الطاهر — وأسهم في تحرير بعض موادها .

وكانت فلسطين أواخر العشرينات قد شحنت بالاحداث اثر اضطرابات ١٩٢٩ وما تلاها من تحقيقات . وتجددت أمام عبدالقادر في القاهرة مسورة الحكم البريطاني المقيت فجعل من نفسه داعية لقضية وطنه . واعدادا للمستقبل بدأ بتنظيم الطلبة الفلسطينيين في القاهرة ، وأنشأ منهم اول رابطة للطلبة الفلسطينيين على أمل ان تتحول الى منظمة سياسية تتولى قيادة الحركة الوطنية بعد أن ينهي الطلبة دراستهم .

وكانت جريدة الجامعة الامريكية بمصر (نصف الشهرية) قد شهدت في مقال لها تحت عنوان — عبدالقادر الحسيني بكالوريوس علوم B.A. القدس فلسطين — على ان عبد القادر كان في السنوات الخمس التي قضاها في الجامعة موضع اعجاب رفاقه لما امتاز

به من روح التعاون » وكان أهم ما يستهويه من الدروس الرياضية والدين كما كان حبه للمناقشات الحية سببا لكسبه الشهرة بين الطلبة « (١) » .

وقد لمس عبدالقادر في الجامعة الأمريكية الاتجاهات التي تعمل لصالح الاستعمار ، وفي الحفلة السنوية التي أقيمت بعد انتهاء العام الدراسي ١٩٣٢ لتوزيع الشهادات بحضور عدد كبير من مسؤولي الجامعة الأمريكية في مصر والعلماء ، كان عبدالقادر يدبر مفاجأة لهم جميعا . وقد أشار الأستاذ محمد علي الطاهر في كتابه (نظرات الشورى) المطبوع بمصر عام ١٩٣٢ الى هذا الحادث تحت عنوان (شاب فلسطيني في مصر ينسف الجامعة بمصر في وجهها) مشيرا الى ان عبدالقادر بعد ان وقف على المنصة وفي يده الشهادة التي أخذها ، اتجه الى الحاضرين ووجه لهم كلمة وطنية « ندد فيها بالأفكار التي تبث في أوساط الجامعة . وختم كلمته بأنه يقول هذا لينبه اليه المصريين والحكومة المصرية وأنه لم يكن يقوله قبل ذلك لانه كان طالبا أما الآن وقد تخرج وأخذ شهادة الدبلوم فهو يقوله للمسلمين والاقباط على السواء » . وقد نزل الطالب وجلس على كرسي في القاعة بينما كان الحاضرون يسألون عنه ويتحدثون في الكلمات التي سمعوها منه . ويضيف كتاب (نظرات الشورى) ان جريدة البلاغ قد علمت من سكرتير الجامعة ان مجلس الإدارة قد اجتمع على اثر ما حدث وقرر سحب الشهادة التي أعطيت لهذا الطالب . ولما قام أحد المعلمين بتنفيذ القرار تجهم بعض الطلبة وكاد يقع شيء من لقتال لولا ان عبدالقادر منع الناس عن المعلم وأعطاه الشهادة . وقد اضطربت الجامعة الأمريكية من هذا الحادث ، فجلبت بعض الصحفيين عند منتصف الليل ورجتهم عدم الاشارة الى ما جرى « وحاولت أرشاء بعض الصحفيين ليحملوا على ذلك الشاب الغيور على قوميته ، ولكن الصحف في الصباح التالي امتلأت بأخبار ما جرى » . ولجأت الجامعة الأمريكية كذلك الى الإيعاز لبعض الطلبة للذهاب الى ادارات الصحف للظعن عليه وتبرئة الجامعة . وقد قام عبدالقادر بتوزيع كتاب مفتوح على الصحف ضمنه توضيحا لما ذكره في الحفل حول الاتجاهات التي لمسها في اوساط الجامعة طالبا « من كل وطني مسلما كان أم مسيحيا ان يحارب هذه الفكرة ليعيش المسلمون والمسيحيون أهل هذه البلاد وغيرها من الاقطار الشرقية هائنين آمنين » .

وعلى اثر هذا الحادث أصدرت الحكومة المصرية — في عهد اسماعيل صدقي — أوامرها بإخراج عبدالقادر من مصر . وقد تجهم الفلسطينيون المقيمون في مصر عند محطة سكة الحديد لوداع عبدالقادر ، وانقلب الوداع الى شبه تظاهرة وطنية تهتف لفلسطين العربية وتنادي بسقوط الحكم البريطاني .

عاد عبدالقادر الحسيني الى القدس في مطلع عام ١٩٣٣ ليمارس نشاطات متعددة يخدم بها قضيته . وقد استلم وظيفة في دائرة التسوية ، وهي دائرة خاصة للأراضي شكلتها الحكومة المنتدبة ، ولا شك ان الدافع وراء حصوله على وظيفة في هذه الدائرة هو الاطلاع على الاساليب التي يقوم بها الصهيونيون في الاستيلاء على الأراضي ومحاولة عرقلتها ، كما ان وجوده فيها أتاح له فرصة توثيق صلاته بأهل القرى . وكان الى جانب عمله الرسمي يمارس هوايته الصحافية ، فكان يبعث بمقالاته الى جريدة الجامعة الاسلامية في يافا (التي كان يرأس تحريرها سليمان الفاروقي) بين عامي ١٩٣٣ — ١٩٣٦ . ولما أصدر الحزب العربي جريدة اللواء عام ١٩٣٥ (التي رئس تحريرها خالد الفرخ) اشترك عبدالقادر في تحريرها (قسم الترجمة) ، كما تولى سكرتارية جمعية الشباب المسلم المتعلم (برئاسة يعقوب الغصين) . وكانت الاوضاع في فلسطين بعد عام

(١) محمد علي الطاهر ، كتاب نظرات الشورى ، مصر ١٩٣٢ . وقد تفصل المؤلف مشكورا بتزويدي بأربع صفحات من الكتاب التي تشير الى نشاط عبدالقادر الحسيني في مصر .

١٩٣٣ قد زادت توترا مع ازدياد تواطؤ حكم الانتداب وتسهيله الهجرة وبيع الاراضي . وقامت سلسلة من المظاهرات في المدن الفلسطينية . وفي ١٣ تشرين الاول ١٩٣٣ تقدم والده موسى كاسم باثنا صفوف المظاهرة الوطنية في يافا واستخدمت السلطات البريطانية وسائل العنف وكان نصيب عبدالقادر عدة جروح ، والده (الذي تجاوز الثمانين) ، ضربة عصا سببت وفاته السنة التالية . وتكررت الاضطرابات حيث تصاعدت نحو الاضراب العام الذي امتد ستة شهور ، وتشكيل اللجنة العربية العليا من كافة الاحزاب الفلسطينية نيسان ١٩٣٦ .

وكان عبد القادر في ذلك الوقت يتولى ادارة مكتب الحزب العربي الفلسطيني في القدس ، وبدأ مع غيره من الشباب الوطني في التهيئة لاسلوب جديد في المقاومة هو الثورة . وبالفعل كان قد بدأ تشكيل منظمات سرية شبه عسكرية من شبان في المدن والقرى تعمل على جمع السلاح والتدريب العسكري . وفي اواخر ايار ١٩٣٦ أعلنت قيادة هذه القوات التي أطلقت على نفسها اسم الجهاد المقدس ، الثورة . ولجأت الى الجبال لتتشارك بثورة مسلحة على شكل حرب فدائية ، وكان لعبد القادر شرف الاشتراك في اطلاق الضربات الاولى الموجهة مباشرة الى الاحتلال البريطاني في قطاع القدس .

وشارك في معركة (الخضر) في قضاء بيت لحم ، التي استشهد فيها المجاهد السوري سعيد العاص (ايلول ١٩٣٦) واعتقل عبد القادر اثر اصابته بجرح في المعركة ووضع في مستشفى الحكومة في القدس تحت حراسة مشددة انتظارا لمحاكمته بعد شفائه . ولكنه دبر امر الفرار من المستشفى بالتعاون مع بعض الشباب ونقل سرا الى دمشق عن طريق الاردن حيث عولج حتى شفي(١) . والتحققت به عائلته في دمشق واستقرت هناك ، بينما اتجه هو الى بغداد . وتسلل الى فلسطين من جديد ليغادرها سرا الى المانيا ، بعد ان هدأت احداث الثورة منذ تشرين الاول سنة ١٩٣٦ تلبية لنداء الملوك وترقبا لقدم لجنة تحقيق ملكية بريطانية برئاسة لورد بيل ، وقد مكث في المانيا مدة ثمانية شهور حيث تلقى تدريبا خاصا على تعبئة المتفجرات واستخدامها ، وقام فيما بعد بتدريب مجموعات خاصة في دمشق ، استعدادا لجولة اخرى .

وكانت احداث الثورة منذ تشرين الاول ١٩٣٧ قد تجددت بشكل اكثر عنفا وتنظيما ، وجهت الى السياسة البريطانية والصهيونية معا ، بعد ان اصدرت لجنة بيل توصيتها بتقسيم فلسطين ، واعلنت الحكومة البريطانية رغبتها في تنفيذ هذه التوصية . وعاد عبد القادر الى فلسطين خفية ليشارك باحياء الثورة باعمال فذة جديدة في قطاع القدس . وقام مع مجموعة من المجاهدين بالتوجه الى منطقة الخليل (قرية بني نعيم) ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٣٨ للاتصال بالقبائل المقيمة هناك فوقعوا في كمين نصبه الانجليز واستشهد كثيرون كان من بينهم ابن عمه المهندس علي الحسيني بينما اصيب هو اصابة خطيرة . وقد ظنت مجموعة انه قد اصبح في عداد الشهداء الذين وضعوا جميعا في كهف سد بابه بالحجارة حتى لا يعثر عليهم . وحاول الاستغاثة كي يخبرهم انه لا يزال على قيد الحياة دون جدوى فقد منعه جراحه المثخنة ، ولحسن حظه كان طرف رداؤه الشتوي باديا بين الحجارة فعثر عليه اهل القرى في اليوم التالي ، وقد عمس قميصه الصوفي وساعة يده كضابط لحبس النزف . وحمل وهو في اشد حالات الاعياء على ظهر جمل حتى المستشفى الانجليزي في الخليل . وارغم رفاقه طبيب المستشفى على معالجاته بعد ان قطعوا كل اتصال مع الخارج . وقد عادته زوجته في المستشفى ، بعد ان علمت

(١) روى الاستاذ محمد علي الطاهر في مقابلة شخصية انه هو الذي اوعز الى عبدالقادر بفكرة الفرار في رسالة شفهية بعثها من القاهرة ، حسب اصطلاح شاع في فلسطين في ذلك الوقت (افركها) وهي كلمة مشتقة من (بيت فوريك) في قضاء نابلس .

بالنبا وكان لا يزال مثخنا بالجراح ، فقد كانت بضع رصاصات قد مزقت صدره لتستقر احداها قرب قلبه . وعاود عبد القادر القتيبال بعد شفائه وتقاتل عمليات مسلحة السلطات البريطانية له ولكنه نجا منها كلها .

وكانت اعمال الثورة لا تزال مستمرة رغم تراجع الحكومة البريطانية عن قرار التقسيم ودعوتها الى مؤتمر المائدة المستديرة في لندن وصدور الكتاب الابيض . الا ان ظروف الحرب (بعد ايلول ١٩٣٩) قد حالت دون متابعة القيام باعمال الثورة ، واضطر كثير من القيادة الفلسطينية ان يغادروا موافعهم ، وكان بعضهم قد اضطر الى اللجوء الى سوريا ولبنان قبل اعلان الحرب بسبب الملاحقة والضغط العسكري المتواصل . ولكن مع بؤادر الحكم الوطني في العراق وخشية اعتقال السلطات الفرنسية اتجهوا نحو بغداد وكان عبد القادر بين من استقر هناك . ورغم خبرته العسكرية فقد التحق بدورة خاصة للضباط في بغداد ليتخرج بعد ستة شهور برتبة ضابط وعمل على تدريس الرياضيات في الكلية الحربية (معسكر الرشيد) وكذلك في مدرسة (التفيض) في بغداد ، وهناك مارس هوايته الصحفية فاشترك بتحرير مجلتها المدرسية الشهرية .

ولما نشب القتال في العراق (نيسان ١٩٤١) في عهد وزارة رشيد عالي الكيلاني ضد القوات البريطانية التي كانت تعزم على اعادة احتلال العراق والقضاء على الحكم الوطني فيها ، كان عبد القادر اول المتطوعين ، فنظم مع القوات الفلسطينية قوة اشتركت في اعمال قتال الانجليز التي استمرت مدة شهر وقد تمكنت مجموعته وحدها من ايقاف تقدم القوات البريطانية مدة عشرة ايام في زحفها نحو بغداد (١) . وبعد توقف القتال غادر الوطنيون البلاد الى ايران عن طريق الموصل . وكانت زوجة عبد القادر قد افتقدت اخباره الا انها فوجئت به يعود بعد خمسة وعشرين يوما . اذ كانت السلطات البريطانية قد رفضت السماح لمجموعته المكونة من خمسة وثلاثين شخصا بالعبور قرب كرمشاه بينما سمحت له شخصيا نظرا لقربائه للمفتي ، الا انه رفض النجاة وحده . وعادت المجموعة مشيا على الاقدام لتقطع مسافة الف كيلو متر في مدة خمسة وعشرين يوما . وقد طلب عبد القادر من مجموعته التسلل افراديا الى منزله حتى لا يثيروا الشبهة . وظلت هذه المجموعة في معتقلها الاجباري تحت رعاية زوجته خلال شهري حزيران وتموز ، ولكن نتيجة المعاناة الشديدة بسبب نقص الغذاء والاختفاء اضطروا الى تسليم انفسهم الى مصطفى العمري وزير الداخلية (تموز ١٩٤١) . واستمرت محاكمة عبد القادر وحده سنة وثمانية شهور وانتهت دون اصدار حكم . وفي خلال هذه الشهور كان بيت عبد القادر في بغداد قد اصبح مركزا لتجمع العائلات الفلسطينية الذين غادر معظم رجالها البلاد الى الخارج ، واثار ذلك شبة السلطات وتعرضت زوجته لتحقيقات المخابرات العسكرية مرارا وانتهى الامر بوضعها تحت الحراسة .

في ذلك الوقت كانت قد صدرت الاوامر للمعتقلين الوطنيين بالاقامة الجبرية في شمال العراق على شكل مجموعات متفرقة وكان نصيب عبد القادر بلدة زاخو على حدود تركيا ثم استدعي بعد شهرين للتحقيق معه بعد اغتيال احد رجالات العراق وسجن في معتقل (العمارة) الرهيب مع كل الفلسطينيين والعراقيين ذوي الصلة بهم مدة ثلاث سنوات ونصف . وكانت عائلته قد امرت في مطلع عام ١٩٤٣ بمغادرة بغداد لتعود الى القدس من جديد بعد غياب دام عدة سنوات . وفي اواخر عام ١٩٤٤ بلغ زوجته خبر تدهور صحته في معتقله نتيجة جروحه السابقة . وتوسطت لدى بعض رؤساء الدول

(١) روى الاستاذ محمد علي الطاهر انه قد بلغه وهو في القاهرة خبر بان مدير الامن العراقي (احمد الراوي) قد اتصل بعبدالقادر ومجموعته وكانت لا تزال في استحكاماتها داخل احدى البنايات طالبا منها الفرار بعد ان استسلمت الحكومة نفسها ولم يعد هناك جدوى للمقاومة .

العربية لحمل حكومة العراق على الافراج عنه وذهبت الى بغداد استمرارا لهذه المساعي . وقد اشار محمد علي الطاهر في كتابه (هاكستب) (١) ان عبدالقادر كان قد بعث له عام ١٩٤٤ برقية من العراق يخبره فيها انه لا يزال في سجن العمارة وانه لما بلغت حالته الصحية حد الخطورة سمحت الحكومة العراقية باخراجه من السجن على شرط ان يغادر العراق ، ويطلب في البرقية ان يسمح له بدخول مصر . وقد بعث (الطاهر) بالبرقية الى مصطفى النحاس رئيس الوزارة شارحا فيها حالة عبد القادر وجهاده وظروفه وانه لا يوجد طريقة لانقاذه الا بدعوته لمصر ليعالج فيها . وقد ابرقت وزارة الخارجية المصرية الى المفوضية المصرية ببغداد بالشفيرة لمنح عبد القادر تأشيرة دخول لمصر له ولاسرته بامر خاص من رئيس الوزارة ، على ان يجعل سبيله الى مصر من طريق المملكة السعودية حتى لا يقبض عليه الانجليز ان مر بالشرق الاوسط « سوريا ولبنان وفلسطين والاردن » . وابرقت الطاهر لعبد القادر بواسطة مدير سجن العمارة بان يراجع الفصيلة المصرية ببغداد . وقد علم بعد ذلك ان الملك عبد العزيز ال سعود حين عرف بمرور عبد القادر الحسيني امر باستضافته في السعودية نظرا للصدقة التي تربط موسى كاظم الحسيني وعبد العزيز منذ كان الاول متصرفا لنجد زمن الدولة العثمانية . وظل عبد القادر في السعودية مدة عامين ولحققت به اسرته هناك من فلسطين .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت الغيوم تتلبد في سماء فلسطين السياسية والقضية تتأرجح بين يدي الحكومة البريطانية ولجان التحقيق المختلفة والامم المتحدة . وبدا للجميع ان الصدام امر لا بد منه . وغادر عبد القادر السعودية الى مصر ليكون قريبا من فلسطين اوائل عام ١٩٤٦ . ويروي محمد علي في كتابه (هاكستب) (٢) ان الحكومة المصرية — وكان يرأسها ابراهيم عبد الهادي في عهد السعوديين — قد سمعت الى اخراجه من مصر وبقوة الشرطة . وقد طلبت منه ادارة الجوازات مغادرة مصر فوراً وهددته بحبسه بسجن الاجانب الى ان يستأذن حكومة فلسطين البريطانية بتسفيره لفلسطين . وقد طلب عبد القادر من رئيس الادارة ان يمهله بضعة ايام ريثما يحصل على اذن بدخول سوريا او لبنان . ويضيف كتاب (هاكستب) ان عبد القادر حاول ان يسر باذن ذلك المسؤول انه لا يستطيع دخول فلسطين لان الانجليز فيها قد سبق لهم ان حكموا عليه بالاعدام لمحاربه اياهم ١٩٣٦ — ١٩٤١ . وبدلا من ان يقدر الموظف جهاده نهره بجواب غف(٣) . واخيرا افرج عنه موظف الجوازات بعد ان اخذ منه تعهدا مكتوبا بان يغادر مصر بعد اسبوع ، وان يتعهد بان لا يبذل اي جهد او وساطة لتمديد الاقامة . ويتابع (الطاهر) في كتابه انه قد ذكر عبد القادر بحادثة اخراجه في عهد اسماعيل صدقي من مصر وهو تلميذ ١٩٣٢ وحرصه ان لا يخرج الان وهو مجاهد الا بالقوة . وقام بعد ذلك بتقديمه الى ادارات الصحف واخبارهم بما فعلته الحكومة وشنت الصحف حملة اجماعية كانت السبب في صرف النظر عن ترحيله من مصر .

في ذلك الوقت كانت الهيئة العربية العليا قد تشكلت في بلودان (حزيران ١٩٤٦) برئاسة حفني فلسطين (وكان لا يزال في باريس) ولما وصل سرا الى القاهرة (صيف ١٩٤٦) تولى رئاسة الهيئة فعليا . وكان عبد القادر قد بدأ يعمل وبالتعاون مع قيادة الحركة الوطنية على اقامة معسكر تدريب خاص في مرسى مطروح لصنع الالغام وتعبئتها وجمع الاسلحة سرا من كل مكان (وخاصة من ليبيا من مخلفات الحرب العالمية الثانية) كما

(١) طبع الكتاب في القاهرة ١٩٤٩ وسمي باسم المعتقل الذي سجن فيه المؤلف .

(٢) ص ٢٢٤ — ٢٢٧ والمعلومات سمعها المؤلف من عبدالقادر الحسيني نفسه .

(٣) الجواب كان كما يلي : « احنا مش عاوزين قتالين قتلى في بلادنا بالله على بلدك » .

عمد الى اعداد خريطة فلسطين وعليها تحديد المواقع الحيوية والاهداف العسكرية وذلك من اجل وضع خطة لتنظيم الثورة المقبلة على اسس مدروسة .

وكان عبد القادر لا يزال نزيل القاهرة حين صدر قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) وعمل على رسم مخطط غايته توجيه الضربة الاولى للمصالح البريطانية في اليوم التالي لاعلان قرار التقسيم وذلك بنسف كل المباني الحكومية في القدس بتوقيت واحد قبيل وصول الموظفين الى دوائر عملهم . وكان استيأؤه كبيرا حين سمع من راديو لندن اخبار خروج التظاهرات من المسجد الاقصى لانها افسدت خطته ، فالتظاهرات لم تكن التعبير المناسب عن الاستنكار .

ومع توالي الاصطدامات بين العرب وبين اليهود والانكليز أعلن الجهاد المقدس لانتقاذ فلسطين باتفاق بين الهيئة العربية العليا واللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية . وتولى عبد القادر حركة النضال في الجبهة الوسطى (القدس وما حولها) كما تولى كل قائد من قادة الجهاد المقدس قيادة القطاع المخصص له . وتسلسل عبد القادر من مصر الى داخل فلسطين في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٤٧ متخذاً بلدة بير زيت قرب رام الله مركزاً لقيادته وللقيادة العامة للجهاد المقدس .

وتابع بعقله الرياضي المنظم وضع الخطة لتوزيع القوات وقام بعرضها في دمشق التي اتخذت مقراً للجبهة العسكرية الفنية التابعة للجامعة العربية برئاسة اسماعيل صفوة وطه الهاشمي . وكانت دهشتها فائقة حين عرفا ان رسم الخطة قد استغرق تسعة شهور لوضعها بينما كان الجهد الذي بذل لتحضيرها يقتضي عشر سنوات على الاقل .

كل ما كان يطلبه عبد القادر وبالاحاح من الجميع هو السلاح والمال ، فلم ينقصه الرجال ، ولكن هذا ما بذلوا به . وذهبت رحلاته بين دمشق والقاهرة لاقتناع مسؤولي الجامعة بمد يد العون عبثاً . ومع ذلك فقد قاتل بما كان لديه من سلاح وتمكن من القيام بأعمال ذكرها مواطنوه بالاعجاب والتقدير . اذ قام بالدفاع عن منطقة القدس المحاطة بعدد كبير من المستعمرات ، وكانت خطته مهاجمة هذه المستعمرات لتعطيل حركتها (معركة شعفاط ومعركة كفار عصيون) كما الف فرق التدمير العربية التي كان لها الفضل في اعمال النسف التي قامت في القدس (شارع هاسوليل ومطبعة البالستين بوست وشارع بن يهودا وغيرها) (١) .

وكان عبد القادر في دمشق يبحث عن مزيد من السلاح حين بلغه خبر سقوط القسطل ٣ نيسان ١٩٤٨ ، وهي قرية عربية مرتفعة واقعة على بعد خمسة اميال غربي القدس تتحكم في طرق المواصلات وتهدد مدينة القدس نفسها وتشرف على عدد كبير من القرى والمستعمرات المنتشرة على طريق القدس تل ابيب (٢) . وكان استيلاء اليهود عليها يعني السيطرة على هذا الطريق وتمكينهم من تموين القدس المطوقة بالعرب . وحاول ان يشنع اللجنة العسكرية بضرورة تزويده بالاسلحة اللازمة لاستعادتها مبيناً لأعضاء اللجنة اهمية الموقع الاستراتيجي وخطر تهديدها القدس . ولكن الاعضاء رفضوا تسليمه الاسلحة المطلوبة ، بل اظهروا عدم تفهم للاوضاع او تقدير لخطورة المواقع التي ينوي الصهيونيون احتلالها . وفشلت مساعي الهيئة العربية العليا للتدخل . ولم يكن احد افراد اللجنة العسكرية يرى مانعا من سقوط القدس طالما انها مستعاد ثانية ! وكان الرقص انسجاماً مع السياسة الرامية لتجميد الوضع العسكري ريثما يتهيأ دخول

(١) مزيد من التفاصيل راجع : عارف العارف ، نكبة بيت المقدس ١٩٤٧ - ١٩٥٢ ، الجزء الاول ، صيدا

بيروت ١٩٥٦ .

(٢) مجلة فلسطين ، الهيئة العربية العليا ، نيسان ١٩٦٢ .

القوات العربية . وصب عبد القادر غضبه على اعضاء اللجنة متهما اياهم بالخيانة وان التاريخ سيسجل انهم اذاعوا فلسطين متوعدا بأنه سيستعيد القسطل حتى لو دفع حياته ثمنا لها .

وغادر دمشق في ٦ نيسان ليظهر على مشارف القدس في اليوم التالي ومنها توجه نحو موقع القسطل رغم نصيحة اصدقائه طالبين منه التريث حتى يدرس حقيقة الموقف . وبدأت عملية الزحف الانتحارية نحو القسطل واستعيد الموقع بالعدد الضئيل من الجند والسلاح ورفع العلم العربي بعد ظهر الخميس ٨ نيسان ١٩٤٨ . الا ان عبد القادر نفسه كان قد سقط شهيدا أمام احد بيوت القرية دون ان يعرف بذلك احد سوى مرافقه عوض . وكانت الفاجعة مزدوجة حين سقطت القدس مجددا في اليوم التالي لاستشهاده . واختلطت في ذهن ارملة تفاصيل حادث استشهاده . وتكاثرت الاتسوال حول اللحظات الاخيرة التي قضاها على تربة الارض التي حررها ، ضاربا اروع امثلة الكفاح للاجيال المقبلة من أبناء فلسطين(١) .

(١) كان محمد علي الطاهر من اوائل الذين اشاروا في كتاب عربي الى خبر استشهاده وذلك في كتابه (اوراق مجموعة) القاهرة ١٩٤٨ ، بعد يومين من استشهاده وكان طبع الكتاب قد انتهى ، ووضع الخبر ملحقا للكتاب . وقد اوقع الطاهر اللوم في استشهاده على بخل المسؤولين بامداده بالسلاح والمال .

تهويد فلسطين

اعداد وتحرير الدكتور ابراهيم ابو لغد

ترجمة الدكتور اسعد رزوق

تندرج موضوعات الكتاب في أربعة أقسام : يتناول القسم الاول منها فلسطين والحركة الصهيونية، ويتناول القسم الثاني الارض والشعب ، أما القسم الثالث فيعرض للمقاومة الفلسطينية تحت الانتداب في أفضل ما كتب عن هذا الموضوع ، أما القسم الرابع فيتناول سياسات الدول العربية واسرائيل ووضع القدس السياسي .

أطلب الكتاب من قسم التوزيع في مركز الأبحاث

ص.ب ١٦٩١ - بيروت

٤١٢ صفحة من القطع الكبير

سعر النسخة ٨ ليرات لبنانية

تضاف اليها اجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي

٢٥٠ ق.ل. في اوروبا ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر الدول

النفط العربي سلاح في خدمة قضايانا القومية (١)

الدكتور عاطف سليمان

تنشر شؤون فلسطينية الجزء الاول من بحث الدكتور عاطف سليمان وستنشر الجزء الثاني المتعلق ببحث موضوع التاميم في العدد القادم بالنظر لكون الدراسة طويلة .

مقدمة :

تتعرض الامة العربية اليوم لاقسى انواع العدوان وأبشع محاولات الاذلال وكافة انواع الضغوط لحملها على التخلي عن حقوقها المشروعة والاستسلام لمخططات المعتدين وأهدافهم . وتتحالف ضدنا في ذلك اسرائيل والصهيونية العالمية ومن ورائها الدول الاستعمارية الكبرى التي انشأت اسرائيل وما فتئت تدعمها بشتى الوسائل وتلقي الى جانبها بكل ثقلها السياسي والاقتصادي والدبلوماسي والعسكري وعلى رأس هذه الدول الولايات المتحدة الامريكية ، التي اسفرت عن تحيزها الكامل لاسرائيل وعدائها الصريح للمصالح العربية المشروعة ، وغيرها من حليفاتها من الدول الرأسمالية الاستعمارية مثل بريطانيا والمانيا الاتحادية وهولندا .

ان المنطق السليم واعتبارات الكرامة تقضي بالبداية على الامة العربية ان تواجه هذا العدوان الصريح وهذا العداء السافر برد يتناسب مع ضرورة هذا العدوان ويرتفع الى مستوى حدة هذا العداء ويتسم باقصى قدر ممكن من الشمول والكثافة والفعالية ، وهو ما يتطلب ان تكون المعركة التي تقف الامة العربية اليوم على اعتبارها معركة شاملة جذرية وحاسمة ، بمعنى ان تلقي فيها الامة العربية جمعاء بكافة قواها ووسائلها وطاقتها وان تكون موجهة في نفس الوقت ضد الكيان الصهيوني من أساسه وضد كافة ما لدى الدول المعادية من مصالح في العالم العربي .

والنفط العربي ثروة وطنية هامة ، ولذا فان من الواجب منطقيا ان يوضع في خدمة معاركنا السياسية والعسكرية . كما ان هذه الثروة الوطنية الضخمة تمثل من ناحية أخرى أهمية كبيرة ، استراتيجية واقتصادية ، للدول الاستعمارية التي هي أشد الدول معاداة لنا اذ هي تعتمد على هذه الثروة اعتمادا كبيرا في تمويناتها البترولية سواء في الحاضر أو في المستقبل كما تجني الشركات النفطية التابعة لها أرباحا طائلة من وراء استغلال هذه الثروات ، ولذا فان من الواضح بدهة ان على الامة العربية ان تستغل هذا الوضع للنفط العربي وهذه الاهمية التي يمثلها لاتخاذ كوسيلة لتعزيز مواثيقنا وكعامل ضغط في مواجهة الدول المعادية او كأداة لاحاق الضرر بمصالحها الى اقصى الحدود الممكنة .

ثم ان الصلة بين النفط وبين قيام اسرائيل صلة واضحة لا يمكن انكارها ، اذ من المؤكد ان أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت الغرب للعمل على انشاء اسرائيل ولواصلتها دعمها بكل الوسائل هو اتخاذها قاعدة اساسية لحماية المصالح الغربية الاستراتيجية

والاقتصادية في المنطقة ، وعلى رأسها المصالح النفطية ، عن طريق الدور المتعدد الجوانب المسند لاسرائيل في هذا المجال بمختلف صورته واشكاله (بما في ذلك الضغط العسكري ، والسيطرة الاقتصادية ، واجتذاب طاقة الكفاح لدى الامة العربية بعيدا عن المصالح النفطية ، والحيولة دون تحقيق وحدة العالم العربي وتقدمه وارتقائه ...) . فالارتباط بين وجود اسرائيل وبين ضمان المحافظة على المصالح النفطية الغربية في المنطقة مسألة لا تحتاج الى بيان ، والنفط العربي هو المحور الاساسي لازمة الشرق الاوسط من وجهة نظر امريكا نظرا لاهميته الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة لهما ، كما سيتضح بالتفصيل من خلال هذا البحث . ولذا فان طرح موضوع النفط العربي والدور الذي يجب ان يلعبه بصدد المواجهة بين العالم العربي وبين القوى الصهيونية والامبريالية هي امور منطقيّة وطبيعية .

هذه البديهيات كلها جعلت الرأي العام العربي — منذ ان تأكدت أهمية النفط العربي ومنذ ان تكالبت علينا الصهيونية والامبريالية — يردد بالحاح هذا التساؤل : لماذا لم تستخدم حتى الان هذه الثروة النفطية الهامة كسلاح في معاركنا المصرية بشكل فعال ، وكيف يمكن ان نستخدمها على أفضل وجه ؟

والامة العربية كذلك في معارك متواصلة ضد الفقر والتخلف ومن اجل تحقيق التنمية الاقتصادية والتطور الصناعي والتكنولوجي والتقدم الاجتماعي . ورغم هذه الثروات النفطية الضخمة وهذا الانتاج الكبير المتزايد من النفط العربي عبر سنوات طويلة فان البلاد العربية المنتجة للنفط ما تزال بصورة عامة بلادا متخلفة اقتصاديا واجتماعيا وما تزال بعيدة عن التطور الصناعي والتقدم التكنولوجي ، كما ان جميع بلادنا العربية ما تزال تعتبر من الدول المتخلفة والسائرة في طريق النمو . والسؤال الذي يفرض نفسه هنا كذلك هو : لماذا لم يتم النفط العربي بدوره حتى الان ، بشكل فعال ، في معركة التنمية الاقتصادية والرفعي الاجتماعي وفي القضاء على الفقر والتخلف ؟ وكيف يمكن ان يقوم بهذا الدور على أفضل وجه ؟

والتساؤلات المتقدمة ، سواء حول دور النفط كسلاح في معاركنا السياسية والعسكرية ضد قوى الامبريالية والعدوان او حول دوره كسلاح في معاركنا الاقتصادية ضد الفقر والتخلف ، هي في نظرننا تساؤلات مترابطة ومنداخلة : فمما لا شك فيه ان أحد الاسباب الرئيسية لهزائمنا العسكرية والسياسية يكمن في تأخرنا وتخلفنا وفي خضوع بعض بلادنا لنوع من الاستعمار الاقتصادي او التبعية الاقتصادية من جراء خضوع ثرواتنا الطبيعية للاستغلال الاجنبي . ولو ان الامة العربية استطاعت ان تستخدم ثرواتها النفطية لحرز التنمية الاقتصادية والصناعية والتطور الاجتماعي والتقدم التكنولوجي لتحققت لها وسائل القوة واسباب العزة والمنعة مما يضمن لها النصر في معاركها السياسية والعسكرية او يكون أحد العوامل الحاسمة في تحقيق هذا النصر . وسيتبين لنا من خلال هذا البحث ان الطريقة المثلى ، والاكثر جذرية وفعالية ، لاستخدام النفط كسلاح في معاركنا السياسية والعسكرية هي نفسها الطريقة التي تخدم المعركة الاقتصادية على أفضل وجه .

هذا البحث يحاول ان يقدم اجابة على التساؤلات المشروعة المتقدمة : كيف يمكن للنفط ان يكون مسلحا لنا في معاركنا السياسية والعسكرية ضد الامبريالية والصهيونية وفي معاركنا الاقتصادية ضد الفقر والتخلف ومن اجل تحقيق التنمية الاقتصادية والتطور الصناعي والتكنولوجي والتقدم الاجتماعي .

ولنحاول أولا ان نلقي نظرة على هذه الثروة النفطية العربية وأن نتعريف على مدى أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية وعلى المكانة التي تحتلها في صناعة النفط العالمية وعلى المسرح البترولي الدولي .

أهمية النفط العربي ومكانته

أهمية النفط العربي بصورة عامة معروفة وسنكتفي هنا بإيراد لمحة مقتضبة للتذكير بمدى أهمية احتياطي النفط العربي ونتاجه بالنسبة للاحتياطي والانتاج العالميين من النفط وكذلك أهميته بالنسبة للبلدان الرئيسية المستهلكة للنفط ومدى حاجتها إليه :

من المعروف ان العالم العربي ، سواء في منطقة الخليج العربي أو في شمال افريقيا ، يحتزن الجزء الأكبر من الثروة البترولية في العالم ويحتل مكانا بارزا بين البلدان التي تنتجها وتصدرها :

ففي نهاية عام ١٩٧١ حسب مجلة Oil and Gaz Journal ، كان احتياطي العالم العربي (سواء في منطقة الخليج العربي أو شمال افريقيا يبلغ (٤٨٤٤) بليون طن أو حوالي ٣٦٣ بليون برميل (١) بينما كان المجموع الكلي للاحتياطي العالمي ، حسب المصدر نفسه ، يبلغ (٨٦٤٥) بليون طن (أو حوالي ٦٤٨٤٨ بليون برميل) ، أي أن نسبة احتياطي النفط في العالم العربي ، تبعا لهذه الاحصائيات ، تبلغ حوالي ٥٦ ٪ من مجموع احتياطي النفط في العالم . ولكن من المعروف ان مصادر الشركات تميل الى تقليل مقدار الاحتياطي في البلاد العربية ولذا فان التقديرات الأكثر معقولية تبين بأن احتياطينا من النفط لا يقل عن ثلثي احتياطي النفط في العالم . وقد كان احتياطي الولايات المتحدة الأمريكية في العام نفسه (١٩٧١) يعادل ٥٦٩ ٪ من الاحتياطي العالمي ، واحتياطي الاقتصاد السوفياتي يبلغ ١١٤٩ ٪ من الاحتياطي العالمي . وإذا علمنا أن احتياطي المملكة العربية السعودية لوحدها يعادل ٢٣ ٪ من الاحتياطي العالمي تبين لنا ان السعودية تضم من الاحتياطي أكثر بكثير من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي مجتمعين . وإذا ما استثنينا الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي اللذين ينتجان ما يحتاجان اليه ولا يصدران الا القليل فان احتياطي العالم العربي يصل الى ٧٥ ٪ من الاحتياطي العالمي خارج هذين البلدين . وبالإضافة الى احتياطي النفط الخام فان العالم العربي يضم مسا لا يقل عن نصف الاحتياطي العالمي من الغاز الطبيعي ، وهو مصدر الطاقة الذي بدأ يحتل مركزا مرموقا بين مصادر الطاقة في العالم وتتزايد أهميته باستمرار (اذ بلغ احتياطي العالم العربي من الغاز ٣١٧٢ بليون متر مكعب في نهاية عام ١٩٧١ بينما يبلغ مجموع الاحتياطي العالمي من الغاز حوالي ١٦٠٠٠ بليون متر مكعب) .

ويبلغ انتاج العالم العربي من النفط في الوقت الحاضر حوالي (٧٦٥) مليون طن سنويا ، حسب احصائيات عام ١٩٧١ طبقا لمجلة Petroleum Press Service ، عدد يناير ١٩٧٢ ، او ما معدله ١٥٤٣ مليون برميل يوميا (وقد ارتفع معدله في ستة الأشهر الاولى من عام ١٩٧٢ الى حوالي ١٦ مليون برميل يوميا) ، وهذا يمثل حوالي ثلث مجموع الانتاج العالمي من النفط حسب احصائيات عام ١٩٧١ (الذي كان يبلغ حوالي ٢٤٤ بليون طن حسب مجلة « بتروليوم برس سرفيس » ، عدد يناير ١٩٧٢) . ولكن اذا ما لاحظنا بأن أكبر بلدين منتجين للنفط في العالم ، وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي ، يستهلكان الجزء الأكبر من انتاجهما ولا يصدران للخارج الا نسبة ضئيلة بل ان الولايات المتحدة هي الان من بين البلدان المستوردة للنفط ، كما هو معروف ، تبين لنا بأن النفط العربي يشكل في الوقت الحاضر حوالي ٥٦ ٪ من مجموع صادرات النفط العالمية أي ان البلدان العربية تصدر الى البلدان المستهلكة للنفط والمستوردة له أكثر من نصف استهلاكها ، وبمعنى آخر فان النفط العربي يشكل أكثر من نصف النفط الداخل الى السوق العالمية (٢) .

والنفط العربي يتميز بعدة مميزات بارزة أهمها سهولة العثور عليه وقلة تكاليف تطويره ونتاجه ووفرة انتاج آباره وموقعه الاستراتيجي بالنسبة للبلدان المستهلكة لا سيما قربها

النسبي من مركز الاستيراد والاستهلاك الرئيسي له وهو منطقة أوروبا الغربية .

فمن حيث تكاليف العثور على النفط فان تكلفة العثور في منطقة الخليج العربي تتراوح بين سنت أمريكي واحد الى ٢ سنت للبرميل الواحد ، حسب المصادر (فمقد قدر أحد المصادر تكلفة العثور على النفط في الشرق الاوسط في الفترة ما بين ١٩٤٧ الى عام ١٩٦٠ بما معدله ١ سنت أمريكي للبرميل الواحد(٢) ، بينما تقدر مجلة Petroleum Outlook في عددها لشهر فبراير ١٩٧١ تكلفة العثور على النفط في الشرق الاوسط بما يعادل ٢ سنت أمريكي للبرميل) بينما تكلفة العثور على برميل واحد من النفط في الولايات المتحدة تبلغ حوالي ١.٤ سنت أمريكي ، وفي كندا ٥٤ سنت ، وفي فنزويلا ٢٧ سنت وفي الشرق الأقصى ٣٣ سنت للبرميل الواحد(٤) .

وإذا ما أخذنا مجموع تكاليف إنتاج البرميل الواحد فانها لا تزيد عن ٦ سنت أمريكي للبرميل في الخليج العربي بينما تصل تكلفة إنتاج البرميل في الولايات المتحدة ١٩.٠ سنت ، وفي كندا ٧٤ سنت ، وفي فنزويلا ٤.٠ سنت ، وفي الشرق الأقصى ٧٩ سنت للبرميل الواحد(٥) . وهذا كله يبين مدى انخفاض تكاليف إنتاج النفط العربي .

كما ان آبار النفط العربي تتميز بغزارة إنتاجها ، فبينما لا يزيد معدل إنتاج البئر الواحدة في الولايات المتحدة الأمريكية مثلا عن ٢ برميل في اليوم فان متوسط إنتاج البئر العربية يبلغ حوالي ٣١٨٦ برميلا ، وهو أضخم إنتاج لآية بئر أخرى في أي مكان في العالم ولا يعادلها في هذا المضمار الا إنتاج الآبار الإيرانية(٦) .

ويذهب الجزء الأكبر من صادرات النفط العربي الى بلدان أوروبا الغربية واليابان . وتبلغ نسبة ما تستورده أوروبا الغربية من العالم العربي حوالي ٧٠ ٪ من مجموع ما تستورده من البترول (وقد كان معدل استيرادها من البترول من مختلف المصادر عام ١٩٧١ حوالي ٩٤٥ مليون برميل يوميا) ، وهو ما يبين مدى اعتماد هذه البلدان على النفط العربي . أما اليابان فلا تقل نسبة ما تستورده من النفط العربي عن ٩٠ ٪ من وارداتها النفطية (وقد كان معدل استيرادها من النفط من مختلف المصادر عام ١٩٧١ حوالي ٤٠٣ مليون برميل يوميا) . ومعنى ذلك ان حوالي ثلاثة ارباع صادرات النفط العربي تذهب الى بلدان أوروبا الغربية واليابان ، وهي الحليفتان الطبيعية للولايات المتحدة .

ومن الملاحظ ان الولايات المتحدة الأمريكية لا تستورد حاليًا الا كمية قليلة من النفط العربي (حوالي ٣٢٤ ألف برميل يوميا ، عام ١٩٧١ ، أي ما يعادل ١٠ ٪ من مجموع وارداتها النفطية وحوالي ٢ ٪ من مجموع استهلاكها النفطي) اذ ان لدى الولايات المتحدة إنتاجها المحلي الذي يغطي في الوقت الحاضر الجزء الأكبر من احتياجات استهلاكها ثم تستورد بقية احتياجاتها من فنزويلا وكندا . وتبلغ نسبة النفط المستورد في الوقت الحاضر حوالي ٢٣ ٪ (حوالي ٣٤٥ مليون برميل يوميا) من مجموع استهلاكها البالغ حوالي ١٥ مليون برميل يوميا حسب احصائيات عام ١٩٧١ . ولكن القوات العسكرية الأمريكية فيما وراء البحار تعتمد اعتمادا كبيرا على النفط العربي لا سيما في منطقة الخليج العربي ، فهذه القوات تأخذ كميات متزايدة من المنتجات النفطية المكررة لاحتياجاتها في فينتام من معامل الشركات الأمريكية في منطقة الخليج مثل معمل تكرير رأس تنوره بالمملكة العربية السعودية ومعمل شركة نفط البحرين . الا ان الأهمية الرئيسية للنفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة تتمثل في ناحيتين : أولاهما الأرباح الضخمة التي تجنيها الشركات النفطية الأمريكية التي تسيطر على استثمار النفط العربي ، والناحية الثانية تتمثل في القيمة الاستراتيجية للنفط العربي والاعتماد عليه لتأمين جزء كبير متزايد من الاحتياجات النفطية للولايات المتحدة في المستقبل وكذلك تأمين

احتياجات حلفائها . وهذا يقودنا الى القاء نظرة على القيمة الاقتصادية والاستراتيجية للنفط العربي بالنسبة لأمريكا والغرب .

الاهمية الاقتصادية والاستراتيجية للنفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة والغرب

العنصر الاول من عناصر أهمية النفط العربي بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية يتمثل في الأرباح الضخمة التي تجنيها الشركات النفطية الأمريكية من استغلال المصادر النفطية العربية . فمن المعروف ان المصالح الأمريكية تسيطر على حوالي ٦٠ ٪ من انتاج النفط العربي وهي تجني من جراء عملياتها هذه أرباحاً ضخمة تميل الشركات عادة الى التقليل منها ولكن المصادر الأمريكية المحافظة نفسها تقدر هذه الأرباح من عمليات انتاج النفط لوحدها بما لا يقل عن ١٥٠٠ مليون دولار سنوياً (٧) . وينبغي ان يضاف الى هذه الأرباح المتأتية من عمليات انتاج النفط العربي تلك الأرباح التي تجنيها الشركات الأمريكية من العمليات والنشاطات المكملة للانتاج والمرتبطة به مثل عمليات النقل البحري للنفط وتكريره وتوزيعه والعمليات البتروكيميائية . والأرباح التي تحققها الشركات النفطية الأمريكية في الشرق الأوسط تمثل ٥٠ ٪ من مجموع الأرباح التي تحققها الشركات النفطية الأمريكية في الخارج وحوالي (خمس) الأرباح التي تحققها المصالح الأمريكية في الخارج من جميع نشاطاتها .

هذه الأرباح الناتجة عن العمليات النفطية وكذلك الصادرات الأمريكية للمعدات المتعلقة بصناعة النفط تساهم مساهمة هامة في ميزان المدفوعات الأمريكي لا سيما في هذه الظروف التي يعاني فيها الدولار من أزمته المعروفة ومن مختلف الضغوط الواقعة عليه . وقد ذكرت جريدة نيويورك تايمز بأن مساهمة الشركات النفطية الأمريكية في الشرق الأوسط في ميزان مدفوعات أمريكا تبلغ حوالي (٢٠٠٠) مليون دولار سنوياً . وفي دراسة حديثة لبنك تشيزمانهاتن حول المستقبل البعيد للطاقات في الولايات المتحدة (مشار إليها في مجلة عالم النفط ، بتاريخ ٨ تموز - يوليو ١٩٧٢ ، التي أوردت الخطوط العريضة لنتائجها) ورد بأن « المستوردات الأمريكية الحالية من النفط تكلف حوالي ٤ مليارات دولار في السنة ، ولكن هذا المبلغ المدفوع في الخارج يغطي أو يزيد بالمداخيل المستوردة لشركات النفط الأمريكية العاملة في الخارج وبالصادرات الأمريكية من المعدات التكنولوجية المتعلقة بصناعة النفط » . وحيث ان الأرباح التي تحققها الشركات الأمريكية العاملة في الشرق الأوسط تعادل كما بينا حوالي نصف مجموع الأرباح التي تحققها الشركات النفطية الأمريكية في الخارج . فمعنى ذلك ، حسب دراسة تشيزمانهاتن بنك ، ان الشركات النفطية الأمريكية في الشرق الأوسط تساهم في ميزان المدفوعات الأمريكي بحوالي ملياري دولار سنوياً .

الا ان النفط العربي يمثل بالإضافة الى هذه الأرباح ، وبقدر أكبر ، أهمية استراتيجية سواء بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أو بالنسبة لمجموع العالم الغربي الذي تحرص أمريكا على مصالحه الاستراتيجية باعتبارها تتولى مركز القيادة للعالم الرأسمالي . فأمریکا تحرص على ابقاء النفط العربي تحت سيطرة شركاتها في الدرجة الأولى (وسيطرة الشركات الاحتكارية الغربية الأخرى في الدرجة الثانية) لاغراض استراتيجية ومعلقة بالامن القومي وحتى لا تقع تحت سيطرة شركات او مصالح أخرى غير أمريكية وغير غربية وذلك نظراً للاعتماد الكبير لبلدان أوروبا الغربية واليابان ، حلفاء أمريكا ، على النفط العربي كما سبق ان بينا ونظراً لان الولايات المتحدة نفسها تتوقع ان تبدأ في استيراد كميات كبيرة من النفط من الخارج في مستقبل قريب ، وفي السنوات التي تلي منتصف السبعينات ، حيث يقل انتاجها بالنسبة لارتفاع معدل استهلاكها ولا يتم العثور على احتياطات كبيرة تعوض الزيادة في الانتاج مما سيدعو الى زيادة الواردات من الخارج وهو ما سيحتم زيادة الواردات من النفط العربي . فالنفط العربي يعتبر اذن

ضمانة هامة لتأمين متطلبات الولايات المتحدة في المستقبل وكذلك تأمين احتياجات حلفائها .

والولايات المتحدة هي أكبر مستهلك للنفط في العالم اذ استهلكت في عام ١٩٧١ حوالي ١٥ مليون برميل يوميا أمّنت منها حوالي ١٢ مليون برميل يوميا من المصادر المحلية واستوردت من الخارج حوالي ٣ ملايين برميل يوميا . الا انه نظرا للتزايد المطرد في استهلاكها في الوقت الذي لا يحرز فيه احتياطها أية زيادة - بل ان هذا الاحتياطي حسب تقديرات معهد البترول الأمريكي قد انخفض بنسبة ٤٤٣ ٪ عما كان عليه عام ١٩٦٤ (٨) ولانه ليس من المتوقع أن تكتشف فيها أية احتياطات نفطية كبيرة في المستقبل فان الخبراء النفطيين الأمريكيين يجزمون بأن الولايات المتحدة ستعتمد اعتمادا متزايدا في المستقبل على استيراد النفط من الخارج لتأمين الجزء الأكبر من احتياجاتها . ومما لا شك فيه ان جزءا كبيرا من هذه الواردات سيأتي من العالم العربي ، ومن هنا تبرز الاهمية الكبيرة بالنسبة لأمريكا في أن تكون حقول النفط العربي العزيرة تحت سيطرة شركاتها تستمد منها احتياجاتها في الوقت المناسب ، بشكل مضمون وبأرخص التكاليف .

وتجمع مختلف المصادر الأمريكية سواء الرسمية منها أو مصادر الشركات النفطية على ان الولايات المتحدة الأمريكية ستستورد من الخارج في عام ١٩٨٥ ، بل وفي رأي البعض ابتداء من عام ١٩٨٠ ، نصف احتياجاتها من النفط الخام ، كما يجمعون على أن معظم هذه الكميات لا يمكن أن يأتي الا من الشرق الاوسط وشمال افريقيا مما يدعم الاهمية الكبرى لنفط هاتين المنطقتين بالنسبة لمستقبل أمريكا :

فقد صرح جون ايروين مساعد وزير الخارجية الأمريكية في نهاية شهر مايو ١٩٧٢ أمام المجلس الوزاري لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية O.E.C.D. بأن الولايات المتحدة ستستورد منذ عام ١٩٨٠ حوالي ١٢ مليون برميل يوميا ، أي ما يعادل نصف احتياجات استهلاكها في ذلك العام . وبالنسبة للمنطقة الأوروبية من منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية، فان ايروين قد صرح بأنه مع مراعاة حوالي ٣ ملايين برميل يوميا التي ينتظر أن تنتجها بحر الشمال ، فان واردات عام ١٩٨٠ ستبلغ حوالي ٢٠ مليون برميل يوميا أي حوالي ضعف وارداتها الحالية . والقسم الأكبر من هذه الواردات لا يمكن أن يأتي ، حسبما أضافه ايروين ، الا من مصدر واحد هو الشرق الاوسط .

وقد أدلى جيمس ايكنز ، مدير مكتب الوثود والطاقة بوزارة الخارجية الأمريكية، بشهادة أمام جلسة عقدتها اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية التي تعنى بالشرق الاوسط والتابعة لمجلس النواب قال فيها : ان من المحتمل أن تضطر الولايات المتحدة الى استيراد نصف النفط الذي تحتاج اليه من الشرق الاوسط وشمال افريقيا بحلول عام ١٩٨٠ . وأخبر ايكنز اللجنة الفرعية بأن « الاهمية الرئيسية لمنطقة الشرق الاوسط بالنسبة الى الولايات المتحدة هي ان حلفاء أمريكا في حلف شمال الاطلسي واليابان يعتمدون كليا تقريبا وسوف يظلون كذلك على منطقة الشرق الاوسط من أجل طاقاتهم في المستقبل المنظور » . واضاف « اذا سيطرت على الشرق الاوسط وشمال افريقيا قوى معادية لأمريكا فان أمن حلفائها ومن ثم أمنها هي سوف يتعرض للخطر » (٩) .

وصرح شارلز جونز ، نائب رئيس شركة هبيل أويل في ٤ يناير ١٩٧١ (عالم النفط ٣٠/١/٧١) بأن واردات النفط الاجنبي الى الولايات المتحدة ، عام ١٩٨٥ قد تشكل ٥٠ ٪ من الاستهلاك مقابل حوالي ٢٠ ٪ في الوقت الحاضر . وستصل الواردات الاجنبية عام ١٩٨٥ الى حوالي ١٣ مليون برميل يوميا منها عشرة ملايين برميل يوميا من نصف الكرة الشرقي (أي بصفة رئيسية من الشرق الاوسط وشمال افريقيا) .

وتذكر دراسة جديدة أعدها بنك تشيس مانهاتن حول المستقبل البعيد الامد للطاقة في

الولايات المتحدة ، ونشرت في شهر يونيو ١٩٧٢ ، بأن الطلب على النفط عام ١٩٨٥ سيرتفع الى أكثر من ضعف حجمه الحالي الى أن يبلغ ٣٠،٢ مليون برميل يوميا نصفها يجب أن يأتي من الخارج ومن الشرق الاوسط وافريقيا على الغالب . ذلك ان امدادات نصف الكرة الغربي محدودة ويقدر البنك ان ٣٤٦ مليون برميل يوميا منها فقط ستأتي من مصادر قريبة « وأكثر أمنا » (اي بصفة رئيسية من فنزويلا وكندا) . وقد لوحظ بأن تقديرات البنك للطلب على النفط عام ١٩٨٥ قد زادت بحوالي ٤ ملايين برميل يوميا عن الكمية المتوقعة عادة حسب التقديرات الشائعة للطلب عام ١٩٨٥ وقدرها ٢٦،٣ مليون برميل يوميا ، وذلك نظرا للنقص المتوقع في الغاز والحاجة الى استعمال النفط كبديل عن جزء من العجز (عالم النفط ، ٨ يوليو ١٩٧٢) .

ومما لا شك فيه ان « أزمة الطاقة المقبلة في الولايات المتحدة » ، والقلق الذي يساور المسؤولين الأمريكيين فيما يتعلق بايجاد مصادر مأمونة ومستمرة للنفط الخام وارتباط كل ذلك بالسياسة الأمريكية في الشرق الاوسط — تعتبر في هذه الايام من أبرز القضايا التي تشغل المسؤولين الأمريكيين والمهتمين بالشؤون النفطية ، وقد بلغ الاهتمام بأزمة الطاقة المقبلة حدا دعا الرئيس نيكسون الى تكوين لجنة من الخبراء تضم ٢٠٠ خبير من خبراء الاقتصاد والبتترول والطاقة أسماها « لجنة مستقبل الطاقة في أمريكا » وعين جون مكلين ، مدير شركة كونتيننتال أويل ، رئيسا لهذه اللجنة . وقد ورد في مطلع أول تقرير تقدمه اللجنة « ان قضايا الطاقة في طريقها بسرعة لان تصيح — وسوف تبقى — العامل الذي سوف يقرر سياستنا الداخلية والخارجية في العقد القادم كله على الأقل ، وخلال السنوات الخمس عشرة القادمة بلا جدال » .

وفيما يتعلق باعتماد أمريكا المحتتم منذ بداية الثمانينات على الدول الاجنبية، وخصوصا في الشرق الاوسط ، لتأمين احتياجاتها النفطية يقول التقرير «ولن يكون هذا الاعتماد موزعا توزيعا جغرافيا ، ذلك ان معظمه سيأتي من دول الوبك العربية التي تملك اليوم ٨٥ ٪ من احتياطي العالم من النفط و ٩٠ ٪ من كل صادرات النفط في العالم » . ويضيف التقرير « ان هذا وضع لم نواجهه من قبل ، وهذا معناه اننا سنحتاج الى نظرة جديدة الى كل سياستنا في الشرق الاوسط ، واعطائها أولوية لم يسبق ان اعطيناها لها من قبل » (١٠) . ومن مظاهر الاهتمام بأزمة الطاقة هذه ، الشهادة التي أدلى بها جيمس ايكنز ، رئيس مكتب الوقود والطاقة في وزارة الخارجية الأمريكية ، أمام اللجنة الفرعية للشؤون الخارجية في مجلس النواب الأمريكي حول موضوع « مضاعفات السياسة الخارجية على أزمة الطاقة » . وحذر ايكنز في شهادته من اتجاه الأمريكيين الى التقليل من أهمية تهديدات الدول العربية المنتجة بتحديد الإنتاج والمصادرات لاسباب سياسية واقتصادية . وقال ان عدم أخذ هذه التهديدات جديا هو من الخطأ بكان . كما رفض القول بأنه يغالي في أهمية تأثير الصراع العربي الاسرائيلي على الدول العربية المنتجة وقال « ان العكس هو الصحيح وان الأمريكيين يقللون من الهاجس الذي يملك العرب تجاه المشكلة الاسرائيلية » (١١) .

ومما يعكس الاهتمام المتواصل بأزمة الطاقة في الولايات المتحدة ويكشف عن الطابع السياسي لعمليات الشركات النفطية الأمريكية — التحذير الذي نشرته مؤخرا (في شهر نوفمبر ١٩٧٢) ٤٢ مجلة وصحيفة أمريكية على شكل اعلان يقع في صفحة كاملة لجون مكلين ، رئيس ادارة شركة كونتيننتال أويل ، حذر فيه الأمريكيين من أنهم سوف يعتمدون بشكل حيوي على استتباب السلام في الشرق الاوسط من أجل استمرار حصولهم على امدادات البترول . ويركز هذا الاعلان على العجز المرتقب في الطاقة الذي ستشهده الولايات المتحدة الأمريكية . ويؤكد التحذير بأن الولايات المتحدة سوف تستورد في عام ١٩٨٥ ما يتراوح بين ٤٠ ٪ و ٥٥ ٪ من احتياجاتها من النفط من الخارج ومعظمه من

الشرق الاوسط . وقال روديك لورنس نائب رئيس شركة كونتنتال أويل ومدير غرفة التجارة العربية — الأمريكية في نيويورك ان هذا الوضع يشكل تحديا ونعتقد نحن المسؤولين في الشركة ان الشعب الامريكي ينبغي ان يحاط علما به الان . . . وأشار ماكلين الى أن الاعتماد على عدد ضئيل من الدول الخارجية البعيدة في الحصول على جزء حيوي من امداداتنا من الطاقة سوف يشكل حقيقة مرة من حقائق الحياة وسوف نحتاج الى ابداء نظرة جديدة لسياستنا الخارجية بالنسبة للشرق الاوسط وأن يعلق عليها قدرا أكبر من الاولوية عما سبق . و اضاف أننا سوف نعتد اعتمادا حيويا على السلام في هذه المنطقة المضطربة من أجل استمرار امدادات النفط ، وسيكون أصدقائنا في غرب أوروبا واليابان في وضع مماثل .

وينطلق من مثل هذه النظرة التصريح الذي أدلى به لي. ف. دينسمور ، القنصل السابق لأمريكا في الظهران ، أمام لجنة الشؤون الخارجية المختصة بشؤون الشرق الأدنى في الكونغرس حيث قال : « اذا كانت أمريكا ستواجه في السنوات القليلة القادمة أزمة نفطية فان ذلك سيكون بسبب فشلها في التعامل المنصف مع المشكلة العربية — الاسرائيلية » . ويعلق فرانك جاردنر ، محرر الشؤون الخارجية في مجلة أويل اند غاز جورنال — عدد ٢٨ أغسطس ١٩٧٢ ، ص ٣٥ — على هذا التصريح بقوله : « انه يجب على الولايات المتحدة ان تعالج مواقفها وسياساتها مستقبلا بوضع عين على المشكلة العربية الاسرائيلية ووضع العين الأخرى على أزمة الطاقة المحتملة » .

ومن مظاهر الاهتمام الامريكي بأزمة الطاقة المستقبلية وعلاقة الشرق الاوسط بها انه بعد الرسميين الامريكيين ، وعلى رأسهم نيكسون ، فان البرلمانين بدأوا يهتمون بالمسألة وكشاهد على ذلك الجولة التي قام بها في الخليج العربي السناتور جاكسون الذي يشر بالتقارب بين ايران والسعودية لتأمين السلام في هذه المنطقة وتأمين التدفق العادي للنفط الموجه نحو أمريكا .

وأزمة الطاقة المقبلة في أمريكا لا تتعلق فقط بامدادات النفط الخام ولكنها تشمل كذلك امدادات الغاز الطبيعي . والغاز الطبيعي يحتل مركزا مرموقا بين مصادر الطاقة في أمريكا اذ أنه يغطي حوالي ثلث امدادات الطاقة أو ما مقداره ٢٢ تريليون قدم مكعب في السنة (بينما يساهم النفط الخام بنسبة ٤٤ ٪ من مجموع استهلاكات الطاقة) . وقد أظهر الغاز الطبيعي أنه يتمتع الى حد بعيد بأعظم معدل نمو بين جميع انواع الطاقة في الولايات المتحدة وقد زاد الطلب في مدى السنوات العشرين الأخيرة بمعدل يزيد على ٦ ٪ في السنة ، أي بنسبة الضعف تقريبا من مجمل النمو في استهلاك الطاقة . وأمام هذا النمو المطرد في الطلب على الغاز فان الخبراء الامريكيين يؤكدون أن الولايات المتحدة ستحتاج في مستقبل قريب الى استيراد جزء كبير من احتياجاتها للغاز من الخارج . وبين تقرير وضعته لجنة الطاقة الاتحادية انه بحلول عام ١٩٧٥ فانه لن يكون من الممكن محليا توفير سوى ٨٦ ٪ فقط من مجموع الاحتياجات للغاز التي ستصل حينذاك الى ٢٨٦٥ تريليون قدم مكعب ، ولا بد ان يستورد الباقي من مصادر خارجية (١٢) . ويقدر مكتب الغاز الطبيعي التابع للجنة الطاقة الاتحادية في تقرير نشر في بداية شهر مارس ١٩٧٢ (نشرة بتروليوم اناليجنس ويكلي ، ٦ مارس ١٩٧٢) بأن النقص المقدّر في احتياجات أمريكا للغاز الطبيعي عام ١٩٨٠ سيبلغ حوالي (٩) تريليون قدم مكعبة عندما يصل مجموع الطلب الى ٣٤٤٥ تريليون قدم مكعبة . اما في عام ١٩٩٠ فيقدر المكتب المذكور بأن ٤٠ ٪ من احتياجات الغاز الطبيعي سيتم تأمينها من الواردات الخارجية لان النقص حينذاك في امدادات الغاز الطبيعي سيبلغ حوالي ١٧ تريليون حيث يصل الطلب الى ٤٦٤٤ تريليون قدم مكعبة .

فالولايات المتحدة ستضطر اذن ابتداء من عام ١٩٧٥ الى استيراد كميات كبيرة من

الغاز الطبيعي ، وهذا ما جعل بعض الشركات النفطية الأمريكية تذهب الى حد ابرام صفقة مع الاتحاد السوفياتي للمساهمة في استثمار حقول الغاز في الاتحاد السوفياتي لاستيراد كميات منه لسد احتياجات الولايات المتحدة . ولكن من الواضح ان الغاز السوفياتي لن يكون الا جزءا محدودا من واردات الغاز من الخارج ، سواء من حيث كمياته المحدودة أو تكلفة انتاجه العالية أو من حيث الاعتبارات الاستراتيجية التي تمنع الولايات المتحدة من الاعتماد الكلي على وارداتها من الغاز من الاتحاد السوفياتي ، ولذا فان العالم العربي الذي يحتوي على احتياطات ضخمة من الغاز الطبيعي ، تعادل حوالي نصف الاحتياطي العالمي منه كما سبق أن بينا ، سيكون المصدر الرئيسي لواردات الغاز المقبلة الى الولايات المتحدة . وكل ذلك يدعم أهمية العالم العربي كمصدر لامدادات الطاقة المقبلة للولايات المتحدة .

كل ما تقدم بين القيمة الكبيرة التي يمثلها النفط والغاز العربي بالنسبة للولايات المتحدة من أجل تأمين احتياجاتها من الطاقة التي لا يحتاج المرء الى بيان أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية وارتباطها الوثيق باعتبارات الامن القومي الأمريكي . وهذه الاهمية تبرز بشكل أكبر اذا ما أخذنا بعين الاعتبار الابعاد العالمية للامن القومي الأمريكي ، من الناحيتين الاقتصادية والسياسية ، فان الولايات المتحدة تعتبر نفسها في مركز قيادي بالنسبة لمجموع العالم الغربي ، وبما ان النفط العربي يشكل المصدر الاساسي لتأمين امدادات الطاقة لمختلف بلدان العالم الغربي ، ولا سيما بلدان أوروبا الغربية واليابان ، فان مقتضيات الامن الأمريكي حسب هذه النظرة تفرض على الولايات المتحدة العمل على توفير تدفق النفط العربي لتلك البلدان الحليفة بالاضافة الى ضمان تدفقه على الولايات المتحدة نفسها . فالنفط العربي لا يمثل اذن بالنسبة للولايات المتحدة وحليفاتها مجرد مادة تجارية عادية وانما ترتبط به اعتبارات استراتيجية وسياسية هامة لمجموع العالم الغربي .

هذه النظرة تتجلى في كثير من تصريحات المسؤولين الأمريكيين . وقد رأينا نموذجا لها في تصريحات جيمس ايكنز وجون ايروين المشار اليهما أعلاه . وقد عبر عن مثل هذه النظرة وبمزيد من الصراحة بعض المسؤولين الأمريكيين الآخرين الذين كشفوا عن الاهمية السياسية والاستراتيجية الكبرى التي تمثلها الشركات النفطية ونشاطاتها في الخارج ، والانطباق التام بين مصالح الشركات والمصلحة العليا أو الوطنية لامريكا .

ومن أمثلة ذلك تصريح أدلى به المستر ربوتوم ، الذي كان نائبا لوزير الخارجية الأمريكي للعلاقات بين الدول الأمريكية ، حيث ذكر ((بأن أية سياسة (ينتهجها بلد منتج) مخالفة لمصالح شركة بترولوية أمريكية هي اوتوماتيكيا مخالفة لمصلحة الولايات المتحدة ، اي مخالفة للمصلحة الوطنية)) (١٢) .

وقد علق جون بكلي ، أحد محرري نشرة بترولويوم انتليجنس وبكلي النفطية الأمريكية ، في جريدة نيويورك تايمز بتاريخ ١٣/١٢/١٩٦٧ — على خطوة شركة ايران الفرنسية بابرام اتفاقية بترولوية مع العراق بشأن التنقيب عن النفط واستغلاله في بعض المناطق التي انتزعتها الحكومة العراقية من الشركات العاملة هناك بموجب القرار المشهور رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ وما يعنيه ذلك من دعم للاجراء العراقي وتشجيعه كسابقة لانتزاع المصالح البترولوية الغربية في المنطقة — علق على هذه الخطوة بقوله : ((ان الولايات المتحدة هي الآن في خطر فقدان سيطرتها على النفط العربي وهي السيطرة التي وضعت الاممة الأمريكية في مركز دولي قوي جدا)) .

وقد عبر عن مثل ذلك وبدقة أحد الباحثين اذ قال «ان المصالح النفطية الأمريكية في العالم

العربي تشكل اضافة هائلة الى وزن الولايات المتحدة الاستراتيجية في ميزان القوى العالمية وتأكيدا لمركزها القيادي في العالم الرأسمالي» (١٤).

هذه بعض الحقائق حول أهمية النفط العربي في صناعة النفط العالمية وحول الأهمية الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية التي يمثلها بالنسبة لأمريكا وحليفاتها في العالم العربي .

إلا أن هنالك مسألة أخرى لا بد من إيضاحها حتى نستكمل الصورة التي نرسمها لوضع النفط العربي ، ونعني بذلك أسلوب وكيفية استثمار النفط العربي في الوقت الحاضر ومن يتولى هذا الاستغلال ، وذلك نظرا لتأثير هذه المسألة على طريقة استخدام سلاح النفط ومدى الحرية في هذا الاستخدام ومقدار فعاليته .

أسلوب استثمار النفط العربي وسيطرة الشركات الأجنبية عليه

هذه الثروة النفطية العربية ، التي أوردنا لمحة عن حجمها وقيمتها ومدى أهميتها ، كيف يجري استثمارها وهل يتم بواسطة أصحابها العرب وتحت سيطرتهم ورقابتهم الحقيقية؟ هل للبلدان العربية المنتجة ، طبقا لترتيبات الاستثمار الحالية ، إمكانية توجيه استثمار هذه الثروات حسب مقتضيات المصلحة الوطنية ؟

إن من المعروف أن شركات البترول العالمية الكبرى ، ومعظمها أمريكي ، هي التي تسيطر على استثمار النفط في البلاد العربية المنتجة بموجب امتيازات حصلت عليها حيثما كانت هذه البلدان المنتجة ضعيفة وواقعة تحت السيطرة أو النفوذ الاستعماري . وهذه الامتيازات تعطي للشركات البترولية الأجنبية سلطات شبه مطلقة على استثمار النفط العربي ، فهي التي تتولى تحديد مقادير المبالغ المستثمرة وتوزيعها على مختلف فروع الصناعة ، وهي التي تتولى تحديد مقدار الانتاج النفطي وتحديد أسعاره (ولم يتقرر مبدأ تحديد الاسعار المعلنة للنفط بالاتفاق المشترك بين البلد المنتج والشركات العاملة الا بموجب اتفاقية طهران في شهر مارس ١٩٧١) ، وهي التي تقوم بتصديره بواسطة شركات متفرعة عنها الى مختلف مصادر الاستهلاك حسب خطط عالمية تضعها ، وهي التي تتولى عمليات نقله بواسطة ناقلات تملكها اما بنفسها أو بواسطة شركات متفرعة عنها أو بناقلات تستأجرها لآمد طويلة .

والشركات صاحبة الامتيازات هي شركات مؤسسة في دول اجنبية وبموجب قوانين تلك الدول وتحمل جنسيتها ولا تتخذ مقرها الرسمي في الدول العربية، وهي ليست الا أدوات لانتاج النفط الخام لصالح الشركات الام المالكة لها وتصديره للخارج فهي لا تعتبر نفسها ملزمة بأن تكرر أو تصنع في البلاد المنتجة أي جزء من انتاجها من النفط الخام والغاز أو تقيم الصناعات البتروكيمياوية وغيرها من الصناعات المرتبطة بالنفط والغاز . وهي لا تعيد ترحيل معظم حاصلات بيع النفط من العملات الأجنبية الى البلدان المنتجة بل تحتفظ بها وتستثمرها في الخارج ، ولا تعيد استثمار أي جزء من أرباحها في البلدان المنتجة . كما انها تعتمد على أسواق خارجية للتزود باحتياجاتها من المعدات والآلات والتجهيزات . وتبعاً لكل ذلك فقد حصلت في البلدان المنتجة ظاهرة الانعزال التام بين صناعة النفط التي تسيطر عليها الشركات الأجنبية وبين باقي قطاعات الاقتصاد الوطني وحرم هذا الاقتصاد من الفوائد الضخمة التي كان لا بد أن يجنيها لو نشأت في أرضه صناعة نفطية متكاملة تكون مرتبطة بالاقتصاد الوطني ومندمجة فيه ويجري استثمارها ضمن اطار خطة شاملة للتنمية الاقتصادية الوطنية .

وشركات الامتياز لا تخضع لقوانين البلاد المنتجة ولا سيما الضرائبية منها ، وكانت تدفع في البداية مجرد مبلغ مقطوع عن كل طن من النفط لا يتجاوز ما يعادل ٢٢ سنت أمريكي عن كل برميل ثم وافقت على تطبيق قاعدة مناصفة الارباح في بداية الخمسينات وبقيت

هذه القاعدة مساوية حتى تم رفع حصة البلد المنتج الى ٥٥ ٪ من الأرباح الصافية ، حسب اتفاقية طهران ١٩٧١ . والشركات لا تخضع للمحاکم الوطنية بل تتمسك بالتحكيم الدولي اسلوبا لفض منازعاتها مع البلد المنتج . وحكومات البلدان المنتجة ليست لها مشاركة في رأسمال الشركات ولا مشاركة فعلية في مجالس إدارتها وليست لها سلطة حقيقية في الرقابة الفنية على المشروع وتوجيهه كما أن المواطنين لا يشغلون الا في النادر المناصب الإدارية والفنية الهامة فيها . وتكتفي حكومات البلدان المنتجة بدور جابي الضرائب في نهاية العام ، وقد أصبح النفط يشكل الجزء الاعظم من صادرات هذه البلدان وأصبحت تعتمد اعتمادا شبة كلي على دخل النفط الذي تقدمه لها الشركات الاجنبية . فنشأ بذلك في هذه البلدان نوع من التبعية الاقتصادية للاحتكارات النفطية وللدول التي تنتمي اليها .

وبالطبع فليس مما يذكر ان هذه الامتيازات النفطية قد أصابها بعض التطور خلال السنوات الطويلة التي سيطرت فيها على استغلال النفط العربي . الا انه بالإضافة الى التعديلات في البنود المالية التي أدت الى رفع دخل البلد المنتج من مبلغ ضئيل مقطوع عن كل طن من النفط حسب الامتيازات الاصلية الى ٥٥ ٪ من الأرباح حسب اتفاقية طهران لعام ١٩٧١ ، مع تطبيق قاعدة تنفيق الربح (١٥) ، فان التعديلات الاخرى لا تتعدى تضيق المساحات المشمولة بالامتياز والتخلي عن أجزاء من هذه المساحات الشاسعة والاتفاق بموجب اتفاقية طهران ، على أن لا تعدل الأسعار المعلنة الا باتفاق الطرفين ، حكومة البلد المنتج والشركة ، بعد أن كانت هذه الاسعار تحدد وتعدل بمعرفة الشركات وحدها . ويتضح من ذلك أن التطور الذي أصاب هذه الامتيازات لم يكن تطورا جذريا ولم يمس جوهر الامتيازات نفسه وان صورة الامتيازات الكلاسيكية بمساوئها المعروفة والتي أشرنا اليها أعلاه ما زالت باقية على حالها . وفي اعتقادنا ان اتفاقية المشاركة التي أبرمت في المدة الأخيرة (من حيث المبدأ في شهر اكتوبر ١٩٧٢) بين الشركات النفطية وبعض بلدان الخليج والتي تتيح لهذه البلدان اكتساب حصة في رأسمال هذه الشركات تبدأ بنسبة ٢٥ ٪ عام ١٩٧٣ (ثم ترتفع بالتدريج حتى تصل الى ٥١ ٪ عام ١٩٨٣) - هذه الاتفاقية لا تمثل في الوقت الحاضر تغييرا جذريا كافيا لصورة الامتيازات الكلاسيكية بمساوئها المعروفة نظرا لان نسبة المشاركة الضئيلة التي ستحصل عليها الحكومات لا سيما في البداية لن تحقق لنا السيطرة الحقيقية وارقابة الفعالة على استثمار ثرواتنا النفطية وتبقى الشركات هي المسيطرة الحقيقية على هذا الاستثمار كما في ظل الامتيازات الاصلية . وسنعود لهذه المسألة فيما بعد .

ومما لا شك فيه ان الوضع الحالي لاستثمار النفط العربي يتميز بوجود بعض العقود والاتفاقيات النفطية التي أبرمت في السنوات الاخيرة ، مثل بعض اتفاقيات المشاركة وعقود المقاوله ، والتي تتجلى فيها كثير من الجوانب الايجابية وتمثل تقدما كبيرا بالنسبة لاتفاقيات الامتياز الكلاسيكية لا سيما من حيث تحقيق قدر من سيادة الدولة وسيطرتها على استثمار ثرواتها النفطية ، كما ان هنالك بعض حالات الاستثمار المباشر في عدد من بلداننا . ولكن علينا أن لا ننسى ان هذه العقود الاخيرة الجيدة نسبيا ومجالات الاستثمار المباشر لا تغطي في الوقت الحاضر سوى جزء هامشي صغير من مجموع النفط العربي . فامتيازات الشركات الاحتكارية الكبرى ما تزال تسيطر على حوالي ٩٠ ٪ من انتاج النفط العربي بينما لا تشمل العقود والاتفاقيات الاخيرة ومجالات الاستثمار المباشر الا حوالي ١٠ ٪ من مجموع انتاج النفط العربي ، حسب احصائيات عام ١٩٧١ .

والشركات الامريكية تملك ٦٢ ٪ من الامتيازات النفطية في الوطن العربي سواء في منطقة الخليج العربي او في شمال افريقيا بمعنى انها تسيطر على ٦٢ ٪ من الاحتياطي النفطي العربي حسب تقديره في نهاية عام ١٩٧١ (ولسنا نعني بذلك انها تملك قانونا هذه

الاحتياطات الكائنة في باطن الارض اذ هي قانونا ملك للدولة ولكننا نعني سيطرتها الفعلية عليها حاليا بموجب امتيازاتها بحيث تستطيع ان تستخرج منها الانتاج اللازم لها حسب تقديرها واحتياجاتها وخططها) . وكانت حصة الشركات الامريكية في الانتاج الفعلي للنفط العربي عام ١٩٧١ حوالي ٥٨ ٪ . بينما تسيطر المصالح البريطانية على حوالي ٥٤٢ ٪ من احتياطي النفط العربي (وكانت حصتها في انتاج عام ١٩٧١ حوالي ١٦٤٤ ٪) . وتسيطر المصالح الفرنسية على حوالي ٥٤٣ ٪ من احتياطي النفط العربي ، حسب تقديرات نهاية عام ١٩٧١ ، وكانت حصتها في انتاج عام ١٩٧١ حوالي ٥٤٨ ٪ (ومن الملاحظ ان حصة الشركات الفرنسية قد انخفضت على اثر تأميمات الجزائر في شهر فبراير ١٩٧١) . كما تسيطر المصالح اليابانية على حوالي ٤٥٥ ٪ من احتياطي النفط العربي وعلى حوالي ٢٤٣ ٪ من انتاج النفط العربي حسب احصائيات عام ١٩٧١ . وتسيطر المصالح الهولندية (عن طريق ملكيتها لمستين في المائة من رأسمال شركة شل) على ٢٤٩ ٪ من احتياطي النفط العربي وكانت حصتها من انتاج النفط العربي لعام ١٩٧١ حوالي ٣٤٣ ٪ .

وطبقا لهذه التقديرات فان المصالح الاجنبية تسيطر على ٨٩٤٨ ٪ من احتياطي النفط العربي حسب تقديرات عام ١٩٧١ ، وكانت تنتج، عام ١٩٧١ ٨٥٤٨ ٪ من مجموع انتاج النفط العربي .

هذه اللحظة عن وضع استثمار النفط العربي والمصالح الاجنبية التي تسيطر على استغلاله وتتخذ القرارات الرئيسية بشأنه وتجنبي من ورائه الأرباح الطائلة — تكمل الصورة التي لا بد أن تكون حاضرة في الذهن عن وضع النفط العربي قبل أن نتكلم عن استخدامه كسلاح في معاركنا ضد الصهيونية والامبريالية .

كيف يمكن استخدام سلاح النفط

لا بد من الإشارة أولا الى أن بعض الاجراءات أو التدابير قد سبق للجوء اليها في الماضي، ولا سيما في بعض الازمات والاحداث الكبرى التي تعرضت لها منطقتنا ، وذلك كمحاولة لاستخدام النفط كسلاح في مواجهتنا مع الصهيونية والامبريالية . ولكن من المعروف ان هذه الاجراءات السابقة لم تؤد أيا من الاهداف المطلوبة منها فهي لم تحمل الاعداء على تغيير مواقفهم وهي لم تلحق بهم الاضرار الفادحة التي كان من المأمول أن تحدثها كما انها لم تكن لنا عامل قوة ومنعة في معاركنا المتواصلة . ويبدو لنا من المناسب أن نستعرض هذه الاجراءات ، مبينين سبب عدم فاعليتها وسبب اخفاقها في احداث أي من الآثار المطلوبة أو اقتصرها على احداث آثار محدودة جدا ، والثغرات التي لازمتها ، وذلك حتى نستخلص العبرة والدروس بالنسبة لما يجب ان نقدم عليه في المستقبل ، تمهيدا للحديث عن الاسلوب الذي يبدو لنا أنه الاسلوب الفعال الحاسم لاستخدام النفط سلاحا في معاركنا .

والخاصية المشتركة للاجراءات التي سبق ان اتخذت في هذا المجال هي أنها كانت اما اجراءات مؤقتة أي طبقت خلال فترة زمنية محدودة ثم سحبت أو تم التراجع عنها ، واما انها كانت ذات آثار جزئية محدودة الفاعلية لا تتناسب مع أهمية سلاح النفط ولا مع جسامته وخطورة المعارك المصرية التي نواجهها ، مما حدث عنه رد فعل عكسي خطير لدى الرأي العام العربي تجلّى في هذا الشك الكبير حول إمكانية استخدام النفط كسلاح بأي شكل من الأشكال وحول جدوى هذا السلاح ، وهو الذي غذته المصالح الاستعمارية الامبريالية كجزء من الحملة النفسانية المركزة الموجهة للعالم العربي لتشكيكه في طاقاته وامكانياته وقتل روح الكفاح فيه .

اجراءات جزئية او مؤقتة

ويندرج ضمن هذه الاجراءات الجزئية او المؤقتة : قطع النفط العربي عن اسرائيل ومنعه عنها منذ نشأتها واجبار الشركات البترولية العاملة في العالم العربي على مقاطعة اسرائيل وعدم انشاء أية رابطة معها ، تعطيل الضخ في شبكة انابيب خطوط شركة نفط العراق المارة عبر سوريا وذلك على اثر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ ، ايقاف عمليات تصدير النفط العربي من الموانئ العربية على اثر عدوان ١٩٦٧ ثم استبداله بفرض حظر على تصدير النفط العربي خلال بضعة اسابيع الى الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا . ومن بين الاجراءات الجزئية غير المباشرة التي يمكن الاشارة اليها بهذا الصدد الدعم المالي الذي تقرر بموجب مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧ أن تقدمه كل من الكويت والسعودية وليبيا الى كل من مصر والاردن . وسنستعرض فيما يلي أهم هذه الاجراءات ، وهو اجراء منع النفط عن الدول الغربية المعادية ، ثم نشير الى عدد من الاجراءات الجزئية الأخرى، وذلك بعد أن نقول كلمة حول منع النفط العربي عن اسرائيل وحلول النفط الإيراني مكانه .

منع النفط العربي عن اسرائيل

من المعروف انه على اثر قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ بادرت العراق بوقف ضخ النفط في خط انابيب شركة نفط العراق الذي كان ينقل النفط من العراق الى حيفا في فلسطين المحتلة ، كما ان كافة الدول العربية المنتجة للنفط قد منعت النفط العربي من الوصول الى اسرائيل وفرضت على الشركات البترولية العاملة فيها عدم ايصال أية قطرة من النفط العربي الى اسرائيل وعدم التعامل معها بأي شكل من الأشكال . وقد طبق هذا المنع منذ ذلك الحين تطبيقا صارما . ولكن من الواضح ان هذا الاجراء هو أقل اجراء ممكن للجوء اليه في هذا المجال . وهو يندرج على كل حال ضمن اطار مبدأ مقاطعة اسرائيل .

وكنيجة لانقطاع النفط العراقي عن الوصول الى اسرائيل من خط انابيب شركة نفط العراق وحظر تصدير النفط العربي اليها حظرا كاملا فان اسرائيل قد واجهت في بداية نشأتها صعوبة كبيرة في تأمين احتياجاتها من النفط الخام وتحملت عبئا كبيرا باضطرارها الى استيراد هذه الكميات من نصف الكرة الغربي بما في ذلك من تكاليف باهظة عليها نظرا لان النفط العربي منع من الوصول اليها ولم تكن حينذاك تستطيع استيراد النفط الإيراني اذ أن السلطات المصرية كانت تمنع الناقلات المتوجهة الى اسرائيل من المرور في قناة السويس كما لم تكن اسرائيل تستطيع ايصال هذه الشحنات الى ايلات ولم يكن خط انابيب النفط الواصل بين ايلات وحيفا قد تم انشاؤه بعد . ولذا فقد وجدت اسرائيل نفسها مضطرة لاستيراد نفطها من فنزويلا ومنطقة البحر الكاريبي . وقد كانت أسعار النفط هناك أعلى منها في الشرق الأوسط بشكل ملموس كما ان اجور النقل باهظة . وقد استوردت اسرائيل جزءا من احتياجاتها النفطية خلال فترة قصيرة سبقت عام ١٩٥٧ من الاتحاد السوفياتي ورومانيا الا أن هذين البلدين قطعوا نفطهما عن اسرائيل استنكارا منها لاشترائها في العدوان الثلاثي على مصر . ولذا فان اسرائيل وجدت نفسها مضطرة للعودة الى استيراد كافة احتياجاتها من ذلك المصدر البعيد الباهظ التكاليف - فنزويلا .

وهنا دخلت ايران في الصورة وجاءت لتخفف عن اسرائيل من عبء استيراد نفطها من فنزويلا وتهيء لها مصدرا قريبا رخيصا وبتكاليف شحن بسيطة - هذا المصدر هو البترول الإيراني . فقد وافقت ايران منذ عام ١٩٥٧ على أن تصدر النفط لاسرائيل وقامت اسرائيل على اثر ذلك (في عام ١٩٥٧) بانشاء خط الانابيب الواصل بين ايلات وبئر السبع ثم بعد ذلك الى اسدود وحيفا وقامت باستيراد النفط الخام الى ايلات من أندونيسيا أولا ثم بكميات كبيرة من ايران التي أصبحت ، منذ منتصف عام ١٩٦٠ عندما انتهى انشاء

خط الانابيب الواصل بين ايلات و حيفا ، المصدر الرئيسي للنفط القادم الى اسرائيل سواء لاستهلاكها المحلي أو لاعادة التصدير كنفط خام أو كمنتجات مكررة مع تحقيق ارباح اضافية من وراء ذلك . والحقيقة ان اسرائيل قررت بناء خط الانابيب الواصل بين ايلات و حيفا اعتمادا منها على النفط الايراني الذي ينقل في خط الانابيب الى حيفا فتعيد اسرائيل تصدير جزء منه على شكل نفط خام محققة بذلك الأرباح نتيجة فروق الاسعار بين النفط واصلا ايلات وبين سعره المرتفع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط . واما الجزء الاخر من هذا النفط فانه يذهب لمصفاة حيفا لتكريره ويخصص الجزء الاكبر من المنتجات المكررة للاستهلاك المحلي الا أن جزءا من المنتجات يتم تصديره كذلك مع تحقيق ارباح من وراء ذلك . ولا تزال ايران منذ عام ١٩٦٠ الى الان هي المصدر شبه الوحيد للنفط الوارد الى اسرائيل (١٦) .

ضرورة العمل على منع النفط الايراني عن اسرائيل

لقد حققت اسرائيل فوائد كبيرة من استيراد النفط الايراني بدلا من استيراده من المصادر البديلة البعيدة مثل فنزويلا التي كانت اسرائيل تستورد منها احتياجاتها قبل سماح ايران بوصول نفطها الى اسرائيل . ومن أهم الفوائد التي حققتها اسرائيل من استيراد النفط الايراني تحقيق وفرة مالي كبير نتيجة الفرق في الاسعار بين النفط الايراني والنفط الفنزويلي والفرق الكبير في أجور الشحن نظرا لان ايران اقرب بكثير الى اسرائيل من فنزويلا وقد قدر هذا الوفرة عام ١٩٦٧ وحده بحوالي ٢٢ مليون دولار (١٧) . وضمان استيراد النفط الايراني هو الذي مكن اسرائيل من بناء خط انابيب ايلات - حيفا وتشغيله مع ما يعود على الاقتصاد الاسرائيلي من آثار كبيرة ومع ما استتبعه هذا الخط من تعمير ميناء ايلات وتوسيعه والمساهمة في تعمير المناطق التي يمر بها الخط . كما ان النفط الايراني الذي تنفق اسرائيل في ضمان استمرار وروده اليها هو الذي شجعها وحفزها على انشاء خط الانابيب الذي يصل بين ايلات وعسقلان والموجه للتصدير ، وقد حققت اسرائيل من ورائه مكاسب سياسية واقتصادية كبيرة ولولا السماح للنفط الايراني بالورود الى اسرائيل لما أمكن لها اطلاقا ان تفكر في انشاء مثل هذا الخط اذ بدون البترول الايراني - طالما ان قطرة واحدة من النفط العربي لن يصل الى ايلات - فان التفكير في انجاز مثل هذا المشروع كان أمرا مستحيلا . والنفط الايراني هو الذي مكن اسرائيل من بناء طاقة تكريرية كبيرة تتزايد باستمرار وتتجه في جزء منها نحو التصدير ، وهو الذي مكنها من انشاء اسطول كبير من ناقلات النفط يعمل جزء منها في نقل النفط الايراني الى ايلات وفي نقل كميات النفط والمنتجات المكررة المصدرة للخارج .

هذه الفوائد الضخمة التي حققتها اسرائيل وما تزال تحققها من وراء استيراد النفط الايراني تبين خطورة الموضوع وتدعو العالم العربي لان يولييه ما يستحقه من اهتمام وان يبذل كافة الجهود ويمارس مختلف أنواع الضغوط ووسائل الترغيب والترهيب لكي يحمل ايران على ايقاف صادرات بترولها الى اسرائيل .

وينبغي كذلك ان نتوجه للشعب الايراني لننطلع على الحقائق . فنحن نعتقد ان الشعب الايراني لو علم بحقيقة الوضع وابعاده وكون شركته الوطنية نفسها تقدم النفط للعدو الاسرائيلي وتقدم له معه كافة هذه المنافع الضخمة فانه لن يسكت على استمرار تدفق بترولها الى اسرائيل ولو اننا تمكنا من ايقاف صادرات النفط الايراني الى اسرائيل فان اسرائيل تتلقى بذلك ضربة قوية تسبب لها اضرارا فادحة وتلحق الاذى بمختلف جوانب اقتصادها وتشمل خطوط انابيبها وتثير الارتباك في كثير من مخططاتها ومشاريعها .

قطع النفط أو حجب عن الدول المعادية لنا المساندة لاسرائيل

من اهم الاجراءات التي دعا مرارا الى اتخاذها بعض المسؤولين والخبراء العرب من

أجل استخدام النفط كسلاح في المعركة ضد أعدائنا — قطع النفط العربي أو حجبته عن الدول المعادية لنا والحليفة لإسرائيل . ولا يزال بعض الخبراء يرى ان هذا الاجراء هو أكثر الاجراءات فاعلية وأبلغها أثرا (١٨) . فما هو الهدف أو الغرض الحقيقي من هذا الاجراء والنتائج المتوخى تحقيقها من تطبيقه في نظر أنصاره والمنادين به ؟

ان الهدف هو الحاق الضرر البالغ بالدول المعادية وذلك بحرمانها من نفطنا الذي تستورده والذي هو ضروري جدا لصناعاتها ولمختلف جوانب نشاطها الاقتصادي ، وخلق مجاعة بترولية فيها تكون ذات نتائج خطيرة على اقتصادها أو على الاقل الحاق ضرر مادي كبير بها ، مما قد يحملها على تغيير مواقفها المعادية لنا واتخاذ مواقف أكثر اعتدالا وانصافا (١٩) .

ومن المعروف ان هذا الاجراء قد لجأت اليه البلدان العربية المنتجة في أعقاب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وقد قامت بعض البلدان المنتجة (العراق وليبيا) بتعطيل ضخ النفط ومنع تصديره كلية من موانئها خلال فترة قصيرة تلت العدوان ثم عدلت عن ذلك وانضمت الى باقي البلدان العربية المنتجة في فرض الحظر على تصدير النفط الى كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا . وقد دام هذا الحظر بضعة أسابيع ثم عاد بترولنا يتدفق الى جميع الاسواق دون استثناء .

فماذا كانت نتيجة هذا الاجراء ؟ وهل أدى الاثر المطلوب منه كعامل ضغط على الدول المعادية لاحاق الضرر بها أو اضعاف مقدراتها على العدوان أو حملها على تغيير مواقفها منا ؟ واذا لم يكن قد أدى هذا الاثر المطلوب وكانت نتائجه محدودة فما سبب ذلك ، وهل يمكن تلافي الشغرات ونقاط الضغط فيه وجعله أكثر فعالية ؟ وهل من المستحسن أو من المفيد العودة الى اللجوء اليه في الحال أو فيما لو استؤنف القتال بيننا وبين اسرائيل ؟

مما لا شك فيه ان اجراء قطع النفط العربي عن الدول المعادية عام ١٩٦٧ قد الحق ضرا ماديا لا يستهان به بكل من الولايات المتحدة وبريطانيا . فالولايات المتحدة ، كما سبق أن بينا ، لا تعتمد على النفط العربي ، حتى الآن ، لسد احتياجات استهلاكها المحلي ، الا ضمن حدود ضعيفة جدا . ولكن القوات الامريكية فيما وراء البحار ، لا سيما في فيتنام وبالنسبة لاحتياجات الاسطولين السادس والسابع ، تعتمد اعتمادا كبيرا على مصادر النفط العربي في منطقة الخليج العربي حيث تأخذ النفط اما على شكل نفط خام تكررته خارج المنطقة أو على شكل مواد بترولية مكررة ، وهي تحصل على هذه المواد البترولية بأسعار مخفضة ، ولذا فان قطع امدادات النفط العربي عن هذه القوات قد الحق بها ضرا ماديا كبيرا من جراء اضطرارها لتأمين هذه الامدادات من مصادر أخرى بعيدة اسعارها أعلى وتكاليف الشحن منها أكثر ارتفاعا لا سيما نظرا لضرورة استخدام عدد أكبر من الناقلات لنقل هذه الاحتياجات من مصادر أبعد . وحسب تقرير امريكي رسمي نشر في أعقاب العدوان الاسرائيلي عام ١٩٦٧ فان وزارة الدفاع الامريكية قد قدرت النفقات الاضافية التي تعتقد انها ستتكبدها زيادة على ما تصرفه حاليا لتأمين المنتجات البترولية اللازمة للقوات الامريكية اذا ما انقطع ما تأخذه من الشرق الاوسط بما مجموعه (٢١) مليون دولار شهريا . اما بريطانيا فانها تعتمد على النفط العربي اعتمادا كبيرا لسد احتياجات استهلاكها المحلي اذ تبلغ نسبة واردات النفط العربي اليها حوالي ٧٠ ٪ من مجموع وارداتها البترولية . ولا شك ان لجوءها الى مصادر أخرى سيضع على عاتقها عبئا ماليا اضافيا كبيرا ويؤثر على ميزان مدفوعاتها لا سيما وانها ستضطر الى دفع اثمان جزء كبير من البترول البديل بالدولار بينما هي تدفع ثمن النفط العربي بالجنيه الاسترليني لان شركاتها البترولية هي التي تنتج هذا البترول وتصدره للبلد الام .

ولقد قيل في انتقاد هذا الاجراء — اجراء منع النفط العربي عن الدول المعادية — حينما

كان ما يزال مطبقا ومن أجل تبرير ايقافه — قيل بأن الدول العربية المنتجة قد تضررت من جراء ذلك أكثر مما تضررت البلدان المعادية التي تمت مقاطعتها أو ان خسارتها كانت أكبر ، وهذا غير صحيح . ان مما لا شك فيه ان قطع البترول العربي عن الدول المعادية قد قلل من صادرات كل بلد عربي منتج بنسبة متفاوتة من بلد لآخر حسب الكميات التي كان يصدرها لتلك البلدان المعادية وأنقص بالتالي مؤقتا من دخل البلدان العربية المنتجة . ولكننا لا نستطيع ان نتكلم هنا عن « خسارة » حقيقية تصيبنا ، فكل الذي حصل ان صادرات نفطنا قلت خلال فترة المقاطعة وبقيت الكميات التي كانت مستصدر مخزونة في باطن الارض العربية الى أن يحين وقت تصديرها . واذا كان دخل الدول المنتجة قد انخفض بنسبة انخفاض الانتاج والتصدير فقد كان من الممكن مجابهة ذلك بشيء من التكتشف والاستغناء عن المصاريف الكمالية بل انه كان لا بأس في سبيل الهدف النبيل الذي من أجله قطع النفط ، لو ثبتت جدوى وفعالية الاجراء ، أن يتم تأجيل بعض مشاريع التنمية العربية فمثل ذلك يكون قدرا معقولا من التضحية في سبيل قضية أكبر .

ولذا فاننا لا نوافق على هذا النقد الذي وجه لاجراء منع النفط ، ولكن لنا عليه مأخذا آخر أهم ، وهو انه كان محدود الفعالية : فاذا كان قد أحدث أثره الضار على الدولتين المعاديتين ، أمريكا وبريطانيا ، بتحميلها خسارة مادية بينا أعادها فانه لم يفلح في خلق مجاعة نفطية حقيقية لديهما ولم يحملهما على تغيير مواقفهما المعادية . فهل تعتبر هذا الضرر المادي كافيا وفعالا وعلى مستوى المعركة المصرية التي نواجهها وأهمية سلاح النفط العربي ؟ ان أمريكا قد اعترفت حسب بعض مصادرها الرسمية بأن خسارتها المادية نتيجة قطع النفط العربي كانت مقدرة بحوالي (٢١) مليون دولار شهريا أي ما يبلغ حوالي (٢٥٠) مليون دولار سنويا لو ان اجراء قطع النفط العربي دام سنة كاملة — مع انه لم يدم فعلا الا بضعة اسابيع كما هو معروف . ولكننا نعلم ان الولايات المتحدة تقدم لاسرائيل كل سنة مئات الملايين من الدولارات فهل مما يؤثر عليها تأثيرا فعلا ان تتحمل عبئا اضافيا مؤقتا في سبيل حليفتها وقاعدتها المتقدمة : اسرائيل — مقداره (٢١) مليون دولار شهريا او (٢٥٠) مليون دولار سنويا ؟ كما ان انتاج وتصدير النفط كان متواصلا للبلدان الاخرى المستوردة ، وهو الانتاج والتصدير الذي تقوم به الشركات الاجنبية نفسها ، وعلى رأسها الشركات الأمريكية والبريطانية ، وتواصل جني الارباح التي تعوضها اضعافا عن أية خسارة مؤقتة وتبقى هذه الارباح تساهم في ميزان مدفوعات البلدين كما سبق أن بينا .

وهذا الاجراء بتطبيقه ضد أمريكا وبريطانيا وحدهما لم يخلق المجاعة النفطية المطلوبة والتي تجعل منه سلاحا فعلا وأسباب فشله في تحقيق ذلك كثيرة منها : انه على محدودية آثاره وفعاليتها ، لم ينفذ بدقة وقد حصل في تنفيذه كثير من التلاعب نظرا لان الشركات الأمريكية والبريطانية التي تنتمي الى البلدان المعادية التي فرضت عليها المقاطعة — هذه الشركات بقيت مستمرة في الانتاج والتصدير فلجأت للتلاعب لصالح بلدانها لا سيما وان لديها فروعا في مختلف البلدان الأوروبية وهي تستطيع أن تنقل النفط من بلد لآخر بسهولة ودون عوائق . وهذا يدلنا على مدى ضعف سلاح النفط في أيدينا حسب الوضع الحالي نتيجة سيطرة الشركات الأجنبية الاحتكارية التابعة للبلدان المعادية على عمليات انتاج نفطنا واستغلاله وتصديره ، وطالما لم تتوفر لنا السيطرة والرقابة الحقيقية والإشراف الفعال على عمليات انتاج نفطنا واستغلاله وتصديره مع امكانيات توجيه هذه النشاطات لتحقيق المصالح العليا لبلادنا . فهل نستطيع استخدام هذا السلاح استخداما حقيقيا فعلا ضد أعدائنا اذا كان هذا السلاح خارجا عن سيطرتنا وواقعنا تحت سيطرة شركات أجنبية ينتمي القسم الاكبر منها لاولئك الاعداء أنفسهم ؟ ومما لا شك فيه أن قصر اجراء المنع على بلدين ، هما أمريكا وبريطانيا ، قد سهل

امكانيات التلاعب . والاهم من ذلك ان هذا التصرف قد جعل كميات النفط العربي التي تمنع عن هذين البلدين ، حتى لو منعت تماما ، ضئيلة نسبيا . فقد رأينا كيف ان أمريكا لم تكن تستورد الا نسبة ضئيلة من احتياجاتها من النفط العربي ، وما كانت تستورده بريطانيا من نفطنا عام ١٩٦٧ عند تطبيق قرار المنع ، لم يكن يزيد عن حوالي ٥ مليون طن (حوالي مليون برميل يوميا) بحيث أمكن لهما تأمين هذه الكميات من مصادر أخرى ، برغم التكاليف الإضافية التي أشرنا اليها . ومن المعروف ان كل دولة من بلدان أوروبا الغربية تحتفظ الان لنفسها بمخزون لا يقل عن مقدار استهلاك ثلاثة اشهر وفي خلال ذلك تكون قد أمنت وصوله من مصادر أخرى متحملة بالطبع التكاليف الإضافية .

وعلى ذلك فان احدى الثغرات الاساسية في اجراء المنع ، كما طبق عام ١٩٦٧ ، والتي أدت الى أن نتائجه وفعاليتها كانت محدودة للغاية هو قصره على بلدين اثنين . ومما لا شك فيه ان فعاليتها كانت ستزداد لو اتسع المنع ليشمل بلدانا أخرى : فلو اتسع مثلا ليشمل في أوروبا الغربية ، بالإضافة الى بريطانيا ، كلا من المانيا الغربية ، نظرا للتعويضات الضخمة التي قدمتها لاسرائيل ولواقفها وتصرفاتها المعادية للقضية العربية ، وهولندا ، نظرا لمواقفها المعادية كذلك ، فان كمية النفط العربي المحجوبة عن الدول المعادية كانت ستزيد وكان تأمينها سيتم بصعوبة أكبر . ولكن الكمية المنوعة كان مع ذلك سيبقى من الممكن للبلدان المقاطعة تأمينها بالتدريج من مصادر أخرى ، بعد أن تستنفذ مخزونها ، وذلك بتحمل تكاليف اضافية و ببعض الصعوبات ولكن دون مواجهة مجاعة او أزمة نفطية حادة .

ولو ان المنع الذي طبقتته الدول العربية عام ١٩٦٧ اتسع ليشمل أوروبا الغربية بأسرها ، بالإضافة الى أمريكا ، لكان بكل تأكيد قد أحدث أزمة نفطية حادة لدى الدول الغربية ذلك ان مجموع ما كانت تستورده بلدان أوروبا الغربية حينذاك من النفط العربي كان يقارب ٦ ملايين برميل يوميا ولم يكن من السهل تأمين هذه الكميات بسرعة من المصادر الاخرى ولذا فان فترة أزمة حادة كانت بكل تأكيد ستمر بها هذه البلدان قبل ان تستطيع المصادر الاخرى زيادة انتاجها بشكل تدريجي لتلبية جزء فقط من هذه الاحتياجات . وكانت أزمة نفطية جزئية بقيت سائدة في هذه البلدان لفترات طويلة . كما ان مثل هذا الاجراء كان سيكشف عن عجز أمريكا في تلبية الاحتياجات النفطية للعالم الغربي ويبرز مسؤوليتها في وقوع هذه الازمة . ولكن أحد محاذير مثل هذا الاجراء هو انه كان سيمنع النفط عن بعض البلدان التي لم تكن مواقفها معادية لنا او كانت محايدة او صديقة مثل فرنسا واسبانيا واليونان . . . الخ . ولعله كان من الممكن ، على ضوء ذلك ، منع النفط عن كافة أوروبا الغربية ، باستثناء هذه البلدان المحايدة مع ان ذلك كان سيضعف بعض الشيء من فاعلية تطبيقه نظرا لامكانية تسربه من بلد غير مقاطع لبلد آخر مقاطع لا سيما اذا كانت اجراءات الرقابة غير كافية . كما ان ذلك كان سيضعف من آثار المنع ونتائجه .

ولو ان تصدير النفط العربي أوقف كلية ومنع منعنا كاملا ، كما نادى بذلك بعض المسؤولين العرب مثل الرئيس الجزائري هواري بومدين الذي دعا حينذاك الى وقف كافة صادرات النفط العربي سنة كاملة ، لو تم ذلك لكان اجراء المنع قد أحدث كافة آثاره وخلق أزمة نفطية خانقة في العالم لان صادرات النفط العربي كانت حينذاك تقارب عشرة ملايين برميل يوميا ، وهذه الكمية لم يكن من الممكن اطلاقا تأمينها من أية مصادر أخرى غير عربية . ومثل هذه الازمة كانت ستثير ردود فعل عنيفة في العالم ضد الدول المعادية المسؤولة الرئيسية عن وقوعها وتخلق أداة ضغط كبيرة على هذه الدول المعادية قد تحملها على تغيير مواقفها منا . ولكن من الواضح ان الدول العربية المنتجة لم تكن لتقدم بسهولة على هذا الاجراء الذي كان سيجرمها من الدخل البترولي بصفة شبه كاملة

خلال فترة طويلة ، وكان الاقدام على تطبيقه يقتضي انشاء صندوق عربي مشترك تغذيته البلدان المنتجة ذات الارصدة الكبيرة ويتم عن طريقه تقديم العون اللازم والقروض الضرورية للبلدان المنتجة التي لا تتوفر لديها أرصدة كافية . كما ان احد محاذير هذا الاجراء كانت بالطبع هي الحاق الضرر ببعض البلدان الصديقة والمحايدة نتيجة منع النفط عنها ووضع الدول الصديقة والمحايدة على نفس الصعيد مع الدول المعادية ، وهو امر قد يبدو من غير المرغوب فيه من الناحية السياسية . ولذا فان احدي الصيغ الممكنة، ضمن هذا الاطار من التفكير ، ان يقطع النفط عن كافة الدول باستثناء الدول الصديقة التي يحددها المسؤولون على ضوء المصلحة العربية المشتركة ، مع مراعاة انه كلما زادت قائمة الاستثناءات من المنع كلما ضعفت فاعلية المنع ونهيات الظروف للتلاعب .

يبدو من كل ما تقدم أن اجراء المنع ، بالطريقة التي طبق بها عام ١٩٦٧ ، كان محدود الفعالية ضعيف الآثار لم يؤد الهدف المطلوب منه . وينبغي أن لا نعود لنفس الاجراء في المستقبل دون استكمال شروط نجاحه . فاذا أريدت العودة اليه فانه ينبغي توسيع دائرته ليشمل أكبر قدر ممكن من البلدان واستمراره لاطول مدة ممكنة حتى يؤدي آثاره المتوخاة . كما انه ينبغي وضع الشركات الاجنبية تحت الحراسة ، كما فعلت الحكومة الجزائرية في أعقاب عدوان ١٩٦٧ ، بالنسبة للشركات الامريكية والبريطانية ، وذلك لضمان فعالية اجراء الحجب ولتبع الشركات من مواصلة قبض الأرباح عن النفط الناتج والمصدر للبلدان التي لا تشملها المقاطعة ونقل هذه الأرباح للبلدان التي تنتمي اليها . (كما ينبغي في نظرنا أن يكمل هذا الاجراء بمقاطعة اقتصادية للبلدان المعادية وبسحب الارصدة العربية منها وهي الارصدة التي مصدرها النفط العربي . حتى يحقق أقصى درجة من الفعالية وأكبر قدر من الضغوط . ولكن هذه مسألة خارجة عن نطاق هذا البحث) .

واجراء منع النفط اذا أريد له ان يكون شاملا على النحو الذي بيناه أعلاه فانه يتطلب أن تقدم عليه جميع البلدان العربية المنتجة وان تقف كلها من ورائه صفا واحدا صلبا ، وهي أمور ليس من السهل تحقيقها في الوقت الحاضر ، كما ان هذا الاجراء سينتج عنه توقف الدخل الرئيسي وشبه الوحيد للبلدان المنتجة ويفرض على شعوب تلك البلدان تضحيات لا يمكن انكارها بل قد يؤدي الى تعطيل بعض برامج التنمية . ولكن تلك الصعوبات يجب أن لا تثنينا عن الدعوة لهذا الاجراء اذا اقتنعنا بجدواه ، وتلك التضحيات واجبة ومطلوبة اذا كانت هنالك نتائج ايجابية مضمونة من المتوقع تحقيقها لصالح القضية العربية . ولكن أحدا لا يستطيع أن يجزم بالنتائج الايجابية الخيرة التي يمكن أن يحققها هذا الاجراء . فمما لا شك فيه ان الحجب الشامل للنفط العربي سيخلق أزمة نفطية خطيرة لدى العالم الغربي، فماذا سيكون رد فعله في مواجهتها ؟ هل سيحمله ذلك على الخضوع لارادتنا والاستجابة المعقولة لحقوقنا المشروعة وتغيير مواقفه منا والضغط على زعيمة العالم الغربي ، الولايات المتحدة ، لتبديل مواقفها العدائية ؟ أم ان ذلك سيثير لديه على العكس موجة عنيفة من العداوة ضدنا ويحمله على ممارسة كافة أنواع الضغوط علينا بما في ذلك امكانية القيام بأعمال عدوانية يائسة ضد العالم العربي، واستغلال نقاط الضعف في بلداننا المنتجة والثغرات في جبهتنا العربية لأفغال قرار المنع وتفتيت الجبهة العربية كلما طالت فترة تنفيذ القرار وزادت اعباء التقشف المفروضة على حكومات وشعوب البلدان المنتجة ؟

ان تجارب الأمة العربية الطويلة الفاشلة في محاولة اجراء الضغط على العالم الغربي ليقوم بتغيير مواقفه والضغط بدوره على أمريكا واسرائيل لا تشجعنا على توقع نتائج ايجابية من هذا الضغط الذي سنتحدثه الازمة النفطية ولا تدعونا للتفاؤل في أمل تغيير مواقف تلك الدول لصالحنا . وعلى سبيل المثال فان رد الفعل السلبي الذي تجلّى لدى

العالم الغربي في مواجهة اغلاق قناة السويس لا يدعو لكثير من التفاؤل . فهذا الاغلاق سبب لاوروبا الغربية أضرارا كبيرة ومع ذلك فانها لم تمارس ضغطا حقيقيا على الولايات المتحدة واسرائيل من أجل فتح القناة . ومما لا شك فيه أن أزمة الطاقة ستكون لو حدثت نتيجة الحجب أخطر من اغلاق قناة السويس . ولكن رد الفعل السلبي أمام اغلاق قناة السويس والنتائج السلبية لمحاولات الضغوط الأخرى ليس من شأنها ، بكل واقعية وموضوعية ، أن تشجع كثيرا على التفاؤل بتحقيق نتائج فعالة من فرض أزمة الطاقة . هذا الشك في النتائج التي قد يحققها اجراء المنع هو الذي يجعلنا شخصا غير متحمسين للدعوة اليه ، لا سيما وأنه اجراء محدود بطبيعته وليس من شأنه المساس بالمصالح الأساسية للغرب في نفطنا ، ويجعلنا نفضل عليه اجراء أكثر حسما وفعالية كما سنبين . فاجراء منع النفط ، مهما ضبطت وسدت الثغرات التي أضرنا اليها في تطبيقه ونفذت كافة الشروط التي افترضناها لنجاحه ولتحقيق أكبر قدر ممكن من الفعالية ، يبقى اجراء محدودا لانه بطبيعته لا بد أن يكون محدودا من حيث مدة تطبيقه إذ لا يمكن ان يمنع تصدير النفط العربي الى ما لا نهاية ، ولا بد أن يعود نفطنا للتصدير وتعود الشركات النفطية الأجنبية ، المسيطرة على استثمار نفطنا ، الى جني الأرباح الطائلة ونقلها الى البلدان التي تنتهي اليها وهي البلدان التي تضم لنا العداء الكبير .

ولذا فان من رأينا ان اجراء منع النفط لا يرتفع الى المستوى المطلوب ولا يلحق الضرر انجزرى الاكيد بالمصالح الاستعمارية في نفطنا مع ما تمثله من أهمية استراتيجية واقتصادية كبيرة لامريكا والغرب .

*

ومثل هذا الحكم الذي نديه بشأن اجراء منع النفط ينطبق من باب أولي على مجموعة من الاجراءات الأخرى الأقل شأننا التي اقترحت في بعض المناسبات أو اتجه تفكير البعض اليها لكي تكون اذا اتخذت « ذات أثر على السياسة الغربية عامة والامريكية خاصة وان يكون الأثر غير مباشر أو جزئيا » . وقد استعرض الدكتور يوسف صايغ ، في بحثه القيم « النفط العربي في استراتيجية المواجهة العربية الاسرائيلية » ، (مجلة « شؤون فلسطينية » عدد ديسمبر ١٩٧٢ ، ص ٣٤ - ٧٣) - استعرض عددا من هذه الاجراءات . ومن نماذجها : (١) قيام البلدان العربية النفطية بشراء أكبر نسبة ممكنة من أسهم شركات النفط من أجل ممارسة ضغط على سياسة البلدان التي تنتسب الشركات اليها من خلال تقوية نفوذ الأعضاء العرب في مجالس الإدارة . (٢) ايعاز سلطات بلدان النفط للعمال في الشركات بالتباطؤ في الإنتاج وفي تحميل الناقلات لاشعار البلدان الغربية بقوة بلدان النفط العربية وبتصميمها على ممارسة الضغط السياسي على الغرب لصالح القضايا العربية عامة والقضية الفلسطينية خاصة . (٣) فرض رسم تصدير انتقائي على كل برميل نفط يصدر من البلدان العربية لدعم المجهود الحربي العربي . ويلاحظ الدكتور صايغ عن حق بأن الضغط الاساسي في هذه السياسة أنها مالية في طبيعتها وليست في ذاتها كافية للتأثير في السياسات الغربية المناصرة لاسرائيل والمساندة لها خاصة سياسة الولايات المتحدة . وفرض رسم التصدير اما ان يكون سياسة ضعيفة وغير ذات أثر اذا كان الرسم منخفضا أو ان يكون كسياسة حجب النفط اذا كان الرسم مرتفعا جدا بحيث يشكل عبئا غير مقبول على المستورد ينتج عنه توقف التصدير فعلا . (الدكتور صايغ ، نفس المرجع ، ص ٥٦) .

ونحن دون الخوض في مناقشة مثل هذه الاجراءات الجزئية نكتفي بالقول بأنها أقل فاعلية وأضعف أثرا من اجراء منع النفط الذي رأينا مع ذلك انه محدود الأثر حتى حينما يكون منعا شاملا . ومن رأينا انه ينبغي عدم انشغال الأذهان في مثل هذه الاجراءات الفرعية الجزئية وما يستتبع ذلك من تحويل الاهتمام وصرف التركيز عن الاجراء الأكثر جذرية

وفاعلية ، وفي اعتقادنا كما سبق ان بينا ان اجراء منع النفط — ومن باب اولي تلك الاجراءات الجزئية الاخرى التي اوردنا نماذج منها — ليست على المستوى المطلوب ولا تتناسب مع أهمية سلاح النفط وذات آثار محدودة لانها لا تلحق الضرر الجذري الاكيد بالمصالح الاستعمارية في نفطنا وما تمثله من قيمة استراتيجية واقتصادية هامة لامريكا والغرب . ان أي اجراء جذري يجب ان يوجه بشكل مباشر لهذه المصالح الرئيسية ويقتلعا من أساسها . وهذا يدلنا على الطريق الصحيح ويشير الى الحل الجذري الحاسم .

بمعنى ان مجموع مدفوعات الشركة للدولة على شكل ضريبة وريع يجب ان لا يزيد عن ٥٠ ٪ من الارباح الصافية للشركة . وقد تنبعت الحكومات فيما بعد الى ان الريع هو دفعة مستقلة لا علاقة لها بالضريبة وهي تدفع للدولة باعتبارها مالكة باطن الارض المشمولة بالامتياز كما تدفع في الولايات المتحدة للمالك الخاص للارض المشمولة بامتياز ، أي ان الريع يجب ان لا يدخل ضمن نصف الارباح العائدة للدولة (عندما كانت نسبة الضريبة ٥٠ ٪ وقد رفعت الى ٥٥ ٪ عام ١٩٧١) وانها دفعة اضافية مستقلة زائدة عنها على ان تعتبرها الشركة بمثابة نفقة من نفقات المشروع عند احتساب ارباحها الصافية ، ومن هنا جاءت تسمية تنفيق الريع Expensing of Royalty وقد تمكنت منظمة اوبك من غرض هذه القاعدة في أواخر عام ١٩٦٤ .

- ١٦ — انظر بهذا الصدد كتاب **اسرائيل والنفط** ، سلسلة « دراسات فلسطينية » رقم ٣٨ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٨ .
- ١٧ — **المرجع السابق** ، صفحة ١٢٤ .
- ١٨ — انظر بهذا الصدد البحث القيم للدكتور يوسف صايغ حول « النفط العربي غي استراتيجية المجابهة العربية الاسرائيلية » في **شؤون فلسطينية** ، عدد رقم ١٦ ، كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٢ ، ص ٣٤ — ٧٣ . وكذلك الاستاذ عبدالله الطريقي ، **البتترول العربي سلاح في المعركة** ، دراسات فلسطينية ، رقم ٢٠ ، مركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٦٧ . والدكتور محمود أمين ، **البتترول العربي في المعركة** ، سلسلة اقرأ ، دار المعارف بمصر ، أغسطس ١٩٦٧ .
- ١٩ — الدكتور محمود أمين ، **المرجع السابق** ، صفحة ٧٤ .

١ — وهذا الاحتياطي موزع ، حسب المصدر نفسه ، بين مختلف البلدان العربية المنتجة كالاتي (ببلايين الاطنان) : السعودية ١٩٩٠٠ ، الكويت ٩٠٤٥ ، العراق : ٤٩٣٠ ، ابو ظبي : ٢٦٠٠ ، المنطقة المحايدة : ٣٣٠٠ ، قطر : ٨٢٠ ، ليبيا : ٣٤٢٥ ، الجزائر : ١٦٨٠ ، مصر : ٥٥٠ .

٢ — Christopher Tugendhat, *Oil: The Biggest Business*, London, 1968, p. 165.

٣ — *Outlook for the World Oil Industry, 1963-1975* By Donald Fernow, 1963, p. 14.

٤ — *Petroleum Outlook*, Feb 1971.

٥ — **المرجع السابق** .

٦ — مجلة **نفط العرب** ، عدد فبراير ١٩٧١ .

٧ — *U.S. News and World Report*, 10/4/1972.

٨ — **عالم النفط** ، ١٩٧١/١/٢٠ .

٩ — **المرجع السابق** ، ١٩٧١/٧/٢١ .

١٠ — **الاهرام** ، عدد ١٩٧٢/١٠/٣ .

١١ — **عالم النفط** ، عدد ١٩٧٢/١٠/١٤ .

١٢ — **المرجع السابق** ، ١٩٧٢/٢/١٢ .

١٣ — مشار اليه في :

Michael Tanzer, *The Political Economy of International Oil And the Underdeveloped Countries*, Boston, 1969, p. 353.

١٤ — ف. أنيس ، **النفط العربي هل هو عامل ضغط ؟** ، في **اتفاق عربيية** ، عدد سبتمبر — أكتوبر ١٩٧٢ .

١٥ — بموجب اتفاقيات الامتياز تدفع الشركة الحكومة ريعا أو أناوة Royalty (مقداره بصورة عامة يعادل ١٢٤٥ ٪ من قيمة الانتاج) ، وعندما ادخلت قاعدة مناصفة الارباح بين الشركات والبلدان المنتجة في بداية الخمسينات حرصت الشركات على ان تدخل مبلغ الريع المدفوع للحكومة ضمن نصف الارباح العائدة لها

التسلح السوفييتي والصراع العربي - الاسرائيلي

المقدم الهيثم الايوبي

في اواخر شباط الماضي سافر وزير الحربية المصري الفريق اول احمد اسماعيل الى موسكو . وذكرت المصادر السياسية في القاهرة ان من الارجح ان تكون الزيارة محاولة من جمهورية مصر العربية للحصول على اسلحة سوفياتية جديدة بعد سلسلة من المباحثات والخطوات الدبلوماسية العربية والسوفياتية لاذابة الجليد وتحسين العلاقات التي توترت بعد أزمة خروج الخبراء السوفييت من ج . م . ع . والحقيقة ان الاتحاد السوفييتي كان قد خفف من حجم تدفق الاسلحة على جيش ج . م . ع . بعد خطوة الرئيس أنور السادات المعروفة ، اذ لم يتلق هذا الجيش خلال الفترة التي تلت الخطوة سوى ٦٠ صاروخا من طراز سام - ٦ ، وحوالي ١٠٠ دبابة تي - ٦٢ ، وبعض المعدات والاسلحة الثانوية الاخرى .

ولقد اختلفت التكهنات حول الهدف الحقيقي من زيارة الفريق اول اسماعيل ، وهل هي محاولة للحصول على اسلحة متطورة جديدة لم يتم التعاقد عليها من قبل ، أم محاولة لمتابعة الحصول على اسلحة جرى التعاقد عليها ولم تسلم حتى الآن ، أم مجرد الحصول على ذخائر وقطع غيار للأسلحة والمعدات التي تملكها القوات المصرية المسلحة . ومهما كان سبب هذه الزيارة فانها تتمتع ولا شك بأهمية كبيرة ظهرت منذ البداية بالاهتمام الذي أبداه الطرفان بالمباحثات ، وطبيعة الوفدين المشتركين بها ، والجو الودي الذي دارت خلاله . وتأتي الأهمية المحورية لهذه الزيارة من أنها جاءت بعد حوالي سبعة أشهر من خروج الخبراء السوفييت من ج . م . ع . ، وبعد محاولات عربية كثيرة للاستعاضة عن السلاح السوفييتي بسلاح غربي الصنع . وهذا ما يجعلنا نعود من جديد الى بحث مسألة أساسية في الصراع العربي - الاسرائيلي وهي مسألة التسليح .

الأفق السياسي لمسألة التسليح :

قبل بحث هذه المسألة والخوض في تفصيلاتها لا بد من التأكيد على أربع نقاط جوهرية لتبديد أي فهم مغلوط لحقيقة تقييمنا لمسألة السلاح نفسها ، ولاساليب الصراع الاجدى ضد العدو الاسرائيلي .

النقطة الأولى : ان حديثنا عن السلاح لا يعني اعطائه أهمية أكبر مما ينبغي . فالسلاح عامل مهم في كل صراع ، ولكنه لا يمثل العامل الأهم ، ولا يمكن أن يكون بديلا عن الانسان ووعيه وولائه للقضية التي يقاتل من أجلها . كما لا يمكن أن يكون بديلا عن التنظيم السياسي الذي يطرح القضية التي يجري النضال تحت لوائها ، ويقوم بعملية تعبئة سياسية تربط المقاتلين بهدف الصراع ، وتجعلهم على استعداد للتضحية من أجله طالما انه يمثل في نهاية المطاف هدفهم ومصالحهم وتطلعاتهم وآمالهم .

النقطة الثانية : ان التسابق العسكري التكنولوجي بين البلدان المتقدمة صناعيا وبلدان العالم الثالث، عبارة عن لهات غير مناسب في مجال غير مناسب . لان بلدان العالم الثالث

أضعف ماديا وتقنيا من البلدان الصناعية المتقدمة . وقد تكون قادرة على صنع الاسلحة والمعدات العادية ، ولكنها مضطرة دائما لان تستورد الاسلحة المتطورة المعقدة . وتتحمل من جراء ذلك اعباء مالية تنهك اقتصادها ، وتزيد من تخلفها ، وتوسع الفجوة الاولى القائمة بينها وبين البلدان المتقدمة ، دون أن توصلها الى مستوى التسليح التكنولوجي الذي يملكه عدوها .

وإذا كانت قوة البلدان الامبريالية المتقدمة كامنة في معداتها وايدولوجياتها الديناميكية العدوانية (النازية ، الفاشية ، الكارثية ، الصهيونية . . . الخ) فان قوة البلدان النامية أو السائرة على طريق النهو تكمن في جماهيرها . ولا يمكن قلب موازين القوى — التي تكون لصالح البلد الامبريالي في بداية أى صراع بين بلد امبريالي متقدم وبلد نام — ولا يمكن أن تحقق البلدان النامية التفوق إلا عن طريق تعبئة الجماهير نفسيا وايدولوجيا ، وتأييدها ، واعدادها للمعركة ، وجعل كل فرد من أفرادها ملتزما بخوض معركة شاملة ، مع تسليح هذه الجماهير بأفضل ما يمكن الحصول عليه محليا ومن الدول الصديقة عن طريق الشراء أو المساعدات ، رغم الحدود الموضوعية للحصول على هذا السلاح ، واستيعابه تكنولوجيا بعد الحصول عليه ، لان هذه التدابير ، وهذه التدابير وحدها قادرة على قلب الجماهير من كمية مهملة ، بل ومعركة ، خلال الصراع الى كمية فاعلة ووزن لا يستهان به عند حساب موازين القوى — كل القوى — المادية منها والمعنوية .

النقطة الثالثة : هي أن الحديث عن موازين القوى ، وموازن التسليح ، وحساب عدد الدبابات والطائرات والمدافع على جانبي الخندق ، وربط قضية انطلاق معركة التحرير بهذه العوامل العسكرية البحتة أمر يتناقض مع معطيات الموقف الذي يعيشه بلد محتل مهدد بالعبودية والفتن . ان حسابات المعركة أمر نسبي ، وهي تختلف باختلاف القائمين بها ، وحقيقة أهدافهم ومراميهم . فهناك حسابات الغزاة وحسابات المدافعين . وتهتم حسابات الغزاة الى حد مبالغ به بموازن القوى ، واحتمالات الربح والخسارة ، لان الغزاة يطمحون الى تحقيق الربح المادي عن طريق العدوان ، ولا يدخلون المعركة الا بعد أن يتأكدوا من انها ستكون قصيرة ومجزية ، وان المكاسب التي سيحققونها ستكون كبيرة بشكل يعوض الخسائر المحتملة . أما حسابات المدافعين فتستند الى ان المعركة مفروضة لصد عدوان قائم ، وتطهير أرض محتلة ، وان الخسائر مهما تزايدت عبارة عن قدر محتوم تفرضه موازين القوى الاولى ، وان اجراء الحساب لتخفيف الخسائر الى أبعد حد ممكن مع متابعة الصراع رغم اختلال ميزان القوى المادية هو السبيل الوحيد للحفاظ على البقاء ، لان التوقف عن الصراع ، أو التردد أمامه بحجة تفوق العدو يعني الاستسلام والخسارة الكاملة التي تفوق من الناحية الحضارية والقومية أضعاف أية خسارة ناجمة عن الدمار والقتل ومآسي الحرب الرهيبة . ان على الامة المدافعة أن تحسب ، وتوازن ، فكل معركة بلا حساب مفامرة فاشلة ولكن عليها ، وهي تحسب ، ان تبقى ضمن اطار حسابات المدافعين ، وأن لا تربط مصيرها القومي كله بجداول الارقام الصماء ، لان هذا الربط يعني انها تستعير عقيدة الغزاة التي لا تصلح لها ولا تضمن في نهاية المطاف وجودها كله .

النقطة الرابعة : هي أن التفكير بقاب موازين القوى لا يقتصر على تبديل السلاح ، أو تحسين نوعه ورفع مستوى فاعليته ، بل يشمل — وهذا هو الأهم — تبديل الاداة التي تستخدم هذا السلاح (أي القوات المسلحة) وتغيير طبيعتها . والقوات المسلحة صورة النظام السائد في بلد ما ، وجزء لا يتجزأ من كيانه . وكما ينجم عن الانظمة الامبريالية جيوش امبريالية تخدم أهدافا امبريالية غايتها استعباد الشعوب واستغلالها ، وكما ينجم عن الانظمة الشعبية الثورية جيوش شعبية ثورية تحمي مصالح الجماهير العريضة ،

فان البورجوازية الرثة في العالم الثالث تفرز على الصعيد العسكري جيوشا رثة لا تتقن سوى من الانقلابات ، وقمع الشعب ، وممارسة الهزيمة أمام العدو . لذا لا يمكن لبلدان العالم المقهورة التي تسيطر فيها البورجوازية الرثة أن تفكر بصد عدوان المعتدين عن طريق تكديس الاسلحة الحديثة المتطورة محسب ، بل لا بد لها من السير على سبيل خلق النظام الشعبي الثوري ، وجيشه الشعبي الثوري المؤهل لحمل هذه الاسلحة بايمان واستخدامها بكل كفاءة .

حتمية التسليح العربي من دول المعسكر الاشتراكي :

كانت دول الغرب الامبريالية منذ بداية الصراع العربي - الاسرائيلي المورد الاساسي للاسلحة في الشرق الاوسط . وكانت جميع اسلحة الدول العربية غريبة الصنع ، على حين كان الاسرائيليون يحصلون على الاسلحة من كل مكان ويستخدمون اتصالاتهم الدولية وشبكات الصهيونية العالمية لتأمين الاسلحة الغربية والشرقية بطرق مشروعة أو غير مشروعة . وبقيت الدول الغربية بعد قيام اسرائيل مصدر السلاح الوحيد للجيوش العربية . وكانت تستخدم السلاح كوسيلة ضغط سياسية على الدول العربية لجرها الى الاحلاف ، كما كانت تعتبر الجيوش العربية - ككل جيوش بلدان العالم الثالث - عبارة عن سوق لتصريف الاسلحة المستعملة (مثل دبابات بانزر التي اشترتها الجيش السوري قديما ، ودبابات سنثوريون القديمة التي اشترتها المصريون ، وصفقة الاسلحة المصرية الفاسدة .. الخ) . أو سوق للاسلحة التي تجاوزتها التطورات التكنولوجية (مثل البنادق الفرنسية ٣٦ التي اشترتها سوريا سابقا رغم قدم نموذجها وظهور بنادق آلية ونصف آلية في معظم بلدان العالم ، وطائرات سيبتفاير وهانتر التي اشترتها الاردن ، وكل أنواع المصفحات التي استغنت عنها جميع الجيوش الحديثة وأخرجتها من ملاكاتها واستعاضت عنها بالدبابات الخفيفة ، واعتبرتها سلاحا لا يصلح الا لقمع الاضطرابات في المدن) .

ولقد طرحت الحكومات العربية على الجماهير طوال فترة ٤٨ - ١٩٥٥ مسألة الحصول على السلاح العربي كمسألة حيوية جادة لاعداد القوة المسلحة اللازمة لجابهة اسرائيل . وكان طرحها متناقضا بشكل جذري مع الفهم السليم لطبيعة الصراع مع اسرائيل ، وحقيقة الاسس الاستراتيجية الامبريالية في المنطقة . ويمكننا ايجاز التناقضات بما يلي :

التناقض الاول : في الوقت الذي كنا نحاول فيه شراء الاسلحة من دول الغرب الامبريالية نقهر اسرائيل وتحرير الارض المغتصبة ، أو منع اغتصاب ارض جديدة على الاقل ، كانت اسرائيل - ولا تزال - عبارة عن مخفر أممي للمعسكر الامبريالي الذي خلقها ودعمها وضمن وجودها بالبيان الثلاثي [١٩٥٠] (الامريكي - البريطاني - الفرنسي) كما كانت جزءا عضويا من أجزاء هذا المعسكر ، وشريكا في عملية النهب والقمع .

التناقض الثاني : في الوقت الذي كنا نطمح الى تقوية تسليحنا عن طريق الغرب كيما نحرق أقطارنا ونلعب دورا أكثر فاعلية كحركة تحرر وطني ، كان الغرب نفسه داخلا في تناقض رئيسي معنا كقوة استعمارية تود اضعافنا والسيطرة على مقدراتنا . وكان هذا الغرب نفسه يشن ضدنا حربا قمعية مباشرة في المشرق العربي والمغرب العربي ، كما كان يستنزف قوانا بصورة غير مباشرة عن طريق استخدام اسرائيل كقوة ضاربة قادرة على التهديد والردع ، ومستعدة للانتقال من الردع الى العمل ، لخلق القوى التقدمية الوليدة ، وحماية مصالح الغرب عند اللزوم ، لقاء مكاسب اقليمية واقتصادية تعتبر خطوة مرحلية على طريق تنفيذ المخطط الصهيوني الواسع .

التناقض الثالث : لقد كنا ندعي اننا نود شراء الاسلحة من الغرب لقلب « الوضع القائم »

والتخلص من القهر القومي المتمثل بإسرائيل وبعض جيوب الاستعمار القديم ، على حين كان الغرب وإسرائيل يفضلان بقاء « الوضع القائم » الذي هو في حدد ذاته وضع استغلالي غير عادل والحفاظ على الاستقرار لتتابع الامبريالية نهب الثروات بلا متاعب ، ولتتابع إسرائيل هضم الاراضي المحتلة ، والاعداد لاحتلال اراض جديدة وتحقيق مكاسب اقليمية جديدة .

ان القوى الاجتماعية المستبدة داخل أمة ما ، والمستفيدة من الواقع الاستغلالي الطبقي ، تحاول دائما تهدئة الاوضاع والحفاظ على « الوضع القائم » لتابعة الافادة من الاستغلال وواقع القهر الطبقي ، على حين تحاول القوى المستغلة تأزيم الوضع لقب « الوضع القائم » مع كل ما فيه من استغلال وقهر . ووفق المعادلة نفسها فان الأمم المستفيدة من الواقع الاستغلالي الاستعماري تعمل كل ما في وسعها لتهدئة الاوضاع في منطقة الاستغلال للحفاظ على « الوضع القائم » ومتابعة الافادة من الاستغلال وواقع القهر القومي ، على حين تحاول الأمم المستعمرة كسر حلقة الهدوء لتبديل الواقع الاستعماري الذي ينحط بقواها الاقتصادية والاجتماعية ، ويسحق كل امكاناتها الحضارية .

لهذا كله كان قيام الدول العربية بمحاولة تسليح جيوشها من ترسانة الغرب عدو الشعوب المتطلعة الى التحرر والتقدم والنمو عبارة عن عمى سياسي - استراتيجي ، وخطأ في الاستنتاج ناجم عن انعدام القدرة على الرؤية أو انعدام الرغبة في الرؤية . وفي الوقت نفسه كان طرح مسألة شراء الاسلحة من الغرب في سبيل التحرير لعبة ديماغوجية لا تستهدف سوى خداع الشعوب ، وبناء أمجاد زائفة . ولهذا كله بقيت قوة إسرائيل العسكرية اكبر من قوى الدول العربية المجاورة ، وبقي الردع الإسرائيلي بالقوة الكامنة المنسقة مع ضربات تأديبية على الحدود العامل الاساسي لتهدئة العرب ، وكبح جماحهم ، واجبارهم على كبح جماح الجماهير الفلسطينية المتطلعة للتحرير ، والمتشوقة للتضحية والفداء في سبيل استعادة الارض المغتصبة .

معادلات التسليح السوفيتي :

تلقت الجيوش العربية خلال النصف الاول من الخمسينات عشرات الضربات ، وخسرت من جراء ذلك مئات الضحايا ، وكانت تحاول بعد كل ضربة تحسين تسليحها وزيادة قوتها لرد الضربة او لحماية نفسها على الاقل . ولكن الدول الغربية كانت تمنع عنها السلاح بحجة الحفاظ على التوازن والهدوء ، وترد على طلبات السلاح بتقديم بعض الاسلحة الخفيفة مع دعوات مشبوهة للارتباط نهائيا بعجلة الغرب . ومع تزايد العجز العسكري العربي تزايد النهم الإسرائيلي ، وازداد عمق الضربات ، وتصاعدت حدتها حتى بلغت الاوج في عملية البطيحة وعمليات غزة وخان يونس (١٩٥٥) . وأدى تصاعد حدة الضربات وتزايد حجم الخسائر الى انفجار الجماهير العربية . وغدا البحث عن مصدر جديد للسلاح مسألة حيوية وضرورة قومية لا غنى عنها . ووسط هذا المناخ كسر الرئيس جمال عبدالناصر حصار السلاح بضربة اعتبرت من أخطر الضربات التي سددت للسيطرة الغربية في المنطقة . وفتح أمام السلاح السوفيتي أبواب الشرق الاوسط على نطاق واسع . وكانت سوريا قد سبقته في هذا المجال على نطاق أضيق عندما عقدت صفقة الاسلحة مع تشيكوسلوفاكيا . وهكذا تخلصت مصر وسوريا من الجري وراء سراب وبدأ الاعداد للمعركة يأخذ شكلا اقرب الى منطق الامور . واصبحت معادلات التسليح في المنطقة متناسبة مع طبيعة القوى وحقيقة أهدافها .

معادلة المرحلة الاولى (من بدء كسر السلاح حتى حرب ١٩٥٦) : كان جيشا دولتين من دول المجابهة (مصر وسوريا) يشكلان قوة من قوى التحرر الوطني ، ويحصلان على سلاحهما الاساسي من دول الكتلة الشرقية الداعمة لحركة التحرر الوطني في العالم بغية

مجابهة الاستعمار واسرائيل ، ودرء أخطارهما ، دون أن يتسع هدف التسليح الى مستوى ازالة الدولة الاسرائيلية المدعومة من الغرب . على حين كانت اسرائيل ، وهي قوة من قوى الامبريالية ، تتمون من ترسانات الدول الامبريالية المعادية لحركات التحرر ، بغية الاعداد لعدوان توسعي مقبل . وقيل ان تستكمل القوات العربية استعدادها وهضمها للأسلحة الشرقية الحديثة شنت الدول الامبريالية حرب ١٩٥٦ ، وتدمر القسم الاكبر من القوة العسكرية الجديدة او جرد من سلاحه .

معادلة المرحلة الثانية (١٩٥٦ - ١٩٦٧) : كانت هذه المرحلة مرحلة اعادة بناء القوات العسكرية العربية . ولقد قدم السوفييت خلالها جميع المساعدات المادية والتكنولوجية والتدريبية لخلق القوة العربية على اساس منع اسرائيل من شن أي عدوان أو الحصول على أية مكاسب اقليمية جديدة . هنا كانت معادلة التسليح كما يلي : الغرب يقدم السلاح لاسرائيل لتحقيق الردع والعدوان والحفاظ على اسرائيل كقوة موجودة قادرة على التوسع والضرب . أما دول الكتلة الشرقية التي تعتبر اسرائيل دولة موجودة لا يمكن تدمير تكوينها الحالي ضمن موازين القوى العالمية القائمة ، وتعتبر هذا العمل خارج استراتيجيتها التي تتحاشى الصدام المباشر مع الولايات المتحدة في هذه المنطقة ، فاتها تسليح بعض الدول العربية المتحررة في سبيل خلق القوة القادرة على حماية المكتسبات والمنجزات التي تحققت في المنطقة ، والحد من دور اسرائيل التهديدي ، ومنعها من التوسع أو ضرب الحركة التقدمية العربية وشلها .

معادلة المرحلة الثالثة (١٩٦٧ - ١٩٧٢) : مع حرب ١٩٦٧ واحتلال اراض عربية جديدة خرجت اسرائيل بشكل فاضح عن اطار حدود الدولة المعترف بها [كانت قد خرجت من قبل عن هذا الاطار اكثر من مرة عندما احتلت مناطق خارج الحدود التي اعترفت بها الأمم المتحدة ورفضها العرب] . وتبدلت معادلة التسليح وغدت كما يلي : (أ) الدول الامبريالية ، والولايات المتحدة بشكل خاص ، تسليح القوة الاسرائيلية للحفاظ على تفوقها والابقاء على وضع الاحتلال حتى يتم الوصول الى الهدف السياسي لحرب حزيران ١٩٦٧ . وهو بالنسبة للامبريالية قمع الحركة التقدمية العربية ، وتحقيق التهدة اللازمة للاستغلال بشكل مستمر نهائي . كما انه بالنسبة لاسرائيل الحصول على سلام اسرائيلي يضمن انتهاء حالة النزاع مع تحقيق مكاسب اقليمية متباينة السعة ، ويجاد علاقة اقتصادية مع العالم العربي ، هي في جوهرها علاقة بين مجتمع صناعي متقدم ، ومجتمع زراعي يحاول النمو والتطور بامكاناته الذاتية ووفق مخططات تنمية البورجوازيات الصغيرة . (ب) المعسكر الشرقي الذي يرفض اعطاء اسرائيل مكافأة على عدوانها ، ويقف مع كل دول العالم المحبة للسلام ضد أي توسع اقليمي عن طريق الحرب ، يسليح الدول العربية ليساعدها على الصمود أمام ضغوط الاركاع ، وليعطيهما الفرصة لالتقاط انفاسها وشن المعركة السياسية - العسكرية الرامية الى ازالة آثار العدوان بكافة الاساليب والطرق ، بما في ذلك الاساليب العسكرية .

ووفق هذه المعادلة دعم الامريكيون القوة العسكرية الاسرائيلية وخاصة القوة الجوية القادرة على الضرب في عمق البلاد ، على حين خلق السوفييت جسرا جويا هائلا لدعم القوة العربية ولمساعدتها على الصمود والاستمرار في حرب الاستنزاف [أي يحبط سياسة التهدة والاركاع وتحقيق السلام الاسرائيلي بالقوة] ، ويخلق القوة القادرة على تسديد الضربة العسكرية ضمن استراتيجية مجابهة عربية شاملة ضد الامبريالية [أي يحبط سياسة التوسع وضم الاراضي] .

وبدأت حرب الاستنزاف شرسة باهظة التكاليف . واشتبكت مصر وحركة المقاومة لوحدها مع العدو الاسرائيلي لاستنزافه ماديا ومعنويا . وكان من الممكن أن تؤدي حرب الاستنزاف الى تحقيق النتائج المرجوة منها لو انها كانت جزءا من استراتيجية

عربية متكاملة . بيد ان الوضع العربي (داخل كل قطر وبين الاقطار) ، وفتت الجبهة الشرقية ، ووقف مصر لوحدها على الجبهة الساخنة ، والوضع المصري الداخلي نفسه ، جعل القاهرة ، بعد اسبوع من تساقط طائرات الفانتوم ، تقبل وقف اطلاق النار في لحظة حرجة كان التفوق الجوي الاسرائيلي قد بدأ يفقد فيها تأثيره وفعاليتها أمام شبكة اصواريخ سام ٣ ، كما ان ضرب حركة المقاومة الفلسطينية على يد النظام الاردني أعاد الصراع العربي - الاسرائيلي الى مرحلة هدوء نسبي ظهرت وكأنها تعبير عن العجز العسكري أمام مقولة التحرير .

ووسط هذا المناخ الذي تصارعت فيه الرغبة مع العجز تحركت القوى الامبريالية والرجعية العربية المعادية للوجود السوفييتي على أرض العرب - حتى لو كان هدف هذا الوجود مساعدة العرب على الصمود والذود عن أراضيهم - وشنت حملة تشهير واسعة ضد موسكو وضد الاسلحة السوفييتية « الدفاعية ! » لتصل بعد ذلك الى ضرورة الاستعاضة عن السلاح السوفييتي ، وذلك بتصنيع بعض الاسلحة محليا واستيراد البعض الآخر من مختلف بلدان العالم . فهل كانت الاسلحة السوفييتية بالفعل دفاعية ؟ وهل هنالك في الاصل سلاح هجومي وآخر دفاعي ؟ والى اين وصلت محاولة الاستعاضة عن السلاح السوفييتي ؟

السلاح « الدفاعي » و« الهجومي » :

السلاح أداة قادرة على تدمير الخصم ، أو إخراجه من المعركة ، أو ابطاله ، أو شل حركته ومنعه من تحقيق أغراضه . وهو يستخدم ضمن تركيبات تكتيكية واستراتيجية تستهدف تدمير القوات المسلحة المعادية أو تجريدتها من سلاحها ، واجبار العدو بعد نزع درعه على قبول التنازلات السياسية التي تحقق هدف المنتصر . ويحقق السلاح مهماته من الناحية التقنية عن طريق النار (المقذومات) والصدمة . وهو يتوصل الى استخدام النار عن بعد ، على حين لا بد له عند استخدام الصدمة من الحركة والالتحام مع العدو . وتستطيع النار تحقيق غرضها في الهجوم بأن تدمر المدافعين أو تبطلهم أو نهك قواهم قبل أن تتمكن قوة الصدمة من القيام بالخرق . كما تستطيع تحقيق هذا الغرض في الدفاع بأن توقف المهاجمين وتعرضهم لخسائر مادية تتجاوز حدود إمكاناتهم أو حدود التضحية المقبولة بالنسبة لهدف معين ، وتمنعهم بالتالي من تحقيق هدفهم . أما الصدمة فانها تستهدف في الهجوم تحقيق الخرق لفتح ثغرة تسمح بالتغلغل والتطويق ، أو تحقيق الخرق بعد تطويق مسبق . وهي تستهدف في الدفاع اجراء الصدمة المعاكسة لتدمير قوى العدو المتغلغلة في العمق ، أو فك التطويق في الحالة التي ينقلب فيها الدفاع الى جزر مطوفة وسط البحر الهجومي .

وتزداد القدرة النارية في كل سلاح بزيادة غزارته النارية ، وحجم الذخائر التي يمكن ان يحملها أو يصبها في وحدة زمنية معينة أو خلال مهمة تكتيكية محددة ، كما تزداد القدرة على الصدمة كلما زادت السرعة والقدرة الحركية ومدى العمل . ولذا فان ميزات كل سلاح تتعلق بصفاته التقنية ومواصفاته الخاصة التي تزيد قدرته النارية أو ترفع مستوى قدرته على الصدمة ، وهذا ما يحدد في النهاية استخدامه للنار أو الصدمة أو لهما معا ، خاصة وأن قوة الصدمة مرتبطة الى حد ما بقوة النار القادرة على الحركة . بيد ان القوات المسلحة لا تستخدم سلاحا واحدا لتحقيق الهدف فهي بحاجة في الهجوم والدفاع كما رأينا لنار وصدمة ، الامر الذي ينبثق عنه تعاون الصنوف وتنسيق عمل عدد من الاسلحة لتنفيذ مهمة ما .

من هنا نتبين ان السلاح نفسه وما يتمتع به من ميزات لا يضعه بشكل نهائي في زمرة الاسلحة « الهجومية » أو « الدفاعية » . ولكنه يضعه في زمرة اسلحة النار أو اسلحة

الصدمة او اسلحة النار والصدمة التي تستخدم في مهام محددة بالزمان والمكان والغرض يضمها كلها تنسيق وتعاون تام وسط تكتيك هجومي او دفاعي لخدمة استراتيجية هجومية او دفاعية . وهنا لا بد من طرح عدد من الامثلة الملموسة لايضاح الفكرة .

لنأخذ **الدبابية** مثلا ، انها سلاح نار وصدمة ، وهي تجمع قوة النار وسرعة الحركة والقدرة على المناورة . ولكن هل هي سلاح دفاعي ام هجومي ؟ انها تستخدم في الهجوم اذا ما جمعت داخل تشكيلات كبيرة مدرعة (الوية - فرق - فيالق - جيوش) وتكون مهمتها في هذه الحالة الخرق واستثمار النصر . كما تستخدم في الدفاع اذا ما كانت تشكيلاتها صغيرة موزعة على وحدات المشاة ، وكانت مهمتها المشاركة في السدود النارية والقيام بالهجمات المعاكسة . **والدفع** صالح للاستخدام في الهجوم لدعم القوات المتقدمة برمايات التمهيد ورمايات المرافقة كما انه صالح للاستخدام دفاعيا عن طريق خلق السدود النارية الثابتة والزاحفة وتنفيذ زمايات معاكسة للتمهيد قبل انطلاق هجوم العدو . وهنا تبرز فروق تقنية بين المدافع المقطورة والمدافع المحمولة ذاتية الحركة ، فالنوع الثاني اقدر على الحركة ومرافقة الهجوم وخاصة اذا كان هجوما مدرعا ، ولكن هذا لا يعني ان الاول عاجز عن المشاركة في الهجوم بفاعلية . **والمدفع المضاد للطائرات** سلاح هجومي ودفاعي لانه يحمي سماء المعركة هجومية كانت ام دفاعية . وتستطيع الدبابات المضادة للطائرات مرافقة الدبابات المنقضة وحماتها من الخطر الجوي بشكل افضل من المدافع المضادة المقطورة ، ولكن استخدام كلا النوعين ممكن هجوميا ودفاعيا . **وانصاروخ المضاد للطائرات** سلاح يستهدف الحماية ولكن من المتعذر اعتباره سلاحا دفاعيا بحتا ، لانه يستطيع حماية المنشآت الهامة ، والمدن ، ومراكز التجمع . الخ . ولكن مدى عمله (٢٠ - ٢٨ كيلومترا) يسمح له بالمشاركة في بداية أية عملية هجومية لتغطية سماء قاعدة الانطلاق وسماء حدود المهمة الهجومية اليومية (اذا كان الهجوم في أرض عادية) ولتغطية عملية العبور وحماية سماء رأس الجسر بعد العبور (اذا كان الهجوم يتم مع عبور مجرى مائي) . **والطائرة القاذفة** اداة صالحة لضرب تجمعات العدو ، وخطوط مواصلاته ومراكز قيادته ونقاطه الحساسة العسكرية والاقتصادية سواء كان العدو مهاجما ام مدافعا . وينطبق هذا القول على الطائرة القاذفة التكتيكية او الاستراتيجية اذ لا تختلف المهمات هنا الا في عمق الاهداف وطبيعتها والاطر المطلوب من ضربها وهل هو اثر تكتيكي ام استراتيجي . أما **الطائرة المطاردة** فهي قادرة على حماية القاذفات الصديقة المهاجمة ، او التعرض لقاذفات العدو . ومهمتها حماية القوة الجوية الضاربة . فاذا كانت مهمة هذه القوة اساسا دفاعية غدت المطارات سلاحا دفاعيا يحمي القدرة الدفاعية ، واذا كانت القوة الضاربة تمارس الهجوم غدت المطارات سلاحا يحمي القدرة الهجومية ، وغدت بالتالي سلاحا هجوميا . وما **الطائرة القاذفة - المطاردة** سوى طائرة تحمل من الميزات ما يجعلها قادرة على القيام بدور المطاردة او القاذفة او المطاردة والقاذفة معا . وينطبق عليها اذن ما ينطبق على الطائرتين المذكورتين .

ويمكن الاسهاب في الحديث بهذا المجال عن كل نوع من انواع الاسلحة البرية والجوية والبحرية بدءا من البندقية وانتهاء بحاملة الطائرات وكل انواع المعدات الحربية بدءا باللغم والبلدوزر وانتهاء بالرادارات واجهزة الاشعة تحت الحمراء لتتوصل في نهاية المطاف الى التأكيد بانها ليس هناك سلاح « هجومي » او سلاح « دفاعي » بل هناك اسلحة نار واسلحة صدمة واسلحة نار وصدمة تستخدم كلها بتكامل مطلق مع المعدات لتخدم الهجوم او الدفاع وفق الخطة الاستراتيجية العامة وتفصيلاتها التكتيكية التنفيذية ، لان الاستراتيجية وما ينجم عنها من تكتيكات هي التي تحدد طابع الحرب وصفتها الهجومية والدفاعية .

ان حجم السلاح ، وحجم القدرة النارية ، ومدى التفوق المحقق ، ومستوى الاستيعاب التكنولوجي للسلاح هي العوامل التي تحدد طبيعة الاستراتيجية اي تحدد ما اذا كانت الاسلحة المتوفرة كلها ستوضع موضع الهجوم أو الدفاع . والحصول على سلاح هجومي لا يعني الحصول على نوع محدد من الاسلحة ، بل يعني الحصول على تفوق معين بالاسلحة يسمح بالانتقال من الدفاع الى الهجوم . ولا يمكن توجيه النقد الى نوع السلاح السوفييني المقدم للدول العربية . وكان الاخرى بالنقد ان يوجه الى حجم هذا السلاح وهنا نستطيع ان نتساءل هل كان من الممكن الحصول على الحجم الهجومي من السلاح (الحجم المتفوق على ما يملكه العدو) في ظل الوضع الدولي الحالي ، وفي ظل التعهد الامريكي المطلق بدعم اسرائيل بالاسلحة والمعدات لتبقى متفوقة على القوات العربية بشكل مستمر ؟ وهل ينبغي ان نحاول البحث عن هذا الحجم الهجومي عن طريق زيادة السلاح الذي تستطيع الدول الكبرى التحكم به سلبيا او ايجابيا وفق استراتيجياتها الخاصة ام ان علينا ان نحقق الحجم الهجومي بزيادة القوى المعنوية والايديولوجية والزخم الثوري وكل ما لا تستطيع الدول الكبرى التحكم به ؟ ان الرد على هذين السؤالين يضع المسألة كلها على الطريق الصحيح الواضح لحل مسألة التفوق العسكري الاسرائيلي واساليب مجابهته على المدى البعيد .

الاستعاضة عن السلاح السوفييني :

ولنعد الان الى المحاولات العربية للاستعاضة عن السلاح السوفييني بسلاح اخر عن طريق الصنع او الاستيراد . ولقد بحثت امكانية صنع الاسلحة في اجتماعات رؤساء اركان الجيوش العربية ، وقدمت التوصيات لوزراء الدفاع العرب أكثر من مرة ، وكان اخرها وأكثرها تحديدا توصية رؤساء اركان الجيوش العربية الذين اجتمعوا في القاهرة في كانون الاول من عام ١٩٧٢ واقترحوا تخصيص ٢٪ من دخل كل دولة من اجل انشاء هيئة لانتاج الاسلحة والمعدات اللازمة للجيوش العربية . وتتخلص فكرة التسليح الذاتي اساسا في محاولة الافادة من رؤوس الاموال العربية الكبيرة المجمدة في سبيل بناء صناعة حربية (على غرار الصناعة الحربية الاسرائيلية) تؤمن مطالب القوات العربية ، وتحرر الارادة العربية بالتالي من ضغوط الدول العظمى وتحديداتها السياسية — الاستراتيجية المتعددة .

وبالرغم من اهمية هذه الخطوة واثرها الكبير على مستقبل الصراع ، فان من المؤكد ان الدول العربية ستجد ، كما ستجد جميع الدول النامية ، صعوبات هائلة في مجال التصنيع العسكري . فاذا استثنينا الصعوبات المالية التي يمكن حلها برؤوس اموال الدول العربية البترولية وجدنا ان من اهم الصعوبات المنتظرة : تدني المستوى التقني القاعدي في الدول النامية ، وانعدام الخبرات المتراكمة ، والحاجة الى مصانع متطورة ومخططات وتصاميم لا تملكها سوى الدول المتقدمة ولو كان المطلوب اعداد سلاح عادي لتسليح الجماهير ولشن حرب شعبية لخفت الصعوبات الى حد كبير ولا يمكن للعرب صنع السلاح الذي يساعدهم على خوض معركة طويلة الامد . تنتهي الى نصر محتوم رغم جسامه التضحيات . اما اذا كان المطلوب تصنيع سلاح متطور ينافس السلاح الامريكي الذي تعرف اسرائيل من مستودعاته بلا حساب فان الامر أعقد من أن يحل — في السنوات العشر المقبلة على الاقل — عن طريق استخدام رؤوس الاموال العربية والمصانع والخبرات العالمية شرقية كانت ام غربية .

اما محاولة الاستيراد التي طرحت بعد خروج الخبراء السوفيين من ج . م . ع . بشدة ثم تناقص طرحها بعد ذلك باستمرار ، فهي محاولة صحيحة على الصعيد النظري البحث . ولكن ما مدى امكانية تطبيقها العملي ؟ ان الدولتين الوحيدتين القادرتين اليوم على تقديم السلاح المتطور بشكله الارقي هما الدولتان العملاقتان الاتحاد السوفييني والولايات

المتحدة الامريكية . ولا يمكن منافسة السلاح والمعدات الامريكية الا بسلاح ومعدات سوفيتية . وقد يكون في هذا البلد او ذلك سلاح او جهاز اليكتروني او آلة محددة رفيعة المستوى ، ولكن الانتاج الحربي بمجمله في اي بلد من البلدان الاشتراكية والرأسمالية عاجز عن الدخول في منافسة شاملة مع مجمل الانتاج الحربي في الاتحاد السوفيتي او الولايات المتحدة .

وبالرغم من سير السلاحين السوفيتي والامريكي كفرسي رهان ، وبالرغم من اندفاع كلا البلدين بشكل شبه متساو في تطوير الاسلحة والمعدات الحربية ، فان بعض الاسلحة الامريكية متفوقة على مثلتها في الاتحاد السوفيتي . وبصورة خاصة القاذفات — المطاردة ، وحاملات الطائرات ، وطائرات الهليكوبتر العملاقة ، والعربات المدرعة نصف الجنزرة ، وعدد اخر من الاسلحة والمعدات اللازمة لحرب تقليدية محلية محدودة . ويرجع السبب في ذلك الى سببين : اولهما ان السياسة الابريالية للولايات المتحدة ، ورغبة واشنطن في احتلال المواقف التي انحسر منها نفوذ الاستعمار القديم ، وشن الحروب العدوانية المحلية ضد الشعوب المتحررة حديثا او المتطلعة الى التحرر ، دون تصعيد الحرب بشكل يهدد سلامة المعسكر الاشتراكي ويستنفر قواه ويؤدي بالتالي الى صدام نووي ، دفعت الامريكيين بعد الحرب العالمية الثانية الى الاهتمام باعداد الاسلحة اللازمة لمثل هذه الحروب وتطويرها وتحسينها بعد تجربتها على ارض المعارك (كوريا ، فيتنام ، الشرق الاوسط . . . الخ) ، وخلق مجموعات قتال (ناسك فورس) برية — بحرية — جوية منتشرة في كل انحاء الارض ، وقادرة على التدخل بسرعة في كل مكان لحماية المصالح الامريكية من اي تهديد ، على حين لم تطور دول الكتلة الشرقية مثل هذه الاسلحة بسرعة كافية ، ولم تخلق مثل هذه المجموعات نظرا لاعتمادها — خطأ — بأن سياستها السلمية لا تتطلب منها ذلك . أما السبب الثاني : فهو ان اهتمام دول الكتلة الشرقية ، وخاصة الاتحاد السوفيتي بتطوير الصواريخ والغواصات الذرية ومختلف انواع الاسلحة النووية ، وتوصلها الى مستوى رفيع في هذا المجال ، جعلها متأكدة من ان أمنها لا يرتبط بحجم القوات التقليدية ومستواها بقدر تعلقه بقوة الردع الكامنة في اسلحتها الصاروخية — النووية القادرة على تهديد الولايات المتحدة نفسها بدمار شامل . بيد ان تبادي الولايات المتحدة في تهديداتها ، وعدوانها المستمر على الشعوب الصغيرة ، ومغالاتها في شن الحروب المحدودة وفق استراتيجيات « العصا الغليظة » و « الرد المرن والردع المتدرج » و « الفتنة » وتصعيد عملياتها الحربية المحدودة الى درجة تهدد بخلق حركات التحرر الوطني وتؤثر على أمن المعسكر الاشتراكي نفسه دفعا الدول الاشتراكية — بعد ان ضمنت أمنها الاستراتيجي بجهاز متكامل من الاسلحة النووية الصاروخية — الى اتخاذ التدابير اللازمة للقيام بدورها الاممي في حماية حركات التحرر الوطني ودعمها ، اي الى الاسراع بتطوير الاسلحة التقليدية اللازمة لمجابهة الحرب المحدودة ، وسارت في هذا المجال شوطا بعيدا ، دون ان تردم حتى الان بشكل كامل الفجوة التي فتحتها السياسة الخروتشوفية خلال عدة سنوات .

ولنعد الان الى انصار استبدال السلاح السوفيتي بسلاح اخر . انهم يعرفون ان السلاح الاول المؤهل ليحل محل السلاح السوفيتي هو السلاح الامريكي . ولكن موقف الولايات المتحدة صريح واضح منسجم مع سياستها العامة واستراتيجيتها في المنطقة ، فهي تدعم اسرائيل الى ابعد مدى ، وتصر على تحقيق تفوقها المستمر على العرب ، وترفض بالتالي مجرد التفكير بتسليح الدول العربية ، باستثناء بعض الدول (الاردن ، السعودية) ، التي حصلت بعد حرب حزيران ١٩٦٧ على عدد من الاسلحة الامريكية لا لتعزيز القوة العربية في مجابهة اسرائيل بل لتنفيذ اهداف محلية اخرى . والبدائل الممكنة بعد الولايات المتحدة هي الصين الشعبية والدول الغربية .

ان الصين الشعبية دولة تقدمية كبيرة ، تؤيد حركات التحرر الوطني ، وتقف في المعسكر المعادي للامبريالية ، لذا فان حصول العرب على السلاح الصيني لا يتناقض مع واقع الصراع وملايساته وحقيقة القوى المشتبكة فيه بصورة مباشرة أو غير مباشرة . بيد ان صناعة الصين الحربية لم تصل رغم تقدمها المستمر السريع الى مستوى مجابهة الاسلحة الامريكية في حرب تقليدية . وتستطيع الاسلحة الصينية تعزيز القوة الحربية العربية الى مدى يمكنها من المجابهة لو ان التخطيط العربي يتجه نحو تسليح الجماهير لخوض حرب شعبية طويلة الامد تعتمد على السلاح الحربي والسلاح الايديولوجي . ولكن هذه مسألة لا يمكن ان تخطر على بال اصحاب فكرة استبدال السلاح السوفيتي لانها مرتبطة في الاصل بضرورة تبديل بنية النظام السياسي وبنية قوته المسلحة وتشويرهما قبل البدء بتحسين نوعية السلاح . ولو افترضنا جدلا ان الصين صنعت — اليوم او غدا — سلاحا متطورا قادرا على مجابهة السلاح الامريكي في حرب تقليدية، فان المسألة كلها ستعود بشكل او باخر الى السؤالين التاليين : هل سيستطيع اصحاب فكرة الاستبدال الانسجام مع الخط الصيني وهم الذين اصطدموا مع الخط السوفيتي لاسباب ايديولوجية . ام ان الصدام مع الخط الصيني سيكون مماثلا للصدام مع الخط السوفيتي ان لم يكن اشد حدة ؟ وهل تتضمن استراتيجية الصين الشعبية اصلا احتمال مجابهة مباشرة مع الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، وهل تملك بكين الاداة اللازمة والمرتزمات الضرورية للمجابهة في هذه البقعة من العالم ؟

ويتمثل البديل الثاني بعد الصين الشعبية في الدول الغربية المتقدمة . ولكن العودة الى التفكير بهذه الدول كمصدر للسلاح اللازم لمجابهة اسرائيل يعني العودة بشكل او باخر الى الخطأ السياسي — الاستراتيجي الذي وقع به العرب منذ بداية الصراع . لان تعديل مواقف الدول الغربية من اسرائيل وخاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لم يبدل طبيعة هذه الدول الامبريالية تبديلا جذريا ، ولم يقلب سياستها رأسا على عقب ، ولم يحولها من دول معادية لحركات التحرر الى دول تدعم حركات التحرر وتؤيدها . بيد ان الحقيقة العلمية تفرض علينا ان لا نتحدث عن أوروبا كلها كجسم واحد ، وأن ننظر الى كل دولة اوروبية على حدة ، مع تبيان التمايز الاكيد في مواقفها وسياساتها ذلك التمايز الناجم عن التناقض داخل المعسكر الامبريالي نفسه . وسيتنصر حديثنا هنا على ثلاث دول اوروبية متقدمة فقط هي انكلترا وفرنسا وايطاليا ، وسنسقط الدول الاوروبية الاخرى من البحث لعدم وجود صناعة حربية قوية فيها ، كما سنسقط المانيا الغربية رغم تطورها التكنولوجي نظرا لتبعيتها الكلية للولايات المتحدة في مجال التسليح . ولن نتطرق الى الحديث عن سويسرا نظرا لانها امتازت بصنع الاسلحة الخفيفة التي لا تستطيع — رغم اهميتها — قلب موازين القوى بشكل فعال .

بريطانيا : في آب ١٩٧٢ ، وبعد خروج الخبراء السوفيت من ج.م.ع. ذكرت وكالات الانباء العالمية ان القاهرة تسعى لشراء اسلحة ومعدات بريطانية ، وكان الرئيس السادات قد اشار الى ذلك قبل عدة اشهر . واكد جوزيف غودبر وزير الدولة البريطاني النبا في ١٨ نيسان من العام نفسه في كلمة القاها امام الجمعية العربية — البريطانية قال فيها بأن بلاده مستعدة للنظر « بعطف » الى كل طلب جديد للسلاح من الدول العربية (النهار ١٩٧٢/٨/٢) وعندما زار الفريق اول محمد صادق وزير الحربية المصرية اسبق الكويت والسعودية تطرق الى بحث مسألة شراء طائرات لايتنغ البريطانية (الانوار ٧٢/٨/٢٢) ، وبعد زيارة وزير الخارجية المصري محمد حسن الزيات للندن في نطاق الحملة الدبلوماسية لكسب الاصدقاء ظهرت ابناء تؤكد بان مصر تنوي شراء صواريخ ارض — جو من طراز رايبير قيمتها ٥٩ مليون دولار من شركة « بريتش اير كرافت كوربوريشن » بالاضافة الى الدبابات تشفتين والطائرة الفرنسية — الانكليزية

جاغوار (نشرتا رصد اذاعة اسرائيل بالعبرية رقم ٤٤ و ٥٩) . ثم أيد الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية في تشرين الثاني امكانية احتمال بيع اسلحة بريطانية لمصر ، وذكرت الاكسبرس والديلي ميل رغبة مصر في شراء اسلحة بريطانية باكثر من ١٠٠ مليون جنيه استرليني دون أن تحدد انواع هذه الاسلحة ، وهل تشمل الدبابة تشفتين والطائرة جاغوار والصاروخ رايبير ام انها تقتصر على الدبابة سكوربيون والطائرة لايتنغ والصاروخ ارض - جو ماتيور .

ويمكن ، بعد تحليل كل هذه المعلومات ، ان نقول بأن العملية كلها غير جادة ولا تخرج بمضمونها عن عمليات التسليح في مرحلة ٤٨ - ٥٦ . لان الطائرة لايتنغ والدبابة سكوربيون والصاروخ ارض - جو ماتيور اقل تطورا من السلاح الامريكى الحديث . أما الاسلحة المتطورة الحديثة فلا يمكن الحصول عليها في الوقت الحاضر نظرا لان المصانع البريطانية ستقدم الى ايران فائض انتاجها من الدبابة تشفتين خلال عدة سنوات . والطائرة جاغوار لم تنتج على نطاق واسع ولا تزال في مرحلتها التجريبية . اما الصاروخ رايبير فهو عاجز عن مجابهة اجهزة التشويش الأليكترونى الحديثة . وبالإضافة الى كل هذه التحديدات التكنولوجية والصناعية فان هناك مسألة مبدئية بالغة الاهمية هي ان الموقف البريطاني من مسألة الصراع يتمثل في قول جوزيف غودبر امام الجمعية العربية - البريطانية بان بلاده مستعدة لبحث مسألة تقديم السلاح الى العرب « شريطة الا تؤدي الاسلحة الى تبديل ميزان القوى في الشرق الاوسط » (النهار تشرين الاول ١٩٧٢ / ٨ / ٢) وفي تصريح الناطق بلسان وزارة الخارجية البريطانية الذي قال في ١١ تشرين الاول ١٩٧٢ « ان سياسة بريطانيا لم تتغير ، وهي لا تقرض حظرا على الاسلحة ، ولكنها لا ترسل الى النطقة اسلحة تخل بميزان القوى » (ملحق نشره رصد اذاعة اسرائيل بالعبرية رقم ٩٢) . اذن ماذا تستفيد الدول العربية من شراء هذه الاسلحة حتى ولو كانت متطورة ذات قدرات قتالية ونارية عالية اذا كان الشرط الاول للحصول عليها هو عدم قلب موازين القوى اي عدم الوصول بالسلاح العربي الى « الحجم الهجومي » اللازم لاي هجوم عربي يستهدف التحرير او ازالة آثار العدوان على الاقل !!

فرنسا : لقد أخذت فرنسا منذ حرب حزيران ١٩٦٧ موقفا متميزا عن الموقف الامريكى بالنسبة للصراع العربي - الاسرائيلي . ومن المؤكد ان مصالح فرنسا وارتباطاتها الثقافية والاقتصادية مع العالم العربي تجعل سياستها متناقضة مع السياسة الامريكىة بشكل يفيد العرب ويدعم مواقفهم ، وهذا امر ايجابي لا يمكن تجاهله على صعيد السياسة . أما على الصعيد العسكري (التسليحي) فان الموقف الفرنسي يتمثل في « حظر بيع الاسلحة لدول الشرق الاوسط المشتبكة في النزاع » . وهذا يعني عدم القدرة على الافادة من السلاح الفرنسي لقلب ميزان القوى . وقد تفكر الحكومة الفرنسية في المستقبل برفع هذا الحظر ، ولكنها ستجد عندئذ معارضة قوية من العناصر الصهيونية المتغلطة في اجهزة الاعلام واجهزة الدولة نفسها (قضية غبريال اراندا والتهديد بكشف ١٣٦ وثيقة تثير فضيحة هائلة اذا لم تبدل الحكومة الفرنسية سياستها بالنسبة لتزويد ليبيا بطائرات الميراج) . واذا استثنينا لبنان الذي يلقى من فرنسا اسلحة محدودة لا تؤثر على موازين القوى العامة ، واستثنينا تونس ومراكش البعيدة حتى الان عن جبهات المجابهة ، وجدنا ان ليبيا هي البلد العربي الوحيد الذي يلقى اسلحة فرنسية يمكن ان تؤثر على موازين القوى وخاصة بعد ظهور دولة الاتحاد الثلاثي ، والسير بخطى حثيثة على سبيل توحيد ج . م . ع . وليبيا .

ففي عام ١٩٦٩ اشترت ليبيا من فرنسا ١١٠ طائرات ميراج - ٥ ، ثم حاولت الحصول على دبابات آ . ام اكس - ٣٠ ومعدات حربية اخرى خلال زيارة رئيس الوزراء الليبي عبد السلام جلود الى فرنسا في تشرين الثاني ١٩٧٢ . ولكن ما هو الاثر العملي لكل هذا ؟

ان الطلبات الجديدة لم تلب بعد ، ولم تتأكد امكانية تلبيتها في المستقبل القريب ، كما ان ليبيا لم تستلم من طائرات الميراج المشتراة سوى حوالي ٥ طائرة ، وستستلم الباقي بمعدل ١٦ طائرة كل عام (اي خلال ٤ اعوام) . ومن المتوقع ان تتعرض الصفقة كلها، والصفقات الجديدة المحتملة لتعقيدات قد تؤدي الى ايقافها عندما يتحقق الاتحاد المصري — الليبي في هذا العام لان ذلك يجعل ليبيا جزءاً من دول المواجهة التي ينطبق عليها نظام الحظر ، بالإضافة الى التعقيدات التي ستتعرض لها الصفقة اذا ما نقلت الطائرات الى ج.م.ع. قبل تحقيق الاتحاد نظراً لان في ذلك مخالفة للشرط الفرنسي القائل بـ « أن فرنسا مستعلقة الصفقة اذا وجدت ان الطائرات تذهب الى بلد ثالث في خط المواجهة الامامي مع اسرائيل » .

إيطاليا : تأتي ايطاليا بعد انكترا وفرنسا في مضمار القدرة على تسليح القوات العربية ، نظرا لانها اضعف منهما في مجال تكنولوجيا التسليح ، واشد منهما ارتباطا بالسياسة الامريكية في الشرق الاوسط . لذا فان قدرتها على تقديم اسلحة متطورة تقلب موازين القوى قدرة معدومة تقريبا ، وهي مستعدة — كما نقلت وكالة الصحافة الفرنسية في آب ١٩٧٢ — لان تقدم لليبيا عربات مصفحة من طراز م — ١١٣ ، ودبابات امريكية قديمة ، وطائرات هليكوبتر ، ولكنها غير مستعدة لتقديم دبابات ليوبارد .

والخلاصة : ان العودة الى التفكير بالحصول على السلاح من الدول الغربية بغية الصراع ضد اسرائيل عمل اعرج يتناقض مع الفهم الحقيقي لاستراتيجية الغرب ودور اسرائيل في هذه الاستراتيجية وهو يعود بنا الى مناهات ما قبل مرحلة كسر حصار السلاح . والمصدر الوحيد المؤهل لتقديم الاسلحة للدول العربية بغية متابعة نضالها التحرري الوطني هو الصناعة المحلية والدول المعادية للامبريالية والمؤيدة لنضال الشعوب من اجل التحرر الوطني ، اي الاتحاد السوفيتي والصين ودول اوروبا الشرقية . واذا كان السلاح الحربي (المادي) المستورد من الدول الاشتراكية معرضا للخضوع لتحديدات استراتيجية هذه الدول ولفهمها لطبيعة الصراع العربي — الاسرائيلي وحجمه واهدافه ، فان السلاح الايديولوجي (المعنوي) لا ينبع الا من ارض العرب ، ولا يخضع الا لارادتهم ، ولا يمكن للقوى الخارجية التأثير عليه والحد من اندفاعه وتصاعد زخمه الا بشكل جد محدود .

ان معركة التحرير بحاجة لقلب موازين القوى ، وخلق القوة الهجومية بشقيها المادي والمعنوي . واذا كان التأثير الخارجي على الشق المادي ممكنا فان هذا التأثير على الشق المعنوي شبه مستحيل . وعندما يتم الحصول على **الحد الاقصى الممكن** من الشق المادي ، **والحد الاقصى الواجب** من الشق المعنوي تصبح القوة الهجومية في وضع يؤهلها لشن حرب تحرير شعبية — ثورية . وهنا لا بد لنا من ان نكرر حقيقة اكدناها اكثر من مرة ، وهي انه ينبغي عدم التحدث عن حرب شعبية — ثورية الا بوجود أداة هذه الحرب المتمثلة بجيش شعبي — ثوري . وان الشرط الاول لوجود هذا الجيش هو وجود نظام شعبي — ثوري . وكل حديث عن الحرب الشعبية — الثورية وجيشها دون ربط ذلك بوجود النظام الشعبي — الثوري عبارة عن فسيفساء لفظية لا تصمد لحظة واحدة امام حقائق المعركة وتحدياتها .

القبة والنبي

غسان كنفاني

نشر شؤون فلسطينية هذه المسرحية التي لم تنشر حتى الآن والتي كان الشهيد غسان كنفاني قد كتبها في مطلع العام ١٩٦٧ .

ملاحظات المؤلف :

ترك هذه المسرحية للمخرج حرية مطلقة في التصرف ، والملاحظات التالية ينبغي ان تحل على محمل الاقتراحات ، بما في ذلك دمج الفصول الثلاثة في فصل واحد .

١ - المسرح : طاولتان متشابهتان يفصل بينهما حاجز حديدي يوحي بتقص الاتهام ، على انه ينبغي ان لا يكون هذا الحاجز بارزا بطريقة تجتذب النظر للتركيز عليه .

القص هذا مكون من ضلعين ، الضلع الذي يفصل بين الطاولتين ، والضلع الذي يفصل بين طاولة المتهم والجمهور ، وهذا الضلع بالذات قابل للحركة ، بحيث يدور على مفصله المربوط الى الضلع الاخر بسهولة ، وبوسع حركة من هذا النوع ، ببساطة ، ان تجعل طاولة المحكمة وكأنها داخل القيص والطاولة الاخرى (طاولة المتهم) طليقة .

نصف المسرح الذي تشغله طاولة المحكمة يوحي بالجدية والعراء ، لا ديكور ولا اي شيء يوحي بميزات خاصة . الطاولة عارية وفي احد دروجها يوجد حبل .

نصف المسرح الاخر ، الذي تشغله طاولة المتهم ، له شخصية المنزل الخواضع ، في صدره باب يفتح على شرفة هي في الوقت ذاته المدخل الى « المنزل » - حاجز الشرفة يبدو بوضوح للمشاهد حين يفتح الباب .

٢ - الاشخاص : المتهم شاب في ملابس عادية . يكون في معظم المسرحية دون قميص ، ويبدو بقميصه الداخلي طبيعيا للغاية .

رقم ١ ورقم ٢ شخصان متشابهان ، اثنيان دون افراط ، ودون ما يوحي بالرسمية . صوتاهما - بصفة عامة - حياديان وميالان للتقريرية .

السيدة : شابة جميلة وانيقة ووالدتها ببهجة قليلا ومتصابية وذات مظهر عدواني الى حد ما .

ساعي البريد يلبس ملابس عادية ويتميز بقبة رسمية فقط ، ولا يحمل حقيبة ، وشديد الفضول .

٣ - الشيء : محور أساسي ، ولذلك فتصميمه ينبغي ان يخضع لشروط لا مفر منها اولها ان لا يكون ، بأي حال من الاحوال ، معدنيا ، والا يمت باية صلة لشكل يشبه الانسان او الحيوان او النباتات الشائع . لونه اسود وبالوسع ادخال اللون البنفسجي . ذو مظهر اقرب للقماش او المطاط وتكوينه يتميز بفروع مثل اوراق الشجر العريضة فوق قبة - سوف يستعمل فيما بعد كقبة مبتكرة - اما تحريكه

قائمة رسائل عديدة لذلك ، أبسطها كما يبدو أن يحرك عبر ثقب في الطاولة التي لن يبرحها تدخل منياد لرجل يجلس تحتها ولا يظهر على الإطلاق ، أما الفروع فيمكن أن يعهد في تحريكها على اهتزاز لنوابض تكون داخلها .

وفي كل الحالات : لا ينبغي أن يوحي « الشيء » بأي علاقة مع أي تكوين شائع ، كما لا ينبغي أن يوحي بأي شيء فكاهي أو مضحك .

وبالنسبة لصوته فإن اقرب التصورات هو أن « ينطق » بواسطة مسجل . الصوت ينبغي أن يكون واضحاً للغاية ولكنه غير طبيعي تماماً ، بوسع الرجل الذي سيتولى تحريك الشيء الاشراف على المسجل أيضاً .

الشرطي : استعملت هذه الكلمة في وصف الرجل الذي سيكون عليه ، دون النطق بكلمة واحدة ، تحريك الحاجز بين الفينة والأخرى . لا ملابس رسمية ولكن صرامة الرجل الرسمى المكثف . ولا تعاطف ، وغالباً لا يلتفت نظر أي من اشخاص المسرحية ولا يقاطع احداثها وحوار ابطالها . من الافضل ان يجلس هذا « الشرطي » في مقاعد المتفرجين الاولى ويتحرك منها الى المسرح ويعود اليها ، وكذلك فإن وجوده على طرف المسرح الاقصى ، الاقرب للجمهور ، ممكن بشرط الا يلتفت وجوده نظر احد الا حين يتحرك . ينبغي ان ينسى تماماً حين لا يكون ثمة ما يفعله ، ولكنه ابدأ لا يدخل او يخرج من الكواليس .

الضوء : سيزايد دور الضوء باطراد كلما اقتربت المسرحية من نهايتها ، ولا ضرورة هنا للملاحظات اكثر من تلك التي سترد في السياق فيما عدا الاشارة الى ان تركيز الضوء على احد نصفي المسرح ينبغي الا يخفي تماماً النصف الاخر ، ومن الضروري ان تظل اشكال الاشخاص في النصف المعتم (سيلويت) واضحة الى حد ما .

*

على ان تصرف مخرج يلتقط المعنى الاساسي للمسرحية يظل من شأنه اغناء المسرحية .
(غ . ك .)

أشخاص المسرحية

المتهم . الشيء . السيدة . والمدة السيدة . رقم ١ . رقم ٢ .
(شرطي) . ساعي بريد .

المشهد الاول

رقم ١ : (وكأنه يكمل حديثاً) اما وقد انتهينا من المحاكمة فسأصدر الحكم الان . قف كي تسمعه كما ينبغي .

المتهم : (دون اهتمام ولكن بقليل من الدهشة) تصدر حكمك ؟ انتهينا من المحاكمة ؟ (يقف) ولكننا يا سيدي لم نبدأ بعد !

رقم ١ : (مخاطباً رقم ٢) اسمعت ما قال ؟ يقول اننا لم نبدأ بعد .

رقم ٢ : لنتته من الموضوع بسرعة . دعنا ننتهه هنا والان . . اليس هذا هو الحكم الذي اتفقنا عليه ؟ (يخرج من درج الطاولة حبلاً ويضعه على الطاولة) .

المتهم : (يدور حول الطاولة ويمسك الحاجز بكلتا كفيه) أيها السادة دعوني أذكركم بأننا

لم نبدأ ! لقد قبض علي امس فقط ولم يقابلني احد طوال الليل ثم جيء بي الى هنا ،
وكنت أعتقد أننا أننا نجتمع للتعارف .

رقم ١ : ايها القاتل .

رقم ٢ : قاتل وفتح ايضا .

رقم ١ : قاتل رهيب (مشيرا الى الشيء الاسود امامه) والجثة ما تزال امامه وقد بدأ
ينكر حتى قبل ان ندفنها .

رقم ٢ : .. حتى قبل ان يجف دمها ..

المتهم : دمها ؟

رقم ١ : لننسى موضوع الدم (ملتفتا الى رقم ٢) الحقيقة انه لا يوجد دم .

رقم ٢ : قتلها خنقا .

المتهم : خنقا ؟ انه شيء لا يستعمل الهواء .

رقم ١ : قتلته .. وهذا يكفي .

المتهم : قتلته ام قتلتها ؟ يا سيدي! انا اقبل حكمكم لو تقرر ان اذا كان هذا الشيء هو
او هي .

رقم ١ : هذه مسألة لا تخص القانون . لا تخرجنا عن الموضوع . لقد ارتكبت جريمة
قتل وهذا يكفي .

المتهم : قتل من ؟

رقم ١ : قتل هذا (مشيرا الى الشيء الاسود) .

المتهم : انظر كيف تتهرب من الموضوع ! . انني اسالك (يعلو صوته ويأخذ حالة الهجوم)
هل تسمع ؟ انني اسالك : ما هو هذا الذي قتلته .

[يتقدم « الشرطي » بهدوء ويحرك ضلع الحاجز المواجه للجمهور
وينقله على محوره الى الجهة المقابلة فيبدو القاضيان الان في القفص
والمتهم دونه]

رقم ١ : (مخاطبا رقم ٢) قل له ما هو هذا .

رقم ٢ : قل له أنت .

المتهم : انه شيء لا يوجد فيه دم . لا يتنفس . لا يأكل . ليس من المعروف اذا كان ذكرا
ام انثى .. لقد تفحصته بنفسي ، ليس فيه شيء يمكن ان نسميه عضوا تناسليا ..
فكيف يمكن قتله ؟

رقم ١ : ولكنه كان يحكي يا سيدي .

رقم ٢ : وكان يشرب ايضا .

المتهم : ان الاسطوانة تحكي ، وشجرة الصبار تشرب — هذا لا يكفي .. هل لديكم
اثباتات اخرى ؟

رقم ١ : في الواقع لا .. ولكن هذا لا ينهي الموضوع . قد يكون مخلوقا عجيبا .. وعلى
اي حال أنت قتلته وقد قلت ذلك بنفسك للسيدة .

المتهم : هل ادعى احد علي ؟

رقم ٢ : ليس حتى الان .. ولكن معلوماتنا تقول ان له أخوا جاء معه ثم اختفى ، وقسد
بظهر يا سيدي في أية لحظة وبطالب بدم اخيه ..

المتهم : لا يوجد دم .

رقم ٢ : يطالب بحياته اذن .

المتهم : ان الذي لا يأكل ولا يتنفس ولا يضاجع امرأة لا يمكن ان يكون شيئا حيا .

رقم ٢ : يطالب به .

المتهم : يطالب به او بها ؟

رقم ١ : الواقع يا سيدي ان الموضوع موضوع اخلاقي في الدرجة الاولى ، لنفترض ان أخاه جاء ذات يوم وطالب به .. فماذا تقول له ؟
رقم ٢ : نعم ، ماذا تقول له ؟ انها مسألة لا تهم هذا الوطن فقط ولكنها تهم العالم بأسره .
رقم ١ : تهم الكون كله في الواقع .
رقم ٢ : (ينظر بحسرة الى الشيء الاسود) لقد جاء المسكين من كوكب اخر فقتلته انت! المتهم : (يبكي) انا اكثر حزنا عليه منكم !

[يتقدم الشرطي فينقل الحاجز فيصبح المتهم في القفص من جديد]

رقم ١ : [بصوت عال] اذن لماذا قتلته ايها المجرم ؟
رقم ٢ : ايها المجرم .
المتهم : لقد مات وحده .
رقم ١ : ولكن انت السبب في ذلك .. اعترف .
رقم ٢ : اعترف فوراً [يرمق الحبل ويلوح به]
المتهم : انني ارفض هذه المحاكمة ... صحيح انني حزين [يبكي] ولكن هذا لا يعني انني القاتل .. [ينتعش] ثم من هذا الذي قتل لا ما هو اسمه او اسمها ؟ كيف قتل ؟ تصوروا لو انكما قررتما قتل كل حزين في هذا العالم .. لن يبقى غيركما . ثم ستحزنان انكما لانكما ستكونان عندئذ وحدهما ، وسيقتل احدكما الاخر .
رقم ١ : هذا صحيح .. ولكن امامنا جريمة ويجب ان تنتهي منها .. ان القوانين قادرة على تغطية كل شيء ..
المتهم : ولكنكما لم تنظرا في القضية .. لم تسمعا الشهود .. لم تتركانني اذ ادافع عن نفسي ..

رقم ١ : ان الجريمة واضحة ليست بحاجة الى اضاءة الوقت .. لم يعرف هذا الشيء أحد غيرك .. فمن اذن يقتله ؟ كيف يمكن ان يقتل انسان ما شخصاً لا يعرفه ؟
رقم ٢ : [المتهم] لقد اخرجك هذه المرة ووضعك في الزاوية .. لماذا لا تجيب ؟
المتهم : اتنا في الواقع نقتل الذين لا نعرفهم .
رقم ١ : [يقهقه] لقد اوقعناك في الفخ ايها القاتل .. لقد ضحكنا عليك وسحبنا منك الاعتراف الكامل ربما لانك غير خبير في هذا الموضوع ، فهذه اول جريمة ترتكبها في حياتك وانت لم تكن قاضياً في حياتك ولا مرة واحدة .. وهكذا استطعنا استدراجك بسهولة ... كنت تقول قبل قليل انك لا تعرف هذا الشيء . لا تعرف اسمه ولا اذا كان شخصاً او شيئاً ولا من هو ، ولا اذا كان ذكراً ام انثى ، اي انك لم تكن تعرفه .. ولذلك بالذات قتلته .

رقم ٢ : [مبتسماً] ذلك لاننا — كما قلت انت بنفسك — انما نقتل الذين لا نعرفهم .

رقم ١ : ان القانون ضدك . يجب ان تعترف بذلك .

المتهم : اعترف .. ولكن يجب ان تستمعا الي ..

رقم ١ : باسم اي شيء يجب ان نستمع اليك ؟ باسم القانون ؟

المتهم : لا .. باسم الفضول ايها السادة . [يقوم من مكانه ويتجه الى الحاجز] .

رقم ١ : الفضول ؟

رقم ٢ : (ينظر بتواطؤ الى رقم ١) ان وجهة نظره صحيحة ... باسم الفضول .

رقم ١ : انني اذن اسمح لك بالكلام باسم الفضول ... ولكنني سأثبتهك مسبقاً الى ان هذا لن يغير شيئاً من الحكم .. ان الفضول شيء رائع ولكنه غير قانوني .

[يعود المتهم الى مقعده ببطء ، وفي اللحظة ذاتها تصعد « السيدة »

درج الشرفة وتبدو عبر الباب المفتوح متجهة نحو المتهم الذي يصل

الى كرسيه ويجلس عليه باسترخاء — يخفت الضوء الوجهه على

القاضيين حتى يبدوا شبحين غامضين — تدخل السيدة ، بشيء من الغضب] .

السيدة : [ترمي حقيبة يدها على الطاولة وكذلك تفضاها وتبدأ بالمشي عبر الغرفة بغضب ، ثم تقف وتظر نحوه] : يبدو ان علينا ان نستسلم أخيراً . وذلك بسبب جبنك وجبنني معا . فدعنا نسوي المسألة بهدوء .

المتهم : اية مسألة ؟ مسألة الجنين ؟ مسألة الدين ؟ مسألة المال ؟ مسألة امك ؟
السيدة : كل هذه المسائل .

المتهم : انبدأ بمسألة الجنين . يجب ان يموت بالطبع .

السيدة : نقتله بالمناسبة : مئة ليرة منك ومئة مني .

المتهم : ليس لدي مئة قرش اشتري بها رغيفا ..

السيدة : والحل ؟

المتهم : اتذف بك عن الدرج ، او نتزوج .

السيدة : الزواج مستحيل .. لان ..

المتهم : لانني لا استطيع ان اعيل قطة ، ولانني لا اريد ان استبدل ديانتني كما تستبدلين معطفك ، ولان الحب وحده لا يستطيع مهما بلغت حرارته ان يخبز رغيفا .. ان امك رائعة في اكتشاف النواقص .

السيدة : انت في كل مرة تقول هذه الاشياء ذاتها .

المتهم : انت في كل مرة تقولين هذه الاشياء ذاتها .

السيدة : [بلطف مفتعل] قل شيئاً جديداً هذه المرة فقط يا حبيبي ..

المتهم : [يرق] لنتزوج ! سأخطفك ونطير ويرضخ الجميع .. ان العالم واسع ومليء بالفرص .

السيدة : مليء بالفرص ! هل تستطيع ان تقول لي ما الذي قضى عليك الا هذا الهراء ؟ انت تنتظر ان يسقط عليك من السقف عمل مثلما تقدم الكعكة للاطفال .. ان العالم

صغير . انه امي وغرفتك ومئتا ليرة .. هذا هو العالم .

المتهم : انهم يحاولون الهبوط على القمر ايتها الجميلة الغبية .

السيدة : ستكون اكثر سعادة لو استطعت ان تهبط السلم ، وتجرو على المرور من امام دكان اللحام .. لقد سألني عنك الان .

المتهم : واذن ؟

[يضيء النور فجأة نصف الغرفة الاخر حيث يجلس القاضيان . ولكن

السيدة تواصل التصرف وكأنها غير شاعرة بهذا الذي طرأ] .

رقم ١ : قل لي .. هل قتلت الجنين ؟

المتهم : [يلتفت اليه ببرود] كل الذي يهمك هو ان تصطاد لي تهمة جديدة .. لماذا لا تبحث معي عن حل لهذه القصة التعيسة ؟

رقم ٢ : انه في مأزق حقا ، دعنا نرى كيف سيتمص .

رقم ١ : كيف انتهى بك الامر اذن ؟

المتهم : [فيما يتكلم تكون السيدة ، التي تبدو في اللحظة ذاتها تتكلم بغضب ولكن دون صوت تلم حقيبتها وفضاها وتخرج من الغرفة بحيث تختفي وراء حاجز الشرفة في اللحظة التي ينتهي فيها هو من الكلام] لقد تعلقت المشكلة هنا . مثلها كل يوم . غضبت

وصرخت وشتيت وازدادت كراهية لي . حسنا لنقل ان حبها لي تناقص عن ذي قبل ، مثل كل يوم . ايها السادة ، لقد احببتها حقا .. ولكن لم يكن باليد حيلة . اعتقد انها

قصة تحدث كل يوم مع كل شخص .. ولكن هل يعني ذلك انها غير مهمة ؟ انظروا كيف

صارت حالتي ! كنت اشعر انني افقد اخر شيء لي في العالم . . يا الهي كم صرت تعيسا ! [ينظر صوب الباب ، حيث اختفت السيدة] .

رقم ٢ : [مخاطبا رقم ١] ولكن حذرين . . انه يحاول ان يخرجنا عن الموضوع ، انه يستدر دموعنا ليخفي كفيه الملوئين .

رقم ١ : ليستا ملوثين في الحقيقة . تذكر . لا يوجد دم . [متجها الى المتهم] والان . . انس ذلك كله . . نريدك ان تحكي عن الجريمة .

المتهم : [بانكسار] هذه هي الجريمة ايها السادة . . لقد هجرتني السيدة . . هل هناك ما هو اكثر رعبا في حياة انسان كان يخبىء الحب في جيبه كسلاح اخير للدفاع عن نفسه ؟

رقم ١ : للدفاع عن نفسك ضد من ؟ هل كان ثمة من يتهددك ؟
المتهم : كل الناس . كل شيء . صاحب البيت والخباز واللحام والطبيب . الغربة والوحشة والوحدة . المرض والشقاء . الشقاء الذي لا ينتهي وفرص السعادة التي لا نستطيع ان نملأها . العمل والبطالة . الانتظار والوصول . الانكسار . الفشل . طعم الانتصار التافه . القلق . نداء الرحيل الذي لا يستجاب . الخيبة . غياب الشمس وغياب الصديق وغياب الدهشة . الموت . . يا الهي ! ان نراه قريبا الى هذا الحد وان نتظره ليل نهار . .

رقم ١ : [صائحا] كفى ! [يلفتت الى رقم ٢] هل سجلت ما قال ؟

رقم ٢ : سجلته اختصارا . . انه يقصد كل شيء .

رقم ١ : حسنا ، والان اكمل .

المتهم : ان تصحو فتجد انك لم تفعل شيئا وان ليس ثمة ما تستطيع ان تفعله . ان تتذكر فجأة ان لحظة ما في الماضي كانت في وقتها كل شيء بالنسبة لك وانها الان مثل معلبات اللحم المفرغة والمقلوبة على قفاها . . ان . . .

رقم ١ : كفى ! . . انك توشك ان تبكي .

المتهم : حسنا . . هذا كان حالي عشية مقدمه [مشيرا الى الشيء الاسود امامه] .

رقم ١ : لقد بدأت القصة الان ، انتبه .

المتهم : [يتمدد في مقعده ، فيما يغيم الضوء عن طاولة القاضيين] كنت نائما ايها السادة . مثلما تنامون جميعا . لا . مثلما ينام رجل مثلي فقط ، لقد سمعت صوتا ضئيلا على الشرفة فحسبت انني احلم . . ولكن الصوت تكرر . كان مثل استغاثة صغيرة مجهولة . . ترددت كثيرا ، ثم قمت . .

[يقوم ببطء ، يشعل ضوءا اضافيا ويتجه نحو باب الشرفة — المدخل ينظر الى الخارج بحذر . ثم يهزم بالعودة ولكنه يقف منصتا بانتباه شديد — نصف متشنج . حركة مجهولة صغيرة تسمع في الخارج . يعود ببطء ويختفي وراء الباب ، وبعد لحظة يعود . ذراعا في حركة من يحمل شيئا . يتجه الى الطاولة ويضع « الشيء » الذي يحمله فوق الشيء الاسود الموجود اصلا هناك بحيث يبدو وكأنه وضعه الان . يتفحصه بدقة ويهز رأسه محتارا ، ثم يلتفت الى الناحية التي يجلس فيها القاضيان] .

. . كان منشورا على الحاجز ، كما تقع عليه كل يوم قطعة قماش معلقة على شرفة الجيران . .

[ينتهي من التفحص ويعود بغير اكرات الى مقعده ليسترخي ، وفجأة ينبثق الصوت : رفيعا ومعدينا وباردا . باختصار يوحي بما هو غير انساني ولكن دون عدوانية] .

الشيء : ابعد هذا الشيء عني لاعرف كيف اراك ،
المتهم : [ينتنفض ويبربر يتراجع ، ثم يتقدم بحذر] .
الشيء : قلت لك ابعد هذا الشيء [يتحرك ببطء وكسل] .
المتهم : انت ؟

الشيء : ستقتلني ايها الخائف .. ابعد هذا الشيء .
المتهم : [دون ارادة] ما هو ؟
الشيء : لست ادري ... انني لا استطيع ان اراك .
المتهم : الضوء ؟

الشيء : ليكن له هذا الاسم اذا كان ينهي المشكلة .
المتهم : [يتجه الى الضوء الاضافي ليطفئه ولكنه يتوقف فجأة في نصف الطريق — ينظر حوالية ثم يخلع قميصه بسرعة ويرتد نحو «الشيء» ويغطيه بالقميص وينهال عليه لكما فيما ينظر حوالية مفتشا عن اداة اكثر فتكا .. مصدرا اصواتا غاضبة وغامضة] .

[تضيء طاولة المحكمة فجأة .. ويقف رقم ١ منحنيا فوق الطاولة ويصرخ] .

رقم ١ : تكاد تقتله ايها المجرم ! كف عن ضربه ! الاتسمع ؟ اني آمرك باسم القانون ان تتوقف .
رقم ٢ : [بهذوع] والا انزلنا بك اقصى العقوبات .
رقم ١ : انني آمرك ان تكف عن لكمة .

[يتوقف المتهم عن ضرب «الشيء» ولكنه يواصل الامساك به باحكام . ويلتفت صوب المحكمة] .

المتهم : اتعتقد انني انا الذي اضربه ايها القاضي ؟
رقم ١ : [يعود فيجلس] لقد رأيتك بعيني تفعل ذلك .. وها انتذا تنكر بكل صفاتة [ملتفتا الى رقم ٢] . ألم نره باعيننا يضرب ذلك الشيء المسكين دون سبب ؟
المتهم : من هنا يبدأ الخطأ .. اجل ! انظروا كيف تتبدل الامور ويتهم البريء ! ايها السادة ! لم اكن انا الذي ضربته !

رقم ١ : [متيحكا] من الذي كان يضربه اذن ؟
المتهم : انتم ! [صارخا] انتم جميعا ايها القتلة !

[يتقدم الشرطي فيدير الحاجز الحديدي المواجه للجمهور ، يقوم بهذه الحركة دون ان ينظر اليه احد ودون ان يتوقف سياق الحوار . يصير القاضيان الان داخل القفص وتتبدل بالتالي لهجات الحوار] .

المتهم : انتم ! اجل ! انتم الذين ضربتموه ذلك الضرب المبرح .. ثم تقولون انني انا الذي فعلت !

رقم ١ : اننا لم نفعل يا سيدي ! نقسم لك اغلظ الايمان اننا لم نفعل .. وثمة شهود راوك تضربه بلا شفقة ..

المتهم : ان الانتكار لن ينفعكم .. وثمة براهين قاطعة لا يحصيها العد ، والافضل ان تعترفوا ..

رقم ٢ : نعترف بماذا ؟

المتهم : بأنكم ضربتم المسكين دون رحمة ودون سبب ، وباداتموه بالعدوان قبل ان تظهر حقيقة نواياه .

رقم ٢ : ولكن انت الذي ضربته .. انظر الى كفيك .. اتهما حمراوان ما زالتا !
المتهم : [يرفع كفا واحدة عن الشيء وينظر اليها ثم يلوح بها في وجهي القاضيين]

ايها المحتالون ! هذه اليد لم تكن الا اداة الجريمة ولكنها ليست هي الجريمة . انها علامة فقط . ولكن من الذي ضرب المسكين ؟ انتم بالطبع ! الا تتذكرون كم وضعتم في رأسي ، يوما اثر يوم ، ان الذي يأتي من الخارج انما يأتي بحافز الشر ؟ تذكروا ..
رقم ١ : نتذكر ماذا يا سيدي ؟

المتهم : تذكروا انكم حشوتم رأسي كل لحظة بان اي شيء قادم من المجهول انما يحمل نوايا الشر معه ، وان القادمين لا بد ان يكونوا وحوشا . لم تتحدثوا ابدا عن علاقة .. تحدثتم دائما عن الغزو والقبر والمجهول المرعب الفتاك .. لم تقولوا ابدا ان المجهول قد يكون شيئا طيبا مسكينا يمد يده دون سلاح .. لقد حشوتوموني بالرعب وبرغبة شريرة اسمها الدفاع عن النفس ، لذلك لانكم انتم انفسكم اشرار .
رقم ١ : لقد قلنا ذلك من باب الاحتياط فقط يا سيدي .

المتهم : .. وانظر اين وصل الامر بنا ! لقد كاد احتياطكم هذا يقضي على هذا الشيء المسكين ... وكاد يؤدي الى اتهامي انا بالجريمة ..
رقم ١ : ولكنك كنت تضربه .. رأينا ذلك بأعيننا . ان الامور شديدة الموضوح ايها السيد .

رقم ٢ : والقانون ايضا .

رقم ١ : بل أنت كنت تضربه بدافع من الخيبة . كنت انسانا مهجورا . لم تكن تستطيع ان تضرب اللحم ولا صاحب البيت ولا السيدة المسكينة التي لا تعرف حتى الان ماذا فعلت بالجنيين الحرام الذي وضعته أنت في رحبها [يعلو صوته . الشرطي يدور الحاجز مرة أخرى فيعود المتهم الى قفصه] بل أنت لم تكن لتستطيع ان تفعل شيئا بما يختص بالامور المعنوية ايضا . الغربة والخبية وما شابه ذلك ، وقد ادى بك الامر الى مرارة مجنونة جعلتك تنهال على ذلك « الشيء » المسكين الطيب ضربا ولكما وركلا دونما سبب .
رقم ٢ : بل كدت تميته قبل الاوان المخصص لذلك .

« الشيء » : [يصيح بصوت مكتوم من تحت القميص فيما يقيم الضوء بالتدرج عن قاعة المحكمة] ان ذلك أفضل .. أستطيع الان ان أرى كما ينبغي .. ولكن ما الذي تفعله أنت ؟

المتهم : انني اضربك .

الشيء : كف عن هذه الحماسة ودعنا نتصرف مثلما يجب ..

المتهم : [يضربه مرة أخرى] ألا تتألم ؟

الشيء : كلا بالطبع .

المتهم : وترى جيدا في الظلمة ؟

الشيء : أرى جيدا كما أنا الآن ... لو رفعت هذا الشيء عني وأبعدت ما اتفقتنا على أن أسمه ضوء .

المتهم : [يرفع قميصه عن الشيء ببطء وقليل من الخوف ، يذهب فيطفيء الضوء الاضائي ويعود متوجسا] من أنت ؟

الشيء : لنتفق أولا على الا يلحق أحدنا أذى بالآخر .

المتهم : اتفقتنا .

الشيء : لقد احترقت مركبتي .

المتهم : مركبتك ؟

الشيء : كنت قادما للاستطلاع هذه المرة ..

المتهم : وحدك .

الشيء : كان معي رفيق لست ادري ما حل به .

المتهم : هل أرسلت خصيصا لي ؟

الشيء : كلا . قلت لك أن مركبتي احترقت وسقطت عندك . هذا كل ما في الامر .

المتهم : وأنت تستطيع أن تتكلم ؟
 الشيء : أنهم يتكلمون من خلالي معك .
 المتهم : ولن تستطيع أن تعود ؟
 الشيء : علي أن أنتظر ...
 المتهم : يا لحظك التعيس أيها الغريب [يقف . يفكر قليلا] غريب حقا ! لقد جئت عند
 رجل يكاد يموت من الجوع .. والآن سنموت معا .
 الشيء : هل تعني أنه ليس عندك ماء ؟
 المتهم : بلى ! كثير من الماء ولكن قليل من الاكل .
 الشيء : انني أحتاج للماء فقط .
 المتهم : وأنا وحدي ولا أستطيع أن أعنى بك كما يجب .. فأنا لم أتزوج بعد ، ويبدو
 أيها السيد أن المرأة الوحيدة التي كانت ...
 الشيء : امرأة ؟
 المتهم : أجل .. امرأة [مندهشا] ألا تعرف ما هي المرأة ؟
 الشيء : لا .
 المتهم : الجنس الآخر ؟
 الشيء : لا .
 المتهم : كيف تتناسلون إذن ؟
 الشيء : اننا نزرع . اذا أردت رفيقا قطعت جزءا من جسدك ووضعته في الرمل، وسيتم
 ويصير رفيقا ... أو قل بالعدوى .
 المتهم : مثل الشجر ؟
 الشيء : ليكن . مثل الشجر ... ولكن ما هي هذه المرأة ؟ قلت انها جنس آخر .
 المتهم : المرأة ؟ أه ! انها .. أوف ! .. سيبدو صعبا أن أشرح لك . كيف أقول لك ؟ ..
 يا الهي .. انها شيء جميل .
 الشيء : جميل ؟
 المتهم : جميل . همم .. جميل ، وأمر أخرى .
 الشيء : أسمع .. يبدو أننا لن نستطيع التفاهم على أي شيء .
 المتهم : هذا صحيح . الضوء . العتمة . القميص . الضرب . الألم . الاكل . الشرب .
 ثم تأتي المرأة . اننا نتحدث كرجلين في قطارين متعاكسين .
 الشيء : قطار ؟
 المتهم : والقطار ايضا ! .. انني اختنق .. كأن الغرفة أخليت فجأة من الهواء !
 الشيء : الهواء ؟
 المتهم : ان نتنفس ! . ان نتنفس ايها الشجرة !
 الشيء : أسمع ! لنضع حدا لهذه المهزلة .. اننا نحتاج الى تعارف في اول الامر .
 المتهم : ان اسمي ..
 الشيء : دعك من الاسماء .. ألا ترى ان خلافتنا يبدأ منها ؟
 المتهم : صحيح .. اننا على الاقل نستطيع أن نتفاهم على خلافتنا .
 الشيء : سأحكي لك عن عالمي ثم تحكي لي أنت عن عالمك العجيب هذا .
 المتهم : محاولة مسلية . ولكنها مضحكة بعض الشيء . ابدأ أنت . [يسترخي]
 الشيء : ان حياتنا ... نعم . حياتنا ، كنت — كنت أريد أن أقول . على أي حال ، انها
 على ما يرام . فنحن نملك كل شيء . نعم . كل شيء على الاطلاق .
 المتهم : [يضحك بصوت عال] أنك تبدو مضحكا أيها الشيء العجيب .. كيف تجربؤ على
 القول أنكم تملكون كل شيء وقد اكتشفت لتوي انكم لا تملكون المرأة ولا الهواء ولا الاكل
 ولا الضوء . الضوء . يا الهي ! هل فكرت بذلك ؟ الضوء بالذات .

الشيء : كيف يتعين علي أن أبدأ إذن ؟ اننا في موقف حرج ! فكيف أتول لك ما هو عندنا
يجب أن أكون على معرفة بما هو ليس عندكم .

المتهم : أن مهمتنا هنا تشبه ان نبدأ بخلق العالم .

الشيء : لا . ان خلق عالم واحد اسهل بما لا يقارن من خلق عالمين .

المتهم : أنا لا أعرف ما هو ليس عندي . وأخشى أن لا أفيدك . . وانت في حال يماثل
حالي . . فكيف تقول لي مثلا أنك لا تعرف الضوء ينبغي أن تكون في الواقع تعرف الضوء
والا كيف سيخطر على بالك أن تقول هذه الجملة ؟

الشيء : اننا في وضع يائس .

المتهم : أجل .

الشيء : ومع ذلك فان شكك يبدو لي مضحكا للغاية .

المتهم : أستطيع أن أفهم ذلك . فأنت تبدو لي مضحكا الى حد التشنج أيضا . . ومع ذلك
فنحن في الواقع مكونون على نحو منطقي ، فلو كانت أصابع أكتنا ، مثلا ، أطول قليلا
ما هي عليه ، لصار بوسع أي منا أن يقتلع زلعمه بنفسه متى شاء ، أما الآن فهو لا
يستطيع .

الشيء : ينبغي أن تكونوا تعساء حقا حين تعتبرون ذلك انتصارا . . لماذا يريد أي منكم
أن يقتلع زلعمه بنفسه ؟

المتهم : وانتم ؟ الا يرغب واحدكم في الموت من حين لآخر ؟

الشيء : الموت . انها كلمة قديمة أسقطناها من الاستعمال ، مثلها مثل كلمة الالم ،
أجداننا الأبعدون يذكرون ذلك . أما نحن فلا . .

المتهم : أما نحن فنعم .

الشيء : ماذا كنتم تفعلون إذن طوال الوقت الذي مضى ؟ نحن لم نضعه عبثا . ان
الواحد منا لا يمكن أن يموت الا اذا حرم من الماء . والماء متوفر في كل مكان . .
المتهم : انكم تعساء حقا !

الشيء : تعساء لاننا لا نتألم ولا نموت ؟

المتهم : نعم .

الشيء : لا بد أن خطأ ما موجود في عقولكم . او انكم تجيدون الاحتيال بصورة فريدة !

المتهم : ان الشجار لن يجدينا نفعا . . دعنا نتفاهم .

الشيء : حين تحدثت عن الشيء الذي سمينه امرأة . . كان وجهك يشرق بتوهج غريب . .
ان هذا الشيء كما يبدو لي أعلى كنوزكم .

المتهم : أنت لن تستطيع أن تفهم . . كيف ؟ أنت لا تعرف ما هو الجنس الآخر ! بل أنت
لا تستطيع أن تطفئ ضوءا اذا أردت أن تخبئ .

الشيء : أنتم سعداء إذن ؟

المتهم : بالطبع .

الشيء : جدا ؟

المتهم : كفاية ، ولكن بصورة لا تستطيع ادراكها .

[يقف ويبدأ في التجول في الغرفة وكأنسه يحلم فيما يتحدث بصوت

شاعري . وفي الوقت المناسب يبدأ الضوء بالتوهج في غرفة المحكمة

بحيث يكتمل تماما مع نهاية حديثه]

. . وكيف تستطيع أن تفهم ؟ أنك لم تجرب لذة ان تلتصق بدفء المرأة ، عارفين . لا تعرف

تلك الغيبوبة الراجفة كيف تهطل في العروق . . بل لا تعرف لذة ما هو أثقل قيمة من هذا .

ان تفرش نفسك في الشمس ، أن تنتظر الشروق . أن تمطر السماء فوق شعرك . لا

تعرف . لا تعرف لحظة الذروة في اللذة ، لانها مزيج من الالم والسعادة ، كمن يضرب

على قصبة ساقه ، ولكنك لا تعرف الالم . الهواء . الضوء . بل أنت لا تعرف معنى أن تحب وأن تحب . المرأة ، مرة أخرى . أنت محروم من لذة الاكل . من لذة الجوع المتحفز . ماذا أعددت لك ؟ الصداقة . الفرح والحزن . الوصول . الهزيمة والنصر . الخيبة أيضا . الانتصار مهما كان صغيرا . دعني أوجز لك الامر : أن تخرج ذات يوم مع امرأة تحبها وتحبك فتغتسلان بحرارة الشمس وتكلمان وأن تعودا بعد ذلك للفراش فتنجبا الاولاد . الاطفال ! أنت لا تعرف هذه السعادة أيضا . فكيف تريد أن نتفاهم ؟

[تضيء قاعة المحكمة الآن تماما]

رقم ١ : أيها الافاك المخاتل !

رقم ٢ : أيها الكذاب .

رقم ١ : لقد كنت تخدع ذلك الشيء المسكين !

رقم ٢ : قاتل وكذاب أيضا .

رقم ١ : كنت ، وأنت تعدد للمسكين الجاهل كل هذه الامور البراقة ، رجلا مهجورا ، لا صديق له ، يكاد يموت من الجوع ، لا يجرؤ على المرور من أمام دكان اللحم ، منبوذا محطما فائسلا حزينا . . . ثم كنت تخدع المسكين !

رقم ٢ : أغلب الظن انه مات قهرا لان كل تلك السعادة فاتته .

رقم ١ : ربما كان هذا بالذات أداة الجريمة البشعة .

المتهم : يا سيدي . . تصور أن تكون في عالم مثل عالمه . . . الا يذكرك ذلك بشيء في عالمك ؟

رقم ١ : ما الذي تعرفه عن عالمه ايها الدجال ؟

رقم ٢ : لا شيء .

رقم ١ : محتال .

المتهم : انهم لا يعرفون الضوء . . عالم دون شمس . لا يستطيع أحدهم أن يجلس أمام مدفأة ، ليس عند أي منهم عضو تناسلي . . ان لذلك نتائج خطيرة جدا : انن فهم لا يحفظون أية أغنية لهددة طفل ، ولا توجد في أسواقهم دكاكين لبيع لعب الاطفال . . تصوروا ، تلك الذببة اللطيفة المحشوة بالقش والقطط والثعالب والسيارات الخشبية . . رقم ١ : أنت تتحدث عن ذلك كله في الليل . بينما كنت في الصباح عازما على قذف السيدة عن السلم كي تجهض ابنك الحرام !

رقم ٢ : وتتحدث عن الضوء فيما هم يستعدون لقطع الكهرباء عن بيتك لانك لم تسدد فواتيرك .

المتهم : لم يكن باستطاعتهم أن يمنعوني من مداعبة طفل في الطريق ، ولا من الرؤيا في ضوء الشمس .

رقم ١ : بلى . لقد قصرت في واجباتك وكان بوسعهم وضعك في السجن .

رقم ٢ : [وهو يلوح بالحبل] أو شنقك في الليل .

رقم ١ : لماذا لم تغل له ان الجنين الحرام في رحم السيدة كان يجثم بمؤخرته فوق قلبك ؟ المتهم : لقد عرف ذلك بنفسه فيما بعد ، أن امورا من هذا النوع لا يمكن اخفاؤها عن شخص يعيش معك في الغرفة ذاتها ، فبعد يومين من الاحاديث حول مختلف المواضيع جاءت السيدة لزيارتي

[يغيم الضوء بالتدريج عن غرفة المحكمة فيما تبدو السيدة عبر باب

الأشرفة تصعد الدرج]

كنا قد صرفنا وقتا طويلا ونحن نتحدث . باختصار أيها السادة صرنا أصدقاء ، وكان كل ما يحتاجه هو الماء

[ينهض ويحضر كوب ماء يضعه أمام الشيء ، وفي اللحظة ذاتها يرى السيدة على وشك الدخول فيتناول قميصه الذي ما يزال ملقى على الطاولة ويغطي به الشيء ويتجه لاستقبال السيدة]
السيدة : جئت معي بأمي فمقد يساعد ذلك على التفاهم .

[تدخل الام]

الام : [تخاطب السيدة] قلت لك منذ البدء انه رجل دون مستواك . انظري كيف يستقبل سيدتين وهو بملابسه الداخلية . انه عديم الذوق وفي الحقيقة انه داعر . [متجهة للمتهم] انت بحاجة الى من يعلمك الادب والتهديب ، ومع ذلك فمشكلتنا الآن اكثر تعقيدا من مجرد استقبالك لنا بالملابس الداخلية .
السيدة : والآن هدئي اعصابك . . ان الشجار ينبغي ان يأتي في النهاية . لماذا لا تلبس قميصك ؟

المتهم : لانني اشعر براحة اكثر هكذا . . أنت لم تصيري زوجتي بعد .
الام : ولن تصير .

المتهم : اذن انتهى الموضوع الذي جئت من أجله يا سيدتي ، اذن .
الام : لا . لم ينته . ولكنه بدأ . ستدفع الثمن غاليا اذا كنت قد خلعت عقلك من رأسك كما خلعت قميصك .

المتهم : [باستفزاز] ماذا تستطيعين ان تفعلي يا سيدتي ؟ ان صوتك يحمل تهديدا وأنا لا أحب هذه اللهجة .

الام : ماذا أستطيع ان أفعل ؟ سأعده لك : أستطيع ان أرفع عليك دعوى . أستطيع ان أرسل لك أخاها فيذبحك ويغسل عار العائلة . أستطيع ان أنهال عليك ضربا الآن . . أستطيع ان أروي القصة لخال السيدة فيضعك في السجن حتى تموت . .

[ينبثق صوت « الشيء » من تحت القميص وكأنه صدى]

الشيء : دعوى . ذبح . عار . ضرب . سجن . ها ها ها .

[يندفع المتهم ويضع يده مضطربا فوق القميص]

الام : [مندهشة وخائفة] ما هذا ؟ لقد سمعت صوتا .
السيدة : جاء من تحت القميص .

[تحاولان الاتجاه نحو القميص فيقف أمامهما]

المتهم : لا . لا شيء . . انها آلة تسجيل . .

الام : أنت اذن تسجل اقوالنا لاستعمالها ضدنا . . [الى السيدة] قلت لك منذ البدء انه حقير .

السيدة : انني أتساءل من أين أحضر ثمن آلة التسجيل مع انه قال لي أمس الاول انه لا يملك فلسا يشتري به خبزا .

المتهم : [محاولا تغيير الموضوع] أيتها الجميلة . . ويا سيدتي العزيزة ! دعونا نحل المشكلة كما ينبغي ، وباهون السبل . نتزوج . ويصير الجنين أبنا المشروع . .

الام : [مقاطعة] تتزوج ؟ أنت تتزوج ؟ أنت المغلس تتزوج وتحدث عن الطفل أيضا !
الطفل الحرام الذي جاء ثمرة احتيالك على هذه المسكينة . رجل بلا أصل تريد الزواج من السيدة . اسمع أيها المحتال : يجب ان نعمل على اسقاط الجنين فوراً ، ويجب ان تعيد كل رسائل السيدة اليها . وتدفع حصتك في التكاليف .

الشيء : مغلس . زواج . طفل حرام . بلا أصل . اسقاط الجنين . رسائل . تكاليف .
المتهم : اسكت أيها الأحمق !

الام : من هذا ؟ ماذا يجري هنا ؟ اننا في غرفة مجنون يا سيدة !
الشيء : لا يشتري خبزاً . حقير . آلة تسجيل .
المتهم : قلت لك أسكت .
الام : أريد أن أفهم ما الذي يجري هنا .
السيدة : اعترف .

المتهم : [منتفضاً تحت وطأة فكرة جديدة . يتجه نحوها ويمسكها بحنان من ذراعيهما
ويتكلم همساً] قد يكون هو الحل .

الام : [بصوت عال] ما هو هذا الحل ؟
المتهم : اخفضي صوتك لئلا يسمع . . . انه شيء ثمين . يا الهي كيف الهممتني هذه الفكرة
المنقذة . اسمعوا : اذا عرضناه للبيع فقد يدفعون خمسة آلاف ليرة ثمناً له .

الام : [ساخرة] أنت تملك شيئاً ثمنه خمسة آلاف ليرة ؟ انني أراهن أنك وضعت
جواربك تحت هذا القميص القذر كي تخدعنا .
المتهم : أقسم لك بشرفي انني لا أكذب ولا أخدع . .

الشيء : شرف . كذب . خداع .
المتهم : هل سمعتما ؟ [همساً] انه مخلوق عجيب عثرت عليه .
الام : ومن أين جاء ؟

المتهم : [فخوراً ومثيراً الى فوق] من هنا .

الام : ما رأيك أن تحتفظ بأربعة آلاف وتسعمئة ليرة وتعطينا الآن مئة ليرة فقط ؟
السيدة : [ببطء وقد تغيرت لهجتها] اسمعي يا ماما . . . قد يكون على حق . لنعالجه
في منتهى الحرص . . ألم نقرأ في الصحف أمس ان جسماً غريباً دخل الى الفضاء الارضي
وانفجر وان شيتين مجهولين سقطا منه ؟
الام : ولكن هذا شيء واحد .

السيدة : دعونا خارج التفاصيل . هل استطيع ان التي نظرة عليه ؟
المتهم : كلا ! ان ذلك يفقده نصف ثمنه على الاقل .

الشيء : تيعني أيها الصديق ؟
المتهم : اسكت أنت الآن .

الام : انني أقسم بكل شيء انك مخالط قذر . محتال من الدرجة الاولى . ومع ذلك فان
يومين آخرين من الانتظار لن يجعلنا بطن السيدة أكبر مما هو الآن ، بحيث يظهر للمعيان
[الى السيدة] تعالي .

[تخرجان . يراقبهما حتى يغيبهما الباب ثم يعود فيرفع القميص عن
الشيء]

المتهم : كيف حالك الآن ؟
الشيء : كالعادة .

المتهم : أنت لست غاضباً من سلوكي ؟
الشيء : لقد خدعتني وها أنتذا تريد أن تفرط بصديقك الوحيد . . انذكر كيف أقسمت
أمس انني شيء مهم بالنسبة لك ؟

المتهم : ولكنك سمعت بنفسك ما دار في هذه الغرفة قبل قليل . . ولو لم تتكلم في الوقت
غير المناسب لكنا ، أنت وأنا ، في مأمن .

الشيء : الحب ، الاطفال ، الضوء . أن تنام مع امرأة . أن تأكل . .

المتهم : [مقاطعاً] كفى . . انها أمور تحدث . . [بعد قليل] هل تعتقد حقاً انني سأفرط
بك ؟ لقد قلت ذلك لابعد الكابوس فقط . . أنت الشيء الوحيد في عالمي [مفكراً] بل أنت
عالمي في الحقيقة .

[تبدو السيدة مرة أخرى عائدة على الشرفة — يسارع المتهم فيغطي الشيء بالقميص]

السيدة : لقد تخلصت من أمي وعدت لك يا حبيبي ..

المتهم : ما الذي تريدينه الآن ؟
السيدة : أريد أن أعتذر عن أمي . ولكنك تستطيع ان تفهم . انها امرأة عاطفية تجبني كثيرا وتخشى علي .. اما انا فمعك على استعداد لمواجهة طوفان برمته .. ان الامور مهما قست ستنتهي الى حل .
المتهم : بالطبع .

[صمت بارد . تنظر الى القميص]

السيدة : دعني القي نظرة على هذا الشيء .
المتهم : لا .

السيدة : متى ستبدأ الاتصال من أجل بيعه ؟
المتهم : لن أبيع . انه صديقي . انه في الواقع عالمي كله .
السيدة : دع الامور تسر بيسر أيها العزيز .. لا تعاند . كن واقعيًا . تصور كيف يستطيع صديقك مساعدتنا بلا حدود . صديقك الطيب . نتخلص من الجنين وتسدد ديونك وندخل دخولا رائعا الى حياة زوجية لا تنتهي سعادتها .. بل تصور انه يستطيع تخليصك من السجن . قال لي اللحم الآن ان جميع اصحاب الدكاكين في الحارة قد تضافروا لرفع الدعوى ضدك ... انها فضيحة حقا .
المتهم : لن أبيع .

السيدة : أيها العزيز !

المتهم : كيف سيكون بمقدورك أن تفهمي ؟ اقول لك انه عالمي .
السيدة : انه عالم آخر ، شديد البعد .
المتهم : لا . لم يعد كذلك . انه عالمي الخاص .. دونه سأشعر بالعري .
السيدة : [ساخرة] انك عار الآن !
المتهم : أنا لا أتحدث عن القميص أينها الغبية .
السيدة : وأنا لا أتحدث عن القميص ..

المتهم : عم تتحدثين اذن ؟

السيدة : عن كل شيء . الاصدقاء والحرية وأنا . الحب والطعام والكبراء . الراحة والقدرة على ملء فرص السعادة .. أنت الآن عار منها جميعا ودفعة واحدة .
المتهم : ليس كما تظنين !

السيدة : بلى . وانت مكابر وعنيد . ان اصرارك على الاحتفاظ بهذا الشيء هو بمثابة اصرارك على المنفى .

المتهم : غبية .

السيدة : أنت الغبي . فكر قليلا . انه مخرجك الى العالم الحقيقي .

المتهم : لا . انه مدخلي للعالم الحقيقي .

السيدة : لو بعته لاستطعت ان تصبح ديكا قرمزيا .

المتهم : في قن والدتك .

السيدة : دع والدتي خارج الموضوع الآن .. انست ترى الامر بالوضوح الجدير برجل عاقل مثلك ؟ ما الذي ستفعله بهذا الشيء ؟ انه عديم النفع بالنسبة لك . ولو بعته لاتحت الفرصة لكسب علمي هائل للعالم كله ، ولانقذت نفسك في الوقت ذاته وعدت على سجادة حمراء الى العالم ، الى الناس . الى الحب .. الى كل شيء .

المتهم : [غاضبا] لا تغرري بي . انت لا تعرفين كيف تشرق الشمس مع هذا الشيء

وكيف تتوهج خدود الاطفال وكيف تضحى المرأة سعادة حقيقة . لا تعرفين كيف يصير للهواء طعم اللذة وكيف يصير بوسعي أن أمسك الضوء بيدي واتعلق به كما يتعلق الطفل بالغصن . . أجربت عمرك أن تسمعي الموسيقى معه ؟ أن تتفرجي على الالوان ؟ أن ترقصي ؟ أن تنامي ؟ أن تأكلي ؟ أن تصهلي في الحتول وعلى رمال الشواطىء ؟ أن تكوني صديقة أو حبيبة أو طفلة ؟ أو تناضلي في سبيل طمس الالم ؟ أن تبني دنيا من العواطف ؟ أن تبعدى جدران هذا العالم المزدهم عن بعضها وتمدي الهواء فيما بينها ؟ أن تسافري من أقصى الارض الى أقصاها في لحظة ؟ وقبل ذلك كله : أن تكوني حقيقية ولو مرة واحدة في عمرك ؟

السيدة : هراء ! هراء ! ان العالم الحقيقي وراء هذا الحاجز [تشير الى حاجز الشرفة] وهو طريقك الوحيد الى هناك . ضع عقلك في رأسك ايها الطفل العزيز المسكين . ان هذا الشيء هو الانقاذ .

المتهم : أنه الانقاذ .

السيدة : اعرف انك تقصد عكس ما اقصد ولكن . .

المتهم : لماذا لا تكفين عن هذا الهراء فتركضي وراء سروال أمك وتغيبي من هنا الى الابد ؟ هل تسمعين الى الابد [يمسك بها ويجرها جرا تقريبا الى الباب] لا أريد أن أراك .

[يعود فيرفع القميص — تصدر عن الشيء قهقهة صغيرة]

الشيء : أنا لست أكثر غربة منك [يضحك بعنف] أنا لست أكثر غربة منك !

[يحمل المتهم تميصه بغضب ويضعه فوق الشيء بعنف ، فيما يواصل

الشيء قهقهته وتضيء فجأة غرفة الحكمة ويأخذ رقم ١ ورشم ٢

يضحكان بعنف . . فيما يظل المتهم واقفا يرتجف بالغضب]

« ستسار »

المشهد الثاني

● المنظر نفسه . غرفة الحكمة مظلمة ●

الشيء : يبدو لي أنني سببت لك مشاكل غير متوقعة . انك مطوق الآن .
المتهم : [قلقتا] ليس تماما . اذا احتفظت السيدة بفمها مطبقا فان الامور مستجري على

ما يرام ، اما والدتها فانها لا تصدق شيئا .

الشيء : انت تفضل لو ان السيدة كوالدتها ؟

المتهم : كيف ؟

الشيء : أي انها لم تصدقك .

المتهم : طبعا .

الشيء : أحيانا تبدو لي شديد التناقض ! انظر الى نفسك ! كم تحدثت لي خلال الايام الماضية عن روعة الصدق وضرورة الثقة ، ثم ها انت تفضل لو انها لم تثق بصدق كلامك !

المتهم : ان رأسك ، ايها الشيء ، لا يعجبني .

الشيء : لا رأس لي ، كما تلاحظ بنفسك .

المتهم : اذن كف عن نبش أخطائي .

الشيء : انني لا أنبشها ، انني لاحظتها فقط .
المتهم : حسنا . انني غير راغب في بدء حفلة ملاكمة معك وانت تبدو لي راغبا في الشجار الى ابعد حد . أنت ترى ، حاول أن تفهمني . انني أحاول أن أكون شيئا طيبا .
الشيء : احذر . أنت تنزلق بصورة ستتنتهي بك الى أن تدق عنقك! لا تحاول أن تكون شيئا طيبا . حاول أن تكون رجلا طيبا ، ذلك أنك لن تستطيع ان تكون شيئا ، مثلي مثلا .
انت لا تستطيع ان تكون الا رجلا .
المتهم : هذا صحيح ، بقدر ما هو مربع .
الشيء : مربع حقا . انا معك . اليوم أو غدا او بعد أسبوع سيكون عليك أن تختار : هل تريدني أم تريد نفسك ؟
المتهم : الاثنين معا .
الشيء : مستحيل . ان الواحد لا يستطيع ان يكون اثنين .

[يتجه نحو الباب ويعطي ظهره للشيء والجمهور ويحدق عبر المصراعين المشرعين الى الأفق]

المتهم : ينبغي ان ننتهي من ذلك كله بطريقة ما . انظر الى هذا الافق يفرش المدى الى آخر ما تستطيع العين أن ترى . ان الالوان تأخذ فيه طعما لم يكن لها أبدا . ذلك القنديل الذي كنت أسميه شمسا . أية روعة !

[يلتفت فجأة نحو الشيء — بشيء من الغضب]

انت لا تستطيع ان تفهم ! لا تستطيع ان تفهم . . انني ها هنا افتح مصاريع عالم يولد لأول مرة . مليء بالدهشة . اكتشفه حبة حبة مثلما يكتشف الطفل أصابعه أصعبا أصعبا . دونك سيرتد هذا العالم الى الغبار والصدأ ، وسيتداعى من جديد ركابا متعفنا وراء بكارة مزقتها جيش من الرواد . أنك من حيث لا تدري تمنحني النبوة .
الشيء : أنت نبي مضحك أذن ، لم تستطع رسالته الرائعة ان تمتد الى أكثر من شخص واحد !

المتهم : وأي شخص !

الشيء : لا تتحدث عني بهذه السخرية . انني في الواقع ما أزال أراك مضحكا وطريفا ، وأنساءل كيف تستطيع أن تحتفظ بنفسك وأقفا على هذه الصورة . . انت تبدو لي بهلوانا . الطاولة أكثر منطقا منك !
المتهم : انظر الى نفسك كيف تتحدث الي ! فيما كنا قبل لحظة فقط قد انفتقتا أنك الوحيد الذي تلقي رسالة نبوتي !

الشيء : انا ؟ ها ! أنت لم تفهمني أذن ! ان نبوتك لم تتجاوزك بعد . ان الشخص الوحيد الذي يفضي تحت لواء رسالتك هو أنت نفسك ايها التعيس !

المتهم : وانت تعتقد ان هذا شيء لا قيمة له ؟

الشيء : الى حد ما .

المتهم : تصور أذن ! . . تصور ! : ان رفيقك الذي لا نعرف على اية شرفة سقط يكرر قصتك هذه في مكان ما ، بين أربعة جدران تولد من جديد في مكان مجهول لأول مرة . . ثمة شخص آخر مثلي ، على الاقل ، في هذا العالم .

الشيء : وبينكما يتكسد كون من الغبار والقطيعة والصمت !

المتهم : ربما . ولكن ليس كونا من المستحيل . . . وأنت بارد مثل سطل من الثلج . . لقد رأيتك وأنا أتحدث عن رفيقك الذي فقدته حين جئتُها معا الى هذه الارض . . ومع ذلك فأنت لم تهتز ، كأن الامر لا يعنيك !

الشيء : ربما سقط على شرفة السيدة ، ووجدته أمها في الصباح فغسلته وكوته وجعلته قبة !

المتهم : .. وها أنت تتحدث عنه كأنه قبعة فعلا !
 الشيء : قبعة ، أو نبي .. أنت لا تعرف كم يجعل الناس منهما شيئين متشابهين .. ان
 اكثر الناس يفضل أن يضع النبي على رأسه من الخارج ، مثل القبعة .. مثل يافطة
 ضخمة ملونة مضيئة على واجهة دكان فارغ !
 المتهم : لماذا لا تفترض أن زميلك سقط على شرفة رجل مثلي ؟
 الشيء : كي لا أتوقعه . كي لا أمضي ما تبقى لي من الزمن مكوّما هنا أترقب دخوله من
 الباب مثلما أترقب أنت شيئا مجهولا يعينك على العالم كله .
 المتهم : قل لي اذن : ما الذي تتوقعه ايها التعيس ؟
 الشيء : انني مربوط اليك بتلك المصادفة الرهيبة التي سنتقضي علينا معا : فقد تنتهي أنت
 الى قصر مزدحم بالخدم والاكل ، وانتهي أنا الى قارورة كحول على رف مختبر طموح !
 المتهم : سنكون ، اذن ، متساويين ... ولكن ماذا عن رفيقك ؟
 الشيء : لا توسع اشغالك . دعه في مأزقه الخاص ، والآن اعطني المزيد من الماء ..
 [يتجه فيأخذ الكأس من امامه ويذهب الى نهاية الغرفة ، وفي اللحظة
 ذاتها تبدو « السيدة » وهي تصعد درج الشرفة]

الشيء : بست ! بست ! انتبه !

[يلتفت المتهم فمرى السيدة ، يسرع فيضع قميصه فوق « الشيء »
 ويتصدى للسيدة على الباب]

المتهم : نعم ؟ ألم تنفق على القطيعة ؟ لماذا تعودين ؟
 السيدة : لا تحدثني بهذه الطريقة كأنك لا تعرفني . كأن ابنك لا يخفق في أحشائي ..
 دعني ادخل أولا .
 المتهم : ليس بيننا ما يقال بعد ! لقد انتهت كل شيء !
 السيدة : لا . انني لا ادفن قلبي بهذه البساطة مثلك . انني احبك .. والآن دعني ادخل
 ايها الغبي ..

[يفسح لها الطريق فتدخل وتلقي نظرة جانبية على الشيء]

ما الذي حدث ؟

المتهم : بأي شأن ؟

السيدة : بشأن رجل الفضاء .

المتهم : لا يوجد رجال في الفضاء ايها الغبية .

السيدة : ايا كان اسمه .. ما الذي حدث ؟

المتهم : لم يحدث شيء . لقد كذبت عليك منذ البدء . كنت قد قرأت الخبر الذي قرأته انت
 عن جسم غريب دخل الى مدار الارض فاختلفت القصة لاصرف والدتك .
 السيدة : اخفض صوتك .. انها واقفة في الخارج تنتظرني وقد تسمعك .
 المتهم : واقفة في الخارج ؟ انت لا تريدان أن ارتكب جريمة قتل ؟
 السيدة : لا . ستكون رجلا عاقلا ، وقد وعدتني أن تكون سيدة هادئة . انت لا تستطيع
 أن تمضي عمرك حبيس هذه الغرفة [تشير الى الشيء] مربوطا بخيوط غير مرئية الى
 شيء غريب .

المتهم : ليس ثمة أي شيء .

السيدة : [تشير الى الشيء مرة أخرى] حسنا . مربوطا الى وهم .

المتهم : أنت اذن تريدان فتورة حتى بأوهامي ؟

السيدة : كن عاقلا ايها العزيز . لقد راجعت اليوم عالما كبيرا وحدثته عن كل شيء ..

عرض علي مبلغا يهز جبلا لو اتحت له فرصة واحدة للنظر فقط . كنت مع والدتي وقد
جئنا لتونا من هناك . كانت تبكي طوال الطريق من التأثر . انه يطلب نصف ساعة فقط
مقابل عشرة آلاف ليرة يدفعها لك سلفا !

المتهم : دعيه يتفحص والدتك . هذه المرأة الرقيقة ، وسيستفيد أكثر مما يستفيد من
تفحص أي شيء آخر .

السيدة : عشرة آلاف ليرة ثمن نصف ساعة من الفضول ! هل تتصور ذلك ؟ انها فرصة
العمر أيها العزيز . . انه لا يريد أخذه ، لا يريد شراءه ، فقط يريد أن . .
المتهم : . . . أن يتعرف على رقم هويته ، ويتأكد من حيازته على شهادة تطعيم ضد
الجدري .

السيدة : أنت تزداد عنادا ، ولكن ذلك يزيدني اصرارا . . انني لا أستطيع أن أشطب
عواظني بهذه السهولة ، ثم انني أم طفلك ، وهذا كله يمنحني حقوقا . . . عشرة آلاف
ليرة ثمن نصف ساعة من حياتك ! ان عمرك كله لم يصل سعره أبدا الى نصف هذا
المبلغ .

[تضيء غرفة المحكمة]

رقم ١ : [هامسا باستثارة] اقبل فوراً ايها الغبي ! انها فرصتك للتخلص من الحجز
على ممتلكاتك .

رقم ٢ : واذا فعلت فستجنب جريمة قتل لا بد أن ترتكبها فيما بعد !

[ينظر المتهم نحوهما باستغراب فيما تبدو السيدة وكأنها لا تشعر
بوجودهما . لحظات من الصمت ثم يخفت الضوء في المحكمة حتى
تظلم]

المتهم : [للسيدة] ان عاملك رجل سخيف . كان ينبغي أن يطلب منك نصف ساعة
لتفحصي أنا .

السيدة : أنت على ما يرام ايها العزيز . انه العناد الذي لا مبرر له فقط . دعني ادعو
والدتي للتحدث اليك .

المتهم : دعي والدتك في الخارج اذا أردت السلام في هذا العالم .
السيدة : لا تكن عدوانيا . . ستروي لك فقط ما قال لها العالم الذي راجعناه قبل قليل ،
لقد حفظت كلامه المعقد غيبا .

المتهم : لا .

السيدة : لماذا لا تستمع اليها فقط ؟

المتهم : لا .

السيدة : لحظة واحدة . . ثم قل لها : لا ! اذا أردت .

المتهم : لا . منذ الآن .

السيدة : أنت جبان اذن . أنت تخشى ان تقنمك . هذا كل ما في الامر .

المتهم : تقنمني ؟ امك التعيسة ؟

[السيدة تتجه الى الخارج في حركة توحى بأنها تريد استدعاء
والدتها . المتهم يتجه الى الشيء بسرعة]

المتهم : ستظل صامتا مثل حجر . . لا تورطنا . سنعمل على الغاء القصة كلها، وسأقول
انني كنت اكذب . . هل تفهم ؟

[تدخل السيدة بشيء من العصبية وتلثفت وراءها وتنادي أمها]

السيدة : ادخلي يا امي . انه يرحب بك .

[تدخل الام مترددة ولكنها بشوشة وذات نيات تبدو انها ودية ولكنها واضحة التصنع . فورا يلفت النظر ما تضعه على رأسها : قبعة تشبه « الشيء » شيها غريبا وتبدو الى حد ما مضحكة . وفورا تنفجر قهقهة « الشيء » المعدنية عالية سخابة من تحت القميص .. المتهم يتحير ويتردد ويفزع ولكنه ، في محاولة للتغطية على ضحكات « الشيء » ينطلق في قهقهة عالية مفتعلة .. فتسود الغرفة حالة من التوتر والحيرة وتتحول الام بشيء من السرعة الى طبيعتها السلبية]

الام : اقول لك دائما انه مجنون .. وانت تضعينني مرة بعد مرة في هذا الموقف المهين .. انظري اليه كيف يسخر مني ! يا الهي ! كيف يمكن التحدث الى هذا الرجل الافاك ؟ [تضحك بتوتر] صهري العزيز !
السيدة : قليلا من الصبر يا امي .. ان الوحدة ترهقه والهجوم تفتت أعصابه .. حبيبي المسكين !

الام : انظري اليه كيف يضحك . مثل المصاب بمغص قاتل .
المتهم : [بخوف] ان قبعتك تضحكني .
الام : لقد كنت دائما صاحب ذوق ريفي . انت لست الشخص الذي يحكم على جمال أو قبح اي شيء ، فاحتفظ بأرائك لنفسك .
المتهم : [لنفسه] على المسكين ان يظل صامتا طوال الوقت كي يحتفظ بنفسه حيا على رأس هذه القمامة !

[مرة أخرى « الشيء » ينفجر ضاحكا من تحت القميص فيجاريه المتهم بافتعال ويقهقه بصوت عال ليخفي قهقهات « الشيء »]

الام : انها غرفة مجانيين !
المتهم : اذن لماذا لا تغادريها ؟
الام : هذا ما سأفعله ، حتى لو كان ستفك العاري سيمطر ذهابا !
السيدة : ماما !

الام : في سبيلك فقط يا ابنتي المسكينة سأتحمل كل حظي التعس .
المتهم : ان الطريقة الوحيدة للاحتفاظ بجمال قبعتك ، يا سيدتي ، هي ان تعرضيها للمطر بين الفينة والاخرى !

الام : [بنفاد صبر] سأعمل بنصيحتك يا بني . هل يسرك هذا ؟ اذن دعنا من القبعة ولننتحدث عن الشيء الذي قاده سوء حظه اليك .

المتهم : ليس ثمة أي شيء عندي . والواقع انكما سقطتما في خدعة . انا لا املك ذلك الشيء قدر ما تملكينه أنت ، مثلا .

الام : دعنا من الفلسفة والكلام الفارغ . ان عالما كبيرا يعرض عشرة آلاف ليرة ليلقي نظرة على ذلك الشيء الغامض مدة نصف ساعة ، وأنا متأكدة ، بل انه هو نفسه قال لي ، انه سيدفع عشرة أضعاف هذا المبلغ اذا رغبت في بيع ذلك الشيء .
المتهم : مئة ألف ليرة ؟

الام : مئة ألف ليرة .. اقرب اليك من أصابعك ، وستكون غبيا لو تركت هذه الفرصة تمر !

المتهم : ومع ذلك بودي لو كان بوسعي ان اكسب مئة ألف ليرة بهذه السهولة ، ولكن لا شيء لدي . لقد كذبت عليكما .

السيدة : بل أنت تكذب الآن .

الام : ان السيدة على حق . انت تكذب الآن .

المتهم : [ناظرا للقبعة] يا للشيء التعيس ! أية نهاية !
السيدة : أيها العزيز .. لا تضع فرصة العمر . ضع عقلك في رأسك وادخل الى العالم
بالكبرياء التي تليق برجل ذكي مثلك .
المتهم : ادخل الى العالم هذا الدخول المضحك ! مثلما تدخل أمك الى حفلة كوكتيل بهذه
القبعة المتكررة !

الام : دعك من القبعة .. انك تغيظني !
المتهم : أود لو يصل غيظك الى حد تقذفيني بها غضبا !
الام : مئة ألف ليرة أيها الغبي !
المتهم : بل مئتا ألف ليرة !
الام : ربما يدفع مئتي ألف ليرة لو تركته يتفحص ذلك اللغز ! [تلنفت الى السيدة وتلكزها
بكوعها] لقد بدأ فتاك يلين ..
السيدة : هل أدعوه ؟

المتهم : سيضحك عليكما حتى ينقلب على قفاه ، ثم يرسل بنا جميعا الى حبس المجانين .
السيدة : سأرى بنفسى [تتجه بسرعة نحو القميص فيحول المتهم دونها بعنف]
المتهم : لا تقتربي من قميصي !
السيدة : ماذا تخفي تحته ؟
المتهم : لا شيء . أنني حر في أن أضع قميصي حيث أشاء .
السيدة : لا . أنك تخفي تحته شيئا .
المتهم : لنفترض أنني أخفي تحته قبعتي ؟
السيدة : قبعتك ؟

الام : قبعتك ؟ أنت تلبس قبعة ؟ يا للمهزلة ! لو رأوك تحتها لآخذوك الى السيرك !
المتهم : ومع ذلك فهذا شغلي أنا !
السيدة : ونحن ؟ أنا وأنت والطفل ؟ بل أنت وحدك ! حياتك وكبرياؤك وربما حريتك
وسمعتك ؟ .. أين ستذهب بذلك كله ؟

[ينظر المتهم الى الام قليلا . يركز بصره على القبعة ثم يبدأ — وكأنه
بوحى فكرة مفاجئة — يغير سلوكه تجاهها]

المتهم : حسنا ! دعينا نتحدث كأناس متمدين ..
الام : ذلك أفضل .
المتهم : اذن استريحى يا سيدتي [يسحب كرسيها] دعيني آخذ معطفك .. [تخلع
معطفها بأناقة ودلال وتناول له] وقبعتك يا سيدتي أيضا .. [يمد يده راجفا]
الام : لا . دع القبعة على رأسي .

المتهم : ولكن خذي حريتك تماما يا سيدتي . انه بيتك . ستكونين مرتاحة أكثر دون قبعة .
الام : [بدلال] ها أنتذا أيها الشقي تعود للنيل من قبعتي .
المتهم : لا . أقسم لك سيدتي . أنا الذي أعرف قيمة القبعة في الحقيقة . ولكنني أردتك
أن تشعري وكأنك في بيتك . ان قبعة من هذا النوع تتعب الرأس بلا شك .
الام : معك حق ، ولكنني أفضل أن لا أخلعها .. أنت لا تعرف كم تتعبني حين أضعها
على رأسي ، ذلك يستغرق وقتا طويلا جدا : كلما ركزتها حيث أريد مالت الى جانب .
انها لا تثبت على حال ، ولذلك فأنت لا تستطيع أن تخمن عدد الدبابيس التي اضطرت
لاستعمالها كي أثبتتها على رأسي ..

المتهم : أيها الشيء التعيس المعذب !
الام : ماذا قلت ؟
المتهم : لا شيء . انها كلمة اعتدت أن أقولها بلا معنى تقريبا بين الفينة والاخرى : أيها

الشيء التعيس المعذب ! ولكن لماذا لا تحاولي أن تريحي رأسك هنيهة وتخلعي هذه القبعة ؟

الأم : اف ! انت تضيع الوقت في حديث غير مهم ..
المتهم : انها تعجبني في الحقيقة .. من أين اشتريتها ؟

[الأم تنظر بمبسمة بتواطؤ تجاه ابنتها التي تبادلها النظرة نفسها ، وتضحكان ضحكة مقتضبة]

السيدة : انه سرنا . أنا وأمي . وقد تعاهدنا على الانبوح به لاحد .
المتهم : حتى أنا ؟

السيدة : ترى لماذا تهتم بقبعة والدتي الى هذا الحد ؟
المتهم : أريد أن أشتري مثلها ..

السيدة : لمن ؟

المتهم : لك أنت أيتها العزيزة .

السيدة : حقا ؟

المتهم : طبعاً ... أريد أن أراك دائماً تحت شيء مثل هذا .

السيدة : ولكن والدتي تعزز بها الى حد لا تتصوره ، وأخشى أن لا يكون بالوسع شراء قبعة مثلها .

المتهم : اشتريها من والدتك [يلتفت الى الام] كم تريدين ثمنها لها ؟

الأم : [تضحك] انني لا أبيعها .. ولكنك لو كنت طيباً وتعاونت معنا ومع الاستاذ العالم وأتحت لنفسك قبض ذلك المبلغ الخيالي فانني أعدك أن أقدم القبعة هذه هدية لك كي تعطيها للسيدة كما ترغب ... والآن ؟

المتهم : الآن ماذا ؟ هل ستخلعين القبعة ؟

الأم : اف ! [تلتفت الى السيدة] انني شديدة الحيرة .. ويبدو انني سأنفجر وأطلق !

السيدة : قليلاً من الصبر يا ماما .. ان الامور تسير على ما يرام .

المتهم : اسمعوا . دعينا ننتهي من هذه المهزلة . في الحقيقة ليس لدي هنا اي شيء ، ولذلك لا تتعبي نفسك يا سيدتي .. وبالمقابل انا مهتم جداً بالحصول على قبعتك ..

الأم : يا الهي !

المتهم : اسمعي يا سيدتي ، وكوني عاقلة مثلما كنت دائماً : لقد جئت الى هنا كي تعقدي صفقة ، ولكن لسوء الحظ كانت افتراضاتك خاطئة .. انني أعوضك عن هذه الخيبة بصفقة أخرى فأعرض عليك شراء قبعتك ..

الأم : انك لا تملك ثمن رغيف .. ثم انني أتحدث عن صفقة بمئة ألف ليرة أيها الاحمق !

السيدة : [ساخرة] ما الذي تستطيع أن تدفعه ثمن هذه القبعة ؟

المتهم : أي شيء تريدانه !

السيدة : [بهدوء ، مشيرة الى القميص] نريد هذا ! هذه هي الصفقة .

المتهم : الا هذا ! [متردداً] لانه في الحقيقة لا يوجد اي شيء تحت القميص وأنا لا أريد أن أغشكها .

السيدة : نحن نقبل الصفقة دون الاستماع الى كلامك .

المتهم : ولكنني لا أقبل .

الأم : [تنهض بعنف] ذلك كله كلام فارغ واضاعة وقت ليس الا ! قلت لك منذ البدء انه رجل مجنون كذاب ... اما انا فسنأفض يدي من هذه القصة ، لا اريد ان اتحول الى

اضحوكة للناس .. هيا بنا . دعيه هنا يموت جوعاً .

السيدة : ماما !

الام : لن ابقى لحظة واحدة . انا اعرف منك بهذا الصنف من الناس ، هيا بنا !

[تتناول معطفها وتسحب السيدة بما يشبه العنف نحو الباب . .
يلحق المتهم بهما ولكنها تخرجان . يقف لحظة مترددا ثم يصرخ عبر
المصراع]

المتهم : [صارخا] امشي قليلا تحت المطر يا سيدتي . . تحت المطر بحق الاله !

[يعود فيرفع القميص عن الشيء]

الشيء : [يضحك] لقد زحزحك قليلا .

المتهم : لا . انني في مكاني تماما . لا . في الواقع لست في مكاني . انني في وضع أفضل
الآن .

الشيء : صرت نبيا يفتش عن قبعة !

المتهم : بالضبط . . هل تدري ؟ انني اعبد حمايتي الآن . . . لقد جاءت الى هنا تحمل
الحل على رأسها .

الشيء : تقول « الحل » ؟ هاهاها ! ان طموحك السخيف يعجبني . .

المتهم : الا تفكر بانقاذ رفيقك المسكين وانزاله عن رأس تلك المرأة ؟

الشيء : لماذا ؟ ربما كان الآن في العلبه المخصصة له يضحك علي حتى الاعماء . . هل
تعتقد ان مصيره أسوأ من مصيري ؟ على الاقل انه يعسكر في مكان مرتفع ويستطيع أن
يرى الاشياء والامور بصورة أفضل مني . . .

المتهم : أنت لا تطاق !

الشيء : ان حمايتك تقول الشيء ذاته عن قبعتها حين تترحلق عن شعرها .

المتهم : ولكن الا تملك شيئا من التقدير لي ؟ على الاقل أنت ترى كم اعتر بك .

الشيء : وحمايتك تعزز قبعتها . . وقد رأيت الامر بنفسك .

المتهم : اي انك لا ترى الفرق بينك وبين تلك القبعة ؟

الشيء : بلى . فرق شكلي . تلك تستر الرأس من الخارج ، وانا استر الرأس من
الداخل . حمايتك استعملت رفيقي لـ . .

المتهم : [يقاطعه] كفاك هراء . انني اتحدث عن حل يصلح لنا جميعا . .

الشيء : لنا جميعا ؟ أنت وأنا وهو والسيدة ؟

المتهم : ربما . ربما كانت السيدة فقط خارج الموضوع ، مؤقتا . اسمع . ينبغي في البدء
ان نحصل على رفيقك باي ثمن ، ثم نذهب جميعا الى مكان اعرفه ، لا يوجد فيه أحد .
انه ارض تعيسة قاحلة كانت لجدي واورثني اياها لانها لا تباع بنصف قرش .

الشيء : وننشئ هناك دولة .

المتهم : بالضبط . في البدء نشرع بالزراعة . زراعتك أنت ، نقطع منك عرقا او عرقين ،
ومن رفيقك بضعة عروق ، وهكذا نتكاثر ، ونصبح شعبا ، على الاقل لن تشكو الوحدة
آنذاك .

الشيء : وانت ؟

المتهم : أغزو بكم العالم فيما بعد . ونعيد اكتشافه من جديد . . . انها صفقة عادلة كما
اعتقد : اعطيك عالما هيا هنا والآن مقابل ان تعديني بعالم فيما بعد .

[تتناهب حمى هستيرية فيتحرك باستثارة مبالغ فيها في رقعة واسعة]

انها صفقة عادلة : أنت الآن وحيد ومعذب ونهايتك مشؤومة ومهددة ولا قيمة لها .
اليس هذا صحيحا؟ حسنا! انني أوظف نفسي عندك كالعبد، وابني لك عالما كاملا من أشياء
مثلك . . ومقابل هذا أنتظر أنا حتى يتكوّن عالمك وبه أغزو عالمي الضال هذا . أخلق
رجالا مثلي ، عبر أشياءك . من شرفة الى أخرى ينط جنودك كما نططت أنت الى شرفتي

فقلبت كل شيء . من رجل مهزوم الى رجل مهزوم آخر ، حتى يصبح لي ، مثلما حدث معك ، شعبي وعالمي .

الشيء : انت نبي حقيقي . . . ولكن ما ادراني انك لن تجعلنا نتكاثر حتى تبيعنا بالاقفاص فيها بعد ؟

المتهم : هراء ! ينبغي ان تكون قد وثقت بي وقد رأيت بنفسك ما حدث : عدني بالجنة التي أريدها أعدك بأن لا تمضي عمرك تعيسا ووحيدا .

الشيء : ستصبح اذن ملكا على حقل من القرنبيط !

المتهم : انت لا تكف عن السخرية ، ومع ذلك فانك ترتجف حيورا في اعماقك . . . وفي الواقع انني انا الذي اذفع الثمن الاكبر : أعطيك كل شيء مقابل وعد . . .

الشيء : وماذا ستعطي أولئك الذين سينضمون الى مملكتك فيما بعد ؟

المتهم : عالما أفضل .

الشيء : انني على أي حال لا اخسر شيئا ، ولذلك لا رغبة عندي في المعارضة الان ، ولكن يضحكني جدا انك ستبني كونك الجميل هذا مبتدئا بقبعة .

المتهم : لا ! كن رقيقا . . قبعة على رأس حماتي نحولها ، أنت وأنا ، الى نبي مثلك .

الشيء : وهذا يعني انه يتوجب علينا ان نسرقتها ؟

المتهم : لا ، نعطها القيمة التي لا تستطيع حماتي ان تعطيها .

الشيء : ودون ذلك لا نستطيع ان نبدأ وحدنا ، انت وأنا ؟

المتهم : بالطبع لا ، أيها الاحمق ، سينتهي بك الامر الى الجنون وحدك . . ثم . . ثم ماذا لو ضاق صدر رفيفك المشكوك مئات الدبابيس على ذلك الشعر المصبوغ فأخذ يصرخ ؟

الشيء : لا يعطل ذلك كل شيء ؟

الشيء : نسرقة القبعة اذن .

المتهم : تماما . هذه هي الخطوة الاهم والتي لا غنى عنها لاي منا .

[نضياء قاعة المحكمة فجأة]

رقم ١ : [مخاطبا رقم ٢] سجل في الملف : جريمة الشروع في السرقة أيضا .

رقم ٢ : [دون أن يفعل شيئا] طبعاً . جريمة الشروع في السرقة أيضا .

رقم ١ : وهناك جريمة أخرى سنعقد بشأنها جلسة خاصة فيها بعد .

رقم ٢ : بالطبع . جريمة الشيء حين أخفى هويته وتكر في شكل قبعة .

رقم ١ : نوع خطير من الغش .

رقم ٢ : ولكننا الان امام جريمة مستعجلة اكثر . . الشروع في السرقة ، ويبدو انها

سرقة من ذلك النوع الذي يقتضي استعمال العنف .

المتهم : [مقتربا من حاجز الففص] لا أيها السادة ! لم يكن في النية استخدام العنف على

الاطلاق . . كنا ننوي ان نصنع قبعة من قماش تشابه قبعة حماتي تمام الشبه ، ثم ننتهز

اول فرصة فنستبدلها بذلك الشيء المسكين !

رقم ١ : [مخاطبا رقم ٢] سجل اذن : السرقة والاحتيال بما في ذلك الغش .

المتهم : انني ارفض هذه التهمة الملققة . ان القبعة ستظل قبعة من ذات النوع والصنف ،

على الاقل بالنسبة للطرف المدعي .

رقم ١ : ولكن بالنسبة لك ستصير القبعة مخلوقا ثمنه مئة الف ليرة .

المتهم : بالضبط ! ولذلك فان الامر ليس سرقة . انه مضاعفة قيمة الشيء المسروق مئات

المرات ، دون ان يتضرر الشخص الذي سرق . بل انني اعتقد ان الحيلولة دون حدوث

شيء من هذا القبيل جريمة ينبغي أن يعاقب عليها القانون . . .

[يتقدم « الشرطي » فيدور الحاجز فتصبح المحكمة في قفص الاتهام

ويعود دون أن يعيره أحد أي اهتمام ، وفي هذه الاثناء يواصل المتهم كلامه كأن شيئا لم يحدث مع تغير خفيف في لهجته [

... وفي هذا النطاق اعتقد انكما تعرفلان سير العالم نحو الافضل ، وهي جريمة لا توازيها على الاطلاق عملية استبدال قبعة بقبعة مماثلة .

رقم ١ : ان هذا الموقف يا سيدي المتهم موقف شكلي ... فبوسعك ان تقول لحماتك الحقيقة ، وعندها سيكون بوسعها ان تبيع قبعتها لأول مختبر تصادفه في الطريق وتشتري بثمنها عشرين أو ثلاثين ألف قبعة مماثلة .

المتهم : وهذه هي الجريمة بالضبط .. استبدال نبي واحد بعشرين ألف قبعة .
رقم ١ : اليس ذلك ، يا سيدي المتهم ، أفضل من قبعة واحدة ؟

المتهم : ولكنها ليست قبعة ... انه شيء مسكين ثمين استخدم بصورة خاطئة وسخيفة ومحزنة ، وقد كنت أبذل جهدي لرد القيمة اليه كما رأيتم بانفسكم قبل قليل ، وها انتم ترتكبون فوراً تلك الجريمة الرهيبة فتحاولون منع حدوث ذلك .. انني اطالب بتفسير .

رقم ٢ : التفسير هو : انك ستسرق قبعة تلك العجوز المسكينة .

المتهم : لا . انتم الذين تتواطأون على خداع تلك السيدة وخداع العالم كله . كنتم تريدون من كل الرجال والنساء الذين شاهدوا حماتي ان يسقطوا ضحية تلك الخدعة القذرة فيقولون كلما مروا بها : « ما أجمل قبعة تلك السيدة ! » . في حين انها ليست قبعة . اما أنا فكنت أريدهم ان يقولوا : « ما أجمل قبعة السيدة » حين تكون قبعة حقيقية ...

رقم ١ : هل كنت يا سيدي تريد اعطاء القيمة الحقيقية للقبعة أم للشيء ؟

المتهم : للقبعة بالنسبة للسيدة ، وللشيء بالنسبة لي .. تصوروا لو أن المسكينة العجوز امتنعت عن السير تحت المطر فمات ذلك الشيء من العطش ، وجاءت ذات يوم لتلبس قبعتها فوجدتها رمادا .. أي حزن كانت ستسقط فيه ؟ .

رقم ١ : انت على حق يا سيدي .. كانت ، عندئذ ، ستفقد قبعتها الجميلة ..

المتهم : اما أنا فكنت أريد ان أعطيها قبعة حقيقية بالوسع غسلها وكيها وصبغها احيانا ونشرها في الشمس .. ثم ستكون أسهل للاستعمال ..

رقم ٢ : [متجها لرقم ١] انه ، نوعا ما ، على حق .

رقم ١ : [للمتهم] اننا نعرف يا سيدي بالشروع بارتكاب تلك الجريمة ، لو تفضلت فقط فأجبتنا على سؤال واحد : هل كنت تستطيع استبدال قبعة السيدة بقبعة اخرى مثلها تماما ، شكلا وموضوعا ؟

المتهم : شكلا نعم . الى حد ما بالطبع . لن يكون تشابها مطلقا ولكنه تشابه لا تستطيع الا مختبرات عالم فضائي كشف نواقصه .

رقم ٢ : [متحفزا] وموضوعا ؟

المتهم : موضوعا ؟ بالطبع لا . انني أعطيها قبعة مقابل قبعة من حيث الشكل تقريبا ... ولكن من حيث الموضوع أعطيها قبعة مقابل جنة .

رقم ١ : سرقة مع الغش .

رقم ٢ : سرقة مع الغش . بالطبع .

المتهم : لا ! لا ! لا !

رقم ١ : من أدراك ان قبعتها لم تكن جنتها الصغيرة الخاصة ؟

[يتقدم « الشرطي » مرة أخرى فيعيد الحاجز الى وضعه السابق ، بالحركة نفسها المشار اليها فيما سبق]

المتهم : ومع ذلك فأنتم تختارون ما هو رهيب حقا . تختارون ثلاثين ألف قبعة مقابل ثلاثين ألف نبي . فترينة مزدحمة بالقبعات بدل جيش من الرواد ... وما هي الحجة

التافهة التي تستخدمونها؟ جنتها الصغيرة الخاصة! جنتها الصغيرة التافهة! جنتها الصغيرة المزورة!

[يعود « الشرطي » الذي لم يكن قد غادر المسرح تماما فيمسك بالحاجز الا انه يظل واقفا هناك مترددا]

رقم ١ : أما أنت ، فتعيش على وعد ، وفي الواقع أنك تسرق قبعة مقابل وعد ، فتحرم السيدة من قبعة ويظل الوعد عرضة للسقوط .

المتهم : ورغم ذلك ، فأنا لم أسرق القبعة .

رقم ١ : حاولت .

المتهم : نعم ، ولكنني فشلت .

رقم ١ : [لرقم ٢] لنحاكمه اذن على فشله .

رقم ٢ : لو فعلنا فسيغضب الى حد الجنون رغم ان دفاعه عن سرقة القبعة كان حارا ومحزنا الى حد يمكن ان نعتبر الفشل في تنفيذ تلك السرقة جريمة كبيرة .

رقم ١ : انه يحيرنا . لا يريد ان يحاكم بمنطق القانون ولا يريد ان يحاكم بمنطقه الشخصي .

المتهم : يجب ان تحاكموا حماتي لانها أحبطت منطقتكم وأحبطت منطقي في وقت واحد .

رقم ١ : أين حماتك ؟

المتهم : باعت قبعتها .

رقم ١ : لمن ؟

المتهم : لامرأة أخرى .

رقم ١ : من هي ؟

المتهم : باعتها بدورها لامرأة ثالثة .

رقم ١ : أين هي ؟

المتهم : باعتها هي الأخرى .

رقم ١ : والآن ؟

المتهم : ما تزال تباع بسرعة كبيرة . بسرعة يستعصي معها على بطل العالم في الركنض أن يلحق بها .

رقم ١ : وأنت ؟ ماذا كنت تفعل ؟

المتهم : كنت أركض .. ولكن يبدو ان القبعات أسرع انتشارا من الانبياء .. فجأة صار الشارع مليئا بالقبعات من ذات الطراز ، في الواجهات ، وراء المنعطفات ، في الحفلات ،

على رفوف الخزانات .. آه أيها السادة ! آه أيها السادة ! هل تتصورون ؟ كيف يمكنني العثور على ذلك الشيء المسكين في تلك الغابة من القبعات ؟

رقم ١ : وماذا فعلت ؟

المتهم : حملت الشيء المسكين [مشيرا الى الشيء الساكن على الطاولة] ووقفت على الرصيف ، وأخذنا نصفر معا لكل سيدة تضع على رأسها قبعة من ذلك الطراز ، على أمل أن يبادلنا الصغير .

رقم ١ : ولم يحدث أن سمعتما قبعة من تلك القبعات تصفر ؟

المتهم : لا . ففي ذلك المساء حسبوا انني أصفر للسيدات ، واحتجزوني في الحبس بتهمة الإساءة للأخلاق العامة ، وفي الصباح توقفت عن الصغير ، فأنا لا أحب السجن بتهمة الإساءة للأخلاق حين يكون هدفي الحقيقي تحسين هذه الأخلاق .

رقم ١ : وحماتك ؟ ألم تدرك أبدا انها كانت تضع على رأسها مئة الف ليرة دون ان تعرف؟

المتهم : مئة الف ليرة ؟ لقد كان يا سيدي شيئا لا يقدر بثمن ! لقد كنت أحاول أن أعرفها على قيمة ذلك الشيء وليس على ثمنه .. أتفهمون ؟

رقم ١ : [مع رقم ٢ ، في وقت واحد] لا .
المتهم : [ينظر الى الشيء على الطاولة] هل سمعت ؟ انهم لا يفهمون ! لا يعرفون الفرق
بين القيمة والثمن .. المسألة بالنسبة لهما هي مسألة الفرق بين قبعة رخيصة وقبعة
غالية ! [ينصرف الى « الشيء » فيما يغييم الضوء بالتدرج عن رقعة المحكمة]
الشيء : انني أشفق عليك ايها الصديق .. وأحيانا يؤنبني ضميري .
المتهم : يؤنبك ضميرك ؟ انظر الى حالتك ! ضميري انا الذي يؤنبني ! انظر كم انت وحيد
ومهزوم .. اما انا فاستطيع ، على الاقل ، ان أرتد الى عالمي ..
الشيء : حتى تلك الردة صارت مستحيلة .. انت تستطيع ان تتخلص من قبعة ولكن
ليس من نبي .

المتهم : ولذلك يفضلون القبعات ؟
الشيء : أجل .. ويختلفون عليها . قبعات رخيصة وقبعات غالية . انه حوار في قفص
الامان ، ولكن من يجرؤ ان يضع قدمه خارج ذلك القفص ؟
المتهم : يخيل الي أحيانا انك عبء .
الشيء : أحيانا ؟

المتهم : دائما .. وها نحن لا نعرف ماذا يتعين علينا ان نفعل : فلا أنت تستطيع ان تعود
الى عالمك ، ولا انا استطيع ان اعود الى عالمي .
الشيء : مثل الفكرة .
المتهم : ماذا قلت ؟

الشيء : قلت مثل الفكرة ، اذا ولدت فليس بالوسع التخلص منها .. بالوسع خيانتها
فقط .. ولذلك ترى كم هو سهل بالنسبة للكثيرين ان يضعوا الافكار فوق رؤوسهم
كالقبعات ، ولكن دون ان يتركوها تغوص الى داخل رؤوسهم [رأس رجل يظهر وراء
حاجز الشرفة متجها نحو الغرفة] .
الشيء : لقد جاءك ضيف ، اسرع .

[المتهم يغطي الشيء بقميص ، ويتجه نحو الباب] .

الساعي : برقية لك . [يتناولها] وقع هنا . [يوقع] اكتب اسم والدتك هنا [يكتب]
اعطني سيجارة [يعطيه] اشعلها لي ارجوك [يشعلها] اوف ! [يمتص نفسا عميقا
ويخطو الى الداخل بلا كلفة] انني اشكو من مرض خطير يتعلق بعملتي ، مرض لا شفاء
منه . ففي حين ان مهمتي تقتضي مني ان اكون اقل الناس فضولا فانني على العكس
اكثرهم فضولا [يشير الى البرقية في يد المتهم] انني محكوم بالعذاب . [المتهم ينظر
اليه بفضول] انني سريع التأثر ولكنني امين ايضا . وبعد أن أنتهي من عملي اذهب الى
البيت [يقترب منه] انني اعيش وحيدا كما تعلم . واتذكر واجلس وابكي واضحك
ويستثيرني الفضول وأحيانا افكر . ابكي لموت سيدة فاضلة ، وافرح لارث مفاجيء ،
وافكر بمعضلة ، واحسب كيف ينبغي ان يدفع قسط مدرسة ذلك الصبي الشقي الذي
كتب لوالديه يشكو افلاسه . وهكذا صارت دراجتي كوكبا صغيرا . [يمتص نفسا اخر
بشوق] والان : اقرأ لي البرقية .

المتهم : [يفتح المغلف بلا وعي ، يقرأ ببرود ، ينظر حوالياه بشيء من الاستثارة ، ثم
يقرأ بصوت عال كأنها لنفسه] : سنذبح لك فوراً مليون ليرة ثمن السر الذي عندك -
[ينظر الى ساعي البريد] انها من مختبر ابحاث مهم .
الساعي : مليون ليرة ؟ اقراها مرة اخرى . تأكد من ذلك . ان احدا يضحك عليك بسلا
شك .

المتهم : [لنفسه] مليون ليرة فوراً [مشدوها] مليون ليرة ؟

(استتار)

المشهد الثالث

[المشهدان الاول والثاني نفسيهما ، الامور الاضافية هي : اكوام من الرسائل
والاوراق على طاولة المتهم — آلة كاتبة ايضا — حيوية اضافية تلاحظ بوضوح على
المتهم ، المستغرق في القراءة وفتح الرسائل ...]

المتهم : ومع ذلك فانا لن اتخلى عنك ايها الصديق . اقسام لك بكل شيء . بكل قبعات
العالم .
الشيء : لقد اغتاطت السيدة منك الى حد فضحت شرك الصغير . ان مختبرات العالم
تتلوى فضولا .

المتهم : آخر العروض ؟
الشيء : مليون ونصف . في الرسالة التي امامك مباشرة . والشروط معقولة ، وكذلك
يبدو ان سمعة ذلك المختبر سمعة جيدة . . . انهم يعدون بأن يطلقوا علي اسمك حفاظا
على حقوقك .

المتهم : سنكتب لهم لا . بقليل من التهذيب ، وليس كما فعلنا سابقا .
الشيء : هناك عروض اخرى : من مصنع للالبان المعلبة . شركة طيران . متحف
زراعي . مصنع للطبع على الانسجة . كلية الاداب . قسم الشعر في جامعة اكسفورد .
مشروع السنوات العشر للزول على القمر . جمعية تحسين العلاقات الفضائية .
شركة افلام هتشكوك . مؤسسة الرفق بالحيوان . المقر البابوي في الفاتيكان . دار
نشر فرنسية . دائرة الاستخبارات الاميركية والروسية والصينية والانجليزية والفرنسية
والالمانية والكوبية . دار شهيرة لعرض الازياء . مختبر الابحاث الجرثومية . مليونير
سويسري يجمع الطرف واللوحات وخصوصا لوحات بيكاسو وسلفادور دالي . عروض
اخرى اهمها من طفل في الهند ضيع في الاسبوع الماضي مخلوقه الفضائي الخاص الذي
كان يربطه بخيط من القنب ، وعرض من مصور صحفي ناشئ يريد ان يحقق انتصارا
يضمن مستقبله المهني . وهناك عروض من ...

المتهم : [مقاطعا] كفى . كفى ! ذلك شيء يبعث على الجنون !
[تتخذ الحركة على المسرح ، منذ الان ، طابعا هستيريا مختلطا
ومتداخلا] .

. . ذلك شيء يبعث على الجنون [يضرب على الالة الكاتبة] .
الشيء : وعرض من فرقة للالعاب البهلوانية وترويض الحيوانات المفترسة ، يتيح لك ان
تظهر معي في جميع العروض .

[يدخل ساعي البريد ، يضع رسالة ، ويأخذ ورقة ويخرج مندفا]
الشيء : عرض جديد بليونير ليرة من الحكومة الكندية ، انها بحاجة الى مزيد من
السكان ليعملوا في اراضيها [يعود الساعي للحظة] .
الساعي : نصف بالمئة لي . عدني . [يخرج]

[تنطفئ الاضواء ، ويعم المسرح الظلام . رقعة صغيرة من الضوء
تضيء فجأة الوجوه فقط على المسرح . لا تنتقل من وجه الى وجه
ولكنها [تنفجر] فجأة على وجه ما وتنطفئ مع انتهاء الجملة] .

المتهم : لا . ان ذلك يبعث على الجنون [يضيء وجه السيدة] جنون . . جنون [يضيء
وجه امها] غبي . احمق . [يضيء الشيء] مصنع لحبوب ضد الزكام مستعد لشراء
الاسم [يضيء وجه المتهم] اسم مقاومة الزكام [يضيء وجه الساعي] حصتي من

هذا الركن كله . [يضيء وجه المتهم] انهم يشترون . . . [يضيء وجه السيدة التي تكمل] يشترون لك مستقبلا رائعا [يضيء وجه امها] لم تحلم به ابدا [يضيء وجه رقم ١] ينقذك من ورطة [يضيء رقم ٢] اولها الحجز على ممتلكاتك . [يضيء وجه المتهم - مكملا] للقبض على ذلك المسكين ، كائنني مخبر سري من الدرجة الثالثة [يضيء وجه رقم ١] اخفاء معلومات لصالح البشرية . [يضيء الشيء] السعر يتصاعد : مليونان ونصف المليون [يضيء وجه السيدة] نقدا [يضيء وجه الام] وفورا . [يضيء وجه الساعي] الكف عن فتح رسائل الناس والحزن من اجلهم . [يضيء وجه المتهم] جنون ! جنون [وجه الام] جنون ! [وجه السيدة] جنون . [تضيء غرفة المحكمة]

رقم ١ ورقم ٢ معا : جريمة قتل ، فيما بعد ، عقوبتها الاعدام شنقا .

[يضيء المسرح دفعة واحدة ، الجميع (الساعي ، رقم ١ ، رقم ٢ ، السيدة ، امها) بصوت واحد] :

الجميع : مجنون . جنون . هيا !

[ينطفئ الضوء]

المتهم : [صوته في الظلام ، ثم تضيء غرفته بالتدريج وتعود الى وضعها السابق ، هو والشيء فقط] سيدي ! يبدأ بالضرب على الآلة الكاتبة [ابغكم بكل سرور فرحي الشديد بعرضكم المغري لشراء ما وصفتموه بأنه سري الذي احتفظ به ، ان جهلكم بقيمة الاسرار الحقيقية تعسنتي حقا ، ولذلك فأننا آسف ان ابغكم رفضي لطلبكم ، ولكن لا مانع من ان تحاولوا مرة اخرى شرط ان تفهموا ان قيمة هذا السر ، عكس الاسرار الاخرى ، هي في ان يذاع بأقصى ما يمكن من الامانة . . . الشيء : امامك مئة رسالة على الاقل .

المتهم : [ينزع الورقة من الآلة الكاتبة ويضع ورقة جديدة] سيدي : اقتراحكم لشراء اسم المخلوق الفضائي كي تجعلوه ماركة لدواء ضد الزكام لا يمكنني البحث فيه الا اذا توصلتم حقا الى دواء ضد الزكام ، الامر الذي تؤكد لي مصادرني الخاصة انه لم يحصل الى الان .

[ينزع الورقة ويضع ورقة جديدة]

سيدي : اخشى ان لا يكون لجمعيتكم التي ترفق بالحيوان اي علاقة بالمخلوق الفضائي الذي هو شيء خاص [بعد هنيهة] سيدي : ان عرضكم لشراء سري الخاص كي تستعملوه في عروض ترويض الحيوانات الشرسية يتميز بقوة التهذيب والأطسلاع [بعد هنيهة] ايها الطفل العزيز : ان المخلوقات الفضائية لا يمكن ربطها بخيط من القنب . ولذلك أضعت مخلوقك التعيس . . ان مخلوقنا مثل الذي عندي يحتفظ به عن طريق اطلاقه . [بعد هنيهة] ان عرضكم الاخير الذي رفعتم فيه السعر الى مليوني ليرة ونصف المليون . . . [يتوقف] .

الشيء : ماذا ؟

المتهم : لست ادري . . . انني متعب قليلا . . . مشوش في الحقيقة . . . وعلي ان اقرأ تلك الرسالة مرة اخرى .

الشيء : انت تتصرف كمليونير حقيقي . .

المتهم : لقد بدأت ، بدورك ، تزعجني ! انظر كم اضحي من اجلك ثم لا تقابلني الا بالسخرية . .

الشيء : بدأت تساووم !

المتهم : لا . وانت كاذب ، واستفزاني ايضا . . ما الذي تريده ؟

الشيء : لا اعرف .. ولكن هل تعرف انت ؟
المتهم : لا . [مشوشا] دعنا نكمل هذا الجنون غدا . انني متعب .
الشيء : انت متردد .
المتهم : لا . متعب فقط .

[تدخل السيدة ، والام ، والساعي ويقفون هناك ، حول المتهم ، دون ان يتحدثوا اليه] .

المتهم : من كان يحسب ان الامور ستصل الى هذا الحد [يلتفت نحو المجموعة] قلت لكم الف مرة لا وانتم تقولون نعم .. نعم .. نعم .. [يعود الى الطاولة ويبدأ في النقر على الآلة الكاتبة ، المجموعة تتحلق حوله] سيدي . [يفرع على الآلة الكاتبة بصمت] سيدي [يعاود النقر] المخلص [يتوقف هنيهة ثم يبدأ بالنقر من جديد] أمل ان اسمع منكم قريبا [يفرع من جديد — فيما يتبادل أفراد المجموعة الأوراق التي تنزعها السيدة عن الآلة] .

الشيء : [صارخا] اريد ماء .

المتهم : [دون ان يكثرث] دعني ايها الغبي انهي اعمالك الان .
الشيء : ماء ..

المتهم : [يفرع على الآلة الكاتبة] سيدي ، ان الملايين الثلاثة التي عرضتموها ... [يصمت] اني انتظر منكم [يصمت] المخلص [يصمت] .
الشيء : ماء [ينتصب على الطاولة] .

المتهم : [يفرع على الآلة من جديد] وبالرغم من انني اعتقد [يصمت] فان شروطنا [يصمت — يواصل النقر على الآلة] فأنا الآخر [يصمت] المخلص .
الشيء : ماء ايها الخائن ! ماء [يتفوض بالتدريج] .
المتهم : [يضع الأوراق امامه ويسويها بدقة ، مستغرقا] مصنع لتعليب السبانخ — مجلة سوبرمان . حلقات تلفزيون — ها ! ها ! يا للتفاهة .

[ينهض ، يتجول في الغرفة مفكرا — المجموعة الام — السيدة — الساعي يللمون الأوراق ، والآلة عن الطاولة ويتركونها عارية ويخرجون على التوالي — المتهم يقترب من الشيء ويتفحصه ، ثم يرفع رأسه ببطء باتجاه المحكمة التي تضيء فجأة بنور ساطع] .

المتهم : لقد مات ايها السادة !

[تنطفئ جميع الانوار ثانية واحدة تعم فيها العتمة ثم تنفجر دائرة ضوء واحدة على وجه رقم 1] .

رقم 1 : قتلته عطشا . ابشع انواع الموت .

[ينطفئ الضوء في ثانية أخرى من الصمت ، ثم تنفجر دائرة ضوء على الحبل الموضوع على طاولة المحكمة ثانية أخرى] .

رقم 1 : [الصوت فقط] عقوبة الاعدام شنقا .

[الظلام مرة جديدة ... ثم تضيء غرفة المتهم الذي يبدو وهو يستكمل لبس قميصه ، متخذا الوضع الذي كان عليه في المشهد الاول] .

المتهم : اننا لم اقتله ايها السادة . وقد رأيت ذلك بانفسكم . [يضيء المسرح كله] .
رقم 1 : رأينا انك قتلته .

المتهم : [ببرود] قتلته ام قتلتها ؟

رقم ٢ : انه يعود الى لعنته الخبيثة .
 المتهم : اطالب بنص قانوني واضح ، يتعلق بقتل شيء قادم من الفضاء .
 رقم ١ : [لرقم ٢] اللوائح تتبجح له حق طلب من هذا النوع . [للمتهم] هذا طلب تستطيع ان تبرزه في محكمة قضائية . اما هنا ...
 المتهم : انالم اقتله ... انا استخدمت لنسيانه وادى ذلك الى موته .
 رقم ١ : انت خنته ، ولذلك مات .
 المتهم : موافق . على ان خيانة شيء قادم من الفضاء مسألة خاصة جدا لا علاقة لها بالقانون . انها ليست مثل خيانة الوطن ، او خيانة الزوجة ..
 رقم ١ : خيانة مبادئ .
 المتهم : مبادئ غير متفق عليها . مبادئ غير مقبولة الى الان ، في الواقع ..

[يصعد الشرطي فيغير وضع حاجز تفص الاتهام فتصبح المحكمة في الغفص — المتهم يكمل ..]
 ... وانا بدوري اطالب محاكمة المتسببين الاصليين في الجريمة . [يخرج ورقة من جيبه ويقرأ] مصانع العاب الاطفال المتكررة في طوكيو . مختبرات العلوم الجرثومية في جنيف . وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية . مشروع السنوات العشر لغزو الكواكب . اللجنة الدولية لتقدير موازين التسليح . اليونسكو . هتشوك . دار الازياء الباريسية الكبرى . مؤسسة والت ديزني . مصانع السيارات الخاصة بالتحضير للمستقبل . مصانع تعليب الخضار والفواكه . الشركة المتحدة لصناعة الصلب . مجالات الكوميك . دار النشر الكبرى في لندن . جامعات . كنائس . جوامع . مؤسسات للعلوم البصرية ، والبيولوجية . عواصم العالم جميعا . طفل من الهند . سارقو موضة سبعة حماتي . حماتي . ساعي البريد ... سبعة عشر افانرا ارسلوا رسائل تهديد ، واخيرا : انتم ... وكي اكون عادلا : فيما بعد انا .
 رقم ١ : ولكن ذلك مستحيل .

المتهم : وهل هذا سبب استفرادي انا ؟ لان ذلك غير مستحيل ؟
 رقم ٢ : هل تريدنا ان نضع العالم كله ، اذن ، في قفص ؟
 المتهم : لماذا لا ؟

رقم ١ : ذلك صعب قليلا .

رقم ٢ : كثيرا .

المتهم : [يقلب الورقة على قفاها ويكمل القراءة] شركات التسجيل على اسطوانات ، شركات التسجيل على اشربة ، خمس وعشرون ملهى ليليا ، سيرك ، حديقة عامة ، اتحاد مؤلفي المسلسلات التلفزيونية ، ستة متاحف زراعية ، دائرة الحرب النفسية والمعنوية في عشر وزارات دفاع موزعة في خمس قارات ، خطيبي ، دائرة الحجر الصحي التابعة للدولة ، نقابة اساتذة علم النفس . دكان اللحام القرية من بيتنا ، وبائع الخضار وموزع الحليب ورئيس تحرير الصحيفة التي اشترك بها منذ عامين دون ان ادفع ، وصاحبة البيت و ..

رقم ١ : كفى . ذلك يكفي حقا .

رقم ٢ : لنعد الى الوقائع ، ان كل الاسماء التي عدتها يمكن دعوتها كشهود .. بوسعهم جميعا ان يشهدوا بانك كنت تمتلك شيئا حيا ، وانك — كما تعترف بنفسك — قتلته عطشا فيما بعد . هذا فقط ما يهمنا هنا .

[الشرطي يغير وضع الحاجز ، فيصبح المتهم في الغفص] .

المتهم : انت تستعمل الوقائع بصورة خاطئة يا سيدي : ليس بوسعك ان تقول ان ذلك الشيء كان مخلوقا حيا .. وليس بوسعك ان تقول أنني قتلته عطشا .

رقم ١ : حسنا ، ماذا تريد ان تسميه انت ؟
المتهم : لقد كان — انه شيء مثل اللحم ، والان ليس اكثر من قبة معرضة للتلف .
رقم ١ : كان ماذا ؟ حلما ؟ نبيا ؟ فكرة ؟ رسالة ؟

[تعم الظلمة المكان باجمعه فجأة ، لمدة ثوان قليلة ، ثم يرتكز ضوء مفاجيء على رقم ١] .

رقم ١ : [يقف] ان المحكمة تسحب اتهامها لكم بارتكاب جريمة قتل لعدم توفر الادلة المتعلقة بالقاتل والمقتول واداة الجريمة المزعومة . براءة .

[الظلام ، مرة اخرى ، ثانية . ثم ضوء مفاجيء على المتهم] .

المتهم : انني ارفض هذا التنصل . ارفض هذا الانسحاب القذر . [الضوء يعم المكان]

رقم ١ : [ببرود] انت بريء . انت حر .
المتهم : لا ! لا ايها السادة ! اتوسل اليكم بكل قوانين الارض ، يجب ان تجدوا طريقة ما لحاكمتي .

رقم ١ : [ببرود] نحن آسفون ايها الرجل البريء . . . لقد بذلنا جهدنا ونبشنا كل حرف كتب في كل مكان . لا فائدة . ان قضيتك استباق لما عندنا ، وعليك ان تنتظر .
المتهم : ولكن ذلك مستحيل ايها السادة . مستحيل . . [يقف ، الضوء عليه فقط]
تريدونني ان اخرج من هذا الباب مرة اخرى ؟ ليس بوسعكم ان تكونوا قساة الى هذا الحد ! ارجوكم . . بريء ؟ اي عبء !
[الضوء في المسرح كله] .

رقم ٢ [يطوي الحبل باعتناء ، ويضعه ببطء في درج طاولته] نحن آسفون حقا ، ليس بوسعنا ان نخدمك . نعلن لك ذلك .

[الشرطي يتقدم ، ويأخذ في جمع طرفي الحاجز مستعدا لحملهما] .

المتهم : [يتمسك بالشرطي] لا . ارجوك . دقيقة واحدة ، فقد نجد حلما . . ليس بوسعك ان تغفل ذلك بهذه البساطة .

[الشرطي يمضي في عمله وكأنه لا يسمعه] .

المتهم : [للمحكمة] دعونا نتعاون ايها السادة ، لنبحث عن مخرج لهذا الموقف التعيس .
اليكم تهمة اخرى اقترحها عليكم بكل احترام . الاحاد .

رقم ١ : الاحاد ؟

المتهم : اجل . الاحاد ! لقد كان هذا « الشيء » رسالة كونية ، صلة وحيدة واولى مع كون لا نعرف عنه شيئا ، وحين مات بين يدي كنت من حيث لا ادري اعرقل العناية الالهية التي ارسلته . . .

رقم ١ : لا . ليس من اختصاصنا منحك مثل هذا المجد .

المتهم : ان العقوبة المخصصة لمثل هذه الجريمة اكثر اثارا من الشنق ، انني ايها السادة امنحك فرصة رائعة .

رقم ١ : ومع ذلك ، فانت رجل بريء ايها السيد . . انت رجل حر .

المتهم : يا الهي ما اقتساكم . انني اكرهكم !

[الشرطي يرفع الحاجز بعد ان يتم تجميعه ويمضي به الى الخارج]

رقم ١ : حتى لو كنت قد فعلت ذلك الشيء الكريه ، فانك قد دفعت اليه دفعا ، لا حيلة لك في الامر [يخرج ورقة من جيبه ويقرأ] معامل تعليب الخضار . التلفزيون . السينما . المواصلات اللاسلكية عن طريق الاجرام الفضائية . طفل من الهند يمتلك

خيطا من القنب فقط . دار الازياء . حماتك . خطيبتك . اللحام . بائع ال . . .
المتهم : كفى ! كفى !
رقم ١ : هيا ! اذهب الى بيتك ايها الرجل البريء . لدينا اعمال اخرى . .
المتهم : [يبكي] لا . انتم لا تستطيعون ان تكونوا متوحشين الى هذا الحد !
رقم ١ : انت بريء ، اذن انت حر . لماذا لا تذهب ؟
المتهم : انني اكرهكم جميعا . . . ولكن الا تستطيعون نبش قانون واحد يحل هذا
الاشكال . . ؟
رقم ٢ : لقد فعلنا كل ما في وسعنا يا سيدي . نقسم لك !

[نعلم جهة المتهم . رقم ١ ورقم ٢ يقفان ويسويان ملابسهما ثم
يخرجان ببطء . المتهم وحده] .

المتهم : [صارخا] لحظة واحدة ايها السادة [يتجه الضوء نحوه] لحظة واحدة . .
[يكملان سيرهما حتى يختفيان — المتهم يصل الى طاولة المحكمة ويقف هناك] لحظة
واحدة . ولكن ذلك ايضا مستحيل . بريء ! يا للحماقة ! كأن البراءة تعطى .
[ينظر نحو طاولته ، كأنه يرى نفسه هناك ، ويشير لما يخيل اليه انه
يراه باصبع الاتهام الخطابي] .

المتهم : انني احكم عليك بنوع فريد من العقاب ! [يتحير هنيهة ، ثم لنفسه] مسأفر
به فيما بعد [يعود للموقف الخطابي] لو تركته يعيش لعرفت عما لا تعرف اضعاف ما
جعلك تعرف عما تعرف . تصور ايها الخائن : لقد جعلك تكتشف من جديد عالمك الذي
تعرفه فكيف لو تركته يكشف لك عالمه الذي لا تعرفه ؟

[تعم العتمة لثانيتين — تسمع اصوات خطواته وهو يعود الى
طاولته — ينفجر الضوء عليه وعلى « الشيء » . . لحظات من
الصمت — الشيء يتحرك من جديد ، المتهم ينظر اليه ببرود —
الشيء يواصل تحركه بصمت ، ثم بعنف ووضوح كلي] .
[المتهم يقترب من الشيء ويرفعه بين يديه ، لأول مرة] .

المتهم : هيا بنا ايها الصديق . ليس امامنا الا ان نخرج معا .

ستار النهاية

الإمبريالية والاقتصاد الإسرائيلي

لاري لوك وود

أولا - مقدمة :

منذ التقدم الملحوظ الذي أحرزه الكفاح الفلسطيني التحرري بعد حرب الأيام الستة (حزيران ، ١٩٦٧) ، ظهرت اتجاهات ثلاثة بين الشباب الأمريكي . بشكل واضح ، اتبع البعض خط حركة التحرير السوداء وحركات التحرر في العالم الثالث ، بادانة إسرائيل وبالتعبير عن تضامنتهم مع الشعب الفلسطيني . بينما ، ظل آخرون ، على الجانب الآخر ، يطالبون بضرورة الدفاع عن « حق إسرائيل في الحياة » أو يقولون بأن إسرائيل بلد اشتراكي ، أكثر تقدمية من جيرانه العرب « الاقطاعيين » أو « البورجوازيين الوطنيين » . بالطبع ، هناك أيضا المستوى الوسيط غير الفاعل ، الذي يؤمن ستارا لجهتين : الأفراد ، الذين يعانون ارتباكا جديا من معطيات الصراع في الشرق الاوسط ، وهؤلاء الذين لم يجرؤوا بعد على التحرك باتجاه موقف سياسي واضح .

برغم ان وسائل الاعلام الامريكية تتحمل الجزء الاكبر من مسؤولية انتشار الارتباك حول إسرائيل والعالم العربي ، الا ان بعض مؤيدي حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم والثورة الاشتراكية في الشرق الاوسط يستحقون تحمل عبء جزء من اللوم في الارتباك الأمريكي . في عديد من الحالات ، افتقرت تحليلات الصراع العربي - الإسرائيلي الى الدقة والتحديد ، وهكذا مهدت الى فشل مهمتها .

وجين أركز في هذه الدراسة على مظهر واحد من أزمة الشرق الاوسط - وهو الاقتصاد الإسرائيلي في علاقته مع الإمبريالية - فأنني أعتزف علنا بعدة تناعات ثابتة ، مثل الدعم الكامل للنضال الفلسطيني كمرحلة حاسمة في النضال على امتداد العالم ضد الإمبريالية ، مرحلة غالبا ما تعاني أهميتها من تجاهل بعض قطاعات اليسار الأمريكي وقلة تقدير لها . هناك نظرة أساسية أخرى قد تبدو أكثر صعوبة للفهم عند بعض القراء - وهي الفئاعة بأن الجموع الاسرائيلية انما هي مقهورة اقتصاديا من قبل الإمبريالية . أنني أشعر بالفعل ان عملية القهر هذه قد تحرك قوى داخل إسرائيل ، قوى ، كما يفعل الفدائيون اليوم ، سوف تناضل غالبا ضد الإمبريالية والدولة الصهيونية مجتمعيتين . وبشكل عام فأنني أسعى من وراء هذه الدراسة أولا الى البرهان للمدافعين عن إسرائيل و« للمحايدين » بأن الصهيونية ودولة إسرائيل انما يجب أن تكونا مرفوضتين من اليهود وغير اليهود على حد سواء ، وثانيا الى تبادل المواد والآراء مع هؤلاء الذين ، مثلي ، يأملون أن يروا الإمبريالية مقلوعة من الشرق الاوسط .

ثانيا - لماذا يجب علينا تحليل الاقتصاد الإسرائيلي ؟

مع أن كثيرا من الوثائق قد أظهرت ، بشكل متنوع ، الارتباطات السياسية القديمة بين القيادة الصهيونية والمصالح الإمبريالية ، غير أن قليلا جدا من الانتباه قد وجه الى القاعدة الاقتصادية لهذه الارتباطات . اذا عرفنا السياسة على انها « اقتصاد مركز » ،

فانه من الضروري تحديد ما اذا كانت هناك قوى خارجية تؤثر على مسيرتها . كثيرون من المعادين للصهيونية أكدوا ان اسرائيل ، كوجود ذي قاعدتين سياسية واقتصادية ، قد تشكلت أساسا بناء على الاهداف السياسية للامبريالية .

ولقد تم التعبير مؤخرا ، بوضوح كبير ، عن هذه النظرة من قبل اتجاه الغالبية في المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، « متسبين » .

اسرائيل هي حالة خاصة في الشرق الاوسط : **ليس مستغلا اقتصاديا** من قبل الامبريالية . الامبريالية **تستغل اسرائيل سياسيا** ، وتقدم لها بالمقابل دعما اقتصاديا . كتب الاقتصادي الأمريكي اوسكار جاس (الذي كان سابقا مستشارا اقتصاديا لدى حكومة اسرائيل) : « لمدة ٢٠ عاما ، ١٩٤٨ — ٦٨ ، بلغ فائض الاستيراد حوالي ٧٥٠ مليون دولار . هذا يعني فائض استيراد بحدود ٢٠٦٥٠ دولار طيلة ٢١ سنة ، لكل فرد عاش في اسرائيل (في حدود قبل حزيران ١٩٦٧) ، في اواخر العام ١٩٦٨ » . ومن هذا الدعم الخارجي ، كما بين الكاتب ، دخل اسرائيل فقط حوالي ٣٠ ٪ تحت ظروف عائدات الارباح ، فوائد أو رأسمال . هذا وضع لا موازي له في أي مكان آخر . (Journal of Economic Literature ، كانون الاول ، ١٩٦٩ ، ص ١١٧٧) (١) .

صحيح انه ليس من حق الأمريكيين أن يقولوا للثوريين الاسرائيليين ما هي المبادئ النظرية والعملية التي يجب أن توجه نضالهم داخل اسرائيل ، الا أنني أشعر أننا في امريكا لسنا مجبرين على قبول تحليل متسبين دون قيد أو شرط أو على تحديد تحركاتنا نحن في ضوء هذا التحليل . ان الدعوى بأن بنية اسرائيل انما تشكلت أساسا بناء على الاهداف السياسية الامبريالية ، قد ارتفعت أيضا لدى بعض اليساريين الامريكيين ، مثل بيتر بوخ ، أكثر متحدثي حزب العمال الاشتراكي شهرة في أزمنة الشرق الاوسط . بعض المقالات مثل « اسطورة اسرائيل المتقدمة » (١٩٦٧) او « معطيات الشرق الاوسط الملتهبة » (١٩٦٨) ، تحوي نقاطا قيمة عديدة ، لكن بوخ يعنى قليلا جدا بالدور الاقتصادي للامبريالية في اسرائيل والعالم العربي . وفي مقال آخر ، « الثورة الفلسطينية والصهيونية » ، حيث ركز على مبلغ بليون ونصف البليون دولار الذي تنتزعه شركات البترول الامريكية سنويا من العالم العربي ، قدم بوخ سجلا بعناصر المجتمع الاسرائيلي التي تتلقى فائدة سياسية واقتصادية مباشرة من الصهيونية :

ان الجملة المؤكد عليها (« حق دولة اسرائيل في الوجود ») ، لا تشير الى حق اليهود الجسدي في البقاء أو حق مجتمعهم ، وانما الى بقاء جهاز دولة يهودية تحديدا ومؤيد للامبريالية ، جهاز يجد مكانا للمصالح الراسخة ، محرقة ومغذاة من قبل الصهيونية في فلسطين .

شحذت هذه المصالح الثابتة اغراض مجموعة كبيرة من الدوائر المتمتعة بسلطات في دولة اسرائيل الدينية . وهي تضم رسمي الحكومة ، ومحترفي السياسة ، والابطال السياسيين أمثال دايان ، وبيروقراطيي نقابات العمال ، ورجال اللجان الصهيونية ، والكتلة الدينية المنعصبة ، ومضاربي ومراهني الاراضي ، واصحاب البنوك والصناعيين الذين حققوا الفوائد الهائلة المذكورة آنفا ، وكذلك اصحاب الملايين شركاء الاستثمار في التعاونيات العامة ، والقطاع المتنامي من المستثمرين الامريكيين والاسرائيليين في الاراضي العربية المحتلة ، الذين يبنون مراكز التزلج في مرتفعات الجولان والمواقع السياحية في شبه جزيرة سيناء (٢) .

أمل أن تكون لائحة بوخ مرتبة حسب الاهمية ، ولكن ، وان كانت الحالة هكذا ، فان تحليلا جادا للاقتصاد الاسرائيلي يكشف ان المستثمرين الاجانب يشرفون على ما هو أكثر بكثير من « مراكز التزلج » و« المواقع السياحية » . بالاضافة الى هذا ، فان مجهودا

بسيطا يظهر أن الاستثمار الأمريكي الخاص كان قائما ليس فقط قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، وإنما حتى قبل تأسيس دولة إسرائيل . عندما يكون الإنسان ملتزما بدفع أمريكيين آخرين إلى معارضة الصهيونية ، فإنه من باب هزيمة الذات أن تتم عملية نقل غير دقيقة لصورة الاقتصاد الإسرائيلي . يبدو التساؤل فيما إذا كانت الصهيونية قد خلقت الدوائر المتسلطة في المجتمع الإسرائيلي ، أو فيما إذا كانت هذه الدوائر قد لعبت دور الداعم المحرض للدولة الصهيونية . يبدو التساؤل هنا كأحجية الدجاجة والبيضة . يظهر التحليل الحريص أن الجموع الإسرائيلية إنما هي ضحايا اقتصادية للامبريالية ، وليست « نتاجها الممكن » . وبرغم كون ظلم الفلسطينيين وآلامهم أكبر بشكل لا يمكن مقارنته ، فإنني أشعر أنه يجب على أعداء الامبريالية في الولايات المتحدة اتخاذ كل الخطوات الممكنة لتنبية الرأي العام الأمريكي بأن الفلسطينيين والإسرائيليين إنما هم ضحايا عدو مشترك واحد .

لا بد من الاعتراف ، بأن بعض الملامح السطحية تظهر أن بنية الاقتصاد الإسرائيلي الحالي تتحول عن الأنماط التقليدية للاستغلال الرأسمالي . ليس من السهل أن نقارن إسرائيل بالأمم المتقدمة صناعيا ، مثل الولايات المتحدة أو المانيا الغربية ، ولا بالأمم المستغلة بشكل هائل ، مثل بوليفيا أو تايلاند . نعم ، أنه من الصحيح أن أكبر بنك إسرائيلي ، بنك لئومي - لإسرائيل ، ليس ملكا لأفراد رأسماليين ، وأن الهستدروت ، اتحاد النقابات المعروف جيدا ، هو عمليا مركز التوظيف الواسع الوحيد في البلد ، وأن الإنتاج الزراعي يبدو ظاهريا تحت سلطة الكيبوتسات « الاشتراكية » والمزارع التعاونية . هذه الحالات تطغى بشكل تلقائي على تفكير أولئك الذين يدعون أن إسرائيل هي بلد اشتراكي ، لكنه من الممكن البرهان على أن هذه التحولات السطحية عن الرأسمالية لا تضعف من الحقيقة الأساسية - التي هي تبعية الاقتصاد الإسرائيلي للامبريالية .

ثالثا - دور الرأسمال المستورد :

فيما يشير المدافعون عن إسرائيل غالبا إلى « المعجزة في الصحراء » ، فإنه من الصعب نكران دور الرأسمال الأجنبي في خلق « المعجزة » . في بعض السنوات بلغ حجم استيراد الأموال إلى ما يقارب ٣٤ ٪ من الناتج القومي الإجمالي . وبينما يتكون استيراد رؤوس الأموال لدى الأمم الأخرى أساسا من الاستثمار الأجنبي والعون من الحكومات الأجنبية ، فإن إسرائيل تتلقى نسبة غير عادية (تكاد لا تصدق) من المساعدات المباشرة . تشكل تحويلات مدفوعات الجباية اليهودية الموحدة ، والتعويضات الفردية والحكومية من المانيا ، وكذلك تبرعات المؤسسات والأفراد حوالي ٧٠ بالمائة من الرأسمال المستورد (١٩٤٨ - ٦٧) (٢) . من الممكن تبيان الفئات المحددة لاستيراد رأس المال (من العام ١٩٥٠ - ١٩٦٧) على الشكل التالي ببيلايين الدولارات :

تبرعات المؤسسات (الجباية اليهودية الموحدة وغيرها) ١٧٣٥ ، التعويضات الالمانية (منذ ١٩٥٣) ٧٧٥ ، التبرعات الفردية ٨٨٥ ، تعويضات فردية مباشرة (المانية) ١١٩٠ ، معونة حكومة الولايات المتحدة المباشرة ٣٢٠ ، مبيع سندات إسرائيل ١٢٦٠ ، ديون أجنبية مختلفة (البنك الدولي ، الخ) ١٣٦٠ ، الاستثمار الخاص من الخارج ١٠٠٠ ، وبهذا يكون المجموع ٨٥٢٥ . (من كتاب **تطور الاقتصاد الإسرائيلي** ، صفحات ١٦٨ - ١٦٩) .

صحيح أن الاستثمارات الخاصة من الخارج تساوي فقط ١١٦٧ ٪ من رأسمال قدره ٨٤٥ بليون دولار بين ١٩٥٠ و ١٩٦٧ ، ولكن الافتراض يبدو متسرعا بأن الرأسماليين الأجانب ليسوا منشدین نحو إسرائيل . وكما سأتبين في مكان آخر ، فإن الرأسماليين

الاجانب قد لعبوا دورا حاسما في تحديد البنية الطبقيّة في اسرائيل ، وفي تحديد طبيعة غالبية صناعاتها . وتجب المعرفة أيضا ، بأن الشركات الاجنبية انما تحقق أرباحا من المبيعات داخل اسرائيل . مكدونالد دوغلاس لا يتبرع ببنفقات الفانتوم ، انها تباع . هكذا ، يغطي الرأسماليون الاجانب جزءا من المعونات التي تتلقاها اسرائيل . يجب الاعتراف ايضا بأن الرأسمال الاجنبي ليس موزعا بشكل متساو على السكان . الاسرائيليون من أصل آسيوي أو أفريقي ، وكذلك الاقلية العربية في اسرائيل ، لم يحصلوا الا على جزء صغير من التحويلات الشخصية (١،٧٣٥ بليون دولار) ، وكانوا قد استثنوا من الحصول على التعويضات الفردية من المانية (١،١٩٠ بليون دولار) . لهذا السبب ، فاننا لا نستطيع الموافقة كليا على تصنيف متسبين للطبقة العاملة الاسرائيلية :

ان العامل الاسرائيلي ، كما هو واضح ، لا يحصل على هذه المعونة نقدا ، وانما ينالها على شكل مساكن (التي لا يمكن ان تشاد بهذه الكميات اعتمادا فقط على الرأسمال المحلي) ، وبالتشغيل في الصناعات (التي كانت مرشحة للاغلاق منذ زمن طويل لولا المعونات المعلنة وغير المعلنة) ، وعلى شكل مستوى معيشي مرتفع لا يتناسب مع ناتج عمله .

انه من الواضح بأن أرباح الرأسماليين الاسرائيليين انما هي عائد مساهمتهم في المعونات الخارجية .

ان الصراع بين العمال الاسرائيليين وبين مستخدميهم لا يشترك فقط القسم من فائض القيمة الناتج عن العامل ، وانما أيضا مساهمة مختلف الطبقات في المعونات الخارجية (٤) . كما سوف أبين ، فان رأسمالي اسرائيل ومستشاريهم الاجانب كانوا دائما منتصرين في صراعهم من أجل الاشراف على فائض القيمة والمعونات . صحيح ان المعونات قد ساعدت على تأمين المساكن والعمل وغير ذلك لعمال اسرائيل ، ولكن من الممكن اظهار ان العمال قد دفعوا ضرائب مرتفعة من أجل هذه الضروريات .

بين الاعوام ١٩٥٠ و ١٩٦٧ أمنت الاشكال « العامة » لواردات رأس المال ٤،١٩ بليون دولار (هبات المؤسسات ، التعويضات الالمانية ، العون المباشر والقروض المختلفة) . مع ان هذه الاموال لا يمكن حسابها على أساس متبرعين ومستفيدين أفراد ، فانه من الخطأ النظر اليها وكأنها خسارة نقدية واضحة بالنسبة لاصحاب رؤوس الاموال الامريكيين والاوروبيين . انه يكفي أن نتذكر ان التبرعات لاسرائيل في الولايات المتحدة تعتبر معفاة من الضريبة ، وبهذا تقدم بعض الامتيازات للمتبرع الثري . وعلى المستوى ذاته ، فانه من الواضح أن عائدات الضريبة التي تؤمن التعويضات الالمانية ، العون الاميركي ، والقروض من الحكومات الاخرى لم تحصل من المثريين وحدهم . الرأسماليون الامريكويون والاوروبيون لم « يتبرعوا » الا بالقليل لاسرائيل : في المقابل ، فان الاشخاص الاقل ثراء قد وفروا الاموال لاسرائيل ، من حيث لا يدرون ، عبر دفعهم للضريبة .

قلما يدر مبيع سندات اسرائيل (بليون دولار) أرباحا على مشتري السندات ، بسبب نسبة الفائدة السنوية المنخفضة ، من ٣ الى ٤ بالمائة . على أية حال ، فان اسرائيل قامت بالدفع في الوقت المحدد ، ولذلك فان المستثمرين يخسرون الاموال فقط في اوقات التضخم المالي المرتفع في بلادهم .

ومع ان المعونات الخارجية لعبت دورا رئيسيا في تنمية الاقتصاد الصهيوني تحت الانتداب البريطاني ، كما فعلت منذ عام ١٩٤٨ ، الا أن على المرء أن يأخذ بعين الاعتبار انه من الممكن لطبيعة واردات رأس المال الخارجي ان تتغير . فمن جهة ، يمكن أن يؤدي اشتداد مساعد القوى الثورية في الوطن العربي الى سيل عارم من المساعدات العسكرية،

وخاصة من الولايات المتحدة ، بهدف مساعدة اسرائيل على الاستمرار في دورها كحارس للمصالح الامبريالية في الشرق الاوسط . والامكانية الثانية ، أن يزداد حجم الاستثمارات الاجنبية الخاصة بدرجة كبيرة ، مع تزايد الانتاج الاسرائيلي ، وتوسع السوق الاسرائيلية للبضائع الاجنبية . وعلى العكس من هاتين الامكانيتين ، يمكن للاوضاع الاقتصادية غير المستقرة في الولايات المتحدة وأوروبا أن تقود الى تخفيض واردات رأس المال الاجنبي . وليس هناك من أساس للاعتقاد بأن الانماط الراهنة (وهي سيطرة المعونات «الحكومية» ، وبشكل نسبي ضالة الاستثمارات الخاصة المباشرة من الخارج ، والدور الهام الذي تلعبه مبيعات سندات اسرائيل ، والديون الخارجية) هي انماط مستديمة ، أو أن التركيب الطبقي الحالي لاسرائيل لن يطرأ عليه أي تغيير .

رابعا — الاقتصاد الاسرائيلي داخل الاطار الشرق الاوسطى :

يمكن القول بشكل معقول تماما ان تاريخ الامبريالية الأمريكية نفسه متصل بشكل وثيق بالتحول الذي طرأ على الشرق الاوسط كافة خلال القرن العشرين . فمئذ استكشافات ما قبل الحرب العالمية الاولى على يد الجيولوجيين الأمريكيين ، ومئذ انحلال الامبراطورية العثمانية تحت الاشراف الأمريكي ، ومئذ أن غرزت شركات النفط الأمريكية اظافرهما في العراق والعربية السعودية في العشرينات ، كان الشرق الاوسط عنصرا أساسيا في مناطق نفوذ الرأسمالية الأمريكية في الخارج .

واني احث كل الأمريكيين على الاطلاع عن كثب على أعمال مثل كتاب هاري ماغدوف **عصر الامبريالية*** وذلك في محاولة اكثر جدية لفهم معنى الحقيقة الكامنة في أن « عددنا محدودا من شركات نفط الولايات المتحدة الأمريكية تسيطر على ثلثي احتياطي «العالم الحر» من النفط» (٥). واليوم ، تعمل شركات النفط الأمريكية في كل بلد من بلدان الشرق الاوسط ، **بما فيها اسرائيل** . وبما ان نسبة ضئيلة من احتياجات أمريكا المحلية من النفط تستدر من الشرق الاوسط ، يصعب على الكثيرين ان يفهموا طبيعة المصالح الأمريكية . الا أن مؤلفي كتيب بعنوان **مصالح الولايات المتحدة في الشرق الاوسط**** استطاعوا ان يكونوا واضحين جدا في ذلك :

لقد بلغت الاستثمارات المباشرة للشركات الأمريكية في نفط الشرق الاوسط قيمة اسمية قدرها ١٦٥٦ بليون دولار عام ١٩٦٦ ، وبلغ الدخل (قبل ضرائب الولايات المتحدة) لشركات الولايات المتحدة ما مجموعه ٨٥٢ مليون دولار من أصل دخل إجمالي قدره ٨٦٣ مليون دولار وذلك من كافة الاستثمارات في الشرق الاوسط . . . وبين العام ١٩٥٠ والعام ١٩٦٠ ازدادت قيمة الاستثمارات في بترول الشرق الاوسط من ٦٦٦ مليون الى ١٤١ بليون دولار ، بينما ارتفع الدخل السنوي من ٢١١ مليون الى ٧٣٥ مليون دولار . وفي العتد ١٩٥١ — ١٩٦٠ ، بلغ صادر رأس المال ٢١٦ مليون دولار فقط ، بينما وصل مجموع الدخل الى ٥ بلايين دولار (٦) .

وبينما يتظاهر السياسيون والعالمون ان الشرق الاوسط « مهدد بالتوسع الروسي » الا ان هذه الادعاءات لا تقوم على قاعدة صلبة . فعندما يتحدث ريتشارد نكسون عن « حماية احتياجات أوروبا النفطية » ينبغي الا يغيب عن ذهننا أنه أكثر اهتماما بحماية الارباح الخيالية لعمالقة النفط منه بتأمين ما يحتاجه من الوقود في الشتاء عمال ومزارعو أوروبا . فقراءة ثلثي مجموع النفط المستخرج نتيجة معدل عمليات الشركات الأمريكية في الخارج يأتي من الشرق الاوسط (٧) . ومع أنه يستشهد بمصر على أنها مثال للدولة

* Harry Magdoff, *The Age of Imperialism*

** *United States Interests in the Middle East*

المعتمدة على السوفييت ، الا ان عمليات النفط الامريكية في مصر قد تزايدت منذ عام ١٩٥٦ .

فقد تمت الترتيبات من اجل مشاريع مشتركة مع شركة « بان امريكان » (وهي فرع من شركة « ستاندرد أويل أوف انديانا ») وشركة « فيليبس بتروليوم » عام ١٩٦٣ . ونجحت شركة « بان امريكان » مباشرة تقريبا ، وابتدا الانتاج من حقل المرجان في خليج السويس في نيسان ١٩٦٧ واستمر دون ان يتأثر تقريبا خلال حرب الايام الستة . وابتدا الانتاج في حقل آخر اكتشفته « فيليبس » في الصحراء الغربية جنوبي المكان الذي كان مسرح حرب العلمين ، في آب ١٩٦٨ ، وقد ظهر ان حقل « بان امريكان » غزير الى درجة انه استطاع خلال أشهر قليلة فقط ان يعوض بل ويزيد عن خسارة حقول نفط سيناء التي وقعت تحت السيطرة الاسرائيلية . وفي نيسان ١٩٦٧ ، عندما كان حقل المرجان قد بدأ الانتاج لتوه ، حذر أحد الصحافيين في القاهرة العراق من انه « ليس من وطني يدرك ابعاد حرب النفط يمكنه ان يدعو الى تأميم النفط » (٨) .

عند هذه النقطة ، ينبغي للقراء ان يتساءلوا « هل تتناسب اسرائيل بأي شكل مسن الاشكال في اطار صورة الشرق الاوسط النفطية ؟ » ومع انه من المعتقد على نطاق واسع انه ليس لاسرائيل نفطها الخاص ، الا ان اسرائيل قد صدرت ما قيمته ١٩ مليون دولار تقريبا من النفط عام ١٩٦٧ (٩) ، غير انه يجب الاعتراف ، ان هذه الكمية لا يأبه بها بالمقارنة مع صادرات العراق البالغة ٣٦٢ مليون دولار (عام ١٩٦٧) او صادرات العربية السعودية التي وصلت الى ٨٤٣ مليون دولار في العام ذاته (١٠) . ومنذ العام ١٩٦٧ ، ازدادت امكانيات اسرائيل كمصدر للنفط بدرجة عظيمة ، وذلك بعد الاستيلاء على حقول سيناء ، وانجاز خط نفط ايلات - حيفا ، وهو ثالث أكبر خط في العالم في طاقته .

وبالنسبة لاسرائيل ، يجب ان ندرك ان الامبريالية لا تقصر جهودها ، تأديا ، على استخراج وبيع المواد الأولية ، مثل النفط ، بل يجب على المرء أيضا ان يفحص الارياح الناتجة عن اليد العاملة الرخيصة ، وعن السيطرة على الاسواق المستعمرة . ومع ان موارد اسرائيل الطبيعية تقتصر على المعادن الموجودة في منطقة البحر الميت وصحراء النقب ، لا يمكن التغاضي عن تجارتها الخارجية .

ففي علاقاتها مع العالم غير العربي ، تستمر اسرائيل في لعب دور المنطقة المعزولة ذات المهارات التكنولوجية الفائقة التي تضطلع بنشاطات ذات طبيعة متخصصة . ان الماس الصناعي ، مثلا ، هو اهم الصادرات الاسرائيلية ، حيث عاد عليها بـ ١٩٠ مليون دولار في العام ١٩٦٦ . فاسرائيل تستورد الماس الخام ، تقطعه ، وتصقله وتعيد تصديره الى بلدان البنلوكس (بلجيكا ، هولندا ولوكسمبورغ) ، وسويسره ، وهونغ كونغ ، واليابان والولايات المتحدة ، بربح سنوي قدره ٥١ مليون دولار . اما صادرات الحمضيات الطازجة ، التي يباع معظمها في أوروبا الغربية ، فقد جلبت ٧٩ مليوناً في العام ١٩٦٦ ، وحقت الفواكة المعلبة ٢٠ مليوناً أخرى . كما دخلت اسرائيل في السنوات الاخيرة عالم المنافسة في الازياء الرفيعة ، فحنت ١٥ مليوناً من صادرات الملابس عام ١٩٦٦ (١١) .

ويمكن استكمال عناصر الصورة التي رسمناها آنفا عن الصادرات الاسرائيلية الرئيسية باستعراض الجدول التالي ، الذي يبين العلاقة بين الصادرات الصناعية والزراعية :

جميع الارقام بملايين الدولارات

١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	
١.٨٠٤	٩٤٠٨	٨٦٤١	الصادرات الزراعية
(٪١٩٤)	(٪١٨٠٨)	(٪٢٠٤)	% من المجموع

٤٤٩٤٩	٤٠٨٤٥	٣٤٣٤٠	الصادرات الصناعية
(٪٨٠٠٦)	(٪٨١٤٢)	(٪٧٩٤٩)	٪ من المجموع
٥٥٨٤٣	٥٠٣٤٣	٤٢٩٤١	المجموع
١٩٣٤٠	١٩٠٤٠	١٥٤٤٤	صادرات الماس
(١٣)(٪٣٤٤٦)	(٪٣٧٤٧)	(٪٣٥٤٩)	٪ من المجموع

وهكذا ، فخلال فترة ثلاث السنوات ، كانت النسبة بين الصادرات الصناعية والصادرات الزراعية هي ٤ الى ١ تقريبا ، وشكلت صادرات الماس نصف الصادرات الصناعية تقريبا . والتعريف المنقول أعلاه بأن اسرائيل « هي منطقة معزولة ذات مهارات تكنولوجية فائقة » يمكن تبريره تماما اذا ما اعتبر المرء الدور الحاسم الذي يلعبه الانتاج الصناعي . فالندرة النسبية للمواد الاولية تقتضي بأن تكون **اليد العاملة** البارة أحد الموارد الطبيعية الرئيسية . وليس على المرء أن ينظر الى أكثر من صناعة الماس حيث تجلب المواد الاولية ليس من رمال النقب ، بل من مناجم جنوب افريقيا . فاذا ما أعطينا **اليد العاملة الاسرائيلية** ما تستحقه من الاهمية ، أصبح بإمكاننا أن نعالج بجدية مسألة ما « اذا كانت الصناعة في اسرائيل تدار من قبل العمال أم مسن قبل نخبة ذات قوة سياسية ؟ » .

فبينما بلغ مجموع الصادرات عام ١٩٦٧ الرقم الذي لم يسبقه مثيل وهو ٥٥٨٤٣ مليون دولار ، سجل مجموع الواردات أيضا رقما قياسيا جديدا هو ٧٥٤٤٦ مليون دولار (١٣) . ومن السهل تماما أن يغرب عن بال المرء الاثر الحقيقي للواردات الاسرائيلية الا أن بعض العمليات الحسابية البسيطة قد تستطيع فتح الاعين على الحقيقة . فاذا ما قسمنا مجموع الواردات البالغ ٧٥٤٤٦ مليون دولار عام ١٩٦٧ على مجموع السكان في ذلك العام (٢٤٨٠٧٤٠٠٠ بما فيه القدس الشرقية) (١٤) تصل الواردات للشخص الواحد حوالي ٢٧٠ دولارا تقريبا ، وهو رقم اعلى من معدل دخل الفرد السنوي في معظم بلدان الشرق الاوسط (١٥) .

ويدعي كثير من مؤيدي الصهيونية ان واردات اسرائيل المرتفعة بشكل غير طبيعي من البضائع الاجنبية هي نتيجة المصاريف التي تتكبدها اسرائيل كل سنتين على « الامن القومي » ولا يمكن نفي القول أن مصاريف الدفاع الاسرائيلية هي مرتفعة (اذ بلغت معدلا قدره ٨٤٨ ٪ من اجمالي الناتج القومي في كل من السنوات مسن ١٩٥٠ الى ١٩٦٦) (١٦) . رغم ذلك ، يجب أن ندرك أن واردات الاسلحة هي مجرد جزء من الواردات الاجمالية . وأكثر من ذلك ، فقد ازداد انتاج الاسلحة المحلي بشكل ثابت ، حتى ان اسرائيل ، اليوم ، تصدر أيضا الاسلحة الى البلدان الأخرى .

ان دراسة وثيقة لتركيب اسرائيل الاقتصادي تبين ان اعباء مصاريف التسلح تقع الى درجة كبيرة على كاهل العامل الاسرائيلي . اما الرأس المالي ، ان كان مواطنا اسرائيليا أو مستثمرا اجنبيا ، فلا يدفع الا القليل من أجل « الامن الوطني » .

وتشكل ديون اسرائيل الزمنة بالعملات الاجنبية ، التي وصلت الى ١٤٥٩ بليون دولار عام ١٩٦٨ (١٧) ، (حوالي ٥٧٠٠ دولار للفرد الواحد) سلاحا قويا في أيدي المنتفعين الامبرياليين . ومن المفيد أن نذكر ان الديون بالعمله الاجنبية هي نتيجة ملازمة للسيطرة الامبريالية ، وأنه من هذه الوجهة ، يكشف الاقتصاد الاسرائيلي عن نقطة تماس مع اقتصاديات البلدان المجاورة (اذ وصلت ديون مصر الطويلة الاجل الى مبلغ ١٤٥ بليون دولار عام ١٩٦٨) (١٨) . ويمكن ايراد الملاحظات التالية بخصوص الاقتصاد الاسرائيلي ضمن الاطار الشرق الاوسط الكلي :

١. مع ان اسرائيل لا تملك حاليا اقتصادا يعتمد بشدة على النفط الا ان الدور الحيوي الذي يلعبه الماس في صادراتها يشكل نوعا من التخصص في ناتج واحد .

٢) ومع انه ليس لدى اسرائيل من المواد الاولية ما يمكن مقارنته بما لدى جيرانها ، الا أن ما تملكه من اليد العاملة البارعة هو ثروة ذات أهمية فائقة . وما الصادرات الصناعية لعام ١٩٦٧ (التي بلغت ٤٤٩٠٩٠ مليون دولار) الا دليل على ذلك .

٣) ويشكل مستوى الاستهلاك الشخصي المرتفع في اسرائيل (وهو أعلى من مستوى استهلاك الفرد في هولندا ، والنمسا ، وإيطاليا) (١٩) وكذلك واردات « القطاع العام » المرتفعة ، سوقاً للبضائع الغربية . ففي عام ١٩٦٧ أصدرت الولايات المتحدة ما قيمته ١٩٢ مليون دولار من البضائع الى اسرائيل ، بينما بلغت صادرات أوروبا الغربية لها ٤٢٠ مليون (٢٠) .

٤) وينتج عن مستوى الواردات المرتفع هذا ديون مزمنة بالعملة الاجنبية ، التي تقود مثل ديون بلدان كثيرة أخرى ، الى ربط الاقتصاد الوطني بالامم الاجنبية .

خامسا - صورة عن المصارف في اسرائيل :

مع انه هناك بنوك تعاونية وكذلك بنود تديرها الحكومة في اسرائيل ، الا ان المؤسسات التي تعود ملكيتها للقطاع الخاص تلعب دورا مهيمناً . ففي عام ١٩٥٣ ، كانت الملكيات الفردية والشركات الخاصة تسيطر على ٧١٤٤ بالمائة من قطاع المصارف التجارية (٢١) . ومنذ ذلك الوقت ، يمكن للمرء ان يشير بشكل خاص الى النمو الثابت لبنك خاص واحد ، هو بنك الخصميات الاسرائيلي* ، الذي انشأه أعضاء من عائلة راكاناتي خلال فترة الانتداب . اما بنك لثومي ، الذي تديره الوكالة اليهودية ، فقد ظل اكبر بنك اسرائيلي ، الا أن موجوداته ، اثناء الستينات لم تنم بالسرعة نفسها التي نمت فيها موجودات بنك الخصميات الاسرائيلي .

١٩٦٨	١٩٦٧	١٩٦٤	١٩٦٣	
١٤٥٧٩ بليون	١٤٢٨٢ بليون	٠٤٩١٤ بليون	٠٤٥٩٢ بليون	بنك لثومي (بالدولار)
٢٦٦	٢١٦	١٥٤	١٠٠	١٠٠ = ١٩٦٣
٢٤٧٧١ بليون	٢٤١٧٨ بليون	١٤١٧٧ بليون	٠٤٩٧٢ بليون	بنك الخصميات (ليرة اسرائيلية)
٢٨٥	٢٢٤	١٢١	١٠٠	١٠٠ = ١٩٦٣

وهكذا اتسم بنك الخصميات بتوسع ظاهر في الرقم القياسي لموجوداته (١٢١ الى ٢٢٤) بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٦٧ ، وهي الفترة التي كانت تعاني اسرائيل خلالها أزمة الركود الشهيرة (هيتون بالعبرية) (٢٢) . وعندما كانت اسرائيل تمر في فترة استعادة النشاط بعد الحرب ، استمر الرقم القياسي لموجودات بنك الخصميات في الارتفاع بسرعة تفوق تلك التي لبنك لثومي .

وفي المكانة الثالثة بنك هبوعاليم ، الذي يسيطر عليه الهستدروت ، والذي لم تبلسج موجوداته علامة البليون ليرة حتى عام ١٩٦٥ (٢٣) . وبما ان عليه أن ينافس ليس بنك الخصميات فحسب بل أيضا بنوكا خاصة صغيرة أخرى ، يواجه بنك هبوعاليم قيودا شديدة . وبشكل خاص ، فقد استثنى هذا البنك من تقديم راس المال الى صناعة الماس المربحة ، التي يقوم بنك لثومي وفروعه على تمويل القسم الاعظم منها .

وقد تميز القطاع المصرفي الاسرائيلي ، في السنوات الاخيرة ، بمعدلات ربح عالية ، كانت

* Israel Discount Bank.

مصدر قلق كبير لبعض اعضاء اليسار الصهيوني حتى خلال اوائل الستينات . ويعرض بيتر بوخ في **أسطورة إسرائيل التقدمية** ، المقتطف التالي من كلمة ألقاها مؤير يعري الأمين العام للمابام ، في مؤتمر المابام عام ١٩٦٣ :

يورد تقرير لبنك إسرائيل انه في عام ١٩٦١ ازدادت موجودات البنوك بمقدار ٤٠٦ ملايين ليرة اسرائيلية ، او ٢٦ بالمائة ، وذلك خلال عام واحد . وخلال تلك السنة نفسها ، ازدادت الارباح المحققة على رؤوس الاموال الخاصة بهذه البنوك بـ ٥١٤٨ ٪ ، بينما ازدادت الارباح من العمليات ورؤوس الاموال معا بـ ٣٠١ بالمائة . مثل هذه الارباح ليست ارباحا رأسمالية طبيعية (٢٤) .

ومعدلات الربح المتزايدة التي يشير اليها يعري تصح أيضا على فترة ما بعد الحرب . ففي عام ١٩٦٨ ، ارتفعت أرباح البنوك بنسبة ٣٠ بالمائة ، فوصل مجموعها الى ٦٠ مليون ليرة اسرائيلية (٢٥) . وفي **الثورة الفلسطينية والصهيونية** ، ينقل بوخ تعبيرا آخر على دهشة يعري (نقلا عن **إسرائيل هوريزون** ، أيار ١٩٦٩) : لا استطيع ان أبرر، بسبب الاحوال الطارئة الحالية ، حقيقة انه في أوقات الجبوحه الاقتصادية مثل التي كنا نتمتع بها في السنة الماضية — عندما زادت أرباح البنوك عن ٣٠ بالمائة — وعندما بلغت أرباح رجال الصناعة أكثر من ٢٠ بالمائة — بقيت أجور العمال الذين ينالون الرواتب ثابتة ، بعد ان كانت مجمدة خلال تلك السنوات الكثيرة (٢٦) .

وبالإضافة الى الدور المسيطر الذي تلعبه البنوك الخاصة في إسرائيل ، يجب على المرء أيضا أن يأخذ بعين الاعتبار امتداد نفوذ رجال البنوك الى قطاعات الاقتصاد الأخرى . ويمكن لأولئك الذين يعرفون عن كتاب وليم دومهوف : **من يحكم أمريكا** (بالانجليزية) ، أو عن كتاب لينين : **الإمبريالية : أعلى مراحل الرأسمالية** ، أن يدركوا بسرعة الدور الذي يلعبه أعضاء مجالس الإدارة المشتركين في المجتمعات الرأسمالية . فعندما تشارك حلقة صغيرة من الأشخاص في عدد كبير من مجالس الإدارة ، يندفع الاقتصاد الوطني بشكل ثابت نحو التمرکز الاحتكاري .

ومنشورات مثل *Who's Who in Israel* ، لعام ١٩٦٩ تكشف بوضوح ان رؤساء مجالس الإدارة لأكبر ثلاثة مصارف اسرائيلية يحتلون عددا كبيرا من المناصب الأخرى في مجالس إدارة اضافية :

أ — دانيال راكاناتي — وهو المدير الإداري لبنك الخصميات الإسرائيلي ومدير شركة فرعية لهذا البنك هي Discount Bank Investment Corporation وكذلك هو مدير في المؤسسات التالية : Israel Mercantile Corporation, Delek Fuel Company, و «Cargo Ships «El-Yam» و Industrial Development Bank of Israel وشركة PEC Israel Corporation (وهي شركة استثمارات) . كما انه عضو في اللجنة الاستشارية لبنك إسرائيل .

ب — يشعياهو فويردر Yeshayahu Foerder — رئيس بنك لثومي . وهو المدير المؤسس لشركتي « راسكو لمتد » و « اسراس » (وهما شركتان للانشاء والبيوت) . كذلك هو مدير شركة « باز اويل » . كما انه عضو في اللجنة الاستشارية لبنك إسرائيل .

ج — ابراهام زابرسكي ، المدير الإداري لبنك هبوعاليم ، ورئيس شركة Hassneh Insurance . ورئيس بنك يعمل في رهن المنازل Housing Mortgage Bank Ltd. كذلك هو مدير شركة Delek Fuel وشركة AMPAL (للاستثمارات) وعضو في اللجنة الاستشارية

* The Myth of Progressive Israel

** The Palestinian Revolution and Zionism

لبنك اسرائيل . وكذلك عضو في المجلس العام لكل من الهستدروت ، وحزب الماباي . وهكذا لا يقصر أي من رؤساء البنوك الثلاثة هؤلاء نشاطه على مجالس الادارة الواقعة في دائرته الخاصة داخل الاقتصاد الاسرائيلي . فراكاتاني ، وهو أحد الرأسماليين في القطاع الخاص ، هو أيضا مدير لبنك « يديره القطاع العام » وهو بنك Industrial Development Bank ، وفويردر ، رئيس بنك لثومي الذي تملكه الوكالة اليهودية هو أيضا مدير في شركتي « راسكو » و « باز اويل » اللتين يديرهما القطاع الخاص . وزابرسكي مدير « بنك العمال » هو أيضا مدير في شركة ديليك وهي اكبر شركة نفط اسرائيلية . وهكذا يمثل هؤلاء الرؤساء الثلاثة التلاحم الكامل بين دوائر النشاط « الخاصة » و « العامة » .

ولا يسع المرء بأي شكل أن يعتبر راکاتاني ، وفويردر ، وزابرسكي أمثلة شاذة معزولة . ففي بنك الخصميات الاسرائيلي مثلا يكتشف المرء أن رافاييل راکاتاني الذي يدير عمليات البنك في نيويورك هو أيضا مدير في شركتي « اليام » و « ديليك » . و ابراهام هاسيدوف ، وهو مدير آخر ، هو أيضا مدير في :

Israel Development and Mortgage Bank of Netivot Hadarom, Ltd.

وظاهرة التداخل في النظام الرأسمالي هذه تستحق أعظم الاهتمام عندما يتفحص المرء البنك الذي يديره الهستدروت وهو بنك هيو عليم أو « بنك العمال » ، فمثلا شراغة غورين وهو عضو سابق في حزب الماباي في الكنيست ، يعمل أيضا كنائب لرئيس شركة ديليك وكذلك نائبا لرئيس شركة Alliance Tire and Rubber . وأحد المدراء الآخرين وهو ابراهام دكينشتاين ، يعمل رئيسا لـ AMPAL و Israel Development Corp. (للاستثمارات) ذلك بالاضافة الى كونه مديرا في Alliance Tire وفي Lapidoth Ltd (للفنط) . فهل يجرؤ « المدافعون عن الاشتراكية الاسرائيلية » أن يدعوا أن ما هذه الا مجرد أمثلة على تغفل الاشتراكية داخل القطاع الرأسمالي من الاقتصاد ؟ او انه يجب التسليم نهائيا بأن مدراء البنوك « الاشتراكيين » ما هم الا مجرد خدام صاغرين للرأسمالية ؟ وهكذا، يتكشف لنا ان القطاع المصري في اسرائيل يتسم بمظاهر معينة يتميز بها الاقتصاد الرأسمالي . ويمكن للمرء أن يشير ليس الى ظاهر النمو الثابت في بنك الخصميات فحسب بل وأيضا الى معدلات الربح المرتفعة (حتى أثناء الفترات التي أقرت فيها الحكومة تجميد الاجور) . بالاضافة لذلك ؛ لا يمكن للمرء أن يتفاسى عن ظاهرة العضوية في مجالس ادارة متعددة من قبل بعض مدراء أهم البنوك الاسرائيلية ، وهو وضع يدل على تغفل الرأسمالية الاحتكارية .

سادسا — الاستثمارات الاجنبية في اسرائيل :

مع ان الاستثمارات الخاصة لم تشكل سوى نسبة ضئيلة (١١٦٧ بالمائة) من الـ ٨٦٥ بليون دولار وهو ما ورد اسرائيل من رأس المال الاجنبي بين عام ١٩٥٠ و ١٩٦٧ ، الا أن الآثار الملموسة التي تركها الاستثمار الاجنبي تستحق مزيدا من الاهتمام . والجدول التالي يعطي صورة مفصلة عما ورد اسرائيل من رأس المال الاجنبي الخاص في السنوات الاخيرة :

(الأرقام بملايين الدولارات)

الجموع	١٩٦٨	١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	١٩٦٤	
٤٩٤٤٢	٥٤٢٢	٥١٤٦	١٠٤٤٣	١١٤٤٩	١٦٩٤٤	اجمالي الاستثمارات
١٣٥٤٨	٣٢٤٧	٣١٤١	٢٧٠	٢٧٤٩	١٧٤١	الاستثمارات المصفاة
٣٥٨٤٤	٢١٤٥	٢٠٤٥	٧٧٤٣	٨٧٤٢	١٥٢٤٣	

المجموع الصافي :

٢٣٤٧+	٤٤٠+	٤٤٣+	٥٤٢+	٤٤٨+	٤٤٤+	اعادة استثمارات
٣٨٢٤١	٢٥٤٥	٢٤٤٨	٨٢٤٥	١٢٤٠	١٥٦٤٧	الارباح

وتشير احصائيات بنك اسرائيل الى هبوط حاد في الاستثمارات الاجنبية بعد عام ١٩٦٤ (٢٧)، على ان ذلك ليس كافيا لجعل من يعطفون على الصهيونية يصرخون « ألا ترى ، اسرائيل تحرر نفسها من السيطرة الاجنبية » فمبلغ الـ ٣٨٢٤١ مليون دولار ، وهو المجموع المتراكم النهائي لفترة خمس السنوات هو أعلى بكثير من مجاميع فترات خمس السنوات الأخرى . ومع ان الاستثمارات المصفاة ازدادت بشكل ثابت ، الا ان اجمالي الاستثمارات ، والاستثمارات المعادة قد تفوقت عليها بشكل مستمر . ومما يجدر ملاحظته ان الاستثمارات المعادة قد بقيت ثابتة نسبيا خلال الفترة كلها .

وينبغي لنا أيضا ان نأخذ بعين الاعتبار ان الهبوط في اجمالي الاستثمارات ، وكذلك الزيادة في الاستثمارات المصفاة قد رافقت فترة الـ « ميون » وهي فترة الركود ، التي ما أن حل عام ١٩٦٧ ، حتى كانت قد لفظت . ١٠ بالمائة من القوة العاملة الاسرائيلية خارج العمل . ويبدو ان حكومة « اشتراكية » كان ينبغي ان تتخذ اجراءات لوضع حد لعمليات التصفية الخطيرة هذه ، الا ان اشكول كان تحت رحمة المستثمرين الاجانب تماما .

اما حرب حزيران ١٩٦٧ التي خفضت جزئيا نسبة البطالة « الرسمية » بوضعها كثيرا من العمال تحت السلاح ، فقد تبعها فترة تجدد الاستثمارات الاجنبية . ففي عام ١٩٦٨ ، وصل اجمالي الاستثمارات الى مبلغ ٥٤٤٢ مليون دولار ، وارتفع بشكل ثابت منذ ذلك الحين . وازدياد الاستثمار الاجنبي لم يكن نتيجة حرب ١٩٦٧ فقط ، بل أيضا بسبب عوامل مختلفة مثل تجميد الاجور ، وتسارع الانتاج الصناعي ، وما زودته المناطق المحتلة من أسواق جديدة ، ويد عاملة اضافية . وفي عام ١٩٦٩ ، باشرت الشركات الامريكية فقط بمشاريع بما قيمته ١٠٦ ملايين دولار . وان قائمة جزئية بالشركات العاملة في اسرائيل لتضم المؤسسات العملاقة التالية : Xerox Motorola و Westinghouse و Witco Chemicals و Holiday Inns و International Paper و ومن المهم بشكل خاص ان ندرك ان بعض المؤسسات التي يديرها الهستدروت مثل صناعات كور قد تشاركت مع بعض المؤسسات الامريكية مثل « جنرال تليفون » و Owens-Illinois (٢٨) .

رغم ذلك ، لا ينبغي ان تدهشنا الزيادة السريعة والمفاجئة للاستثمارات الاجنبية بعد الحرب ، لان قاعدتها الاقتصادية كانت قد هيئت قبل سنوات كثيرة من ذلك . وعداد الاستثمارات المباشرة من قبل شركات اجنبية ، يجب ان يأخذ المرء بعين الاعتبار الدور الهام والنافذ الذي تلعبه شركات الاستثمار . فشركة PEC الاسرائيلية مثلا (وقد أنشئت عام ١٩٢٦ باسم (Palestine Economic Corporation)) تملك أجزاء رئيسية من شركات اسرائيلية مثل Carmel Wines Ltd. و Ihud Insurance و Tambour Paints و ICOA (للطائرات والعتاد الحربي) . بالإضافة لذلك ، تملك شركة PEC Isracl أسهما في بنك الخصميات وشركة « ديليك » و « يونتايد تورز » و « دان اوتيلز » ومجموعة أخرى من الشركات .

ومن بين الشركات المنشأة في الخارج ، تشكل شركة امبال (AMPAL) (التي أنشئت عام ١٩٤٢ باسم (American Palestine Trading Corp.)) حالة خاصة ، اذ أنها أقيمت في الاصل على يد شركة أخرى هي حفرات عوفديم ، إحدى الشركات المالكة في الهستدروت . ورغم اصول امبال ، الا انها اليوم تزود برأس المال ليس مشاريع الهستدروت فحسب ،

بل وايضا شركات ذات ملكية خاصة مثل « ديليك » و Tricontinental Pipelines . ومع ان شركة « أمبال » تختلف عن شركات الاستثمار الأخرى بما ان بعض مدرائها أعضاء في الهستدروت ، مثل أهرون بكر ، وإبراهام زابرسكي ، إلا ان رئيسها امريكي : (١) رودولف ج سون بورن، رئيسا - كذلك رئيس شركة Sonneborn Chemicals and Refining Co. (الولايات المتحدة) حتى عام ١٩٦٠ ، ورئيس سابق لشركة : Petroleum Transport and Trading Corp. (الولايات المتحدة) كما انه كان مديرا سابقا في New York Post Corporation . كذلك مدير في Witco Chemicals (الولايات المتحدة) . ورئيس للنداء اليهودي الموحد في الفترة ١٩٥٠ - ١٩٥٤ . ومدير في Israel Development Corp., PEC Israel Corporation (للاستثمارات) .

وهكذا ، فشركة « أمبال » من خلال سون بورن تكشف عن علاقة مباشرة ليس بالقطاع الخاص في اسرائيل فحسب ، بل وايضا بالرأسمالية الاحتكارية الامريكية (اذ ان شركة Witco Chemicals ، التي تعمل في اسرائيل ايضا ، هي مجموعة لشركات الكيماويات والبتترول بلغت موجوداتها عام ١٩٦٩ ١٦٧ مليون دولار) . ومن أجل المدافعين عن اسرائيل يجب طرح السؤال : « هل ان التزام سون بورن بتنمية اسرائيل الاقتصادية هو مجرد عمل خيري ، أم انه مع ثلثة رجال الخير الآخرين من اصحاب الملايين ينتظر ما سيجنيه من منافع في المستقبل ؟ »

وبينما قد يقول بعض المنتمين للصهيونية ان المناصب التي يحتلها بعض اصحاب الملايين الامريكيين هي مجرد مناصب فخرية لا تمكنهم من ترسيخ اقدامهم في الاقتصاد الاسرائيلي ، يجد المرء أن سون بورن ليس حالة استثنائية أو معزولة . فهناك مثلا رالف وشسلسر ، رئيس شركة Nopco Chemical Co. في الولايات المتحدة، الذي يعمل أيضا كمدير في شركة «أمبال» ، وك رئيس لشركة Israel Development Corp. ، وك مدير في البنك الذي « يديره القطاع العام» وهو Industrial Development Bank of Israel اما شركة Israel Investors Corp. وهي شركة ذات ملكية خاصة ، فرئيسها هو لويس هـ. بوير من لويس انجلس الذي هو مدير في الشركات الامريكية التالية : Aetna Construction Corp. و Boyar-Kessler Investment Corp. و City National Bank of Beverly Hills وتخطط الشركة الفرعية الاستثمارية لهذا الاخير وهي Beverly Hills Bank Corp. من خلال شركة Overseas Diversified Equities لان تستثمر مبلغ ١٤٥ مليون دولار في اسرائيل ، بعد أن اثمرت مؤخرا حصة لا يستهان بها من أسهم Perma-Sharp ، وهي اكبر شركة اسرائيلية منتجة لشفرات الحلاقة (٢٩) .

وفي عام ١٩٦٨ ، بلغت موجودات اربع شركات استثمارية امريكية المنشأ هي (AMPAL ، و PEC Israel ، و Israel Development Corp. ، و Israel Investors Corp.) مجتمعة ٩٦،٣ مليون دولار . ومع ان هذا الرقم صغير بالمقارنة مع موجودات بنك لثومي او بنك الخصميات الاسرائيلي Israel Discount Bank ، إلا انه من الخطأ انكار أهمية هذه الشركات . فقد لعبت دورا حاسما بتزويدها رأس المال لقطاعات اقتصادية مثل البترول ، والسياحة ، وهي كذلك تكشف عن الصلات الاساسية التي تربط الرأسماليين والبيروقراطيين الاسرائيليين بالرأسمالية الامريكية .

وطبعا ، ليست الشركات الاربع الامريكية المنشأ هي الشركات الوحيدة . فيمكن الإشارة الى مؤسسات مثل Africa-Palestine Investments Group ، وهي مجموعة مستثمرين من جنوبي افريقيا لهم نصيب كبير من أسهم شركات التأمين ، والعمليات السياحية (مثل Peltours, Inc. و Tiberias Hot Springs) . وهناك مجموعة أخرى من مستثمري جنوب افريقيا تملك Jacob Japhet Bank و Ararat Insurance .

وأكثر من ذلك ، يجد المرء أمثلة لمؤسسات اشترك فيها الاستثمار الخاص مع المعونات الأجنبية مثل الطريقة التي أنشئ بها Industrial Development Bank of Israel عام ١٩٥٧ . ومع ان معظم رأسمال البنك قد زودته مباشرة الحكومة الأمريكية وبنك الاستيراد والتصدير Export-Import Bank ، إلا أن هناك ٥ ملايين ليرة قدمت كقرض من قبل بنك واربورغ (لندن) وهو ذو ملكية خاصة . وفي عام ١٩٦٩ ، قام بنك Industrial Development Bank حسب ما جاء في تقريره السنوي ، بمفاوضات من أجل سلسلة من القروض ، استدانها من بنك التصدير والاستيراد وشركة « أمبال » ومرة أخرى بنك واربورج (مليوني ليرة) .

ورغم حقيقة ان الاستثمارات الأجنبية الخاصة في الماضي لم تسهم الا بنسبة صغيرة مما وصل لاسرائيل من رأس المال الاجنبي ، من المهم أن ندرك أن المعونات الأجنبية (التي تدفعها البروليتاريا الأمريكية ، والأوروبية الغربية) قد خلقت القاعدة الصناعية التي مكنت الرأسماليين الاجانب من الاستثمار المربح . وهكذا ، غدور الاستثمار الخاص في ما يرد اسرائيل من رأس المال قد يصبح أكثر أهمية في المستقبل ، عندما يكشف الرأسماليون الاجانب فرصا جديدة للربح في اسرائيل . الا أن هذه الامكانية ، لا محالة ، رهن بنشاط الكفاح التحريري الفلسطيني ، والبروليتاريا الاسرائيلية نفسها .

سابعا — القطاعات الرئيسية في الاقتصاد الاسرائيلي :

١ — صناعة الماس : كما اشرنا في السابق ، اكتسبت صناعة الماس دورا حيويا في الاقتصاد الاسرائيلي ، حيث أسهمت بأكثر من ثلث صادرات البلاد عام ١٩٦٧ . وخلافا لبعض القطاعات الأخرى ، فهذه الصناعة ذات منشأ حديث نسبيا .

ان صناعة الماس في فلسطين (التي يحتكرها اليهود) قد نمت بمعدل سريع جدا بعد ان انقطعت مراكز هذه الصناعة في أوروبا عن مصادر موادها الأولية (في جنوب افريقيا) : فازداد انتاج هذه الصناعة من ١٤٠٠٠ قيراط (بلغت قيمتها ٢٥٠٠٠ ليرة) عام ١٩٤٠ الى ٥٨٠٠٠ قيراط (قيمتها ٢٦٦ مليون ليرة) عام ١٩٤٣ الى ١٣٨٠٠٠ قيراط (٦ ملايين ليرة) عام ١٩٤٥ (٣٠) . ومنذ عام ١٩٤٥ ، أصبحت اسرائيل ثاني أكبر مصدر للماس المستول في العالم ، حيث أسهمت بأكثر من ٣٠ بالمائة من انتاج العالم .

وتزود نقابة الماس التجارية الضخمة في لندن والتي تديرها بشكل رئيسي مصالح بريطانية و افريقية جنوبية ، ٦٠ بالمائة مما تحتاجه اسرائيل من الماس الخام (٣١) . فهل يعقل أن يكون « لمصالح أمنية » أو من قبيل الصدف السياسية ان يكون لاسرائيل علاقات تجارية حميمة ومكاتب دبلوماسية في جنوب افريقيا ، أحد أكبر منتجي الماس الخام في العالم ؟ وإذا ما أدرك المرء أهمية الماس المصقول في الميزان التجاري الاسرائيلي (حيث أسهمت صادرات الماس لوحدها عام ١٩٦٧ بما يعادل ٦ بالمائة من اجمالي الدخل القومي) ، أصبح متعذرا أن يتغاضى المرء عن القاعدة الاقتصادية التي تحكم الصداقة الاسرائيلية — جنوب افريقية .

وبالنسبة لعلاقتها مع القطاعات الأخرى ، يتبين ان لصناعة الماس خواص فريدة جدا . اولا ، يذهب ٩٩٠٩ بالمائة من الانتاج للاستهلاك الخارجي (٢٢) ، وليس الاسرائيلي . من جهة ثانية ، فالعامل العادي في هذه الصناعة يتمتع بانتاجية عالية جدا . ففي عام ١٩٦٤ ، انتج عمال الماس في اسرائيل البالغ عددهم عشرة آلاف ما قيمته ١٣٧ مليون دولار من الماس المصقول ، اي بمعدل ١٣٧٠٠ دولار للعامل الواحد (٢٣) . والعامل الثالث هو ان مؤسسات صناعة الماس هذه هي صغيرة نسبيا ، إذ ان المؤسسة النموذجية عام ١٩٦٥ لم تكن توظف أكثر من أحد عشر شخصا (٢٤) . وأخيرا ،

فالهستدروت يكاد يكون مستثنى كليا من ملكية هذه الصناعة او السيطرة على رأس مالها .

ب — **الاقمشة والملابس** — مثلما هي الحال في صناعة الماس ، لم يظهر انتاج القماش حتى السنوات الاخيرة من الانتداب البريطاني . وشركة *Ata* ، وهي احدى الشركات الاولى الكبرى ، قد أنشأها مستثمرون من القطاع الخاص . ويشير أيزنشتات الى انه في عام ١٩٣٩ لم يكن سوى ٢٤٤ بالمائة من عمال الاقمشة في اسرائيل يشتغلون في مؤسسات تابعة للهستدروت ، بينما بلغت النسبة عام ١٩٥٩ ٢٤٥ بالمائة (٣٥) .

وبالنسبة للصادرات ، تحتل الاقمشة والملابس المكان الثالث ، بعد الماس والمواد الغذائية . ويبين الجدول التالي كيف ارتفعت صادرات الاقمشة والملابس حتى اثناء فترة الـ « ميتون » او الركود .

١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	
٦٧٢٤٠	٧٢٠٤٠	٦٨٥٤٥	انتاج القماش (مليون ليرة اسرائيلية)
٣٠٠٤٠	٢٩٧٤٠	٢٨٨٤٠	انتاج الملابس (مليون ليرة اسرائيلية)
٤١٤٢	٣٥٤٧	٣١٤٣	صادرات الاقمشة (مليون ليرة اسرائيلية)
٪٦٤١	٪٥٤٠	٪٤٤٦	نسبة الصادرات الى اجمالي الانتاج
١٠٤٨	٩٤٤	٩٤٣	صادرات الملابس (مليون ليرة اسرائيلية)
٪٣٤٦	٪٣٤١	٪٣٤٢	نسبة الصادرات الى اجمالي الانتاج
٩٧٢٤٠	١٠١٧٤٠	٩٧٢٤٥	اجمالي انتاج الاقمشة والملابس
٥٢٤٠	٤٥٤١	٤٠٤٦	اجمالي صادرات الاقمشة والملابس
٪٥٤٣ (٣١)	٪٤٤٤	٪٤٤٢	نسبة اجمالي الصادرات الى اجمالي الانتاج

ويجب ايضا فحص ظاهرة الزيادة في صادرات الاقمشة والملابس بالنسبة لعلاقتها بظاهرة اخرى وهي تناقص عدد العمال الموظفين في هاتين الصناعتين :

١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	
٦٧٢٤٠ مليون ل.أ.	٧٢٠٤٠ مليون ل.أ.	٦٨٥٤٥ مليون ل.أ.	انتاج الاقمشة
٢٢٤٩٧٠	٢٥٤٩٧٠	٢٦٤٤٤٠	عدد الاشخاص الموظفين
ل.أ. ٢٩٤٢٦٠	ل.أ. ٢٧٤٩٩٦	ل.أ. ٢٢٤١٤٥	معدل انتاج العامل
٣٠٠٤٠ مليون ل.أ.	٢٩٧٤٠ مليون ل.أ.	٢٨٨٤٠ مليون ل.أ.	انتاج الاقمشة
١٨٤٦٢٠	١٧٤٩٠٠	١٧٤٥٠٠	عدد الاشخاص الموظفين
ل.أ. ١٦٤١١٧	ل.أ. ١٦٤٦٩٢	ل.أ. ١٦٤٥٧٠	معدل انتاج العامل
٤١٤٥٩٠ (٣٧)	٤٣٠٨٦٠	٤٢٤٩٤٠	عدد العمال في الصناعتين

ومع ان كل من الانتاج وعدد الموظفين قد ارتفع في صناعة الملابس ، الا ان ٣٥٠٠ من عمال الاقمشة قد أخرجوا من عملهم بين عام ١٩٦٥ و ١٩٦٧ . واذا ما اعتبرنا الصناعتين معا ، يكون عدد العمال قد انخفض بنسبة ٥٤٤ بالمائة . الا انه في صناعة الاقمشة ، ارتفع معدل انتاج العامل بـ ٥٤١٢٥ ليرة اسرائيلية ، او ما يقرب من ٢٣ بالمائة .

وقد يحاول بعض القراء ان يخففوا من سوء الوضع في صناعة الاقمشة بالتظاهر ان فعالية العامل قد ارتفعت بشكل كبير خلال فترة الركود 'Mitun' . ذلك ان عمال الاقمشة الاسرائيليين « المحظوظين » الذين استطاعوا المحافظة على وظائفهم خلال عام

١٩٦٦ و عام ١٩٦٧ قد تعرضوا لنفس العملية الاجرامية المدعوة بالحث على السرعة في الانتاج "Speed-up" والتي تحصل في الامم الرأسمالية الكبيرة ، مثل الولايات المتحدة . اذ انه يجب التذكير ، انه في الاقتصاد الاشتراكي ، لا ينضم العمال الذين اصبح عليهم الخروج من عملهم الى صفوف العاطلين عن العمل اذا ما ادت بعض التحسينات في الانتاج الى الغاء بعض الوظائف .

ج - **المواد الكيماوية** - بخلاف الصناعات الاسرائيلية الاخرى ، تعتمد صناعة الكيماويات اعتمادا شديدا على استغلال الموارد الطبيعية ، وخاصة المواد الاولية المعدنية الموجودة في النقب ومنطقة البحر الميت . وهي تسهم بـ ١٢ بالمائة من ناتج اسرائيل الصناعي (٢٨) . وبالنسبة للصادرات ، تحتل المواد الكيماوية المكانة الرابعة . والجدول التالي يبين كيف ان صناعة الكيماويات قد تعرضت لآثار مشابهة لتلك التي تعرضت لها صناعتا الالمنيوم والملابس :

١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	
٣٧٧٠٧	٣٧٠٠٢	٣٤٣٠٢	اجمالي الانتاج (مليون ل . أ)
٧٤١٩٦	٧٤٥١٠	٧٤٦٥٥	عدد الاشخاص الموظفين
٠.١٠ ٥٢٤٤٩٠	٠.١٠ ٤٩٤٢٩٠	٠.١٠ ٤٤٤٨٦٢	معدل انتاج العامل
(٣٩)٣٥٠٦	٣٠٠٦	٢٥٠٠	الصادرات (مليون دولار)

ومع ان عدد العمال قد انخفض بنسبة ٦ بالمائة ، الا ان الانتاج ارتفع بنسبة ١٠ بالمائة خلال فترة السنوات الثلاث . وفي نفس الوقت ، ارتفعت الصادرات بنسبة ٤٠ بالمائة . وانخفاض عدد العمال ، وكذلك الزيادة الكبيرة في الانتاج والصادرات تستحق فحصا دقيقا . فبينما ملكية الهستدروت في صناعة الالمنيوم صغيرة الى ادنى الحدود ، يسيطر الهستدروت على حوالي ٢٠ بالمائة من صناعة الكيماويات . وفي هذه الحالة ، يقع قسط أكبر من اللوم على المؤسسات البيروقراطية التي تحكم العمال بالنسبة الى اخراج العمال من عملهم وكذلك بخصوص ظاهرة الحث على السرعة في العمل "Speed-up" .

د - **الزراعة و انتاج المواد الغذائية** : غالبا ما وصف المدافعون عن الصهيونية الكيبوتسيم والمزارع الجماعية بانها نماذج على اشتراكية اسرائيل ، مشوهين بذلك بشكل فظيع الحقيقة عن الاهمية النسبية لهذا القطاع . فبينما لعب النظام الزراعي « الاشتراكي » السطحي دورا هاما في نشوء الدولة الصهيونية ، الا ان ١٢ بالمائة فقط من القوة العاملة الاسرائيلية موظفة الآن في النشاط الزراعي (٤٠) .

وقد لعب الهستدروت دورا تنظيميا حيويا على بعض المستويات في القطاع الزراعي ، الا ان على المرء ان يتفحص العلاقة بين القطاع الزراعي والقطاعات الاخرى . « فالزارعون الاشتراكيون » في اسرائيل ينبغي لهم اذا ما ارادوا الانتاج ان يتتبعوا الادوات الزراعية ، والمكينات والاسمدة ، والمنتجات الاخرى التي تقوم بصناعتها المؤسسات الخاصة . والناتج الزراعي ، بدوره يباع اما الى التعاونيات التسويقية الكبيرة او الى من يتعامل به في القطاع الخاص . ويصف ايزنشتات تعاونيات الهستدروت على الشكل التالي :

غالبا ما واجه المهاجرون المستوطنون الصعوبات بخصوص زراعة وشحن المنتجات الزراعية المختارة او المصنفة بطريقة حازمة ، ولم يكونوا راغبين في ان يتحملوا مخاطرة الخسارة . ولذا ، نشأت الحاجة الى اقامة وكالة تسويقية اضافية (وهي N U V التي كانت تنوعا احدي شركائها) تقوم بشراء الناتج الزراعي بالجملة ، وتعتني

بالاختيار والتصنيف ، كما وتقوم بتأمين استقرار التسويق . وهكذا اصبح التسويق اكثر فأكثر منفصلا عن الانتاج . . .

ومعظم المستوطنين الجدد لا يظهرون أي ايدولوجية محددة بخصوص العمل التعاوني ، بل أن بعضهم يجدونه مما يتناقض مع مسؤولياتهم واستقلالهم الشخصي ويحرقها ، وبعض القرى — وخاصة تلك المؤلفة من جماعات لها تقاليد متباينة — لا تتمكن ، ببساطة ، من ايجاد شكل من التنظيم الاجتماعي الشامل ، وكثيرون يجدون NUV اقل مزونة ، واكثر تلكؤا في الدفع ، كما وان شروطها أسوأ من سائر وسائل التسويق الأخرى ، واخيرا كثيرا ما يعترض المستوطنون على التسويق عن طريق التعاونيات القروية نفسها ، لان ذلك يتيح للموشاف ان يخصم الديون والضرائب المستحقة على الاعضاء من واردات المبيع(٤١) .

الا ان « عودة ظهور الفردية » في مجتمعات اسرائيل الزراعية ، لا يمكن ارجاعها فقط الى غياب التوجيه الاشتراكي لدى المزارعين ، أو الى عدم فعالية التعاونيات . فمثير يعري ، احد قادة حزب المابام ، قد أشار الى ان تعاونيات الهستدروت التسويقية تعمل كمجرد وكالات لن يجني الأرباح في المدن :

« اذ ان الـ « تنوعا » (وهي احدى وكالات تسويق الانتاج التابعة للهستدروت) تسلم الناتج الزراعي قبل ان يصل الى المستهلك ، الى وسطاء يتمكنون بذلك من جني ارباح مرتفعة جدا . فلا عجب اذا ان تصل المنتجات المستهلك احيانا بعد ان تكون اسعارها قد ارتفعت بأكثر من ١٠٠ بالمائة »(٤٢) .

ويمكننا فهم ملاحظات ايزنشتات ويعري فهما اشمل بتفحصنا الارقام القياسية لاسعار المواد الغذائية في سنوات مختلفة :

١٩٦١	١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨	ايار ١٩٦٩
٨٩٤٥	٩٥٤٢	١٠٠٤٠	١٠١٤٣	١١٠٤٠	١١٥٤٥	١١٨٤٦	١٢١٤٥	١٢٥٤٣
٨٥٤٧	٩٣٤٢	١٠٠٤٠	١٠٥٤٢	١١٣٤٢	١٢٢٤٣	١٢٤٤٣	١٢٦٤٩	١٢٩٤٧(٤٢)

فبين عام ١٩٦١ وعام ١٩٦٣ ، استمر الرقم القياسي لسعر المواد الغذائية اعلى منه لكافة المواد المستهلكة . ومع ان هذا الوضع قد انعكس بين عام ١٩٦٤ وعام ١٩٦٩ ، الا انه تجدر الملاحظة انه منذ عام ١٩٦٦ ارتفع الرقم القياسي لسعر المواد الغذائية بسرعة اكبر (١١٥٤٥ الى ١٢٥٤٣) الرقم القياسي لاسعار المواد الأخرى (١٢٢٤٣ الى ١٢٩٤٧) . وبكلمة أخرى ، فالوسطاء يرفعون الاسعار مرة أخرى بسهولة تامة . ولفترة تسع السنوات كلها ، ارتفعت اسعار المواد الغذائية بنسبة ٤٦ بالمائة ، او بمعدل ٥ بالمائة في العام .

ومع ان الصادرات الزراعية ، وبدرجة اولى منتجات الحمضيات ، كانت احدى ركائز اقتصاد فلسطين في عهد الانتداب ، كانت الخمسة عشر عاما الأولى من عمر الدولة الاسرائيلية تحاول التقليل من التشديد على الزراعة . ويشير ايزنشتات في كلامه عن منتصف الستينات الى ان الحكومة قد اضطرت الى ان تثنى المهاجرين الجدد عن الاشتغال بالزراعة :

لقد أدت درجة الاثباع التي وصل اليها الانتاج الزراعي في السنوات الاخيرة الى تغيير رئيسي في سياسة الاستيطان . فخلالما للهدف العام الذي كانت ترمي اليه هذه السياسة في عهد الانتداب وهو توطين اكبر عدد ممكن من المهاجرين الجدد في الاراضي الزراعية ،

لا يهدف الان بشكل عام الى زيادة القوة العاملة الزراعية (وهي الان حوالي ١٢٤٥ بالمائة) (٤٤).

في « السياسة في اسرائيل » الذي نشر في كانون الثاني ١٩٦٧ ، تهدف منظمة اسرائيل الاشتراكية (متسبين) الى القول ان الكيبوتسات « الاشتراكية » الذي يحسبها ، خطأ ، قسم كبير من الشباب الامريكي اليهودي مثلا أعلى ، قد حولت انظارها الى الانتاج الصناعي — فأصبحت تمثل ظاهرة الاشراف على العمل “Bosses” !

لقد تحول الكيبوتس الى النشاط الصناعي ، بدأ أولا بتصنيع المنتجات الزراعية ولكن تدريجيا تحول الى ميادين أخرى ، مثل صناعة المواد البلاستيكية ، والاولاني الفخارية ، والاثاث ، وطائفة من المنتجات الصناعية الخفيفة الاخرى . الا ان مواطني الكيبوتس تقللي العدد (بضع المئات) لا يستطيعون ان يزودوا اليد العاملة للزراعة وللصناعة معا . وبما ان التخلي عن النشاط الزراعي يعني خيانة مبادئ الاشتراكية الصهيونية ، اضطر الكيبوتس الى استئجار العمال من المدن الجاورة . وهكذا ، اصبح مجتمع الكيبوتس المشاعي آلة متشاعية لاستغلال اليد العاملة المستأجرة .

وعادة يعمل اعضاء الكيبوتس كمشرخين على العمل في مصانعهم بينما يقوم العمال المستأجرون بالمهمات الاقل مهنية . وعندما ينتهي العمل ، يعود العمال المستأجرون الى مدنهم . وبالنسبة اليهم ، فالكيبوتس هو صاحب عمل كأى رأس مالي آخر ، مع فارق ان الراسماليين لا يبشرون بالاشتراكية (٤٥) .

واذا ما افترض أي من القراء غير الحذرين ان تحليل متسبين ما هو الا خيالات فئسة يسارية صغيرة ، فقد يفيد الاقتباس التالي عن ايزنشتات .

ومع انه لا توجد ارقام دقيقة ، الا ان التقديرات الموثوقة تشير الى حوالي ١٠٠٠ مؤسسة صناعية قد أنشئت في الكيبوتسات — وغالبا من الحجم الوسط او الصغير الذي يتطلب مستويات عالية من الكفاءة التقنية . وبعض المؤسسات الكبيرة هي ملكية مشتركة لعدة كيبوتسات ، او للكيبوتس — وأحيانا لرأس المال الخاص الذي يتم استقطابه . ومعظم هذه المؤسسات هي في صناعة الاخشاب والاثاث ، والمواد الغذائية ، والمعادن ، والصناعات البلاستيكية ، وهي تشكل من ٣٠ الى ٤٠ بالمائة من مجمل انتاج الكيبوتسات (٤٦) .

وبالاضافة الى التقلص الثابت في القوة العاملة الزراعية في اسرائيل ، وكذلك الالغاء التدريجي لاشتراكية الكيبوتسات ، على المرء ان يأخذ بعين الاعتبار ايضا الطبيعة الخاصة للانتاج الزراعي في اسرائيل . فبين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٦٧ ، اسهم انتاج الحمضيات بشكل مستمر بـ ١٥ بالمائة من مجمل الانتاج الزراعي ، وفي عام ١٩٦٧ اسهمت منتجات الحمضيات بـ ١٩٤٥ بالمائة من انتاج اسرائيل الزراعي (٤٧) . وكما يظهر من الجدول التالي ، استمرت الحمضيات تشكل نسبة مرتفعة من اجمالي الصادرات الزراعية .

الارقام بالدولارات :

١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	١٩٥٩	١٩٤٩	
م ٨٣٤٧	م ٧٤٤٧	م ٧١٤٢	م ٤٥٤٩	١٨ مليون	صادرات الحمضيات
م ١٠٦٤٠	م ٩٤٤٩	م ٨٦٤٥	م ٥٨٤١	١٨٤١ مليون	الصادرات الزراعية
					نسبة صادرات الحمضيات
٪ ٧٩٤٠ (٤٨)	٪ ٧٨٤٧	٪ ٨٢٤٣	٪ ٧٩٤٠	٪ ٩٩٤٥	الى الصادرات الزراعية

وهكذا ففي عام ١٩٦٧ ، أسهمت منتجات الحمضيات بـ ١٩٤٣ بالمائة من مجمل الصادرات الاسرائيلية ، او ٣٤٤ بالمائة من اجمالي الدخل القومي .

وخالصة القول ان القطاع الزراعي الاسرائيلي يكشف بشكل واضح عن خواص معينة تشير الى علاقته الوثيقة بالرأسمالية الاسرائيلية : (١) الانتقال المستمر في اليد العاملة من القطاع الزراعي الذي يديره الهستدروت الى القطاع الصناعي من الاقتصاد . (٢) عجز تعاونيات الهستدروت التسويقية عن منع الوسطاء من رفع اسعار المواد الغذائية . (٣) التشديد المتزايد على الانتاج الصناعي (من ٣٠ الى ٤٠ بالمائة من مجمل الانتاج) من قبل الكيبوتسات « الاشتراكية » وكذلك تسلل رأس المال الخاص الى عمليات الكيبوتس . (٤) الطبيعة المتخصصة جدا للانتاج والتصدير الزراعي ، حيث تلعب صادرات الحمضيات دورا حيويا في الميزان التجاري .

هـ — **البترول** : بينما استمر « الاربعة الكبار » (الماس ، المتوجبات الغذائية ، الملبوسات والكيماويات) اعمدة للاقتصاد الاسرائيلي مع صادرات في هذه المجالات ، مؤمنة ١٠ بالمائة من الدخل القومي العام في العام ١٩٦٧ ، فان صلات اسرائيل مع الامبريالية النفطية تبدو اقل بروزا عند النظرة الاولى . يعتمد المدافعون الحاليون عن الصهيونية القفز عن الحقيقة بأن الاشراف على حقول النفط المكتشفة حديثا في العراق كان المحرك الحيوي وراء خطة الحلفاء لتقطيع اوصال الامبراطورية التركية خلال فترة الحرب العالمية الاولى . عرفت اتفاقية سايكس — بيكو السرية في العام ١٩١٥ لبنان وفلسطين بأنهما كتلتان سوف تفصلان عن المقاطعة السورية (التركية) ، حين التخلص من السيطرة التركية في الشرق الاوسط . بعد انتصار الحلفاء ، كان من المفروض ان تجري عملية تطوير كل من لبنان وفلسطين بجعلها مقاطعات اوربية ، تخدم كمخارج ساحلية بالنسبة للنفط الخام المستخرج من العراق ومن مناطق محلية اخرى . وبينما تمت عملية جعل لبنان اوروبيا بواسطة الاحتلال الفرنسي ، أخذت العملية في فلسطين شكلا مزدوجا — الاشراف البريطاني العسكري والسياسي والهجرة الصهيونية الاوربية ، مرتكزة « شرعيا » على وعد بلفور في العام ١٩١٨ .

خلال فترة الانتداب ، أعد مرفأ حيفا ليكون مركزا رئيسيا للنفط المستخرج من العراق والمملكة السعودية بواسطة الشركات الانكليزية والاميركية . هذا وان مظاهر مثل الدعم البريطاني المباشر لتنمية الاقتصاد الصهيوني ، وجعل بريطانيا فلسطين قاعدة عسكرية قبل الحرب العالمية الثانية وخلالها ، واستخدام الهاجاناه من قبل السلطات الانكليزية لحماية انابيب النفط خلال ثورة العام ١٩٣٦ في فلسطين ، ثم حقوق التنقيب التي حصلت عليها شركات النفط الاجنبية في فلسطين نفسها . كل هذه مؤشرات لا يمكن دحضها على النوايا النفطية الامبريالية لاستخدام فلسطين كممنطقة ساحلية تابعة لها . وكانت المحاولات البريطانية لتحديد الهجرة اليهودية بعد العام ١٩٣٦ ، على أية حال ، دليلا مؤشرا على تدهور الحلف الاساسي بين القادة الصهيونيين والمصالح البريطانية . ومع ان بعض الأشخاص يتحدثون خطأ عن « الحرب اليهودية للتححر القومي ضد الانكليز » الا أنهم يقفزون عن حقيقة مؤداها انه عندما تم الاستيلاء على سلطة الدولة في العام ١٩٤٨ ، فانه لم يتم الاستيلاء او اخراج المصالح البريطانية من قبل السلطات الاسرائيلية ، ذلك ان العلاقة الوثيقة بين الصهيونية والامبريالية ، بدل ان تنتهي وتتحطم ، دخلت مرحلة جديدة بمواصفات جديدة .

صحيح ان شركات النفط اغلقت انابيب نفط حيفا وتجاوبت مع المطالب العربية بعدم بيع النفط العربي لاسرائيل ، ولكنه يجب ان لا يعتقد بأن اصحاب ملايين النفط في العالم التزموا موقفا موحدا « مؤيدا للعرب » . مثلا ، ان جاكوب بلاوستين (المتوفى) ، مؤسس شركة بان اميركان للنفط ، والمساهم الرئيسي في شركة ستاندرد اويل أف

انديانا (التي بدأت عمليات النفط في مصر في العام ١٩٦٣) ، قد مثل المنظمات الصهيونية الامريكية في مؤتمر باريس في العام ١٩٤٦ وكان مؤخرا من اشهر جامعي الاموال للجباية اليهودية الموحدة. وان رودولف ج. سونه بورن (مدير « أمبال » ومدير شركة التنمية الاسرائيلية) لعب دورا اساسيا في شراء الاسلحة لهاجاتها في الولايات المتحدة ، وخدم كرئيس الجباية اليهودية الموحدة من العام ١٩٥٠ لغاية ١٩٥٤ ، وعندما أعلن قيام اسرائيل في العام ١٩٤٨ ، اشترى حقوق الحفر الخاصة ببوبيل اويل في صحراء النقب واسبس سونول ، التي هي اليوم احدى شركات النفط الاسرائيلية الاساسية . وبطريقة مماثلة ، حصل المليونير البريطاني ، اسحاق ولفسن على اماكن شركة شل في النقب ، واسبس شركة « باز » .

لقد تمثلت ايضا المصالح غير المتناقضة للمستثمرين الغربيين في استخراج النفط الاسرائيلي ، بتأسيس شركة Mediterranean Petroleum وشركة بان - اسرائيل للنفط في العام ١٩٥٣ . احد المدراء المؤسسين لبان - اسرائيل كان وليم ف. باكلي الاب (المتوفي) ، والد العالم اليميني الامريكى المعروف . وهناك مدراء آخرون من بينهم آرون بارو واي (Paper Mills الامريكية - الاسرائيلية) ، و. س. شمرون (النائب العام المساعد لاسرائيل ١٩٥٠ - ١٩٥٣) . كما خدم شمرون كمدير لشركة « مديترانيان بتروليوم » ، مع اسرائيل ب. برودي (نائب مدير شركة PEC - Israel) . في العام ١٩٥٩ ، اكتسبت Magellan Petroleum Corporation (التي كانت تحت اشراف عائلة باكلي) الموجودات الكاملة للشركتين .

بعد ازمة السويس في العام ١٩٥٦ ، التي تقلصت خلالها ، بسبب اغلاق القناة المؤقت ، احتياطات اوربا من النفط ، وكذلك عائدات الشركات الغربية ، بدأ بعض خبراء البترول في الدفاع عن بناء انابيب عبر اسرائيل . كخط بديل لشحن النفط الايراني الى اوربا . كان هارولد لوبل احد مؤيدي الخطة (أزمة نفط الشرق الاوسط واحتياطات الطاقة الاوروبية الغربية) وهو مستشار لمؤسسة راند وكان في السابق باحثا في معهد فولك FALK الاقتصادي الاسرائيلي (٤٩) . تولت شركة « تريكوننتال بايبلابز ليمتد » عملية بناء خط انابيب ايلات - حيفا ، وهي احد فروع كتلة باكلي . وبالطبع فان شركات الاستثمار الامريكية الاساس ، بما فيها « أمبال » ، اشترت ايضا اسهما في « تريكوننتال » .

شكل هذا المشروع ، الذي كان وما زال بشكل واضح معتمدا على الاشراف الاسرائيلي على ايلات ومضائق تيران ، محاولة لاعادة تنشيط دور ميناء حيفا السابق للعام ١٩٤٨ كمحطة نفط حيوية . ليس من المخالف للمنطق بشيء ، النخمين فيما اذا كان مشروع الانابيب احد العوامل او الحوافز في حرب حزيران ١٩٦٧ ، حيث ادعت اسرائيل ان اغلاق مصر لممرات تيران كان مبررا للحرب نفسها .

في نوفمبر ١٩٦٩ اشارت مجلة الشرق الاوسط الجديد الى ان الرسميين الاسرائيليين قد دخلوا في مفاوضات سرية مع شركات النفط الامريكية بخصوص استئصال خط ايلات - الى - حيفا بعد تكميله في العام ١٩٧٣ . كان الرأي ان شركات النفط انما دخلت هذه المفاوضات خوفا وتحسبا من المتربات الاقتصادية بعيد خلع الملك ادريس من ليبيا .

اعلنت اسرائيل في كانون الثاني ١٩٧٠ عن تكميل انبوب النفط ، الذي وصفته Fortune على الشكل التالي : السعة الاساسية ، حوالي ٢٠ مليون طن من النفط الخام سنويا ، ويمكن مضاعفتها ثلاث مرات باضافة الخزانات ومحطات الضخ . وسوف تجني اسرائيل من ٣٣ الى ٤٠ سنت على الطن من النفط المتدفق عبر الانبوب (٥٠) . هذا مع ان انبوب ايلات - الى - حيفا ، ثالث اطول خط في العالم ، يستطيع من حيث طاقته ان يدر اكثر

من ٢٠ مليون دولار سنويا من الارباح ، جاعلا اسرائيل محولا حيويا في نقل النفط الايراني الخام الى السوق الاوروبية .

بالاضافة الى انبوب نفط الامبرياليين ، على المرء ان يأخذ الحقيقة بعين الاعتبار ، بأن اسرائيل عند سنة ١٩٦٧ كانت تصدر ٢٠ مليون دولار قيمة بترول سنويا . وتبلغ الضريبة المطلوبة من المستخرجين الاجانب ١٢،٥ بالمائة ، اقل بكثير من اية نسبة تطلبها غالب الدول المنتجة للنفط . منذ حرب ١٩٦٧ ، اقام كثير من الشركات الاجنبية آبارا في شبه صحراء سيناء ، شركة يشرف عليها جون م. كنغ ، احد اصحاب ملايين النفط في دنفر . هذه الحقيقة ، مضافا اليها أهمية شرم الشيخ للدفاع العسكري عن منطقة آيلات ، سوف تلعب دورا مهما في تحديد مستقبل الوضع السياسي لمنطقة سيناء .

برغم انه من المحتمل ان يظل انتاج النفط ، داخل اسرائيل بحدود قبل العام ١٩٦٧ ، قليلا نسبيا ، لا يمكن للمرء ان يستبعد امكانية عمليات نفط اوسع في النقب او على امتداد البحر الابيض المتوسط . انه من الواضح ان المستثمرين الاجانب في اسرائيل لم يستبعدوا هذه الامكانية ، حيث ان صناعة النفط في اسرائيل ، حتى قبل العام ١٩٦٧ ، كانت تحت سيطرة شركات اجنبية كبيرة ، امثال سونو بورن ، وولفسن وبالكلي .

تسرع عديد من الامريكيين ، ومن ضمنهم بعض الناطقين باسم اليسار ، في الاعتراض بأن لا ارتباط لاسرائيل بعالم تجارة النفط . انه من الامور الأساسية ، على أية حال ، ان ندرك ان التوسع الامبريالي يشتمل ، ليس فقط على المنابع الفعلية للثروة وانما ايضا على المنابع ذات القوة الكامنة لذلك . ان العمل الضخم مثل خط انابيب آيلات — الى — حيفا وعمليات ما بعد الحرب في شبه جزيرة سيناء ، تؤكد بشدة ، على ان اسرائيل تتطور بسرعة كمنبع نفط اضافي للسوق (الاوروبية) المتوسعة باستمرار .

و — **قطاعات اضافية** : بالاضافة الى القطاعات الاربعة الرئيسية في الاقتصاد الاسرائيلي — الماس ، الزراعة ، المنسوجات والكيماويات — يمكن للمرء ان يشير الى حقول جديدة اخذت بالتطور باضطراد منذ العام ١٩٤٨ . صناعة الصلب الاسرائيلية على سبيل المثال ، تميزت بنمو سريع . ولا بد من تسجيل ، انه في هذه الحالة ايضا ، ادت فترة الركود (الميتون) الى تخفيض العمالة ، ومع ذلك ارتفعت الصادرات .

١٩٦٧	١٩٦٦	١٩٦٥	
١٤٢٢٤	١٤٥١٠	١٤٦٢٩	الناتج بمليين الليرات الاسرائيلية
٦٤٤١٢٠	٦٩٤٤٠٠	٧٢٤٩٤٠	عدد العاملين
٠.٤٠٧٠٠٦٥٠	٠.١٠٢١٤٧٦٠	٠.١٠٧٢٢٤٧٠	معدل الانتاج للعامل الواحد
(٥١)٣٣٤٢	٢٨٤١	٢٠٤٨	الصادرات بمليين الدولارات الامريكية

مع ان حوالي ١٢٪ من عمال الصلب في اسرائيل قد جرى تقليصهم بين الاعوام ١٩٦٥ و ١٩٦٧ ، فان الصادرات ارتفعت بحوالي ٧ بالمائة . وهذه الظاهرة مماثلة لما حدث في الصناعات الرئيسية الأخرى ، مع انه من الصحيح ان معدل الانتاج للعامل الواحد في صناعة الصلب قد شهد انخفاضا خلال هذه الفترة . على أية حال ، ان رقم الصادرات الحاد الارتفاع يوازي ارقام صناعة المنسوجات او صناعة الكيماويات ويشير الى اتجاه بعيد جدا عن الاعتماد على الاستهلاك المحلي من أجل الارباح .

خلال الستينات كانت السياحة واحدا من اسرع قطاعات الاقتصاد توسعا . بلغت العائدات من السياحة ٥٤٤٢ مليون دولار في العام ١٩٦٤ ، في مقابل ٤٤٨ مليون دولار للعام ١٩٥٤ . ومع ان العائدات السنوية بقيت ثابتة نسبيا خلال فترة الركود «ميتون» ، فان الاشهر الثلاثة الاولى من العام ١٩٦٨ أدخلت وحدها ٥٧٤٧ مليون دولار ، وبلغ

المجموع السنوي ٧٤ مليون دولار ضاربا رقما قياسيا (٥٢). اكتسبت السياحة أهنية ، ليس فقط كمصدر لعائدات صافية، وانما كمئبع للعملة الاجنبية، التي ساعدت جزئيا في تعديل العجز السنوي في الميزان التجاري . في حقل السياحة ، يبدو الاشراف المالي الاجنبي واضحا جدا . وعلى سبيل المثال فان « يوناييتد تورز » و Peltours ، أشهر مكئبي سفر ، هما على التوالي ملك PEC اسرائيل و Hotels International ، التي كانت موجوداتها ١٨ مليون دولار في العام ١٩٦٨ ، وهي فروع لشركة فنادق هيلتون . كما ان شبكة فنادق دان تقع تحت اشراف مجموعة Isra-Miami ، التي هي بدورها عبارة عن ائتلاف مستثمرين امريكين واسرائيليين . مؤخرا جدا ، يمكننا الاشارة الى مخططات فنادق هوليداي الرامية الى تطوير منطقة شرم الشيخ كمئطقة سياحية .

من الممكن ايضا تصنيف المواد الكهربائية والالكترونيات كقطاع متطور حديثا ، حيث تم في العام ١٩٦٥ تشغيل ٩٦٥٥٠ عمالا . مع ذلك فقد كان لمرحلة الركود اثار قاسية ، سببت انخفاضا في الناتج من ٢٣٥ مليون ليرة (١٩٦٥) الى ١٩٤ مليون ليرة (١٩٦٧) . ويتناسب هذا التدهور ، ٢٣ ٪ ، مع تسريح ١٤٩٩٠ عمالا (٥٢). على أية حال ، فان كفاءات العمال ذات المستوى العالي ، في هذا القطاع ، اجتذبت استثمارة من شركات امريكية ، مثل Western Electric, Sylvania ، وستينغ هاوس ، زنيث ، ولورنس روكفلر وشركاه . من الممكن ايضا النظر الى صناعة الطيران الاسرائيلية كقطاع جديد نسبيا ، حيث ارتفع الناتج العام من ١٨ مليون ليرة اسرائيلية في العام ١٩٦١ الى ١٢٨ مليون ليرة في نهاية العام ١٩٦٧ (٥٤). وكان حوالي ٦٠٠٠ عامل مستوعبين في هذا القطاع في العام ١٩٦٧ . في العام ١٩٦٩ ، اسست توربوميكا ، وهي شركة فرنسية كبيرة ، مصنعا قرب القدس لصناعة الطائرات الخفيفة .

على عكس المجالات الهامة الاخرى في الاقتصاد الوطني ، فان صناعة البناء تميزت تقليديا بكونها ملكية دائمة للهستدروت وللحكومة . في العام ١٩٥٩ (٥٥) ساهم الهستدروت والالتزامات العامة بحوالي ٤١٤٥ بالمائة من ناتج البناء . ويقول ايزنشتات ان البناء قد لعب دائما دورا حيويا ، اثناء فترة الانتداب وبعدها :

كان فرع البناء على امتداد الفترة ١٩٣٠ - ١٩٦٠ ، باستثناء سنوات الحرب ، كبيرا بالنسبة لحجمه في البلدان الاخرى . وقد شغل ، في اوقات ، ١٠ بالمائة من مجموع القوة العاملة وساهم بنسبة مماثلة في الانتاج القومي . ان هذا الفرع هو الاقل ثباتا في البنية الاقتصادية ، حيث ان الحرب او الهجرة الواسعة يمكن (على التوالي) ان تسبب تقليص حجمه الى النصف او مضاعفته . هذا وقد وصلت الاستثمارات في البناء بالنسبة لسائر الاستثمارات ، ٤٠ بالمائة في اوائل الخمسينات و ٣٠ بالمائة في السنين الاخيرة ، الامر الذي زاد الاهمية النسبية لهذا الفرع في الاقتصاد (٥٦). انه من المفيد ان ندرك اهمية البناء ، تاريخيا ، ليس فقط بمعنى ايجاد التسهيلات الضرورية للصناعات الاخرى، وانما كمركز للوظائف المؤقتة للمهاجرين الجدد . اكثر من ذلك ، يجب الادراك بان المساكن « على الطريقة الغربية » ، كانت واحدة من المكافآت الرأسمالية للمهاجرين من اوروبا ومن الامريكين . لهذه الاسباب ، فانه لا يمكن تحليل دور الهستدروت ، كموظف رئيسي لعمال البناء ، في فراغ . وان مشاريع مثل سولل بونه Solel Boneh ، التي اسسها الهستدروت في العام ١٩٢١ ، اعتمدت باستمرار والى حد على طلب البناء من الصناعة الخاصة ومن القطاعات الاكثر ثراء من المواطنين . بالاضافة الى ذلك ، لا بد من الاشارة الى ان الاستثمار الخاص في قطاع البناء ، ارتفع باطراد منذ العام ١٩٤٨ . على سبيل المثال ، في تطوير المساكن لوحدها ، بلغ الاستثمار

الخاص في العام ١٩٦٢ حوالي ٤٣٧،٥ مليون ليرة اسرائيلية ، اي حوالي ٥٢،٦٩ بالمائة من مجموع استثمار المساكن . في العام ١٩٦٦ ، ارتفع الاستثمار الخاص في بناء المساكن الى ٥١٤،٥ مليون ليرة اسرائيلية ، او ٦٦،٣ بالمائة من مجموع الاستثمار (٥٧) . في هذه الايام ، من الممكن ذكر شركات ، مثل شركة البناء نافه NAVEH (وتملكها كليا PEC - Israel Corporation) ، حيث يسيطر الراسمال الاجنبي .

ان دخول الراسمال الاجنبي والمحلي الخاص قطاع البناء ، كان موازيا لتطوير الصلات الحميمية بين شركات الهستدروت والشركات الخاصة . على سبيل المثال فان بار - كوخبا ميروفيتش ، أحد المدراء المؤسسين لسولل بونه ، يعمل اليوم أيضا كمدير لشركة طراد الالكترونية ولشركة Alliance Tire and Rubber وهي اكبر منتج لمواد المطاط في اسرائيل ، وان ميروفيتش خدم أيضا كعضو في المجلس الحكومي للاستشارات في الاستثمارات الاجنبية .

احدى السمات الاخرى الهامة جدا لقطاع البناء هي اعتماده الدائم والمتزايد على العمال العرب . في العام ١٩٥٤ كان فقط ٨٤٤ بالمائة من اجمالي القوة العاملة العربية مستوعبا في البناء ، بينما ٦٠ بالمائة كانوا في الزراعة و ٨٤٢ بالمائة في الصناعات اليدوية . الا انه في العام ١٩٦٦ استوعبت الزراعة ٤٠ بالمائة من القوة العاملة العربية ، في حين احتوى البناء ١٩٦٦ بالمائة . ومع انه يمكن اعادة سبب انخفاض القوة العاملة العربية في الزراعة الى الانخفاض العام لقطاع الزراعة العربية فسي الاقتصاد الاسرائيلي ، فان ١٤،٩ بالمائة فقط من القوة العاملة كان مستوعبا في الصناعة في العام ١٩٦٦ (٥٨) . البناء ، بدلا من الصناعة ، كان حيز التركيز الرئيسي للبروليتاريا العربية ، لان النسبة المتوية لعمال البناء اليهود انخفضت باستمرار . هذه الحالة - التخصص في مجال واحد - تعتبر مؤشرا بارزا على الطريقة التي تغير بواسطتها شكل الحياة الاقتصادية للسكان العرب منذ العام ١٩٤٨ . اجبر الذين تركوا الزراعة على ايجاد العمل في غالب الاحيان في قطاع البناء ، الذي يعتبر أكثر قطاعات الاقتصاد الاسرائيلي تقنيا ، بينما ظلت الصناعة ، القطاع الأكثر سرعة في التوسع ، نسبيا مغلقة .

منذ حرب الايام الستة اثرت الظاهرة نفسها على العمال العرب القادمين من الاراضي المحتلة . العمال من غزة او الضفة الغربية ، الذين وجدوا عملا في اسرائيل ، يحصلون على معدل اجر غير صاف بحدود ٨ ليرات في اليوم في البناء (٥٩) . وبما ان اجور هؤلاء العمال أقل بكثير من اجور العمال اليهود ، فان هناك طلبا دائما على خدماتهم . وليس هذا الطلب من قطاع الهستدروت « الاشتراكي » بأقل مما يأتي من المشاريع الخاصة . اوردت الجيروزالم بوست (١٢ شباط ١٩٧١) ان ٣٠٠٠ من أصل ١٦٠٠٠ عامل بناء موظفين من قبل سولل بونه التابعة للهستدروت هم اليوم من العرب القادمين من الاراضي المحتلة . كما اشار مقال سابق عن هذا في هارتس (١٩٦٩/٨/١) بكل وضوح الى نهم ملتزمي البناء الى العمال العرب ذوي الاجر المنخفض : « رفض المهندسون بعدم اكتراث قول الوزير بنحاس سابير باننا انما نحول العرب الى حطابين وسقائين . ذلك انه ، كما يقولون ، لا بد ان يقوم أحد بانجاز هذا النوع من العمل حتى في أكثر البلدان تقدما في التكنولوجيا » .

ز - خلاصة : ان الطبقة الراسمالية داخل اسرائيل ، التي ظل تطورها التسارخي مستمرا في ارتباطه بالرأسمال الاجنبي ، اشرفت على الصناعات الرئيسية لسنوات عديدة ، وادخلت باضطراد صناعات جديدة ، وبالتواطؤ مع بيروقراطية العمل عملت بثبات على التخفيف من ملكية الهستدروت في الزراعة والبناء . ومع أننا يجب ان نركز دائما على دور اسرائيل السياسي والعسكري « كدرع لأوروبا ضد آسيا » (٦٠) ، وجد

وبقيت المحافظة عليه من أجل أن يحمي السيطرة الامبريالية على العالم العربي ، وانه لخطأ فادح اغفال او عدم فهم تأثير الامبريالية على الاقتصاد الاسرائيلي . الرأسمالية الامريكية تتوخى اليوم فائدة مزدوجة سياسية واقتصادية من بلد ، يعتبر ثاني أكبر مصدر للماس المصقول في العالم ، ومحولا سريع التطور لشحنات النفط الإيراني الى أوروبا ، ومستوردا لاكثر من ٢٠٠ مليون دولار سنويا قيمة بضائع امريكية ، ومصدرا هاما للعمال المدربين . انها حقيقة واضحة انه لم يكن باستطاعة الاقتصاد الاسرائيلي الحالي أن يتطور دون المعونات الاجنبية ودون اغتصاب الارض التي كان يملكها الشعب الفلسطيني ، ولكننا يجب أن نعترف أن رأسماليي اسرائيل نفسها واسيادهم الاجانب كانوا المستفيدين الاساسيين .

ان التوسع السريع في الصادرات الاسرائيلية ، حتى خلال ازمتها القاسية ، رافقه تسارع مذهل في المصانع (مثلا ، معدل الانتاج للعامل في صناعة المنسوجات ارتفع ٢٣ بالمائة بين ١٩٦٥ و ١٩٦٧ . في صناعة الكيماويات ارتفع الرقم ١٧ بالمائة ، وفي صناعة الماس ٢٥ بالمائة) . وكما بينت سابقا تزايد الاستثمار باضطراد ، رغم الثقليات فسي بعض السنوات ، فقد بلغ استثمار الشركات الامريكية وحدها ١٠٨ ملايين دولار في العام ١٩٦٩ . من الواضح ان اسرائيل بالنسبة للمستثمرين لا تقدم فقط احتمالات سياسية بل اقتصادية ايضا . على المستوى ذاته ، لا يمكن للمرء ان يتجاهل الفوائد الجناة من واردات اسرائيل المرتفعة من البضائع الامريكية والاوروبية .

مع أن أكثر ضحايا التطور الرأسمالي وضوحا هو الشعب الفلسطيني ، المنتزع من أرضه ومن اسباب حياته أو خاضع لاقصى درجات الاستغلال داخل الاقتصاد الاسرائيلي ، فان الجماهير الاسرائيلية نفسها هي أيضا ضحايا اقتصادية لـ Sonneborns و Recanatis وغيرهم من الرأسماليين . لهذا السبب فان التوجه العنيد نحو الارباح لا يمكن أن يتم في سلام . تماما كما مر محتوى النضال الفلسطيني وشكله ضد الصهيونية عبر تحولات مختلفة ، فان العلاقة بين الجماهير الاسرائيلية والرأسمالية انما هي جديرة بالتحول . حتى لو أن المعونات الامبريالية وان الجوهر الاستعماري للمجتمع الصهيوني قد خلقتا مجتمعا رأسماليا نادرا لا نجد مثيلا لبنينته في العالم ، فان التناقضات الداخلية من الممكن ان تتعمق . ان « الهجمة من أجل الارباح » من قبل الرأسماليين المحليين والاجانب الذين يعملون في اسرائيل ، لها تقيضها الواضح المنظور — امكانية النضال الثوري للجماهير الاسرائيلية ضد مستغليها .

ثامنا — ملاحظات حول الصراع الطبقي في اسرائيل :

سننتقل ، في هذا القسم ، من الاعتبارات المحددة ، مثل البنوك في اسرائيل او صناعة الماس ، الى تفحص أكثر عمومية للعلاقات الطبقيّة في اسرائيل . مثل هذا التفحص لا يتم دون جانب تحليلي توقعي ، اذ انه لا يمكن تجنب الاشارة الى بعض العوامسل « الاستثنائية » في اسرائيل ، مثل أهمية الهجرة والهجرة المعاكسة ، دور المعونات الاجنبية ، ودور الهستدروت كحصان طروادة لرأسماليي اسرائيل نفسها وحلفائهم في ما وراء البحار . اتجاه أغلبية متسبين يفضي الى أن التكوين الطبقي والصراع الطبقي في اسرائيل يظلان في حدود مرحلة بدائية :

« اذ أن المجتمع اليهودي في اسرائيل انما هو مجتمع مهاجر مع كافة المواصفات التي توجد عادة في مثل هذا المجتمع . الطبقات هنا في مرحلة تكوين ، والوعي الطبقي ما زال باهتا جدا . عند الهجرة ، يغير القادم الجديد مهنته (خاصة في مثل حالة اسرائيل) ، واهتمامه وانتباهه الطبقي (أساس الغالبية من عمال اسرائيل هي البورجوازية الصغيرة) . أكثر من ذلك ، المراكز الأكثر سلطة في المجتمع يحتلها مهاجرو موجة أقدم ،

ما يقوي مشاعر التحرك الاجتماعي بين المهاجرين الجدد . يرى العامل المهاجر وضعه الاجتماعي الحالي ليس أكثر من مرحلة مؤقتة : والده لم يكن عاملا ، وهو نفسه يعيش على أمل أن يصبح مستقلا ، أو أن اولاده ، على الأقل ، لا يكونون عمالا . الوعي الطبقي كما هو قائم ، مثلا ، لدى البروليتاريا الانكليزية او الفرنسية ، غير موجود في اسرائيل . هنا (كما في بلدان المهاجرين الأخرى) لا يصنف الناس أنفسهم على أساس انتمائهم الطبقي ، بل على أساس مجتمعاتهم وعلى أساس بلد المنشأ » (٦١) .

تصنف غالبية متسبين اسرائيل على أنها « بلد هجرة » . وهذا صحيح ولكنني أشعر ان هذه الحالة الاستثنائية مبالغ التركيز عليها . برغم ان الوعي الطبقي لدى البروليتاريا الاسرائيلية ليس مشابها لاشكال الوعي الطبقي القائمة في بلدان اوروبية ، فانني أشعر ان بنية الاقتصاد الاسرائيلي الحالية سوف تدفع العمال باضطراد نحو « التصنيف الطبقي » وبعيدا عن « التصنيف على أساس المجتمع » .

انه من المهم جدا أن نفهم ، أن سكان فلسطين اليهود ، قبل مرحلة الدولة ، كانوا مقسمين الى طبقة رأسمالية وأخرى بروليتارية . يعتقد بعض « الصهيونيين اليساريين » ، كما يفعل بعض معادي الصهيونية في امريكا ، انه خلال فترة الانتداب ، أشرف المهاجرون « الاشتراكيون » اشرافا قويا على الاقتصاد ، على أن هذا الاشراف اضمحل خلال مرحلة متقدمة من تاريخ الصهيونية . غير أن تاريخ اليسوف (المجتمع اليهودي في فلسطين : المترجم) لم يبرز أي « عصر ذهبي لاشتراكية صهيونية » . يقدم ايزنشتات الوصف التالي لاقتصاد الانتداب من خلال الاربعينات : كان متوسط حجم المشاريع اليهودية الصناعية (باستثناء الصناعات اليدوية) في العام ١٩٤٣ ، حوالي ٢١ عاملا . حوالي نصف مجموع العاملين ، كانوا يعملون في المصانع التي كانت تشغل أكثر من خمسين شخصا . أكثر من نصف المؤسسات كانت تشغل أقل من عشرة أشخاص .

كانت حوالي ٨٠ بالمائة من المؤسسات — التي تشغل حوالي ٤٠ بالمائة من مجموع العمال الصناعيين — منظمة على أساس الملكية الخاصة او الشركات المساهمة . كانت الشركات الخاصة والعاملة المحدودة تؤلف أقل من خمس مجموع المؤسسات ، ولكنها شغلت أكثر من نصف القوة العاملة في الصناعة . أما حصة التعاونيات فلم تكن أكثر من خمسة بالمائة من مجموع الصناعة بالنسبة للحالتين .

كان قطاع الهستدروت يملك حوالي ٧٠ بالمائة من المزارع المختلطة في اواخر فترة الانتداب (١٩٤٣) ، و٦٤،٨ بالمائة من مزارع الحمضيات ، وحوالي ١٠ بالمائة من الصناعة ، وثلاثي فروع البناء ، ونسبة مماثلة في مواصلات الطرق (٦٢) .

مع أن المؤسسات الصناعية الكبيرة كانت نادرة . يمكن للمرء ان يلاحظ ، انه خلال تلك الفترة ، كانت المؤسسات ذات الملكية الخاصة تشكل الغالبية . ومن الملاحظ أيضا أن التعاونيات والهستدروت كانت تشرف على ١٥ بالمائة فقط من إجمالي الصناعة . برغم أن الأشخاص ذوي الماليات « الاشتراكية » او الأشخاص المنتمين لحركات مسماة اشتراكية ، كانوا مهمين عدديا خلال اليسوف ، فان المشاريع الخاصة كانت مسيطرة سيطرة قوية .

كان الوجود العسكري البريطاني المتزايد سببا لانتعاش اقتصادي خلال الحرب العالمية الثانية ، غير أن تدنيا حادا تطور في الفترة التي تلت الحرب . وعند انشاء دولة اسرائيل في العام ١٩٤٨ ، نتجت تعقيدات اقتصادية اضافية عن اغلاق خط أنابيب حيفا ، وعن انتهاء التجارة مع الدول العربية ، وانسحاب الكثير من الرأسمال الانكليزي . بالطبع ، لا بد من الإشارة ، الى السيطرة الصهيونية على الثروة — بالاستيلاء على الأرض

والممتلكات الخاصة بعرب فلسطين (الاراضي انتزعت باسم الصندوق القومي اليهودي ومن ثم أعيد توزيعها على الكيبوتسات والتعاونيات الزراعية المشكلة حديثا) .

ان ايجاد حيز الرقابة الحكومية على الاقتصاد ، يشكل ، بالنسبة لايزنشتات تمايزا مهما بين مرحلة الانتداب ومرحلة الدولة . وهو يرى أنه خلال السنوات الاولى على وجود اسرائيل ، أصبحت الحكومة « العامل الاقتصادي الأعلى ، في التخطيط والتشجيع على حد سواء ، وفي الاشراف على الحياة الاقتصادية ، وايضا في حالات عديدة كمشارك مباشر » (١٦) . حيث ان تمييز ايزنشتات بين اليشوف ومرحلة الدولة مفيد ، كما أنه من المهم أيضا طرح سؤال يتعدى حدود الاجتماعيات البورجوازية : « هل خدمت عمليات الحكومة الاقتصادية الطبقة العاملة أم مصالح الرأسمال الخاص ؟ » .

يبين ايزنشتات نفسه انه ، لغاية ١٩٥١ ، كانت الحكومة غير قادرة ، بشكل جلي ، على الامسك بزمام الازمة التي تلت ايجاد الدولة :

خلال الاعوام ١٩٤٩ - ٥١ بلغت الصادرات ١١ او ١٢ بالمائة فقط من قيمة الواردات ، وتزايد العجز التجاري السنوي باضطراد ، بالغا مجموع ما يقارب ٣٣٣ مليون دولار في العام ١٩٥١ . حاولت الحكومة خلال هذه الفترة ، ان تضغط التضخم بوسائل التمويه المثمن ، بمراقبة الاسعار مثلا ، وبوسائل ادارية مباشرة اخرى . ولكن هذه الجهودات تحطمت بسبب عمليات السوق السوداء ، ورفض منح الثقة من قبل الناس ، وخاصة بعد تقنين توزيع الملابس والاجذية في صيف العام ١٩٥٠ . كذلك أدت قساوة الشتاء التالي الى تأزيم الموقف ، مهددة بانهيار بنية العملة والاسعار برمتها (١٧) .

نظرا لتردي الحالة ، أعلنت السلطات « السياسية الاقتصادية الجديدة » ، التي احتوت تخفيضا لليرة الاسرائيلية في شباط ١٩٥٢ ، وتجنيدا للاجور ، وكذلك عبئا ضريبا للتطوير من الشعب . يعترف ايزنشتات ان السياسة الاقتصادية الجديدة خلفت ، في الاساس ، تزايدا في البطالة ، ولكنه يعرفها بأنها عمل ناجح ، مشيرا الى ان استقرارا قد نتج عنها (١٥) . ليس صعبا على هؤلاء الذين يعرفون السياسات الاقتصادية للحكومات الرأسمالية الاخرى ، ان يدركوا أن تخفيض العملة ، ومراقبات الاجور ، ورفع الضرائب ما هي الا « مسكنات تقليدية من أجل التضخم » . في حالة اسرائيل ، على أي حال ، يجب أن نعرف ان هذه الاجراءات قد وضعتها حكومة يسيطر عليها الماباي ، حزب يسمي نفسه « اشتراكيا » .

ان التناقضات التي سبقت السياسة الاقتصادية الجديدة مألوفة في مجتمع توجد فيه طبقات . لقد حصل ١٠ بالمائة من سكان اسرائيل ، في العام ١٩٥٠ ، على ١٧،٧٪ من مجموع الدخل الفردي السنوي ، بينها حصل النصف السفلي لسكان اسرائيل على ٣٧ بالمائة (١٦) . ورغم أن هذه الفروقات في الدخل ليست شاسعة ، كما هي في بلدان اخرى عديدة ، الا انها تشكل حاجزا متينا بين الطبقة العليا والطبقة العمالية . ومن المؤكد انه في العام ١٩٥٠ كان السؤال « هل ستزداد الفروقات في الدخل ام ستتقصر ؟ » ، امتحانا مهما لطبيعة الاقتصاد ولدولة اسرائيل . وقد تبين عام ١٩٥٣ ان حصة الهستدروت النسبية في الحياة الاقتصادية لم تتوسع . وكان الهستدروت ما زال مستبعدا عن السيطرة على القطاعات الصناعية الرئيسية كالساس والمنسوجات والكيماويات ، كما كان مستبعدا قبل مرحلة الدولة . أما القطاعات الرئيسية التي كانت تخضع لسيطرة الهستدروت فهي : القطاع الزراعي (ثلثا مجموع الانتاج في العام ١٩٥٣) وتجارة الجملة (٢٠،٦ بالمائة من مجموع الانتاج في العام ١٩٥٣) (١٧) . كما احتفظ الهستدروت بحوالي عشرين بالمائة من قطاعي البنوك التجارية والتأمين .

وفي تلك الاثناء حقق القطاع الحكومي الجديد توسعه الرئيسي في حقل الخدمات العامة ، كالمواصلات والمنافع العامة وقد تجنب القطاع العام النشاطات الخاصة كتجارة المفرق والاعمال المصرفية والصناعات الخفيفة . أما الحكومة التي يحتل الهستدروت مناصب هامة فيها ، فقد فشلت باستمرار في ارساء سياسة تضعف من قوة القطاع الخاص التي كانت قائمة قبل انشاء الدولة .

أما حقبة الخطة الاقتصادية الجديدة فقد تميزت بنشوء تناقضات اجتماعية واقتصادية جديدة ، وبرغم أن العجز في التجارة الخارجية قد انخفض ما بين عامي ١٩٥١ و ١٩٥٤ ، إلا أن ضغوط التضخم المالي عادت للظهور خصوصاً مع زيادة النفقات العسكرية خلال عامي ١٩٥٥ و ١٩٥٦ . ويجب الاخذ بعين الاعتبار الموجة الثانية الكبيرة من المهاجرين التي كانت تتألف في غالبيتها من يهود شمال افريقيا .

في العام ١٩٥٧ ازدادت فروقات الدخل التي تفصل الاثرياء الاسرائيليين عن الطبقة العاملة ازديادا حادا :

التغير	١٩٥٧-١٩٥٦	١٩٥٠
١) أعلى ١٠ ٪ من السكان	١٧٤٧ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٢٠٤ ٪ من السكان
٢) أعلى ٢٠ ٪	٢١٤٠ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٢٤٤٨ ٪ من السكان
٣) أدنى ٥٠ ٪	٢٧٤٠ ٪ من مجموع الدخل الفردي	٤٤٢ - ٣٢٤٨ ٪ من السكان

بينما يظهر من الجدول اعلاه أن أعلى ٢٠ ٪ من السكان قد حققوا زيادة بارزة في مدخولهم فإن أدنى ٥٠ ٪ من السكان قد انخفضت مداخيلهم ، وأن السياسة الاقتصادية الجديدة نفسها ، التي تميزت بتجميد الاجور وتخفيض قيمة العملة ، قد تطابقت زمنياً مع هذه الظاهرة . وبالإضافة كان من الواضح أن سياسات الحكومة قد فشلت في دمج المهاجرين من آسيا و افريقيا بشكل كامل .

وقد ظلت البطالة مرتفعة باستمرار بين المهاجرين الشرقيين :

نسبة العاطلين عن العمل بين:	حزيران ١٩٥٤	الهبوط	حزيران ١٩٥٧
١) المهاجرون الامريكويون والاوروبيون قبل ١٩٤٨	٣٥٤ ٪ (١)	٥٤٠٩ - ٪ (١)	٢٤٥ ٪
٢) المهاجرون الاسيويون والافريقيون قبل ١٩٤٨	٧٤٧ ٪ (٢)	٢٤٢ - ٪ (٢)	٥٤٥ ٪
٣) المهاجرون الامريكويون والاوروبيون بعد ١٩٤٨	٧٤٩ ٪ (٣)	١٤٤ - ٪ (٣)	٦٤٥ ٪
٤) المهاجرون الاسيويون والافريقيون بعد ١٩٤٨	١٥٤٤ ٪ (٤)	٤٤٢ - ٪ (٤)	١١٤٢ ٪ (٧)

وهكذا نلاحظ ان المهاجرين الاسيويين والافريقيين سواء الذين وصلوا قبل او بعد عام ١٩٤٨ ، تتفشى بينهم البطالة بنسبة ضعف البطالة المتفشية بين المهاجرين الاوروبيين والامريكويين . وهذه الحالة تتمشى ، كما رحتمى ، مع المداخيل المنخفضة ونسبة أصحاب الاملاك المنخفضة في اوساط المهاجرين الشرقيين . كذلك من المفيد ان نتذكر ان المهاجرين الشرقيين حرموا من بعض أشكال تدفق الراسمال الاجنبي مثل التعويضات الشخصية المباشرة من المانيا الغربية .

وقد فشلت الخطة الاقتصادية الجديدة في الحد من البطالة الدائمة في اوساط الاقلية العربية في اسرائيل :

١٩٥٨	الهبوط	حزيران ١٩٥٤	
٥٤٦٪	٢٤٧٪	٨٤٣٪	نسبة اليهود العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة اليهودية :
٧٤١٪ (٧١)	١٤٩٪	٩٤٠٪	نسبة العرب العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة العربية :

وهكذا فإن انخفاض البطالة خلال أربع سنوات بين العمال اليهود كان أكبر منه بين العمال العرب . وبالإضافة فقد شهد عام ١٩٥٨ هوة أكبر في البطالة بين العرب واليهود مما كان الحال عليه عام ١٩٥٤ .

وفي الاساس تطابقت الخطة الاقتصادية الجديدة التي وضعت عام ١٩٥٢ مع ازدياد فروقات الدخل ومع استمرار نسبة البطالة العالية بين اليهود الشرقيين والسكان العرب . ومع ذلك فقد انصفت حقب الخطة الاقتصادية الجديدة بتدفق رأس المال بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الصهيونية . فقد بلغت واردات رأس المال الاجنبي بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٥٩ ، ٥٧٩ مليون دولار أي بمعدل ٥٧٤٩ مليون دولار سنويا (٧٢) . وبما ان الحكومة التي خطت ونفذت الخطة الاقتصادية الجديدة كانت اسميا « اشتراكية » ، وكان من بين أعضائها قادة سابقون للهستدروت مثل بن غوريون ، لا يتمالك المرء ان يسأل « لماذا خان هؤلاء القادة الاشتراكيون ، الطبقة العاملة ؟ » .

ويشعر غالبية اعضاء متسبين ، الذين يدركون تماما وجود الهستدروت وقطاعات الملكية الحكومية ، بان بيروقراطية العمال نفسها كانت دائما أقوى من الطبقة الرأسمالية في اسرائيل :

فهناك اشراف بيروقراطي شديد على القطاع الخاص (من قبل القادة العماليين) ومن قبل السلطة المباشرة للهستدروت والقطاعات الحكومية . وهذا الاشراف يتخطى التدخل الحكومي في الحياة الاقتصادية ، الامر المقبول في معظم الدول الرأسمالية . ويجب ألا ننسى ان الاقتصاد الاسرائيلي ككل - وارباح الرأسماليين - يعتمد الى حد كبير على الاموال الاجنبية التي تعطي للبيروقراطية الصهيونية . وهناك عدة طرق يمكن للبيروقراطية العمال بواسطتها ان تقيم حالة من التوازن مع تدفق الاموال الاجنبية على مختلف اختكارات القطاع الخاص وان تتمتع بالسيطرة على البورجوازية (٧٣) .

وانا لا اعتقد ان وجهة نظر متسبين هذه تصور دور بيروقراطي العمال الاسرائيليين تصويرا دقيقا . فكما ذكرت سابقا ، تتصف نشاطات الهستدروت المالية والصناعية بالتعاون الوثيق بين البيروقراطيين والرأسماليين الاسرائيليين والمستثمرين الاجانب . ان البيروقراطيين كأفراد يحتلون مناصب حكومية هامة ، الا انه من الخطأ الافتراض بأنهم « يتمتعون بالسيطرة على البورجوازيين » . ورغم ان شخصيات مثل بن غوريون ، واشكول ، وغولدا مائير ، قد لعبوا دورا في تقرير مصير المعونات الاجنبية الضخمة ، الا ان سلطة البيروقراطيين الحكومية كانت امتدادا لقوة البورجوازية الاقتصادية .

ولم يمر فمثل الخطة الاقتصادية الجديدة في توفير حلول فعالة لمستويات الدخل المنخفضة ، وللبطالة ، ولاشكال اخرى من الحرمان موجودة في اوساط الطبقة السفلى الاسرائيلية ، بدون آثار سياسية . فمثلا، برزت حادثة «وادي الصليب» المشهورة عام ١٩٥٩ في اوساط اليهود الشرقيين . فقد أدت الاحتجاجات العنيفة على الاوضاع السيئة في حي وادي الصليب في حيفا الذي يسكنه يهود من شمال افريقيا ، الى اندلاع حوادث مماثلة في أماكن أخرى في اسرائيل . وقد أدت التظاهرات والانتفاضات الى ظهور « اللكود » ، وهي منظمة سياسية لليهود شمال افريقيين ، والتي أعلنت معارضتها المتشددة « للمصالح الذاتية لكل الاحزاب القائمة ، واعلنت عن تنبئها لعقيدة الانفصال الاقليمي » (٧٤) . ورغم ان « اللكود » قصرت نشاطها على المجال الانتخابي ، ورغم ان

الاحزاب السياسية التقليدية نجحت في طمس النعمة الشرقية بادخال عدد أكبر من المرشحين الاسويين والافريقيين في لوائحها الانتخابية ، فان الانتفاضات بحد ذاتها وبروز « اللكود » القصير الامد كقوة سياسية تشكل مؤشرات بليغة على الصراع الطبقي داخل المجتمع اليهودي في اسرائيل .

كذلك كان للاضطهاد الطبقي في اوساط العرب « الاسرائيليين » آثار سياسية أهمها بروز حركة « الارض » عام ١٩٥٨ . وقد قامت السلطات الاسرائيلية باضطهاد وكبت حركة الارض التي كانت تطالب بالحقوق الاقتصادية والسياسية الكاملة للعرب في اسرائيل ، وبحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة . واخيرا ، قامت المحكمة العليا الاسرائيلية عام ١٩٦٤ باعلان حركة الارض حركة غير شرعية . ويمكن ارجاع نشوء حركة الارض وتوجه العديد من العرب نحو الحزب الشيوعي الاسرائيلي « راكاح » الى الاضطهاد الذي يمارسه المجتمع الاسرائيلي على السكان العرب . ويمكن الاطلاع على صورة تفصيلية لحنة عرب « اسرائيل » في كتاب صبري جريس « العرب في اسرائيل » .

وقد أدى استمرار بعض المصاعب كعجز الميزان التجاري والتضخم المالي الى وضع « خطة اقتصادية جديدة » ثانية عام ١٩٦٢ . فقد تم في شهر شباط من ذلك العام تخفيض سعر الليرة الاسرائيلية من ٥٠ الى ٣٣ سنتا أميركيا . وبينما وافقت نقابة جمعية المنتجين على الحد من الاسعار في بعض المجالات ، وافق زعماء الهستدروت على تجميد الاجور لعام ١٩٦٣ - ١٩٦٤ (٧٥) . وقد كان من قبيل المصادفة فقط ان الاستثمارات الاجنبية زادت ، في ظل الخطة الاقتصادية الجديدة الثانية ، الى حد لم يسبق له مثيل ، اذ بلغت ١٦٩٤٤ مليون دولار عام ١٩٦٤ (٧٦) .

ورافق توسع الاستثمار الاجنبي زيادة في بيع الاسهم في الخارج وزيادة في المعونات الخارجية . فقد بلغت واردات رأس المال - ما بين عامي ١٩٦٠ و ١٩٦٤ - ٣٦ مليون دولار ، مقابل ٣١٦ مليون دولار للفترة ١٩٥٥ - ١٩٥٩ (٧٧) . وبالتالي ، حظيت اسرائيل بازدهار اقتصادي قصير ما بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٥ . ولكن ، كما يظهر من الجداول التالية ، تبع الازدهار انحسار اقتصادي :

ا) الاجور اليومية بالليرة الاسرائيلية - معدلات الذكور والاناث : ١١

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
١٢٤٣ ل.أ.	١٣٠٧ ل.أ.	١٥٤٤ ل.أ.	١٧٤٦ ل.أ.	٢٠٤٤ ل.أ.	٢١٤٤ ل.أ.	٢٢٤٠ ل.أ.
(+١١٤٤٪)	(+٢٥٪)	(+٤٢٤١٪)	(+٦٥٤٩٪)	(+٧٤٨٤٪)	(+٧٨٤٩٪)	

ب) جدول الإنتاج الصناعي - سنة ١٩٦٣ على أساس ١٠٠ :

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
٨٨	١٠٠	١١٤	١٢٥	١٢٧	١٢٣	١٥٩
(+١٣٤٦٪)	(+٢٩٤٥٪)	(+٤٢٤٢٪)	(+٤٤٤٣٪)	(+٣٩٤٨٪)	(+٨٠٤٧٪)	

ج) نسبة العاطلين عن العمل من مجموع القوى العاملة :

١٩٦٢	١٩٦٣	١٩٦٤	١٩٦٥	١٩٦٦	١٩٦٧	١٩٦٨
٤٤٦٠	٤٤٠٣	٣٤٤٠	٣٤٢٠	٧٤٩٢	١٣٥٢	٥٤٧١
(-١٢٤٤٪)	(-٢٥٤١٪)	(-٣٠٤٤٪)	(-٧٢٤٤٪)	(-١٩٣٤٩٪)	(-٢٤٤٤١٪)	(-٧٨)

قد يعجب بعض الناس باستمرار ازدياد الاجور السنوية حتى اثناء الانحسار الاقتصادي ، غير ان هذه الزيادة لا تعني شيئا اذا نظر اليها منفصلة عن الظواهر

الآخري . فاذا نظرنا الى جدول الانتاج الصناعي نجد انه ارتفع عام ١٩٦٨ ارتفاعا حادا ، بعد هبوط بسيط عام ١٩٦٧ . كما ان الزيادة المطلقة للانتاج الصناعي ، بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٨ ، كانت أعلى بقليل من الزيادة المطلقة في الاجور . وبينما انخفضت البطالة بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٥ ، الا انها ارتفعت ارتفاعا هائلا في عامي ١٩٦٦ و ١٩٦٧ ، وفشلت عام ١٩٦٨ في العودة الى معدلها الطبيعي .
ومن الممكن تقسيم الفترة ١٩٦٢ - ١٩٦٨ الى ثلاث مراحل مميزة :

(ا) ١٩٦٢ - ١٩٦٥ : التوسع ، ويتصف بارتفاع الاجور وارتفاع الانتاج ، وانخفاض البطالة .

(ب) ١٩٦٦ - ١٩٦٧ : التقلص ، ويتصف بارتفاع ابطاً للاجور ، وانخفاض بسيط في الانتاج ، وبطالة هائلة .

(ج) ما بعد ١٩٦٧ : التوسع ، ويتصف بازدياد ضئيل في الاجور ، وارتفاع حاد في الانتاج ، وانخفاض في البطالة .

ويمكن ، من هذا المنظار ، تفسير الـ « ميتون » بشكل صحيح من خلال تحليل المراحل التي سبقته وتبعته . فبينما يعتبر بعض حماة الصهيونية الـ « ميتون » حادثة يؤسف لها ، يقول آخرون انها كانت ظاهرة ضرورية خططت لها الحكومة من أجل الحد من العجز التجاري الكبير الذي حصل خلال فترة الازدهار ، ١٩٦٢ - ١٩٦٥ . فقد قام وزير المالية بنحاس سابر ، مثلا ، بتبرير الـ « ميتون » - في المؤتمر الاستثماري الاقتصادي في القدس (٩ و ١٠ آب ١٩٦٧) امام مجموعة من المستثمرين الاجانب - كوسيلة لخفض الواردات وزيادة قوة المنتجات الاسرائيلية التنافسية في الاسواق الخارجية (٧٩) .

ولكن يمكن تحدي التفسيرات الرسمية بالاسئلة التالية : (ا) اذا كان الـ « ميتون » حقا نتيجة مباشرة لسياسة الحكومة ، فهل وضعت الحكومة هذه السياسة بشكل مستقل ام كاستجابة لضغط بعض اصحاب المصالح ؟ (ب) هل خططت الحكومة فعلا لرفع البطالة الى ١٣،٥٢ ٪ عام ١٩٦٧ ؟ (ج) هل أدى الـ « ميتون » فعلا الى تخفيض الواردات وزيادة الصادرات بعد عام ١٩٦٧ ؟

يمكن القول هنا بأن الممولين والصناعيين الاسرائيليين لم يقنعوا بالتأثيرات الاقتصادية لازدهار ١٩٦٢ - ١٩٦٥ . وبما ان الاجور في قطاعات عديدة تحدد جزئيا على اساس غلاء المعيشة ، فان زيادة الاجور قد تعادلت تقريبا مع زيادة الانتاج الصناعي . وقد ذكرت مجلة « الايكونوميست الاسرائيلية » في كانون الثاني ١٩٦٦ ، ان العديد من رجال الاعمال يعتبرون حكومة أشكول « اضعف حكومة مرت على اسرائيل » (٨٠) . وقد كانت هناك مطالبات كثيرة بمقاومة الحكومة « لتضخم الاجور » ، كما حدث في تموز ١٩٦٦ عندما دعت نقابة المنتجين الى الغاء الاجور المرتبطة بغلاء المعيشة (٨١) . كما طالب رجال الاعمال أيضا بتخفيض رسوم الاستيراد ، وخفض قيمة الليرة الاسرائيلية ، وزيادة الانتاج الصناعي .

واذا تفهم المرء بشكل صحيح الروابط المباشرة بين الراسماليين وبنك اسرائيل ، وبين الراسماليين والدولة ، وبين الراسماليين وبيروقراطية العمال ، فليس من الصعب فهم خضوع الحكومة للعديد من مطالب الراسماليين . وهكذا ، فان الهجوم على العامل بدأ عام ١٩٦٦ حيث ازداد توقيف العمال عن العمل وازدادت المطالبة برفع الانتاج ، وبلغت البطالة ٧،٩٣ ٪ في نهاية العام نفسه .

وبينما بلغت الواردات ١٤،٢٣١ بليون دولار عام ١٩٦٥ ، فانها لم ترتفع سوى الى

١٢٢٧٧ مليون دولار عام ١٩٦٦ . ومن ناحية أخرى ، ارتفعت الصادرات من ٧١١ مليون دولار الى ٨٣٢ مليون دولار . وقد انخفض العجز التجاري خلال هذه الفترة من ٥٢٠ مليون دولار (١٩٦٥) الى ٤٤٥ مليون دولار (١٩٦٦) (٨٢) .

ورغم ان المراحل الاولى « للميتون » قد خففت قليلا من عجز اسرائيل التجاري ، يمكن الاشارة الى ظواهر أخرى أصبحت تتناقض الى حد كبير مع المصالح الطويلة الامد للقطاع الخاص . فقد ازدادت نعمة الطبقة العاملة وازداد عدد الاضرابات ، كذلك ازدادت الهجرة من اسرائيل ، وخاصة هجرة العمال الفنيين ، بينما انخفضت الهجرة اليها . كما ان انهيار بعض المصالح الاقتصادية ، مثل بنك « فيوخت فانغر » وبنك « اللرن » ، خلق شعورا بعدم الارتياح في وسط الطبقة الرأسمالية . وقد انخفض في الوقت نفسه الاستثمار الاجنبي عن مستواه عام ١٩٦٥ ، (رغم ازدياد التعويم الذي قام به الرأسماليون الاجانب) .

ومع تعمق الازمة الاقتصادية ، قامت الحكومة باتخاذ موقف أكثر عدائية من العالم العربي ، وخاصة من سوريا . وكان أحد الآثار المباشرة للاستعداد للحرب استيعاب العديد من العمال ، العاطلين عن العمل والعاملين ، في القوات المسلحة . وقد أدت زيادة الاتفاق على الدفاع الى توسع الصناعات الحربية بحيث ارتفع عدد العاملين في مصانع وزارة الدفاع ، في نهاية ١٩٦٧ ، بنسبة ٤٠ ٪ ، وبحيث تضاعفت طلبات « الصناعة الحربية » من الاقتصاد المدني ثلاث مرات (٨٣) .

رغم انه من الخطأ ارجاع حرب حزيران الى الازمة الاقتصادية الخائفة التي واجهتها اسرائيل عام ١٩٦٦ - ١٩٦٧ ، فقد كان لتلك الحرب نفسها ولنتائجها تأثير واضح على الاقتصاد الاسرائيلي . ويعتبر ادخال حزب جاحل المناوىء للعمال (مناحيم بيجن) في « وزارة الحرب » التي ألفها اشكول ، ومبيعات الاسهم الاسرائيلية التي لم يسبق لها مثيل (٣٢٥ مليون دولار عام ١٩٦٧) ، وازدياد الهجرة ، واحتلال مساحة واسعة من الاراضي العربية ، ظروف أدت الى اعادة الثقة بالاقتصاد الاسرائيلي في اوساط المستثمرين المحليين والاجانب .

ولكن التوسع الذي تلا الحرب كان عملية اتصفت بالتناقضات الاقتصادية والاجتماعية العميقة . ورغم ان اعدادا كبيرة من الجنود ظلت تحمل السلاح ، فقد بقيت البطالة مرتفعة نسبيا اذ كان ٥٧١ ٪ من القوى العاملة بدون عمل في الربع الثاني من عام ١٩٦٨ (٨٤) . وظلت الاجور خاضعة لقيود ما قبل الحرب . وبينما ارتفعت الاجور ١٤٧ ٪ خلال النصف الاول من عام ١٩٦٨ ، ارتفع الانتاج الصناعي بنسبة ٣٠ ٪ تقريبا عما كان عليه في النصف الاول من عام ١٩٦٧ (٨٥) . ولم تنل البروليتاريا الاسرائيلية أي تعويض على زيادة الانتاج الهائلة ، وكان عليها ان تتحمل زيادة في الاسعار - خلال الاشهر التسعة الاولى من عام ١٩٦٨ - بلغ معدلها ٢٤٣ ٪ (٨٦) .

بالرغم من سيل الدعاية الذي أطلقه بيروقراطيو العمال والمسؤولون الرسميون حول أهمية الانتاج الصناعي « للامن القومي » ، لم يرضخ العمال الاسرائيليون لمطلب الاسراع في العمل وتجميد الاجور . فقد كانت نسبة الاضرابات عام ١٩٦٨ أعلى منها عام ١٩٦٧ ، رغم ان عدد العمال الذين شاركوا في تلك الاضرابات كان أصغر ، لان الاضرابات شملت الشركات الصغرى (٨٧) . هذا ومن الضروري معرفة نتائج موجة الاضرابات :

- ١) ان التهمج على الاجور الحقيقية للعمال جوبه برد فعل حازم .
- ٢) ان النداءات العاطفية حول « الامن القومي » لم تكف لمنع حصول الاضرابات .
- ٣) ان قيام العمال باضرابات دون موافقة نقابتهم يدل على تحدي العمال لسلطة بيروقراطيي الهستدروت .

ومن المفيد جدا أن نقوم أيضا بدراسة التناقضات الاقتصادية التي تلت الحرب لان هذه الظواهر بالإضافة الى وضع الطبقة العاملة الاسرائيلية تعطينا مفتاحا للمستقبل . أولا ، ان الهدف « الرسمي » « للميتون » — تخفيض العجز التجاري — لم يتحقق . فقد استأنف العجز التجاري ، منذ نهاية عام ١٩٦٧ تصاعده التقليدي . فمثلا ، كان العجز في التجارة مع الولايات المتحدة فقط أكثر بـ ٢٨ مليون دولار عما كان عليه في عام ١٩٦٧ (٨٨) . وبالطبع يمكن ربط الانفاق العسكري الكبير بالعجز التجاري لان أستيراد السلاح الاميركي تصاعد . وقد بلغ قرض الدفاع الحكومي عام ١٩٦٨ ، والذي حصل من الجمهور ٣٠٠ مليون ليرة اسرائيلية (٨٩) . وان حماية حقول النفط في سيناء و« السوق المأسورة » في الضفة الغربية وغزة تعتمد مباشرة على التصاعد الدائم في الضرائب ، وعلى الاحتفاظ بعدد كبير من الجنود والاحتياط . وبالرغم من تخفيض الليرة الاسرائيلية عام ١٩٦٧ من ٣٣ الى ٢٨ سنتا اميركيا ، فان التضخم ما زال مستمرا بلا قيود ، وخاصة في قطاع المباني السكنية .

لقد خفضت الليرة الاسرائيلية ، منذ عام ١٩٤٨ ، بنسبة ٩٠٠ ٪ ، ومن المحتمل أن تنخفض ايضا في المستقبل . وان عجز البيروقراطيين عن حل المشاكل المزمنة ، مثل تصحيح ميزان المدفوعات ، يدفعهم للحصول على معونات مالية اكبر من الخارج . فقد حصلت اسرايل عام ١٩٧٠ على مبلغ ٥٠٠ مليون دولار من مبيع الاسهم الاسرائيلية ومن الهبات المباشرة من الولايات المتحدة ، كما ان الحكومة الاميركية تعهدت باقراض اسرايل مبلغ ١٦٥ بليون دولار خلال خمس سنوات .

وتبلغ تكاليف ادارة المناطق المحتلة ومقاتلة الفدائيين أكثر من ٣ ملايين دولار في اليوم . وقد تضاعفت الميزانية العسكرية أربع مرات ، منذ عام ١٩٦٧ ، إذ بلغت ١٤٣ بليون دولار عام ١٩٧٠ — ١٩٧١ ، أي ما يوازي ربع الناتج القومي كله لتلك السنة . وقد وصف تقرير نشر في صحيفة نيويورك تايمز الآثار المباشرة لحالة ما بعد الحرب كالتالي : قال زعيم عمالي اسرائيلي : « لا يحتاج الصراع بين الادارة والعمال الى أكثر من خمود القتال على الحدود » .

تبعث ثلاثة أشهر من توقف اطلاق النار ، ومع اختفاء أنباء القتال ، وجدت اسرايل نفسها وسط موجة من الاضرابات في جو كانت فيه الاجور والاسعار والضرائب تهدد بالانفجار الى تضخم مالي . وقد أغلقت المدارس الثانوية في اسرايل ، وأضرب المعلمون مطالبين بزيادة في الاجور . ولمدة اسبوع لم يقم الطيران الوطني الاسرائيلي ، العال ، سوى بجزء من رحلته المقررة نظرا لاضراب عمال الصيانة .

ولم تصدر نشرة الاحوال الجوية أمس ، فقد أضرب عمال دائرة الرصد الجوي . وانقطاع التيار الكهربائي لساعات أمر مألوف لان العمال يضربون لساعات ثم يعودون للعمل ثم يضربون مرة أخرى . وقد أعلن عمال ميناء حيفا وميناء اشدود ، وعمال الهاتف ، وحتى نقابات موظفي الدولة في عدة وزارات حكومية الاضراب لمدة متفاوتة — ساعات ، وايام ، وأسابيع ...

... وقد اعترف وزير التربية ، ايغال آلون ، بأن للمعلمين المضربين أكثر من شكوى ، اولها ان رواتبهم تبدأ بـ ١٦٠ دولارا شهريا ، لكنه تعلل بأن ميزانية وزارته لا تتحمل مطلب ١٠٠٠٠ معلم بزيادة ٥٧ دولارا شهريا لكل منهم .

المشكلة الاساسية هي في ان الحكومة والمواطنين يعيشون حياة تتخطى مدخلهم . وان الزيادة الكبيرة في الضرائب التي فرضت في آب الماضي — على الواردات والهدايا والسفر — بالإضافة الى ضرائب المبيعات والشركات ستؤدي الى تجميع ٥٠٠ مليون

دولار اضافية في شهر آذار القادم ، لكنها لن تؤثر سوى تأثير بسيط على هدفها الآخر وهو التخفيف من المشتريات المحلية . [المصدر : نيويورك تايمز ، ١٠ نوفمبر ، ١٩٧٠]
أن صحيفة نيويورك تايمز تخطيء حين ترجع جذور الازمة الى نسبة المشتريات المحلية العالية وليس الى التوزيع غير المتكافى للثروة . وعلى أي حال فمن الواضح ان موجة الاضرابات التي تلت الحرب لم تنفد قوتها .

وهناك فقط عدد من الحلول الموقته التي يمكن للرأسماليين الاجانب والاسرائيليين ان يطبقوها : (١) منع الاضرابات غير المشروعة بحزم ، (٢) خلق أزمة سياسية مشابهة لازمة ١٩٦٧ ، (٣) زيادة استغلال اليد العاملة الرخيصة من الاراضي المحتلة ، (٤) طلب معونات مالية أكبر من الغرب من أجل تحسين المستوى الفعلي للاجور والاحوال المعيشية . ولكل من هذه الحلول مخاطره .

ان منع الاضرابات غير المشروعة منعا حازما سيؤدي الى توسيع الهوة ما بين الجماهير وبيروقراطية العمال ، لان بيروقراطية العمال الذين يحتلون مناصب حكومية سيضطرون لان يقضوا على الاضرابات . وبالإضافة ، فان هذا الحل قد يضعف مقدرة اسرائيل على ان تقوم بدور كلب حراسة عسكري يخدم المصالح الامبريالية في الشرق الاوسط .

اما الامكانية الثانية ، تصعيد الصراع العربي - الاسرائيلي ، فتبدو أكثر قابلية للتصديق ، خاصة مع ترديد الرسميين الاسرائيليين القول بأنهم سيحتفظون بشرم الشيخ والقدس الشرقية ومناطق محتلة أخرى . ومع ذلك فان أي تصعيد جديد ، حتى لو حصل على موافقة الجماهير الاسرائيلية ، لن يعطي سوى أنتعاش محدود للقطاع الخاص في اسرائيل . فبالرغم من أن حرب حزيران قد أدت الى زيادة تدفق رأس المال الاجنبي ، وزيادة في مساحة اسرائيل ، وفي مواردها الطبيعية ، وفي اليد العاملة الرخيصة ، وفي الانتاج ، الا أنها لم توفر أية حلول جذرية لمشاكل اقتصادية كفائض الواردات والتضخم .

ورغم ان رأس الماليين الاسرائيليين فرحون « بجيش العاطلين عن العمل » في قطاع غزة وال الضفة الغربية ، فلا يمكن تحويل القوى العاملة في المناطق المحتلة الى قوى عاملة ماهرة تحل محل العمال الاسرائيليين خلال فترة قصيرة . ورغم ان ٣٠٤٠٠٠ عامل من الضفة الغربية وحدها قد وجدوا عملا في اسرائيل (زيادة ٤ ٪ تقريبا في القوى العاملة الاسرائيلية) بنهاية عام ١٩٦٩ (٩٠) ، فان عمال المناطق المحتلة يعملون في الزراعة والبناء وليس في التصنيع . وكان هذا نمط عمل العمال العرب من سكان اسرائيل قبل عام ١٩٦٧ . ويؤيد بعض القادة الاسرائيليين ومنهم دايان ، تشغيل العرب بينما يعارضه آخرون بشدة ، مثل بن غوريون وغولدا مائير . وان استبدال العمال اليهود بعمال عرب يعتبر تحديا لدور بيروقراطية العمال اليهودية .

وبنفس الطريقة ، لا توفر زيادة استغلال المناطق المحتلة كسوق للبضائع الاسرائيلية أية أرباح كبيرة ولموسم للرأسماليين الاسرائيليين . فان التضخم المالي الاسرائيلي يجلب بؤسا لا مثيل له لسكان المناطق المحتلة لان اقتصاديات الضفة الغربية وقطاع غزة لا تسمح باستيراد الكثير من البضائع الاسرائيلية ذلك ان هذه المناطق لا تحصل على كميات كبيرة من رأس المال . فقد صدرت الضفة الغربية ، عام ١٩٦٨ ، الى اسرائيل بضائع قيمتها ٤٢٤٥ مليون ليرة اسرائيلية بينما استوردت منها بضائع قيمتها ١٦٣٤٨ مليون ليرة اسرائيلية (٩١) . ولكن الفرق بين الواردات والصادرات ، اي ١٢١٤٣ مليون ليرة اسرائيلية ، كانت تعادل ١ ٪ فقط من دخل اسرائيل القومي الاجمالي تلك السنة . وان تأثير المناطق المحتلة ، كسوق شرائية وكمصدر للعمال ، على المشاكل الاقتصادية الاسرائيلية يبقى هامشيا ما دامت تلك المناطق متخلفة صناعيا .

اما « الحل » الرابع - زيادة المعونات المالية من الخارج - فسيفشل أيضا في حل

التناقضات الأساسية للبنان الاقتصادي الإسرائيلي . وقد أكدت متسبين على أهمية المعونات الإمبريالية لنمو إسرائيل وعلى أن « البنان الاقتصادي نفسه مبني ومعتمد على الدور السياسي والعسكري للصهيونية في الشرق الأوسط » (٩٦) . وعلى أي حال ، أن البنان الاقتصادي الذي نشأ يتصف باستغلال العمال من قبل الرأسماليين المحليين والأجانب . والإنشقاق الذي يكبر عاما بعد عام بين العامل والرأسمالي يشكل أساسا محتملا لإنشقاق عقائدي وسياسي . ويجب أن ندرك أيضا أن حجم المعونات المالية وشكلها تقرره الاحتياجات العالمية للإمبريالية . وأن أي أزمة رأسمالية طويلة أو ظهور « أكثر من فيتنام » لن يترك العلاقة سليمة بين الرأسماليين والعمال في إسرائيل .

ورغم أن غالبية أعضاء متسبين محقون في انتقادهم الذي يدعون فيه إلى الفصل بين العمالية والمناوأة ضد الصهيونية ، إلا أنني أشعر بأن الأميركيين المعارضين للصهيونية لا يمكنهم تجاهل أو عدم تفهم التناقضات الداخلية للمجتمع الإسرائيلي . أن وجود هذه التناقضات وعدم مقدرة الرأسماليين الإسرائيليين وبيروقراطيي العمال على حلها تشكل دليلا واضحا على خطأ منطق العقيدة الصهيونية . هذا واستغلال المستثمرين الأجانب للجماهير الإسرائيلية هو مظهر من مظاهر الاستغلال الإمبريالي السياسي لإسرائيل .

ويشعر غالبية أعضاء متسبين أن يهود إسرائيل الشرقيين لا يملكون وعيا بروليتاريا وأنهم « يؤيدون أكثر جناح شوفيني ورجعي في الطبقة الحاكمة » (٩٢) . ولكن الأميركيين المناوئين للصهيونية لا يمكنهم تجاهل مشاركة العمال الشرقيين في موجة الاضرابات ، ثم مؤخرا مشاركة الشباب الشرقي في الاحتجاج على ارتفاع أجور السكن والاحوال المعيشية السيئة . أن استغلال الطبقة الرأسمالية في إسرائيل لليهود الشرقيين هي شهادة أخرى ضد الأساس العقائدي للصهيونية . ورغم أن العديد من اليهود الشرقيين قد تجذبهم الحركات اليمينية مثل حزب « حيروت » ، فإن واجبنا في أميركا أن نفصح أصحاب الملايين الإسرائيليين ، من أمثال يعقوب مريدور (صاحب الشركة البحرية لناقلات الفواكه) ، الذين يشكلون الأساس المالي للجناح اليميني .

وفي الختام ، أحث الأميركيين المناوئين للصهيونية أن يكتفوا نشاطاتهم نوعية وكمية . أما الشرق الأوسط ، الذي تستمد منه الإمبريالية الأميركية جزءا هائلا من أرباحها السنوية ، فلا يمكن اعتباره بعد الآن منطقة صراع يتعلق باليهود والعرب فقط . أن فعالية نشاطاتنا تعتمد على حد كبير على مقدرتنا على إظهار كيفية استغلال الإمبريالية للجماهير العربية والجماهير الإسرائيلية التي وضعت في الشرق الأوسط لتكون شرطة تخدم مصالح الإمبريالية .

- ١ - « الطبيعة الطبقة للمجتمع الإسرائيلي » ، ترجمة عن متسبين ، نشر في نشرة المقاومة الفلسطينية ، أعداد ٤ و٥ ، تشرين الثاني - كانون الأول ١٩٧٠ ، ص ٥ .
- ٢ - بيتر بوخ ، « الثورة الفلسطينية والصهيونية » *International Socialist Review* كانون الثاني ، ١٩٧١ ، ص ١١ .
- ٣ - تطور الاقتصاد الإسرائيلي (القدس) نشر مكتب رئيس الوزراء ، ١٩٦٨ ، ص ١٧ .
- ٤ - « الطبيعة الطبقة للمجتمع الإسرائيلي » ، نشرة المقاومة الفلسطينية ، ص ٥ و ٦ .
- ٥ - هاري ماغدوف ، « عصر الإمبريالية » (نيويورك ، ١٩٦٩) ص ١٩٥ .
- ٦ - مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط ، تحرير جورج لنسفكي (واشنطن ١٩٦٨) « المصالح الاقتصادية » ص ٤١ .
- ٧ - المرجع السابق .
- ٨ - مصالح الولايات المتحدة ، ص ٥٢ .
- ٩ - الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل ، ١٩٦٨ - ٦٩ (القدس) ١٩٦٩ ، ص ٨٥ .
- ١٠ - مصالح الولايات المتحدة ، ص ٦٦ و ٦٧ .
- ١١ - مصالح الولايات المتحدة ، ص ٧٥ .

- ١٤ — أعد هذا الجدول على اساس الارتقام
المأخوذة من الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ،
١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٩١ .
- ١٣ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٦٨ —
١٩٦٩ ، ص ٨٩ .
- ١٤ — المرجع نفسه ، ص ١٦٣ .
- ١٥ — اذا استثنينا الدولتين ذاتي الدخل المرتفع،
الكويت (٢٥٠٠ دولار) واسرائيل نفسها (١٤٠٠
دولار) ، فان معدل الدخل للفرد في الشرق
الايوسط للعام ١٩٦٧ كان ٢٢٥ دولارا في السنة.
مصالح الولايات المتحدة ، ص ٥٤ .
- ١٦ — ارتقام مأخوذة من اجراء معدل للنسب
السنوية المأخوذة من كتاب نداف سفران « من
حرب لحرب » (نيويورك ١٩٦٩) ص ١٥٨ .
- ١٧ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ، ١٩٦٨
— ٦٩ ، ص ١٦٤ .
- ١٨ — مصالح الولايات المتحدة ، ص ٦٤ .
- ١٩ — تطور الاقتصاد الاسرائيلي .
- ٢٠ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ، ص
١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٨٩ .
- ٢١ — دانيال كريبير، « الدخل القومي لاسرائيل »،
١٩٥٠ — ٥٤ مشروع فولك، العدد ٥٧ (القدس،
١٩٦٧) ، جدول ١٥ ، ص ٣٦ .
- ٢٢ — ارتقام الموجودات مأخوذة عن دليل
Moody Bank and Finance
- ٢٣ — الايكونوميست الاسرائيلية، شباط، ١٩٦٦،
ص ٤٦ .
- ٢٤ — نقلا عن كتاب بوخ
The Myth of Progressive Israel
في « الصهيونية والثورة العربية » (نيويورك ،
١٩٦٩) ص ٩ .
- ٢٥ — الايكونوميست الاسرائيلية ، كانون الاول ،
١٩٦٩ ، ص ٣٥ .
- ٢٦ — نقلا عن كتاب بوخ « الثورة الفلسطينية
والصهيونية » *International Socialist Review*
، كانون الثاني ١٩٧١ ، ص ٢٥ .
- ٢٧ — التقرير السنوي لبنك اسرائيل ، ١٩٦٨
(القدس ، ١٩٦٩) ص ٧١ .
- ٢٨ — فيلب سيكمان « تقرير من اسرائيل »
Fortune ، نيسان ١٩٧٠ ، صفحات ٤٣ و ٤٤ .
- ٢٩ — الجروزالم بوست ، ١٤ تموز ، ١٩٧٠ .
- ٣٠ — « المشكلة الفلسطينية » كراس المنظمة
الاشتراكية الاسرائيلية ، اعيد طبعه في
- New England Free Press (بوسطن) ،
١٩٧٠) ص ٣ أرقام النقد بالجنيتيات الفلسطينية،
تعاادل القطعة تقريبا اربعة دولارات .
- ٣١ — التقرير السنوي ، ١٩٦٩ ، بنك التنمية
الصناعية لاسرائيل .
- ٣٢ — المرجع نفسه .
- ٣٣ — التقرير السنوي ، ١٩٦٩ ، بنك التنمية
الصناعية لاسرائيل .
- ٣٤ — م.ن. ايزنشتات ، المجتمع الاسرائيلي
(نيويورك ، ١٩٦٧) ص ٨٧ جدول ١١ .
- ٣٥ — ص ٧٥ ، جدول ٦ .
- ٣٦ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ، ١٩٦٨
٦٩ ، ص ٨٤ .
- ٣٧ — المصدر نفسه . جداول ص ٨٤ و ٩١ .
- ٣٨ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ، ١٩٦٨
— ٦٩ ، ص ٨٤ .
- ٣٩ — المرجع نفسه ، جداول ، ص ٨٤ ، ٩١ .
- ٤٠ — ايزنشتات ، ص ٨٩ ، جدول ١٤ . هذا
الرقم ، لعام ١٩٦٤ ، يتضمن الصيادين والعمال
المرتبطين بالزراعة . في عام ١٩٥٥ ، وقتت
النسبة عند ١٧،١ ٪ .
- ٤١ — ايزنشتات ، صفحات ١٧١ — ٧٢ .
- ٤٢ — ماثي يعري ، نداء الى المؤتمر الرابع لحزب
المابام ، ١٩٦٣ ، نقلا عن كتاب بيتر بوخ
« خرافة اسرائيل التقدمية » ، ص ٨ .
- ٤٣ — نشرة الأمم المتحدة الشهرية للاحصاء ،
أيلول ١٩٦٩ ، ص ١٧٨ .
- ٤٤ — ايزنشتات ، ص ١٤١ .
- ٤٥ — « السياسة في اسرائيل » ، نشر في
الصهيونية والثورة العربية ، ص ٢٢ .
- ٤٦ — ايزنشتات ، ص ١٦٨ .
- ٤٧ — تطور الاقتصاد الاسرائيلي ، جدول ٧ ،
ص ٣٢٤ .
- ٤٨ — المرجع نفسه ، جدول ١١ ، ص ٣٣٥ .
- ٤٩ — هارولد لوبيل ، أزمة نفط الشرق الاوسط
واحتياطات الطاقة في اوربا الغربية ، (بلتيمور،
١٩٦٢) ص ٦٠ .
- ٥٠ — سيكمان ، « تقرير من اسرائيل » *Fortune*
نيسان ١٩٧٠ .
- ٥١ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٦٨ —
٦٩ ، ص ٨٥ .
- ٥٢ — المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .
- ٥٣ — المرجع السابق ، ص ٨٦ .

- ١٤ — أعد هذا الجدول على اساس الارتقام
المأخوذة من الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ،
١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٩١ .
- ١٣ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ١٩٦٨ —
١٩٦٩ ، ص ٨٩ .
- ١٤ — المرجع نفسه ، ص ١٦٣ .
- ١٥ — اذا استثنينا الدولتين ذاتي الدخل المرتفع،
الكويت (٢٥٠٠ دولار) واسرائيل نفسها (١٤٠٠
دولار) ، فان معدل الدخل للفرد في الشرق
الايوسط للعام ١٩٦٧ كان ٢٢٥ دولارا في السنة.
مصالح الولايات المتحدة ، ص ٥٤ .
- ١٦ — ارتقام مأخوذة من اجراء معدل للنسب
السنوية المأخوذة من كتاب نداف سفران « من
حرب لحرب » (نيويورك ١٩٦٩) ص ١٥٨ .
- ١٧ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ، ١٩٦٨
— ٦٩ ، ص ١٦٤ .
- ١٨ — مصالح الولايات المتحدة ، ص ٦٤ .
- ١٩ — تطور الاقتصاد الاسرائيلي .
- ٢٠ — الكتاب السنوي لحكومة اسرائيل ، ص
١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٨٩ .
- ٢١ — دانيال كريبير، « الدخل القومي لاسرائيل »،
١٩٥٠ — ٥٤ مشروع فولك، العدد ٥٧ (القدس،
١٩٦٧) ، جدول ١٥ ، ص ٣٦ .
- ٢٢ — ارتقام الموجودات مأخوذة عن دليل
Moody Bank and Finance
- ٢٣ — الايكونوميست الاسرائيلية، شباط، ١٩٦٦،
ص ٤٦ .
- ٢٤ — نقلا عن كتاب بوخ
The Myth of Progressive Israel
في « الصهيونية والثورة العربية » (نيويورك ،
١٩٦٩) ص ٩ .
- ٢٥ — الايكونوميست الاسرائيلية ، كانون الاول ،
١٩٦٩ ، ص ٣٥ .
- ٢٦ — نقلا عن كتاب بوخ « الثورة الفلسطينية
والصهيونية » *International Socialist Review*
، كانون الثاني ١٩٧١ ، ص ٢٥ .
- ٢٧ — التقرير السنوي لبنك اسرائيل ، ١٩٦٨
(القدس ، ١٩٦٩) ص ٧١ .
- ٢٨ — فيلب سيكمان « تقرير من اسرائيل »
Fortune ، نيسان ١٩٧٠ ، صفحات ٤٣ و ٤٤ .
- ٢٩ — الجروزالم بوست ، ١٤ تموز ، ١٩٧٠ .
- ٣٠ — « المشكلة الفلسطينية » كراس المنظمة
الاشتراكية الاسرائيلية ، اعيد طبعه في

- ٥٤ — المرجع السابق ، ص ١٠٠ .
- ٥٥ — أيزنشات ، جدول ١٥ (أ) ، ص ٩١ .
- ٥٦ — المصدر نفسه ص ٩٥ .
- ٥٧ — الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ٢٤٧ .
- ٥٨ — صبري جريس ، العرب في إسرائيل .
- ٥٩ — هارتس ، ٢٢ آذار ، ١٩٧٠ .
- ٦٠ — ثيودور هرتزل ، الدولة اليهودية (نيويورك ، ١٩٤٦) ص ٩٦ .
- ٦١ — « الطبقة الطبقية للمجتمع الإسرائيلي » PRB ٤ و ٥ ، تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٧٠ ، ص ٤ .
- ٦٢ — أيزنشات ، صفحات ٧٧ — ٧٨ .
- ٦٣ — أيزنشات ، ص ٨٢ .
- ٦٤ — أيزنشات ، ص ١١٦ .
- ٦٥ — المرجع نفسه .
- ٦٦ — داهيد هوروفيتس ، اقتصاديات إسرائيل (لندن ١٩٦٧) ، ص ٨١ . الارتام مأخوذة عن جيرا هانوخ *Income Differentials in Israel* مشروع فولك ، ١٩٥٩ ، ص ٦٠ .
- ٦٧ — أيزنشات ، ص ٩٦ .
- ٦٨ — المصدر نفسه .
- ٦٩ — هوروفيتس ، ص ٨١ .
- ٧٠ — أيزنشات ، ص ١٢٦ . الارتام مأخوذة من *Annuals CBS surveys of the Israeli labor force* (المكتب المركزي للإحصاء ، التقرير السنوي) .
- ٧١ — أيزنشات ، ص ١٢٤ *CBS Statistical Abstract*
- ٧٢ — تطور الاقتصاد الإسرائيلي ، ص ١٧٣ .
- ٧٣ — « الطبقة الطبقية للمجتمع الإسرائيلي » PRB ٤ و ٥ ، تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٧٠ ، ص ٧ .
- ٧٤ — أيزنشات ، ص ٣٠٩ .
- ٧٥ — أيزنشات ، ص ١١٩ .
- ٧٦ — تقرير بنك إسرائيل السنوي ، ١٩٦٨ ، ص ٧١ .
- ٧٧ — تطور الاقتصاد الإسرائيلي ، ص ١٧٣ .
- ٧٨ — نشرة الأمم المتحدة الشهرية للإحصاء ، ايلول ، ١٩٦٩ ، ص ١٤٦ ، ص ١٧٨ .
- تشرين الثاني ، ١٩٦٩ ، ص ١٨ .
- ٧٩ — الأيكونومست الإسرائيلي ، ايلول ، ١٩٦٧ ، ص ١٨٣ .
- ٨٠ — الأيكونومست الإسرائيلي ، كانون الثاني ، ١٩٦٦ ، ص ٤ .
- ٨١ — المرجع نفسه ، تموز ١٩٦٦ ، ص ١٥٨ .
- ٨٢ — تقرير بنك إسرائيل السنوي ، ١٩٦٨ ، ص ٢٦ .
- ٨٣ — الكتاب السنوي لحكومة إسرائيل ، ١٩٦٨ — ٦٩ ، ص ١٠٠ .
- ٨٤ — تقرير بنك إسرائيل السنوي ، ١٩٦٨ ، ص ١٨٠ .
- ٨٥ — الأيكونومست الإسرائيلي ، كانون الثاني ، ١٩٦٩ ، ص ٢٤ .
- ٨٦ — المرجع نفسه .
- ٨٧ — تقرير بنك إسرائيل السنوي ، ١٩٦٨ ، ص ٢١١ .
- ٨٨ — الأيكونومست الإسرائيلي ، آذار ١٩٦٩ ، ص ٨٢ .
- ٨٩ — تقرير بنك إسرائيل السنوي ، ١٩٦٨ ، ص ٤٥٨ .
- ٩٠ — سيكمان « تقرير من إسرائيل » Fortune ، نيسان ١٩٧٠ ، ص ٤٦ .
- ٩١ — الأيكونومست الإسرائيلي ، تموز ١٩٦٩ ، ص ٢١٠ .
- ٩٢ — « الطبقة الطبقية للمجتمع الإسرائيلي » PRB تشرين الثاني — كانون الاول ١٩٧٠ ، ص ٦ .
- ٩٣ — المصدر نفسه ، ص ٥ . تقول متسبين ان هذه الطبقة البالغة الاهمية من سكان إسرائيل « تمثل حالة جوازية لما يسمى في الجنوب الأمريكي « البيض الفقراء » وفي الجزائر قبل التحرير « الاقدام السوداء » .

المنظمة الصهيونية العالمية ١٩٤٦ - ١٩٥١ (١)

الدكتور اسعد رزوق

تقدم شؤون فلسطينية هذه الدراسة عن المنظمة الصهيونية العالمية منذ المؤتمر الثاني والعشرين الذي عقد في العام ١٩٤٦ وحتى انعقاد المؤتمر الثالث والعشرين الذي عقد في العام ١٩٥١ . وسننشر في العدد القادم جزءا آخر من هذه الدراسة ويركز على المؤتمر الثالث والعشرين وهو المؤتمر الصهيوني الاول بعد قيام اسرائيل . والدراسة هي في الاصل جزء من بحث طويل بدأ الدكتور اسعد رزوق باعداده بتكليف من مركز الابحاث عن المنظمة الصهيونية العالمية في ربيع قرن . وقد آثرنا ابقاء الملاحظات التمهيدية الواردة في مقدمة الجزء المنشور اذناه لانها تسهم في تحديد الاطار العام للبحث بكامله .

تصدير عام

من بازل الى القدس

ظهرت الحركة الصهيونية على مسرح أوروبا والعالم منذ ما ينيف على ثلاثة أرباع القرن من الزمن . وانطلق الذين قاموا بتأسيس هذه الحركة من مقدمة تفترض وجود شيء ما أسمه « المشكلة اليهودية » ، وهذا الشيء يحتاج الى حل متناسب مع معطيات العصر . فاليهود المنتشرون في كافة أنحاء الدنيا لن يتخلصوا من عدااء تناصبهم اياه الفئات غير اليهودية واضطهاد يقاسونه على أيدي الاغيار الا عندما يستحصلون لانفسهم على وطن قومي يجمع شملهم ، في ظل دولة ذات سيادة . والشئات اليهودي في العالم يتعرض لخطر الاندماج والزوال ما لم ييسادر « المشتتون » الى تركيز أنفسهم ، عن طريق الاستعمار الاستيطاني ، في رقعة أرضية تفي مساحتها بمتطلبات العدد السكاني المتزايد ومقتضيات الدورة الحياتية في النمو المطرد داخل المجال الجغرافي والحيوي .

ففي السنوات الاخيرة من القرن الماضي قامت المنظمة الصهيونية العالمية التي أسسها ثيودور هرتزل لتؤلف التنظيم الرسمي للحركة وتدعي لنفسها صفات الهيئة المعنية بتمثيل مصالح « الشعب اليهودي » ، باعتبار هذا « الشعب » يرغب في انشاء وطن قومي لنفسه بفلسطين . وجاء « برنامج بازل » الصهيوني ليرسم هدف الصهيونية ويعدد الخطوات العملية الكفيلة ببلوغ الهدف المنشود . أما التعريف الرسمي للمنظمة الصهيونية ، كما جاء في قانونها الاساسي ، فهو تلك الهيئة « التي تضم جميع اليهود الذين يقبلون بالبرنامج الصهيوني ويدفعون الشاقل ، أو رسم العضوية » .

وانطلاقا من المؤتمر الصهيوني الاول في بازل (١٨٩٧) أخذت هذه الحركة في شكلها المنظم تعتبر نفسها على امتداد خمسين عاما من تاريخها - وتمشيا مع الوصف الذي أطلقه هرتزل عليها - بمثابة « الدولة اليهودية في طريق التكوين » . وأقامت الاجهزة والمؤسسات والهيئات التي شاعت لها الاسهام الفعلي في عملية السعي الدؤوب للحصول على الدولة العتيدة فوق رقعة أرضية لا تملكها وليست خلوا من السكان والعمران أو التطلعات نحو مستقبل أفضل . لكن المضي في مقايسة الحركة الصهيونية على « الدولة

في طريق التكوين» ينتهي الى مقارنات مستنبطة ويغلب عليها طابع المفارقة . فاعتبار الحركة الصهيونية بمثابة « حكومة » تسعى للحصول على دولة يقودنا الى التساؤل عن مقومات تلك الحكومة الصهيونية التي كانت بدون دولة تحكمها . مثلما ان اعتبار المؤتمر الصهيوني في مقام المجلس التمثيلي او « برلمان الحركة الصهيونية » — كما تصفه مصادر التاريخ الصهيوني — يؤدي بنا الى اثاره المزيد من التساؤلات المتعلقة بحجم « السكان » الذين يدعي تمثيلهم والنطق باسمهم . فالأكثريّة الساحقة بين يهود العالم ظلت تابعة خارج حظيرة الحركة الصهيونية ومنظمتها العالمية . والمؤتمر الصهيوني ادعى لنفسه صفة تمثيل ما أسماه بـ « الشعب اليهودي » ، بعد أن أضفى على مفهومه لهذا الشعب تصورا ينسب اليه ككل صفة السعي نحو تقرير المصير واقامة الكيان الذاتي المستقل . حتى ان الموسوعة الصادرة مؤخرا عن « اسرائيل والصهيونية » ارتأت تخفيف حدة المفارقة العجيبة بواسطة استدراك مفاده ان « برلمان الحركة الصهيونية » (او المؤتمر الصهيوني الذي أوجده هرتزل) كان في البداية « يرمز » ، بدلا من « يمثل » ، الى تقرير المصير الذي سعى اليه « الشعب اليهودي » . واعتبر كاتب المقالة عن « المؤتمر الصهيوني » في الموسوعة المشار اليها ان هذا المؤتمر جاء رمزا لاحساس اليهود بوحدتهم القومية ، وتعبيرا عن رغبتهم في احراز الكيان السياسي ضمن اطار دولة مستقلة . وفي مقالة عن « تاريخ الصهيونية » تضمها الموسوعة اياها يوصف المؤتمر الصهيوني بأنه قد أصبح « البرلمان اليهودي في المنفى » .

بينما شاء ناحوم غولدمان أن يوجز طبيعة الملابس التي أحاطت بمدلول المفارقة على صعيد الواقع والممارسة العملية ، كما على الصعيد النظري المجرد ، فقال ان مشكلة الحركة الصهيونية وأجهزتها الرسمية كانت في « التصرف كدولة دون ان تكون دولة ! » علما بأن الوكالة اليهودية — التابعة للمنظمة الصهيونية — لم تترك فرصة تفوت في ظل الانتداب البريطاني على فلسطين دون أن تتصرف على غرار « حكومة داخل الحكومة » او « دولة ضمن الدولة المنتدبة » .

ولكي نتوقف عن الاستطراد في اجراء المقارنات واستخدام التشابيه والاستعارات ، يجدر بنا الانتقال الى صلب الموضوع الذي تحاول هذه الدراسة تناوله بالبحث والتحليل ، الى جانب الوصف والتقرير . بيد أن التعميمات المتقدم ذكرها تمت بوثق الصلة السي موضوعنا ، كما انها تؤلف خلفيته التاريخية بكافة منظوراتها الايدولوجية والتنظيمية والعملية (على صعيد التركيز السكاني وعبر ارساء قواعد للاستعمار الاستيطاني) .

ان السؤال التمهيدي الذي تطرحه هذه الدراسة ، لتحاول الانطلاق منه الى متابعة البحث في الحركة الصهيونية العالمية بعد قيام الدولة اليهودية — اسرائيل — بفلسطين ، يتعلق بالمبررات وراء وجود تلك الحركة واستمرارها في العمل والنشاط عقب انشاء الدولة التي كانت تنشدها ، وغداة تحقيق الهدف السياسي الذي سعت نحو بلوغه طيلة نصف قرن من تاريخها . وعلى محمل السذاجة ، انه لمن الطبيعي أن تبادر حركة سياسية تتوسل الاستعمار الاستيطاني لبلوغ هدفها الى حل نفسها أو الى اعتبار مهمتها في حكم المنتهية ، بعد احراز الهدف وانجاز المهمة . لكن الحركة الصهيونية استمرت على قيد الوجود بعد أن أوجدت دولتها اليهودية المنشودة . ولقد انقضى على وجودها منذ قيام اسرائيل وحتى الآن ما يقارب ربع قرن من الزمن . هذه الفترة من وجود الحركة الصهيونية العالمية في ظل الدولة اليهودية القائمة فوق أرض فلسطين تؤلف الاطار العام لتحرك الدراسة — على امتداد خمس وعشرين عاما (١٩٤٨ — ١٩٧٣) من التطورات والنشاط المتواصل في خدمة اهداف بعيدة المدى تتجاوز حدود البرنامج الصهيوني الاصلي وتتعدى نطاق الغايات المعلنة .

لذا يجوز للباحث في موضوع الحركة الصهيونية منذ قيام اسرائيل أن يتساءل : كيف

تختلف كل من الحركة والفكرة وهيئات المنظمة الصهيونية في مدى خمسين عاما قبل انشاء الدولة عنها في الفترة اللاحقة لنشوء الدولة وقيامها . أو : كيف يتميز ربع القرن الاخير من تاريخ الصهيونية عن نصف القرن الذي سبقه وانتهى الى ظهور دولة اسرائيل فوق الارض الفلسطينية . والسؤال عن الاختلاف والتمايز يضعنا في جو البحث العام ، ويتجه بنا صوب واقعة استمرار الحركة الصهيونية رغم تحقيق الهدف السياسي الذي سعت لبلوغه طيلة خمسين عاما . فالصهيونية — كما ينبىء تاريخها الحافل حتى الآن — تقوم على مراحل متتابعة ومتصاعدة في وقت واحد . وكلما انتهت مرحلة من الانجاز وتحقيق الاهداف المرسومة ، تلتها مرحلة أخرى على طريق الغاية القصوى والهدف النهائي . ان صهيونية ما قبل الدولة تختلف عن الصهيونية في ظل الدولة . وسوف تدخل أوجه الخلاف بين « الصهيونيتين » ضمن نطاق الموضوع الذي تتناوله الدراسة التالية .

غير ان هذا الفاصل الزمني على أساس الصهيونية ، السابقة واللاحقة منها لقيام الدولة ، لا يعني اغفالا لاستمرارية الحركة وتواصلها عبر السنين التي اجتازها تاريخها في ثلاثة أرباع القرن . فالنشاط الصهيوني في مجالاته المتعددة ومراحله البعيدة لم يتوقف عن الممارسة غداة اعلان قيام الدولة اليهودية . بل نجد الاجهزة الصهيونية المسؤولة وقد بادرت قبل موعد الاعلان الى اتخاذ الخطوات التنظيمية الكفيلة بتأمين انتقال مؤسسات الحركة وهيئاتها الى مرحلة استمرار العمل في ظل الدولة العتيدة . هذه الفترة « الانتقالية » تمتد من عشية اعلان قيام اسرائيل (نيسان ، ١٩٤٨) حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين ، من ١٤ الى ٣٠ آب (اغسطس) ١٩٥١ ، في القطاع اليهودي من مدينة القدس . وهو أول مؤتمر عالمي تعقده الحركة الصهيونية في اسرائيل بعد قيامها .

خلال الفترة الزمنية التي تتناولها هذه الدراسة عقدت الحركة الصهيونية ستة مؤتمرات عالمية في اسرائيل : من المؤتمر الثالث والعشرين (١٩٥١) الى المؤتمر الثامن والعشرين (١٩٧٢) . والتركيز على اعمال هذه المؤتمرات ومناقشتها والقرارات التي صدرت عنها ، بالإضافة الى التقارير المرفوعة من شتى اللجان والهيئات التنفيذية ، قد يتيح للدارس متابعة مختلف التطورات التي شهدتها الحركة الصهيونية العالمية من الداخل . كما انه يفسح المجال أمام رصد الترابط الخارجي بين مواعيد انعقاد المؤتمرات وبين الاحداث والتحركات الاسرائيلية في نطاق الشرق الاوسط وعلى المسرح العالمي . وليس من قبيل المبالغة تشبيه المؤتمر الصهيوني العالمي والقرارات التي يتخذها بمثابة الخطة الصهيونية الرسمية للسنوات الاربع التالية أو للفترة الزمنية الفاصلة بين مؤتمر وآخر يليه — سواء امتدت الى اربع سنوات او قصرت عنها قليلا أو تجاوزت حدودها . ان الدراسة الشاملة لكافة التطورات والاتجاهات البارزة في تاريخ الحركة الصهيونية العالمية ضرورية ، فالكتابات العربية حول الموضوع لا تعرف سوى رسالة الماجستير التي أعدها اسعد عبد الرحمن وقام مركز الابحاث الفلسطيني بترجمتها ونشرها في تموز (يوليو) ١٩٦٧ تحت العنوان التالي : « المنظمة الصهيونية العالمية : تنظيمها وأعمالها ، ١٨٩٧ — ١٩٤٨ » (صدرت في سلسلة « دراسات فلسطينية » ، رقم ١٥) . ومن هنا نشأت الحاجة الى القيام بمحاولة لدراسة الحركة الصهيونية بعد قيام اسرائيل ، ورصد التطورات التي شهدتها المنظمة الصهيونية العالمية على مختلف الأصعدة والمستويات : التنظيمية منها والايديولوجية ، الى جانب النشاطات المالية والمواقف السياسية وغير ذلك من مجالات النشاط الصهيوني في خدمة اسرائيل ولتوطيد دعائمها وتمكينها من الوقوف على قدميها . هذا يؤدي بالطبع الى اثاره السؤال عن العلاقة العضوية بين دولة اسرائيل والحركة الصهيونية العالمية ، وكيف جرى تنظيم هذه العلاقة بعد ظهور الدولة اليهودية الى حيز

الوجود . ففي اوساط الحركة الصهيونية ، كما بين الاوساط الاسرائيلية ، برزت آراء مختلفة ووجهات نظر متضاربة احيانا بالنسبة لطبيعة العلاقة بين الحركة الصهيونية من جهة ودولة اسرائيل ، من جهة ثانية . وبين الدولة اليهودية من جهة واليهود الموجودين في الخارج ، من جهة أخرى . هل تقوم الصلات بين اسرائيل ويهود العالم بصورة مباشرة ، أم ينبغي توسط المنظمة الصهيونية والهيئات التابعة لها في عملية الاتصال ومحاولات كسب التأييد وجباية التبرعات وجمع الاموال ؟

ولكي نترك المجال مفتوحا أمام محتويات هذه الدراسة يجدر بنا الانتقال الى تقديم لمحة سريعة عن منهاجها في معالجة الموضوع وأسلوبها في تجزئته الى فترات زمنية معينة بقصد تسهيل المأخذ والتركيز على أبرز النواحي والاتجاهات ، دون اغفال المشاكل التي تواجه الحركة الصهيونية منذ قيام اسرائيل وحتى الان .

تهدف هذه المحاولة لدراسة الحركة الصهيونية العالمية في ظل وجود الدولة اليهودية الى معالجة الموضوع من زاويتين رئيسيتين : الزاوية الاولى تنظر الى الصهيونية بعد قيام اسرائيل من خلال التطورات الايديولوجية التي شهدتها الحركة عقب انجاز الهدف السياسي في برنامج بازل وقيام الدعوة لاستبداله ببرنامج القدس (١٩٥١) ، ثم استبدال هذا الاخير بصيغة جديدة في برنامج القدس الثاني (١٩٦٨) . أما الزاوية الثانية ، فانها تحاول النظر الى الحركة الصهيونية من خلال تنظيمها وهيئاتها وأجهزتها العاملة في الداخل والخارج . فالمعروف هو ان الهيئات المسؤولة في تركيب المنظمة الصهيونية العالمية ، وبموجب الدستور الصهيوني ، تتألف من : المؤتمر الصهيوني والمجلس الصهيوني العام ورئيس المنظمة الصهيونية واللجنة التنفيذية الصهيونية ، بالإضافة الى الهيئات القضائية ومراقب الحسابات . وهناك دستور جديد للمنظمة الصهيونية العالمية أقره المجلس الصهيوني العام (١٩٥٩ - ١٩٦٠) متباعدة منه لقرار المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين (١٩٥٦) . كما تمت مؤخرا إعادة تشكيل الوكالة اليهودية بحيث تستوعب في هيكلها الجديد نسبة معينة من الهيئات والمنظمات اليهودية غير الصهيونية . هذا بالإضافة الى تنظيم الحركة الصهيونية في المجال الخارجي ، والتمثيل الحزبي الصهيوني في كافة أجهزتها وعلى شتى المستويات فيها . ومما لا ريب فيه ان العقيدة الصهيونية تسير جنباً الى جنب مع التنظيم الصهيوني ، لكي تتداخل واياه في كثير من الاحيان والجلالات .

من هاتين الزاويتين ، اذن ، تنطلق الدراسة الى متابعة التطورات داخل الحركة الصهيونية العالمية في مدى ربع قرن من الزمن . وسوف يكون اعتمادها في الدرجة الاولى على المصادر الصهيونية الرسمية لاستقاء المعلومات واقتباس القرارات والتغييرات البنوية والتنظيمية ، الى جانب « التحولات » والمنطلقات الايديولوجية . فالوثائق والتقارير المتوافرة هي المصدر الملائم لمعرفة اتجاه الحركة والوقوف على مراميها البعيدة وأهدافها الراهنة . كما تتيح الكتابات والمنشورات الصهيونية الرسمية أمام الباحث فرصة استجلاء معالم التناقضات الأساسية التي تعصف بالحركة الصهيونية من الداخل وفي علاقاتها العضوية مع اسرائيل ، ومحاولاتها الرامية الى استقطاب المزيد من يهود العالم .

فلو شئنا اجراء تقسيم زمني للموضوع ، لجاز لنا اتباع التقسيم التالي بشكل عام :

أولاً - الفترة الزمنية الممتدة من غداة قيام اسرائيل (١٩٤٨) وحتى المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين والعدوان الثلاثي على سيناء والسويس (١٩٥٦) . ويمكن تقسيم الفترة اياها الى مرحلتين : المرحلة « الانتقالية » ، وتمتد من منتصف ١٩٤٨ الى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١) وعلان برنامج القدس الذي يحدد مهمات

الحركة الصهيونية في ضوء الوجود الاسرائيلي ، والمرحلة « التوطيدية » ، بالنسبة لتعيين الوضع القانوني للمنظمة الصهيونية في اطار الدولة الاسرائيلية وتحديد صلاحيات اجهزتها ومؤسساتها العاملة داخل اسرائيل . تمتد هذه المرحلة حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني في اسرائيل (١٩٥٦) وقيام العدوان الثلاثي في خريف العام ذاته ، لكي تتميز بانتخاب الدكتور ناحوم غولدمان رئيسا للمنظمة الصهيونية العالمية — وهو المنصب الذي شغره منذ استقالة حايمم وايزمان في المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين (١٩٤٦ — ٤٧) .

ثانيا — فترة السنوات الفاصلة بين العدوان الثلاثي وحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في صيف ١٩٦٨ واعلان برنامج القدس الجديد (١٩٦٨) تمهيدا لمواجهة التحديات التي طالعت الحركة الصهيونية في اعقاب حرب الايام الستة ، ونظرا للحماس الذي غمر الاوساط اليهودية في العالم من جراء الانتصار الاسرائيلي الخاطف . ان هذه الفترة تطابق تماما لولاية ناحوم غولدمان في كرسي الرئاسة الصهيونية ، مثلما تتميز باعتزال بن غوريون نهائيا من الحكم ومجيء ليفي اشكول الذي اعتبرته الاوساط الصهيونية « صديقا اسرائيليا » للمنظمة العالمية في حرصه على تنفيذ التعاون المتبادل بين الحكومة والحركة .

ثالثا — المرحلة التي بدأت في اعقاب حرب حزيران وانطلقت من مقررات المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين (١٩٦٨) ، لكي تصل الى المؤتمر الثامن والعشرين (١٩٧٢) . وهي مرحلة في تاريخ الصهيونية واسرائيل تجوز تسميتها بـ « مرحلة ما بعد حرب حزيران ١٩٦٧ » ، مثلما انها تميزت بكونها الحد الزمني في بدايتها لكل من حادثين على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لتاريخ الحركة الصهيونية . الحادث الاول يتعلق بمرور سبعين عاما على تأسيس الحركة والمنظمة واعلان برنامج بازل ، والثاني يشير الى انقضاء نصف قرن من الزمن على صدور تصريح بلفور . وهذان الحادثان ظهرا بمثابة المعالم البارزة في مسيرة الحركة التي اطلقها ثيودور هرتزل قبل ثلاثة ارباع القرن على دروب الاستعمار الاستيطاني وفي مسالك الغزو بواسطة الهجرة ، كما على صعيد الالتقاء والتعاون مع مصالح الدول الامبريالية ومخططاتها في هذه المنطقة العربية من العالم .

هذا هو التقسيم الزمني العام لموضوع دراستنا . وسوف نحاول متابعتة بقدر الامكان ، دون الابتعاد عن نقطة الانطلاق الاصلية في النظر الى التطورات والاجراءات والقرارات الرسمية من زاويتين هما : العقيدة الصهيونية والتنظيم الصهيوني — في المجالين : الداخلي — التركيبي ، والخارجي — التنظيمي على صعيد الهيئات والمنظمات الصهيونية واليهودية في العالم .

وفي طبيعة الامور التي تتوقف عندها هذه الدراسة عن الحركة الصهيونية العالمية منذ قيام اسرائيل ، نذكر ما يلي : أولا ، حقيقة كون الوكالة اليهودية لفلسطين نسخة طبق الاصل عن المنظمة الصهيونية العالمية . كلاهما تنظيم واحد بالذات ، وفي النتيجة الاخيرة . فاللجنة التنفيذية للوكالة ليست سوى الذراع التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية . وثانيا ، ان المنظمة الصهيونية العالمية لا تعدو كونها اداة بيد الحكومة الاسرائيلية ، او احدى الوكالات والهيئات التابعة لها والعاملة في خدمتها . مثلما انها تقوم بممارسة النشاط والعمل السياسي لصالح حكومة اسرائيل في الخارج تحت ستار التضامن اليهودي والتأييد المعنوي او من خلال حملات الجباية وجمع التبرعات بحجة الاسهام في الاعمال الخيرية والمشاريع الانسانية .

هذه الوقائع تتحرك ضمن اطار ايديولوجي يوجزه البرنامج الصهيوني في نظرتة الصريحة الى يهود العالم معتبرا اياهم بمثابة الامة الواحدة التي يتوزع ابناءؤها بين الاطراف

(الشتات اليهودي في العالم) وبين المركز الذي تمثله دولة اسرائيل . فالمنظمة والدولة نلتقيان على صعيد الرسالة الواحدة في المدار الصهيوني : الدولة تعتبر رسالتها اليهودية والصهيونية قائمة على عقيدة « تجميع المنفيين » ، والمنظمة تضع في طليعة برنامجها مهمة « جمع الشمل اليهودي » في دولة اسرائيل . كما يفرض البرنامج الصهيوني على أعضاء المنظمة ان يضطلعوا بواجب التأييد والدعم نحو دولة اسرائيل ، دون تراجع وبلا هوادة ، وان يسهموا بقسطهم في تنمية الوجدان القومي بين كافة يهود العالم وفي توجيه الانظار اليهودية صوب المركز الاسرائيلي الصهيوني .

لقد بادر مؤسس الحركة الصهيونية في بداية التحرك الصهيوني الاوروبي الى رفع شعار يستهدف كسب الجماعات اليهودية في العالم الى جانب المنظمة الصهيونية . ففي المؤتمر الصهيوني الثاني (بازل ١٨٩٩) أعلن تيودور هرتزل شعاره الداعي الى « غزو الجماعات اليهودية » واجتذابها الى الحضيرة الصهيونية . ولدى قيام الدولة العتيدة ، بعد انتقضاء خمسين عاما على اطلاق الشعار المذكور ، كانت الحركة الصهيونية لا تزال جادة في سعيها نحو ترجمة هذا الشعار الى الواقع العملي . ان ربع قرن من الزمن مر منذ وجود اسرائيل فوق الارض الفلسطينية ، وما يقارب العقدين من السنين أو أكثر على استصدار « قانون العودة » الذي يفتح أبواب الدولة الصهيونية بوجه يهود العالم أجمع . لكن الشعار الهرتزلي في « غزو الجماعات اليهودية » ما زال حتى الآن ، وبعد مرور ثلاثة أرباع القرن على اطلاقه ، يؤلف الشغل الشاغل للحركة الصهيونية العالمية منذ نشوئها .

ومن غزو الجماعات اليهودية الى غزو فلسطين عن طريق الهجرة ، الى « غزو العمل » عبر اقتضاء اليد العاملة العربية والانتصار على العمل اليهودي دون سواء ، ثم « غزو التراب الفلسطيني » تحت ستار « الانتصار على الذات » من خلال الاستئثار بمجالات العمل في الارض والزراعة — يمتد خط صهيوني واحد ليربط بين طرفي : الحركة الصهيونية ودولة اسرائيل . وليست العقائد الصهيونية الاساسية في الدولة اليهودية سوى الامتداد الاسرائيلي للطرف الصهيوني من ذلك الخيط . فالمناداة بتحقيق الرسالة من « تجميع المنفيين » الى ادماج المهاجرين وصهرهم في بوتقة المجتمع الواحد ، والى تعزيز « الوجدان اليهودي » وتنشيط الثقافة الصهيونية والعبرية بين يهود العالم — كل هذه يصعب فصلها عن النتيجة الحتمية لدينامية التوسع وذريعة المطالبة بحدود آمنة . ان هذه العقائد والممارسات تصب كلها في بحر واحد عند نهاية المطاف . والطرف « الارضي » و« الاقليمي » لشعار « غزو الجماعات اليهودية » ليس الا توسيع حدود المركز الاسرائيلي بحجة تحقيق « أرض اسرائيل الكاملة » وجمع اليهود من كافة أقطار العالم لتركيبتهم داخل الحدود التاريخية التي تدعي الصهيونية نسبتها الى « أرض اسرائيل » .

وأخيرا ، ثمة قول منسوب الى هرتزل ، وقد جاء فيه : « ان الصهيونية هي ذلك الشيء العظيم الى درجة تفرض على المرء الا يتحدث عنها بغير الكلمات البسيطة جدا فحسب » . فالاعمال تنطق بلسان هذه البساطة المفرطة حتى البداهة . وتاريخ الحركة الصهيونية يظل خير شاهد على تورطها الفاضح في ميدان العظمة من خلال توجيهها الامبريالي الصريح وارتكازها الاستعماري على الغزو بالهجرة والاستيطان .

١ — على عتبة الدولة :

عقدت الحركة الصهيونية العالمية مؤتمرها الثاني والعشرين منذ تأسيسها في مدينة بازل (سويسرا) بين التاسع والرابع والعشرين من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦ . فجاءت القرارات السياسية التي اتخذها المؤتمر تكرارا حرفيا في معظمها لقرارات

الاجتماع الصهيوني الذي دعت اليه « لجنة الطوارئ للشؤون الصهيونية » في أوتيل بيلتمور (نيويورك) . والمعروف ان « مؤتمر بيلتمور » هذا تبنى في الثاني من أيار (مايو) ، ١٩٤٢ ، قرارا يندد بالكتاب الابيض ويطالب بفتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية تحت اشراف الوكالة اليهودية وسيطرتها ، بحيث تمنح الوكالة اياها السلطة الكفيلة بجعل فلسطين « كومنولث يهوديا » ، لكي يندمج هذا « الكومنولث » (لفظة مخففة للدولة اليهودية) بتكامل في « بنية العالم الديمقراطي الجديد » . كما سارعت « لجنة العمل الصغرى » (أو المجلس الصهيوني العام في صيفته المصغرة منذ ١٩٣٧) الى عقد جلسة لها بفلسطين لاتخاذ قرارها في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٤٢ ، بتكرار المطالب الصادرة عن اجتماع بيلتمور . ثم كانت القرارات السياسية التي تبناها « الاجتماع الصهيوني العالي » في لندن ، بين أول آب والثالث عشر منه (١٩٤٥) ، بمثابة التصديق التام على ما سبقها من قرارات بالمعنى نفسه .

وجل ما فعله مؤتمر بازل المذكور — في أواخر ١٩٤٦ — لا يعدو كونه محاولة للتوكيد من جديد على مطالب بيلتمور واعادة ترتيبها وفقا للاولويات الصهيونية . فقد نص القرار السياسي الذي أصدره المؤتمر بهذا المعنى على ما يلي :

« ان المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين يؤكد من جديد على المطالب السياسية التي اعربت عنها أجهزة المنظمة الصهيونية مرارا وتكرارا ، وهي التالية :

١ — تأسيس فلسطين على غرار كومنولث يهودي ، يتم ادماجه المتكامل في بنية العالم الديمقراطي .

٢ — فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية .

٣ — منح الوكالة اليهودية صلاحية السيطرة على الهجرة الى فلسطين ، وتخويلها السلطة اللازمة لتعمير البلاد » .

اما بالنسبة لمؤتمر لندن الذي دعت اليه الحكومة البريطانية ، وحددت موعده يوم التاسع من أيلول (سبتمبر) ١٩٤٦ ، فان القرارات الرسمية للمؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين أعلنت ان الحركة الصهيونية لا تستطيع في الظروف الراهنة الاشتراك فيه . واحالت على المجلس الصهيوني العام مسألة النظر بالامر وتقرير الاشتراك أو عدمه ، اذا ما طرأ تبدل على الوضع . كما أعلن المؤتمر رفضه للمقترحات التي تقدم بها مشروع « موريسون — غراي » في تقسيم فلسطين الى مناطق ثلاث: عربية ويهودية وبريطانية، خاضعة للإدارة البريطانية . واعتبر ان المشروع المذكور يؤدي في الواقع الى « تحلل الحكومة المنتدبة من التزاماتها نحو تشجيع تطور الوطن القومي اليهودي » .

لكن اللجنة التنفيذية الصهيونية انعقدت بكامل اعضائها في باريس عند نهاية تموز (يوليو) ١٩٤٦ ، لمناقشة فكرة التقسيم . وجاء انعقادها هذا في أعقاب صدور تقرير « لجنة التحقيق الانجلو — أميركية » (ربيع ١٩٤٦) ، وبعد ان انضح لنفر من اعضائها كانوا على اتصال وثيق بواشنطن ان الرئيس الأميركي « يتوقع » المبادرة من جانب الوكالة اليهودية الى تقديم مشروع يتصف بـ « المعقولة والواقعية » (غولدمان) . فقد صوتت اللجنة على اقتراح تقدم به أحد اعضائها — ناحوم غولدمان — بتاريخ الخامس من آب (اغسطس) ، ١٩٤٦ . ونص القرار المتخذ على الفقرات التالية :

« ١ — ان اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية تعتبر بأن المقترحات الصادرة اصلا عن لجنة التحقيق ، والتي أعلنها السيد موريسون في مجلس العموم ، لا يمكن القبول بها كأساس للتباحث .

٢ — ان اللجنة التنفيذية على استعداد للبحث في اقتراح لاقامة دولة يهودية قادرة على الحياة في مساحة كافية من فلسطين .

٣ — ولاجل التنفيذ الفوري لما نصت عليه الفقرة الثانية ، تتقدم اللجنة التنفيذية بالمطالب التالية : أ — ان يصار على الفور الى اصدار ١٠٠ ألف شهادة للهجرة ، وان يياشر حالا بنقل مائة ألف يهودي الى فلسطين . ب — ان تمنح المنطقة المعينة من فلسطين لكي تصبح دولة يهودية استقلالها التام على الفور في المجالين الاداري والاقتصادي . ج — حق الادارة اليهودية في الاشراف على الهجرة داخل المنطقة المعينة من فلسطين لكي تصبح دولة يهودية » .

ويقول صاحب مشروع القرار هذا في مذكراته اللاحقة ما معناه : « لا ريب في ان القرار كانت له أهمية تاريخية ، ومهد السبيل امام القبول النهائي بالتقسيم من جانب الامم المتحدة ، وامام اعلان الدولة اليهودية » . كما يستفاد من المعلومات التي تضمنتها مذكرات غولدمان حول ملابسات القرار الصهيوني ان الاوساط التنفيذية في الحركة الصهيونية شهدت انقسامًا حول الموقف من التقسيم . فالحاخام ابا هيلل سيلفر — عضو اللجنة التنفيذية ، ورئيس الفرع الاميركي في اللجنة المذكورة ، بالاضافة الى رئاسته لكل من المنظمة الصهيونية الاميركية والمجلس الصهيوني الاميركي للطوارئ — كان يعارض فكرة التقسيم بشدة ، ويعتبرها مع اصدقائه بمثابة « تسازل عن حقنا في فلسطين كلها ، وخيانة لما دعوه به الصهيونية الكلاسيكية » . والدكتور عمانوئيل نويمان — عضو اللجنة ورئيس الصندوق التأسيسي — كان ايضا من بين الزعماء الصهيونيين الاميركيين الذين عارضوا فكرة التقسيم . بينما يخبرنا غولدمان عن رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية — بن غوريون — انه تردد « لاسباب سياسية داخلية » في جعل اللجنة التنفيذية تتخذ موقفا رسميا من التقسيم .

ولدى الرجوع الى عملية التصويت في المؤتمر الثاني والعشرين حول القرار المتعلق برفض الاشتراك في مؤتمر لندن ، نجد ان اكثرية ضئيلة من الصهيونيين الاميركيين الذين حضروا كمندوبين قد صوتت ضد القرار المذكور . فجاء توزيع الاصوات الصهيونية الاميركية ، حسب رواية المصادر الرسمية ، على النحو الآتي :

ضد قرار الرفض

عدد الاصوات	
٣٥	٥
—	٢٨
—	٢٩
١٨	—
٦	—
٥٩ صوتا	٦٢ صوتا

مع القرار برفض الاشتراك

الصهيونيون العموميون	
(المنظمة الصهيونية الاميركية)	
الصهيونيون العموميون	
(الهداسا ومنظمة النساء الصهيونيات)	
عمال صهيون (حزب العمل)	
المزراحي	
التحريفيون	
المجموع	

كما نعرف من مذكرات غولدمان ان التصويت الحاسم في مؤتمر بازل جرى حول « قرار يكرر ما نص عليه برنامج بيلنمور ومطالبته بدولة يهودية » . فقد أصر معارضو التقسيم على ادخال العبارة التالية في النص النهائي للقرار : « داخل فلسطين كلها » . لكن هذا التعديل سقط ، لكي ينتهي غولدمان الى القول : « وبهذا الشكل غير المباشر قبلت اكثرية المؤتمر الصهيوني بمشروع التقسيم » . وبغيةما يتعلق بقرار رفض الاشتراك في مؤتمر لندن يتبين من الاجواء التي خيمت على جلسات المؤتمر الصهيوني — وهنا نرجع

الى رواية غولدمان — ان الجناح الذي تزعمه وايزمان مني بهزيمة أدت الى استقالة وايزمان من رئاسة المنظمة الصهيونية ، بعد سقوط القرار الداعي الى القبول المشروط بحضور مؤتمر لندن . كيف حدث ذلك ؟ يقول غولدمان ان الدوافع المتناقضة حملت ثلاث شخصيات صهيونية على التكتل ضد وايزمان : فقد تحالف كسل من بن غوريون والحاخام ابا هيلل سيلفر وموشيه كلاينباوم (الذي بدل اسمه الى موشيه سنيه فيما بعد ، وأصبح شيوعيا) لمعارضة السياسة التي أتبعها وايزمان ومعه أكثرية اللجنة التنفيذية » . ان هذه الكتلة كانت تنادي بالرفض الصريح . ومعظم الاحزاب الصهيونية التي تمثلت في المؤتمر انقسمت في الرأي ، حتى « ان أكثرية حزب بن غوريون — الماباي — كانت مؤيدة لوايزمان » . ومع ذلك فقد جاءت نتيجة التصويت بأكثرية ضئيلة لصالح قرار الرفض بقبول الدعوة البريطانية . فالمسؤولية عن هزيمة وايزمان ، كما يراها غولدمان ، تقع على عاتق امرين : طريقة التصويت غير الملائمة ، والموقف السياسي الاحمق والمتحجر الذي وقفته جماعة هاشومر هتسعير — التي تنتمي الى حركة صهيونية اشتراكية !

خرجت المنظمة الصهيونية العالمية من مؤتمر بازل دون ان ينتخب المؤتمر رئيسا لها أو لجنة تنفيذية . وبقي منصب الرئاسة شاغرا حتى انتخاب ناحوم غولدمان في المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرين (١٩٥٦) . كما بلغ عدد المندوبين الى مؤتمر بازل ما مجموعه ٣٨٥ مندوبا ، يتوزعون على النحو التالي : كتلة الصهيونيين العموميين ١٢٣ ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون ١٠١ ، المزراحي ٥٨ ، التحريفيون ٤١ ، هاشومر هتسعير ٢٦ ، أحدوت هاعفودا — عمال صهيون ٢٦ ، الهجرة الجديدة ٥ ، غير حزبيين ٥ مندوبين .

والملاحظ من هذا التوزيع ، بالإضافة الى عودة التحريفيين للمنظمة — الام بعد انفصال دام أكثر من عشر سنوات (١٩٣٥ — ١٩٤٦) ، ان عدد المندوبين عن الصهيونية العمالية قد انخفض كثيرا عما كان عليه في المؤتمرات السابقة . ففي المؤتمر العشرين (زوريخ ، ١٩٣٧) وصل مجموع المندوبين ، مثلا ، الى ٤٨٤ مندوبا ، توزعوا كما يلي : العمال (٢٢٤) ، الصهيونيون العموميون (١) = ١٢٨ والفئة « ب » (٤٣) ، والمزراحي (٨٠) وحزب الدولة اليهودية (٩) . والمعروف ان هذا المؤتمر اعلن رفضه لمشروع التقسيم الذي اقترحه « تقرير لجنة بيل » (تموز ، ١٩٣٧) ، مثلما أنه أقدم — « بعد نقاش طويل وبأكثرية كبيرة » — على تفويض اللجنة التنفيذية صلاحية التفاوض مع الحكومة البريطانية لتوضيح الشروط المتعلقة بالاقترح البريطاني في اقامة دولة يهودية بفلسطين . فقد طالب حاييم وايزمان بان يمنحه المؤتمر سلطة اجراء المفاوضات على أساس تقرير بيل حول التقسيم ، وغاز الطلب بأكثرية ٣٠٠ صوت ضد ١٥٨ صوتا .

أما المؤتمر الواحد والعشرون (جنيف ، ١٩٣٩) فقد وصل عدد مندوبيه الى ٥٢٧ مندوبا ، وتوزعوا كالاتي : العمال (٢٣٤) ، الصهيونيون العموميون (١) = ١٥٩ والفئة « ب » (٣٣) ، المزراحي (٧٥) وحزب الدولة اليهودية (١٠) والجناح اليساري لعمال صهيون (١٣) وغير الحزبيين (٣) . واستمرت اللجنة التنفيذية التي شكلها المؤتمر السابق (١٩٣٧) في ممارسة اعمالها ، بينما جرى انتخاب جميع الاعضاء في اللجنة التنفيذية الصهيونية لعضوية اللجنة التنفيذية في الوكالة اليهودية .

ان كتلة الصهيونيين العموميين في مؤتمر بازل ضمت اكبر عدد من المندوبين ، بزيادة ٢٥٪ عن المندوبين العماليين . وربما كان مرد هذا الامر الى ارتفاع اسهم الصهيونية الاميركية في أعقاب الحرب وبعد التدهور الذي اصاب الصهيونية الأوروبية من جراء الاضطهاد النازي لليهود . فالاتحاد العالمي للصهيونيين العموميين تأسس عام ١٩٢٩

خلال انعقاد المؤتمر الصهيوني السادس عشر . ثم انقسم الى جناحين او فئتين : « أ » و « ب » - منذ المؤتمر السابع عشر في بازل (١٩٣١) . وفي شهر آب (أغسطس) من العام ١٩٤٦ - اي ابان انعقاد اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في باريس - توصل الجناحان الى الاتفاق على صيغة برنامج موحد للصهيونية العمومية . لكن قوتهم العددية داخل مؤتمر بازل (١٩٤٦) لم يقابلها انضباط حزبي في الموقف من القضايا الرئيسية التي عالجهما المؤتمر الصهيوني . وفي ذلك يقول رئيس الكونغرس العالمية للصهيونيين العموميين - اسرائيل غولدستين - في كراس اصدرته دائرة الثقافة في المنظمة الصهيونية الاميركية بعنوان « البرنامج الصهيوني العمومي » (١٩٤٧) : « ان المندوبين الصهيونيين العموميين تركت لهم حرية التصويت حسب هواهم في الجلسات الكاملة للمؤتمر . ولهذا السبب ظهروا اثناء جلسات المؤتمر وامام انظار العالم بانهم اكثر انقساما من الاحزاب الأخرى » .

ان توزيع المندوبين في المؤتمر الثاني والعشرين انعكس بدوره على تشكيل « المجلس الصهيوني العام » - أي الهيئة الحاكمة للمنظمة الصهيونية العالمية خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمر وآخر . وبعد ان قرر مؤتمر بازل (١٩٤٦) زيادة عضوية هذا المجلس من ٧٢ الى ٧٧ عضوا ، أصبح التوزيع الحزبي لاجزائه كالاتي : الصهيونيون العموميون ٢٥ عضوا ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون ٢٠ ، المزارحي وجناحه العمالي ١٢ ، التحريفيون ٨ ، هاشومر هتسعير ٦ ، احدوت هاعفودا ٥ ، الهجرة الجديدة عضو واحد .

لقد اختتم المؤتمر اعماله دون انتخاب لجنة تنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية . لكنه فوض المجلس الصهيوني العام صلاحية انتخاب اللجنة التنفيذية التي اصبحت ، باعتراف المصادر الصهيونية ، منذ ١٩٤٧ مطابقة في عضويتها بالنسبة للمنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية لفلسطين . ففي مقالة « الوكالة اليهودية » التي تضمنها « موسوعة اسرائيل والصهيونية » نقرأ ما يلي : « بعد ان اصبحت المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية هيئة واحدة بالذات (ابتداء من ١٩٤٧ فصاعدا) ، غدت اجهزة الوكالة (المؤتمر والمجلس العام واللجنة التنفيذية والهيئات القضائية ومراقبة الحسابات) مطابقة لاجهزة المنظمة الصهيونية العالمية » .

وفي التقارير المرفوعة من اللجنة التنفيذية لكل من المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية الى المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (القدس ، ١٩٥١) يوجد فصل بين الاثنتين . هناك تقرير صادر عن اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية (وهذا يقع في ١٥٠ صفحة من اصل ٩٩٩ صفحة تؤلف مجموع صفحات الكتاب المطبوع للتقارير) ، بالإضافة الى التقرير المرفوع من اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . مع العلم بان التقرير الاول يذكر في مطلع ان : « جميع اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية قاموا أيضا بدور الاعضاء في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية » . كما يتحدث التقرير الثاني (صفحة ١٥٩) عن قيام المجلس الصهيوني العام ، اثر انتهاء مؤتمر بازل بوقت قصير ، بانتخاب لجنة تنفيذية صهيونية مارست دورها بمثابة اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . وهذا الاصرار الصهيوني على الفصل شكليا بين اللجنتين ، رغم الاقرار الصريح بكونهما لجنة واحدة من حيث العضوية ، يهدف الى انقاذ المظاهر القانونية على اعتبار ان الوكالة اليهودية لفلسطين تتمتع بوضع قانوني تنص عليه مواد صك الانتداب . فالمعروف ان نصف اعضاء الوكالة اليهودية الموسعة ، التي نجح وايزمان في انشائها عام ١٩٢٩ واقرار دستورها رغم معارضة التحريفيين والراديكاليين داخل المؤتمر الصهيوني ، كانوا اعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية . بينما جاء النصف الثاني من بين « غير الصهيونيين » . لكن هذا الترتيب لم يعمر طويلا . اذ بدأ تحويل اللجنة التنفيذية الى هيئة صهيونية في تركيبها وطابعها بصورة تدريجية يكفلها الدستور ! والمصادر الصهيونية تشير الى

الاساس القانوني الذي جرى الاستناد اليه في « صهيينة » الوكالة اليهودية الموسعة . فالمادة السابعة من دستور الوكالة المذكورة تنص على انه يحق للمنظمة الصهيونية العالمية ملء المقاعد الشاغرة في اللجنة اذا لم يتقدم الاعضاء اللاصهيونيون في مجلس الوكالة بالترشيحات المساوية للعدد المطلوب .

ثم تعترف المصادر الصهيونية بان ترتيب المناصفة لم يدم طويلا ، بسبب « عدم الاهتمام الكافي من جانب اللاصهيونيين » — مما أدى بدوره الى تخفيض نسبة تمثيلهم في اللجنة التنفيذية للوكالة . وتتابع المصادر اياها قائلة : « ابتداء من العام ١٩٣١ أصبحت اللجنة التنفيذية قائمة على اساس ائتلاف من الاحزاب الصهيونية الرئيسية ، واستمرت هذه الممارسة منذ ذلك الحين » . فالرجوع الى عضوية اللجنين التنفيذيتين منذ ١٩٣١ وحتى ١٩٤٧ يؤكد بصورة قاطعة وجود لجنة واحدة على صعيد الممارسة يتوزع اعضاؤها بين فلسطين ولندن وامريكا على مكاتب وفروع تعمل في مختلف الحقول وتتقاسم المهمات والنشاطات تبعا لحاجات الظروف الراهنة ومتطلبات المرحلة القادمة .

ان تركيب اللجنة التنفيذية الصهيونية = اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في أعقاب المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين ينطوي على مغزى كبير بالنسبة لعلاقة الحركة الصهيونية بدولة اسرائيل . والصيغة الائتلافية بين الاحزاب الصهيونية الرئيسية ، كما تركيب المجلس الصهيوني العام ، قد تجلت في توزيع مقاعد اللجنة العشرين على كتل ثلاث داخل الحركة الصهيونية : كتلة العمل (٧ مقاعد) وكتلة الصهيونيين العموميين (٩ مقاعد) وكتلة المزراحي (٤ مقاعد) . هذا ما يبينه الجدول التالي :

أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية — الوكالة اليهودية

[منذ أواخر ١٩٤٦ وحتى ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨]

العضو	مكان الولادة	مكان الإقامة	الانتماء الحزبي	المسؤولية الصهيونية
داغيد بن غوريون	بلونسك	القدس	العمل	رئاسة اللجنة، الدائرة السياسية
سبيلغ برودسكي	ليدز	لندن	صهيوني عمومي	مكتب الوكالة في لندن * (الدائرة السياسية)
بريتز برنشتاين	هولندا	تل ابيب	صهيوني عمومي	دائرة التجارة والصناعة
الحاخام زئيف غولد	بولونيا	نيويورك	مزراحي	
الدكتور ناحوم فولدمان**	ليتوانيا	لندن — نيويورك	صهيوني عمومي	مكتب الوكالة في واشنطن
يتسحاق غرونباوم	فرصوفيا	القدس	صهيوني عمومي	دائرة العمل
حاييم غرينبرغ	روسيا	القدس	العمل	مجلس الطوارئ الصهيوني الامريكى
الياهو دويكين	بوبرويسك	القدس	العمل	دائرة التنظيم ودائرة الشباب والرواد وقسم المبعوثين
السيدة روز هالبرين	امريكا	نيويورك	صهيونية عمومية	الرئاسة السياسية للهداسا
بيرل لوكر***	غانديسيا	لندن	العمل	
السيدة غولدا مايرسون	روسيا	تل ابيب	العمل	الدائرة السياسية في القدس (بالوكالة أثناء غياب شرتوك)
الدكتور عمانوئيل نويمان	امريكا	نيويورك	صهيوني عمومي	رئاسة الكرين هايسود والمنظمة الصهيونية الامريكىة
الحاخام اباهيلل سيلفر	ليتوانيا	كليفلاند	صهيوني عمومي	رئيس الفرع الامريكى في اللجنة التنفيذية للوكالة
موشيه سنيه	بولونيا	تل ابيب	صهيوني عمومي	الدائرة السياسية في باريس

الحاخام ي.ل. فيشمان	بصارابيا	القدس	مزرachi	نائب رئيس اللجنة ، دائرة الحرفيين والحرف الصغيرة
موشيه شابيرا	غروذنو	القدس	مزرachi	دائرة الهجرة
اليعازر كابلان	مينسك	القدس	المعمل	أمانة الصندوق ودائرة الاستيطان الزراعي
ش.ز. شراغاي	بولونيا	لندن	مزرachi	رئيس دائرة الاعلام في الفاد ليثومي
موشيه شرتوك	روسيا	واشنطن	المعمل	رئيس الدائرة السياسية (واشنطن)

نائب عضو في اللجنة

موشيه كولدوني (كول) بولونيا تل ابيب صهيوني عمومي دائرة هجرة الاحداث والشبان

حل محل موشيه سنيه المستقيل (١٩٤٧) في السادس من نيسان (ابريل) ١٩٤٨ . بينما جاء زفي هيرمان (حرمون) محل كلدوني في نيابة العضوية (وهو صهيوني عمومي يقيم في تل ابيب) .

* البروفيسور سيلينغ برودتسكي : عضو في اللجنة التنفيذية للوكالة منذ ١٩٢٨ ، ورئيس هيئة النواب اليهود البريطانيين (منذ ١٩٤٠) . نائب رئيس الاتحاد الصهيوني لبريطانيا وايرلندا الشمالية ، ونائب رئيس اللجنة الادارية للجامعة العبرية ، بالاضافة الى رئاسته لاتحاد المكابيين العالمي ، ونيابة الرئاسة في الكونفدرالية العالمية للصهيونيين العموميين .

* الدكتور ناحوم غولدمان : رئيس اللجنة الادارية في المؤتمر اليهودي العالمي . وممثل الوكالة اليهودية لدى عصبة الامم في جنيف ومستشار اللجنة التنفيذية للشؤون السياسية منذ ١٩٢٧ .

** بيرل لوكر : عضو حركة عمال صهيون منذ ١٩٠٥ . ورئيس تحرير « العامل اليديشي » في النمسا . أمين المكتب المركزي في الاتحاد العالمي لعمال صهيون (١٩١٦ - ٢٨) ، ومكرتر عمال صهيون في امريكا (١٩٢٨ - ٣١) . أصبح عضوا في اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية منذ عام ١٩٣١ ، وترأس دائرة التنظيم فيها . وشغل لعدة سنوات منصب العضوية في اللجنة التنفيذية للاممية العالمية والاشتراكية . كما انه عضو في اللجنة التنفيذية للمستدروت .

جاء في تقارير اللجنة التنفيذية المرمومة الى المؤتمر الثالث والعشرين (١٩٥١) ان الدورة الاولى لاتعداد المجلس الصهيوني العام بين ٢٥ و ٢٩ من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٦ قامت بانتخاب لجنة خاصة للتعيينات ، لكي تعد اللجنة مقترحات بشأن تركيب اللجنة التنفيذية الصهيونية . وبناء على توصية لجنة التعيينات هذه - نالت التوصية اكثرية ٥٢ صوتا مقابل ١٧ - تم انتخاب لجنة تنفيذية للمنظمة والوكالة مؤلفة من ١٩ عضوا ونائب عضو .

٢ - « انتقال السلطات » :

خلال الفترة الفاصلة بين مطلع ١٩٤٧ ومنتصف شهر ايار (مايو) ١٩٤٨ كانت الحركة الصهيونية ، بموجب دستور المنظمة العالمية ، تدار بواسطة المجلس الصهيوني العام واللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية . وفي الدورة الاولى لانعقاد المجلس العام ، عقب انتهاء المؤتمر الصهيوني مباشرة ، جرى انتخاب لجنتين للعمل في اثناء الفترة التالية : لجنة سياسية خاصة تضم ١٦ عضوا ، وعليها ان تقرر بشأن المفاوضات مع الحكومة البريطانية في لندن ، ولجنة للميزانية مؤلفة من ١٢ عضوا . بينما انعقدت الدورة الثانية للمجلس في زوريخ ، من ٢٥ آب (أغسطس) الى ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٤٧ ، في ظل تقرير « لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين » وتوصياتها حول تقسيم البلاد واقامة الدولة اليهودية في جزء منها .

والقرارات السياسية التي صدرت عن المجلس الصهيوني العام آنذاك اعربت عن الارتياح لصدور التوصية في انشاء دولة يهودية ذات سيادة عن اللجنة الدولية بأكثرية ملحوظة . لكنها استدركت بقولها : « ان الرقعة المقترحة هي جزء يسير من المساحة

الموعودة أصلاً للشعب اليهودي على أساس حقوقه التاريخية ، ولا هي تضم المناطق ذات الأهمية القصوى . ثم أعلنت القرارات أسفها للمقترحات التي قدمتها أقلية اللجنة بشأن الدولة الاتحادية ، فاعتبرتها بمثابة المشروع الرامي لتحويل فلسطين إلى دولة عربية ، ومن المقدر لليهود أن يظلوا أقلية دائمة في مثل تلك الدولة .

كما أقدم المجلس العام على تعيين لجنة سياسية خاصة ، تتألف من ١٧ عضواً ، لتزويد اللجنة التنفيذية بالشورة في جميع المسائل الناشئة عن مناقشة القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة . وحدد قرار المجلس مدة ولاية هذه اللجنة حتى دورة انعقاده التالية ، على أن تعمل مع اللجنة التنفيذية ، ولا يحق لأي من أعضائها إجراء المفاوضات مع أي عضو في الجمعية العامة للأمم المتحدة أو أي مسؤول حكومي . أما تركيب اللجنة السياسية فقد جاء كما يلي : الصهيونيون العموميون (٥ أعضاء) ، الاتحاد العالمي لعمال صهيون (٤) ، المزراحي (٣) ، التحريفيون (٢) ، هاشومر هتسعير (١) ، أهدوت هاعفودا (١) والهجرة الجديدة (١) .

وفيما يتعلق بالهجرة اليهودية غير المشروعة (Haapala) إلى فلسطين ، قرر المجلس العام اعتبار هذه الهجرة « في الظروف الحاضرة عاملاً ذا أهمية أساسية في الكفاح السياسي الذي تخوضه الحركة الصهيونية ضد سياسة الكتاب الأبيض ، وعملاً حيويًا لإنقاذ بقايا إسرائيل » .

أما الإشارة الأولى إلى الوضع المتغير بالنسبة للوكالة اليهودية فقد تضمنها قرار المجلس العام بتفويض اللجنة التنفيذية الصهيونية « لإجراء مباحثات مع الهيئات الملائمة حول تركيب الوكالة اليهودية في ضوء الحقائق الجديدة داخل الحياة اليهودية ... » . وعلى صعيد التنظيم الصهيوني العالمي سجل المجلس ارتياحه للجهود التي تبذلها دائرة التنظيم في سبيل انشاء فدراليات صهيونية ، وطلب إلى هذه الدائرة مواصلة جهودها في الاتجاه المذكور . كما حدد بالتفصيل الصلاحيات التي تتمتع بها تلك الفدراليات ، وشدد على واجب الانضباط لدى أعضاء الفدرالية وضرورة امتثالهم للقرارات الصادرة عن هيئاتها المسؤولة .

وتقول التقارير المرفوعة عام ١٩٥١ ان المؤتمر الصهيوني الثاني والعشرين (١٩٤٦) اتخذ قرارات متعلقة بالناحيتين التنظيمية والتشريعية داخل الحركة الصهيونية . بناء على قرار المؤتمر (رقم ١٣٠) أنشأ المجلس العام في دورة انعقاده الأولى (بازل : ٤٦/١٢/٢٨) لجنتين : لجنة استشارية للتنظيم ، تتألف من ١٣ عضواً (٤ منهم للصهيونيين العموميين ، ٣ للعماليين ، ٢ للمزراحي ، ٢ للمابام ، وواحد لكل من التحريفيين والهجرة الجديدة) ، على أن يحضر اجتماعات هذه اللجنة ممثلون عن الصندوق القومي اليهودي والصندوق التأسيسي لفلسطين ومنظمة النساء الصهيونيات WIZO . ولجنة تشريعية (بناء على قرار المؤتمر رقم ١٣٦) لوضع مقترحات بشأن التعديلات في القوانين والانظمة الأساسية للمنظمة الصهيونية : دستور المنظمة ، والنظام الداخلي للمؤتمر الصهيوني وقوانين الانتخاب والنظام الداخلي للمجلس الصهيوني العام . فاللجنة الأولى مارست أعمالها تحت رئاسة الياهو دوكين ، عضو اللجنة التنفيذية والمسؤول عن دائرتي التنظيم والاعلام في الوكالة اليهودية . وتداولت بشأن التنظيم الصهيوني في العالم ، لكي تنتهي إلى الموافقة على المشروع الرامي إلى انشاء الفدراليات الصهيونية في البلدان التي لا توجد فيها مثل تلك الفدراليات . أما القضايا التي تبت بصلة مباشرة إلى موضوعنا ، فقد عالجتها اللجنة أياها من زاوية « توزيع الوظائف » أو تقسيمها بين الحركة الصهيونية والدولة . والتقارير الصهيونية الرسمية تفيد بان مداوات اللجنة الاستشارية لشؤون التنظيم كانت أساساً لقرارات

بعيدة المدى جرى تقديمها الى المجلس الصهيوني العام ، لكي يصادق عليها ويقرها خلال الفترة اللاحقة لقيام الدولة .

سوف نتابع النظر في مسألة « توزيع الوظائف » من زاوية القرارات التي اصدرها المجلس الصهيوني العام في دورتين من دورات انعقاده الست خلال الفترة الفاصلة بين انتهاء المؤتمر الثاني والعشرين (١٩٤٦) وبين الاعداد للمؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين (١٩٥١) . وهما : الدورة الثالثة لانعقاد المجلس في تل ابيب بين ٦ و ١٢ نيسان (ابريل) ، ١٩٤٨ . والدورة الرابعة في القدس - تل ابيب ، من ٢٢ آب (اغسطس) الى ٣ ايلول (سبتمبر) ، ١٩٤٨ .

وفي الدورة الثالثة انعقد المجلس الصهيوني العام « بحضور ٢٢ عضوا من اعضائه » (البالغ عددهم ٧٧ عضوا) ، جاء بعضهم من الخارج ، مثلما اشترك جميع الاعضاء المقيمين في البلاد . وتقول التقارير الصهيونية الرسمية انه « جرى نقل الاعضاء بطائرات خاصة من القدس المحاصرة والمقطوعة عن العالم الخارجي الى تل ابيب » . كما تؤكد التقارير ايها ان القرارات التي اتخذها المجلس العام في « هذه الدورة التاريخية » لم تنشر كلها في حينه ، وهي « سلسلة من القرارات الداخلية » التي اعرب فيها المجلس الصهيوني عن تأييده وتشجيعه للهجرة غير المشروعة الى فلسطين بالاضافة الى قراراته المتعلقة بتركيب « مجلس الشعب » و « ادارة الشعب » .

ان نصوص القرارات التي اُفردت لها ملاحق خاصة في التقارير الصهيونية الرسمية تندرج تحت العناوين الثلاثة التالية : « القرارات السياسية » ، و « برنامج الدفاع الاقتصادي » و « التنظيم » بشقيه : « الاداري - القومي » والصهيوني . وسوف نقصر بحثنا على الناحيتين السياسية والتنظيمية فقط .

١ - **الناحية السياسية** : اصدر المجلس الصهيوني عند انتهاء دورة انعقاده في ٢١ نيسان (ابريل) بيانا عاما تعتبره بعض الكتابات الدعائية الصهيونية بمثابة « الاعلان الثاني للاستقلال » . ففي كراس وضعه ارميا بن - جاكوب تحت عنوان « دليل الصهيونية » تطالعنا اعلانات ثلاثة للاستقلال الصهيوني : الاعلان الاول بتاريخ ١٢ نيسان (ابريل) ، ١٩٤٨ ، والثاني في ٢٢ منه ، والثالث هو الاعلان المؤرخ في ١٤ ايار (مايو) من العام نفسه . والنص المختصر الذي تورده التقارير الرسمية في جملة القرارات الصادرة عن المجلس الصهيوني العام يأتي مطابقا للاعلان الثاني . فهل يؤلف النص الاول والثاني نصا واحدا ؟ هذا ما ترجمه التقارير التي لجأت الى اختصار البيان العام . وبناء عليه ، يتألف النص الكامل من الاعلانيين المذكورين اعلاه . فالقرارات التي ذهبت ضحية الاختصار الصهيوني الرسمي تتعلق بموقف شديد العداء من « حكومة صاحب الجلالة البريطانية » التي تسلمت امانة الانتداب من عصبة الامم قبل ٢٧ سنة ، « وأخفقت في تحقيقها » . والاتهامات الموجهة لحكومة الدولة صاحبة تصريح بلفور والمنتدبة على فلسطين تتضمن ما يلي : « لقد ابتعدت عن روح الانتداب واستبدلتها بالفرص الاناني في تعزيز مصالحها داخل الشرق الاوسط . ونتيجة لهذه السياسة منع لاجئوننا من دخول البلاد في اهلك ساعات ضيقهم . لا بل جرى توقيفهم واحتجازهم ، وكتب لهم ان يعيشوا حياة يكتنفها الخطر والاذلال والعجز . بينما كانت السلطة المنتدبة تتعامل مع الاعدائنا ، اصدقاء النازيين وحلفائهم ... » .

ومما يفسر بعض الدوافع الكامنة وراء اختصار البيان في التقارير الرسمية هو ان الفقرة المنشورة عن العرب تكتفي بالابقاء على ما يشبه النداء المسالم . فالبيان المختصر يقول : « في هذه الساعة التي جرى ارغامنا فيها على اراقة الدماء والنزاع ، نلتفت الى العرب في الدولة اليهودية والى جيراننا في المناطق المحاذية بنداء التآخي والتعاون والسلام . نحن شعب مسالم ، جننا الى هنا للبناء في سلام » .

بيد ان الناحية التي تطال موضوعنا من زاويته الصهيونية الرسمية تكاد تنحصر بفقرتين من البيان الصادر قبل اعلان قيام اسرائيل بشهر واحد على الاقل . الفقرة الاولى ، وهي مطلع البيان العام على ما يبدو ، تقول : « في هذا اليوم ، الموافق الثالث من نيسان (التقويم العبري) يعلن المجلس الصهيوني العام في المنظمة الصهيونية العالمية ، وهو أعلى هيئة فيها ، أمام شعوب العالم المتمدنة وعلى ممثلي الامم المتحدة واليهود المنتشرين في كافة انحاء العالم ، بانه تقرر انشاء اداة ذات سلطة عليا بالنسبة لاستقلالنا القومي في فلسطين » .

والفقرة الثانية التي تبدأ بها النصوص المختصرة لقرارات المجلس الصهيوني العام تحمل الصيغة التالية : « لقد قررنا ، استنادا الى سلطة الحركة الصهيونية واعتمادا على تأييد الشعب اليهودي كله ، انه عند انتهاء الحكم المنتدب سوف تكون هناك نهاية للحكم الاجنبي في فلسطين ، وان الدولة اليهودية كهيئة حاكمة سوف تظهر الى حيز الوجود » . ان توقيت هذا البيان العام والصادر عن « أعلى هيئة » في المنظمة الصهيونية — باعتبار المجلس الصهيوني العام يمارس هذه الوظيفة خلال الفترة الفاصلة بين مؤتمرين — جاء مرهونا بسير التطورات الجارية آنذاك داخل الامم المتحدة . فالقرار السياسي التالي الذي اصدره المجلس الصهيوني يحمل هذا العنوان : « بيان حول التغيير المقترح على سياسة الامم المتحدة » . وهو يأخذ علما بالبيان الصادر عن اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية والفاذ ليثومي ، ثم يؤكد عليه : « ان الوكالة اليهودية والفساد ليثومي علما ، مع الاسف والاستغراب ، بالموقف الذي تبناه الان ممثل الولايات المتحدة وندوبها لدى مجلس الامن من قرار الامم المتحدة حول فلسطين » .

لكن بوادر التحول في الموقف الاميركي ترجع الى ما قبل ذلك التاريخ ، والى اواسط شهر اذار (مارس) ١٩٤٨ — عندما اخذت نظارة الخارجية الاميركية تعيد النظر في موقفها من التقسيم ، وتحدثت عن الحاجة الى عقد جلسة خاصة للجمعية العامة بقصد البحث في احتمال وضع فلسطين تحت وصاية الامم المتحدة . والمسارعة الصهيونية الى اعلان قيام الدولة — كما يقول التحريفيون — حدثت بعد ازدياد المخاوف من تحولات الموقف الاميركي . فقد نشرت صحيفة « الجويش ستاندرد » الناطقة بلسان الصهيونيين التحريفيين مقالا طويلا بقلم ا. ابراهامز ، عنوانه « مخاض الخلاص » (٢٦ / ٣ / ١٩٤٨) ، واتهمت فيه الوكالة اليهودية بعدم التحرك للعمل واتخاذ زمام المبادرة الا في اعقاب المخاوف التي ساورتها من تحول الموقف الاميركي . ومما اكد عليه كاتب المقال : « والان تتحرك الوكالة نحو اعلان الدولة اليهودية ، ليس لسبب الا لكون اميركا قد تراجعت عن التقسيم ، وهناك خوف بانه اذا لم تعلن الدولة الان ، سوف يؤدي قرار صادر عن مجلس الامن او شبه قرار جديد تصدره الجمعية العامة للامم المتحدة الى حرمان الوكالة مما تميل هي الى اعتباره بمثابة صحتها القانونية وتبريرها القانوني حاليا » .

وخلاصة القول ، ان القرارات ذات الطابع السياسي والتي اصدرها المجلس الصهيوني العام — باستثناء البيان الذي يستند الى سلطة الحركة الصهيونية في اعلان قيام الدولة اليهودية — كانت في معظمها من قبيل أخذ العلم بقرارات اللجنة التنفيذية للوكالة ومنحها صفة التأييد الصهيوني العام . أما الناحية التي تنقلنا الى صلب الموضوع — موضوع العلاقة بين المنظمة العالمية والدولة اليهودية — فهي ناحية التنظيم الصهيوني عشية قيام الدولة .

ب ـ **الناحية التنظيمية** : جاءت قرارات المجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الثالثة لتعلن تشكيل « المجلس القومي » و « الادارة القومية » بفلسطين ، عملا بالقرارات التي اتخذتها اللجنة التنفيذية الصهيونية — اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية . فالمجلس القومي (« مجلس الشعب ») تألف من ٣٧ عضوا يمثلون « الحركة الصهيونية العالمية

في فلسطين ، واللجنة التنفيذية للفاد ليثومي » ، بالإضافة الى « مندوبي الهيئات العامة التي ليست ممثلة في المجلس الصهيوني العام او الفاد ليثومي » . وتمشيا مع قرار اللجنة التنفيذية الصهيونية (للوكالة اليهودية) اعلن المجلس الصهيوني العام تشكيل « ادارة قومية » مؤلفة من ١٣ عضوا ، ومسؤولة امام المجلس القومي . هذه الادارة ظهرت غداة اعلان قيام اسرائيل على صورة « الحكومة المؤقتة » ، بينما تحول المجلس القومي الى « مجلس الدولة المؤقت » .

وازاء قيام الادارة القومية (الحكومة المؤقتة) ، بادر المجلس الصهيوني العام الى تحديد الوظائف المنوطة باللجنة التنفيذية الصهيونية (الوكالة اليهودية) بعد انتقال جزء من وظائفها وحقول نشاطها الى الدوائر الحكومية في الدولة اليهودية . فالقرار الصادر عن المجلس في دورة انعقاده الثالثة (من ٦ الى ١٢/٤/٤٨) يعين حقول النشاط التي سوف تبقى ضمن دائرة صلاحيات اللجنة التنفيذية الصهيونية على الشكل الآتي :

- ١ - الاستعمار الاستيطاني . ٢ - الهجرة ، لجهة تنظيمها في الشتات . ٣ - هجرة الاحداث والشبان . ٤ - التنظيم والاعلام والدعاية الصهيونية والنشاطات الثقافية .
- ٥ - التربية في الشتات . ٦ - أنشطة الطلاب (الرواد) والشباب . ٧ - تطوير القدس . ٨ - الصناديق القومية والاموال الموضوعية بتصرف اللجنة التنفيذية .

ويعهد الى اللجنة التنفيذية الصهيونية باعداد خطة مفصلة لجهة دائرة صلاحيات ووظائف المنظمة الصهيونية (الوكالة اليهودية) ، بحيث تستند هذه الخطة الى القرار الصادر اعلاه ، لكي يصار الى تقديمها للمجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الرابعة .

ان هذا التوزيع الاولي للوظائف والمهام بين المنظمة الصهيونية العالمية من جهة ، والادارة القومية (التي اصبحت الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية) ، من جهة ثانية ، بقي حبرا على ورق ولم يعمل به الا في وقت لاحق . فالصادر الصهيونية تسهب في الحديث عن « مبدأ الفصل » الذي جرى اعتماده (Hafrada) في افراد صلاحيات المنظمة والدولة وعدم الجمع بين الطرفين . لكن ثمانية من اعضاء الحكومة المؤقتة (البالغ عددهم ١٣ عضوا) كانوا ينتمون الى عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية ، وظلوا يجمعون بين الحقيبة الوزارية والحقيبة الصهيونية طيلة شهور من تاريخ اعلان الحكومة المؤقتة . ولم يتحقق شيء من « الفصل » المزعوم في الصلاحيات الا عند مطلع ايلول (سبتمبر) ١٩٤٨ - وبعد نشوب خلافات حادة داخل الحركة الصهيونية ، وبينها وبين الزعماء الذين انتقلوا الى مقاعد الحكم وابوا التنازل عن مسؤولياتهم الصهيونية في اللجنة التنفيذية للمنظمة والوكالة .

٣ - الفصل والجمع بين السلطات :

تقول المصادر الصهيونية ان « ادارة الشعب » هي التي قامت بتوزيع الحقائق الوزارية في الدولة العتيدة على الاحزاب والكتل الصهيونية وفقا للنسب التالية : الماباي (اربعة مقاعد من اصل ١٣) ، الصهيونيون العموميون (٢) ، المابام (٢) ، المزراحي وجناحه العمالي (٢) ، اعودات اسرائيل (١) ، الهجرة الجديدة (١) والسفارديون (١) . فالدكتور حايم وايزمان ، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية رسميا حتى اواخر ١٩٤٦ (وبالتالي رئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية) ، انتقل الى منصب رئاسة الدولة . بينما انتقل بن غوريون الى رئاسة الحكومة المؤقتة دون ان يتخلى في البداية عن منصبه في رئاسة اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (والمنظمة الصهيونية) ، بالإضافة الى تسلمه حقيبة « الدفاع » مع الاحتفاظ بوظيفته في الدائرة السياسية للوكالة .

والجدول التالي يبين توزيع الحقائق (الحكومية والصهيونية) بالنسبة لاعضاء اللجنة التنفيذية الذين كانوا في عضوية « مجلس الشعب » ابتداء من نيسان (ابريل) ثم اصبحوا اعضاء في « الحكومة المؤقتة » للدولة اليهودية :

مفوضية اللجنة التنفيذية	المسؤولية الصهيونية	المقنية الوزارية	الاتهام الحزبي والصهيوني
١٩٢٣ منذ	رئاسة اللجنة التنفيذية. الدائرة السياسية	رئيس الحكومة ووزير الدفاع	الباي دانييل بن غوريون
١٩٢٣ منذ	رئيس الدائرة السياسية للوكالة	وزير الخارجية	الباي موشيه شريوك
١٩٢٣ منذ	أمين صندوق الوكالة منذ ١٩٢٣	وزير المالية	الباي أيلعازر كابلان
أحد مؤسسي المستعزات	رئيس القاد ليثومي	المراملات الداخلية	الباي دانييل روميز
١٩٢٧ منذ	مفوض اللجنة منذ ١٩٢٧	دائرة العمل في الوكالة	مهاويزي عمومي
١٩٢٦ منذ	دائرة التجارة والصناعة	التجارة والصناعة والتعمير	مهاويزي عمومي
١٩٢٥ منذ	دائرة الحرفين والحرف الصغيرة	وزير الشؤون الدينية	موزاهي
١٩٢٦ منذ	رئيس دائرة الهجرة	وزير الهجرة	عمال الزراعي
أحد مؤسسي حزب « العمل الموحد »	اللجنة التنفيذية للمستعزات	وزير الزراعة	الباي
١٩٢٦ منذ	مفوض اللجنة التنفيذية للمستعزات	العمل والاشتغال العامة	الباي مورخاكي بنتوف
١٩٣١ - (١٩٢٦)	رئيس المنظمة الصهيونية الاقليمية منذ سابق في اللجنة التنفيذية	وزير المعزل	البحر الجديدة (روزين)
قاص	ورئيس المهاجرين الاطلاق	وزير الشرطة (الاطليات)	بحاس روزنباوت (روزين)
	رئيس اللجنة التنفيذية المالية	وزير بلا وزارة	بهور شالوم شطريت
	لتنظيم افودات اسرائيل	وزير (البياي)	بهور شالوم شطريت
		افودات	الحاخام ١٠٠ مائير ليجين *

* تقول بعض المصادر الصهيونية (الجيش كرونيك ، ٢١/٥/٤٨) انه عرضت على الحاخام ليجين وزارة البرق والبريد .
واللاحظ من جدول الحقائق الوزارية انه لا توجد حقيبة لوزارة التربية والتعليم ، او لوزارة الصحة .

هناك سبعة وزراء في الحكومة المؤقتة جمعوا حتى شهر أيلول (سبتمبر) من العام ١٩٤٨ بين الحقبة الوزارية والمسؤولية عن إحدى الدوائر التابعة للوكالة اليهودية واللجنة التنفيذية الصهيونية . والعضو الثامن بين أعضاء اللجنة الذين انتقلوا الى الحكم مع احتفاظهم بالمنصب الصهيوني هو غولدا مايرسون (مئر) ، التي تعينت سفيرة اسرائيل في الاتحاد السوفياتي (١٩٤٨ - ٤٩) . وفي التقارير الصهيونية الرسمية نقرأ ان الأعضاء الذين دخلوا في الحكومة المؤقتة قدموا استقالتهم من عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية اثناء دورة انعقاد المجلس الصهيوني العام في تل أبيب بين ٢٢ آب (اغسطس) و٣ ايلول (سبتمبر) ، ١٩٤٨ ، باستثناء السيد اليعازر كابلان .

لكن الرواية التحريفية تتحدث عن موقف للصهيونيين الامريكيين داخل المجلس ، اذ طالب هؤلاء باقصاء الوزراء الاسرائيليين في الحكومة المؤقتة عن عضوية اللجنة التنفيذية . فهي تقول ، مثلا ، ان المفاجأة التي شهدتها دورة المجلس الاولى بعد قيام الدولة كانت في تصميم الصهيونيين العموميين (واكثرهم من المندوبين الامريكيين) على ايجاد فصل تام بالنسبة للمسؤولين والوظائف بين حكومة اسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية . ونعرف من مذكرات ناحوم غولدمان انه وقف آنذاك ضد دعاة الفصل في الوظائف: « كنت واحدا من القلائل الذين عارضوا هذا الفصل في الوظائف ، لانني أدركت ان ما يبدو بمثابة الاجراء العادي في بلدان سوية قد يكون غير ملائم بالنسبة لنا ، ويشكل خطرا علينا » . ثم يتابع غولدمان مؤكدا : « لقد صوتت اكثرية المجلس الصهيوني العام الى جانب هذا الفصل في السلطات — فالاسرائيليون صوتوا معه بدافع الحماس للدولة ، وغير الاسرائيليين خوفا من اتهامهم بالولاء المزدوج » . هنا تدخل رواية التحريفيين من جديد لترتبط بين أمرين: تحقيق الائتلاف الوطني داخل اللجنة التنفيذية التي شكلها المجلس العام ، والتوصل الى اتفاق بشأن انسحاب الوزراء الحكوميين من عضوية اللجنة . فالأوساط الصهيونية المحسوبة على الماباي — يقول التحريفيون — اخذت تراهن على العداء التقليدي بين « المابام » والتحريفيين بقصد الحيلولة دون ضم ممثل او اكثر عن الحركة التحريفية لعضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية . لكن ميل التحريفيين الى الوقوف بجانب الصهيونيين الامريكيين ضد تحالف الماباي — المابام جعل معارضي الفصل يتراجعون عن موقفهم . كما تقدم الصهيونيون الامريكيون باقتراح يرمي الى استبدال فرع الوكالة اليهودية القائم آنذاك في نيويورك بفرع امريكي يمثل اللجنة التنفيذية الصهيونية . وسوف نعود الى تناول هذا الموضوع بعد قليل .

اما « الحل الوسط » الذي تم التوصل اليه — بعد تمديد اجتماعات المجلس — فقد تضمن العناصر التالية :

أ — انسحاب الأشخاص الذين دخلوا الحكومة المؤقتة من عضوية اللجنة التنفيذية الصهيونية ، باستثناء وزير المالية — كابلان — الذي اشترط المعارضون لبقائه في اللجنة أن يبقى دون حقبة صهيونية .

ب — انضمام التحريفيين الى اللجنة التنفيذية الصهيونية في صيغتها الائتلافية الجديدة بعد توقيعهم على بيان (١٩٤٨/٩/١) يتعهدون فيه بما يلي :

« نعترف بكون « جيش الدفاع الاسرائيلي » هو القوات المسلحة الوحيدة لدولة اسرائيل ، والتي ينبغي وضعها بتصرف الحكومة .

« نعرب عن معارضتنا الواضحة لوجود أية وحدات مسلحة ومنشقة تسعى لممارسة وظائفها في أرض اسرائيل والخارج . وسوف نحارب مثل هذا العمل .

« لن ندخل ، سواء مباشرة أو بطريق غير مباشرة ، طرفا في أي اتفاق مع اية جماعة

سياسية في هذه البلاد أو خارجها — متى كانت محكمة المؤتمر الصهيوني تعتبر نشاطات هذه الجماعة متعارضة مع المبادئ المذكورة أعلاه .

« نتعهد بالامتناع عن القيام بأي نشاط سياسي منفصل ويمكنه ان يتنافى مع الانضباط الصهيوني » .

ج — اعتماد التركيب العددي التالي في تشكيل اللجنة التنفيذية : المبابي ٧ مقاعد (مقعدان منهم للحركة الصهيونية العمالية في أميركا) ، الصهيونيون العموميون ٦ مقاعد (من جملتهم مقعد للهداسا) ، المزارحي وجناحه العمالي ٣ مقاعد ، المبابم مقعدان ، التحريفيون مقعد واحد ، وبهذا يكون المجموع ١٩ مقعدا .

والملاحظ من هذا التوزيع الجديد أن المبابي تقدم على الصهيونيين العموميين في النسبة العددية ، مما أتاح له مجال السيطرة عن طريق التحالفات ، تارة مع المبابم وطورا مع المزارحي — كما في الحكومة المؤقتة — بحيث لا يستطيع الصهيونيون العموميون ان يتغلبوا على كتلته حتى ولو كسبوا تأييد التحريفيين .

أما اللجنة التنفيذية « الجديدة » للمنظمة الصهيونية فقد توزع أعضاؤها على مركزين : في إسرائيل ونيويورك ، بالإضافة الى فرع لندن الذي قام على ادارته البروفسور سيلفغ برودنتسكي — كما في السابق — وبقي يشغل هذا المنصب الصهيوني حتى تعيينه رئيسا للجامعة العبرية في القدس (تموز ، ١٩٤٩) .

عالم فرع الاسرائيلي احتفظ بالاعضاء التاليين : ١ — الياهو دوبيكين (المبابي) : بقي على رأس دأترتي « التنظيم والاعلام » و« الشباب والرواد » ، وقسم المبعوثين الى الخارج ، ٢ — اليعازر كابلان (المبابي) : وزير المالية ، وعضو في اللجنة بدون حقيبة صهيونية ، ٣ — بيرل لوكر (المبابي) : رئيس الدوائر في القدس (أي رئيس فرع اللجنة التنفيذية الصهيونية في إسرائيل) ورئيس دائرة العلاقات العامة (التي حلت محل الدائرة السياسية في الوكالة سابقا) ، ٤ — ليفي اشكول (المبابي) : دائرة الاستيطان الزراعي (وفيما بعد جمع اشكول بين امانة الصندوق في اللجنة التنفيذية وبين وزارة المالية في الحكومة الاسرائيلية) ، بينما شغل حينذاك (١٩٤٨ — ٤٩) منصب المدير العام في وزارة الدفاع ، ٥ — اسرائيل غولدشتاين (رئيس الكونغرس العالمية للصهيونيين العموميين) : دائرة امانة الصندوق ، حتى استقالته عام ١٩٤٩ من عضوية اللجنة التنفيذية ، وعودته الى نيويورك (آب ، ١٩٤٩) شغل المنصب بعده يتسحاق غرونباوم (١٩٤٩/٥/٥) ، وزير الداخلية في الحكومة المؤقتة ، ثم احتله ليفي اشكول ، ٦ — موشيه كولدوني (كول) — (الصهيونيون العموميون) : دائرة هجرة الاحداث والشبان ، ٧ — اسحاق ميرفل (روفائيل) : دائرة الهجرة ، ٨ — ي. زوربابل (المبابي) : رئيس دائرة اليهود في الشرق الاوسط ، ٩ — مثير غروسمان (التحريفيون) : الدائرة الاقتصادية ، ١٠ — الحاخام ز. غولد (مزارحي) : دائرة انماء القدس ، ١١ — حايم غرينبرغ (الصهيونية العمالية في أميركا) : دائرة التربية والثقافة في الشتات ، ١٢ — ي. براجنسكي (مزارحي) وزفي هيرمان (صهيوني عمومي) : دائرة استيعاب المهاجرين ، ١٣ — ش. ز. شرعاي (مزارحي) : بدون حقيبة صهيونية .

أما الفرع الاميركي فقد تالف من هؤلاء الاعضاء : ١٤ — ناحوم غولدمان : أصبح رئيسا لفرع اللجنة التنفيذية في نيويورك بعد استقالة الحاخام ابا هيلل سيلفغ في مطلع ١٩٤٩ ، ١٥ — عمانوئيل نويمان : رئيس الدائرة الاقتصادية في الفرع الاميركي ، استقال مع الحاخام سيلفغ في مطلع ١٩٤٩ ، ١٦ — السيدة روزهالبرين : صهيونية عمومية (أميركا) ، ١٧ — حايم غرينبرغ (أنظر أعلاه) ، ١٨ — زفي لوريا (صهيوني عمالي) — المبابم (١٩٠٦ — ١٩٦٨) ، ١٩ — الحاخام ابا هيلل سيلفغ (تسلم رئاسة « دائرة العلاقات

العامّة» التي حلت محل الدائرة السياسية هناك) وترأس فرع اللجنة التنفيذية في نيويورك حتى استقالته في مطلع ١٩٤٩، ٢٠ - باروخ زوكمان (لا يمثل حزبا صهيونيا، وهو ما يسمى في قاموس الصهيونية بـ Virilist) ، ٢١ - الحاخام ليون غيلمن (مزارحي) انتقل الى اسرائيل «بعد ايلول ١٩٤٨»، واشترك في فرع نيويورك بصفة مستشار، ٢٢ - جوزيف شختمان (تحريفي) نائب عضو في اللجنة.

ومن الملاحظ ان التقارير الصهيونية الرسمية تتحاشى الحديث عن دوائر الفرع الاميركي، تاركة الامر للتقرير المرفوع من اللجنة التنفيذية هناك. كما يؤكد تقرير اللجنة التنفيذية (والوكالة اليهودية) الى المؤتمر الثالث والعشرين ان الدوائر الخمس التي انتقلت الى حكومة اسرائيل هي التالية: الدائرة السياسية، دائرة التجارة والصناعة، دائرة الحرفيين والحرف الصغيرة، دائرة العمل، دائرة توظيف رجال الخدمة السابقين.

وفي مقدمة التقرير ترد أسماء الدائرة الاحصائية والقسم الديني في عداد الدوائر التي توقفت عن أداء وظائفها. مثلما يتبين لنا من القائمة المدرجة اعلاه ان التنظيم الصهيوني في ظل الدولة اليهودية بادر الى استحداث دوائر جديدة في اللجنة التنفيذية، وهي الدوائر التي، انشئت بدافع المهمات الملحة التي تتعلق بتجميع المنفيين: من افتتاح مكتب لرئيس اللجنة التنفيذية تتبع له «دائرة للعلاقات العامة»، الى دائرة استيعاب المهاجرين، ودائرة تطوير القدس، ودائرة التربية والثقافة في الشتات، والى دائسرة الشؤون اليهودية في الشرق الاوسط ودائرة استرجاع الممتلكات اليهودية في المانيا. هذا بالاضافة الى التغييرات والتوسيعات التي جرى احداثها في اطار الدائرتين: الاقتصادية والاعلامية.

٤ - توزيع المهمات من جديد :

غداة اعلان قيام الدولة اليهودية سارعت بعض الاوساط الصهيونية في الخارج الى استخلاص النتائج المترتبة عن وجود اسرائيل بالنسبة للحركة الصهيونية وبهود العالم وعلاوة الوكالة اليهودية بالدوائر والاجهزة الرسمية التابعة للدولة. فالدكتور ناحوم غولدمان كتب مقالة منشورة بتاريخ ٢١ ايار (مايو) ١٩٤٨ يقول فيها ما يلي: «ان الدولة اليهودية سوف يقوم على توجيهها السياسي كل من يهود فلسطين والاقلية العربية داخل الدولة... ومن الطبيعي ان يولي اليهود من خارج فلسطين اهتمامهم العميق، روحيا ومعنويا، بتطور هذه الدولة. بيد انه لن يقوم رابط على الصعيد السياسي بين يهود الشتات والدولة اليهودية. أما الوكالة اليهودية على الشكل الذي توجد به اليوم، فانها سوف تخفني من الصورة. اذ مع نهاية الانتداب يكون الاساس القانوني لوجود الوكالة اليهودية قد انتهى أيضا».

بينما تحدثت المجلة الصهيونية التي نشرت مقالة غولدمان (وهي مجلة ناطقة بلسان الاتحاد الصهيوني البريطاني) في مطلع مقالها عن «الذين مهدوا السبيل أمام قيام الدولة» من أعضاء اللجنة التنفيذية الصهيونية، فأشارت الى كون الحكومة المؤقتة لدولة اسرائيل هي «الزعامة الجديدة للشوف». ثم استدركت قائلة: «لكن الحركة الصهيونية العالمية مستمرة قيد الوجود، وأمامها وظائف كثيرة تنتظر التحقيق. ومع ان الوكالة اليهودية قد فقدت وضعها الدولي بموجب صك الانتداب على فلسطين، فهي سوف تبقى الهيئة التمثيلية للشعب اليهودي في جميع المسائل المتصلة بالوطن اليهودي». وانتهت المجلة الى القول بأن التركيب الجديد للحركة الصهيونية سوف تنتظر بأمره الدورة التالية لانعقاد المجلس الصهيوني العام، كما يتوقع ادراج الموضوع على جدول أعمال المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرين «في وقت لاحق من هذه السنة» (١٩٤٨) - باعتبار ان انعقاد المؤتمر يحين موعده كل عامين، بموجب دستور المنظمة.

وهناك رأى صهيوني ثالث أعربت عنه المذكرة التي أعدها الفرع البريطاني للوكالة اليهودية الموسعة ، وأصدرها في كانون الأول (ديسمبر) ، ١٩٥٠ . تقول المذكرة ان الوكالة الموسعة « فقدت الكثير من غرضها الاصيلي » . ثم تؤكد ان المهمات الرئيسية للوكالة اليهودية خارج اسرائيل تتضمن — الى جانب حملات جمع الاموال وجبايسة التبرعات — تدريب الرواد وتشجيع الهجرة والعلاقات العامة والنشاط الاعلامي ، بالاضافة الى نشر اللغة والثقافة العبرية بين اليهود المقيمين خارج اسرائيل ، وتشجيع التوظيفات والاستثمارات المالية في اسرائيل ، متى أمكن ذلك . لكن هذه المهمات تحتاج مبادرتها وتطويرها الى حركة قوية ذات ايدولوجية حيوية . وهنا تستدرك المذكرة بقولها : « ان هذه الميزات الاخيرة لم ترمز الى الوكالة الموسعة اطلاقا ، بل هي متأصلة في المنظمة الصهيونية العالمية » . ما العمل ، اذن ؟ تقترح المذكرة ان يصار الى حل الوكالة اليهودية الموسعة باتفاق حبي . وانتقال وظائفها الى المنظمة . والاساس القانوني ؟ ان اصحاب المذكرة يلفتون الانتباه الى « حقيقة » مطوية لكي ينبشونها مؤكدين انها تقوم مقام الاساس القانوني المنشود . وهذه « الحقيقة » تبدو لهم على النحو الآتي : بعد انشاء الوكالة اليهودية الموسعة (١٩٢٩) ، طلب الى الحكومة البريطانية — بموجب دستور الوكالة — اعطاء التأكيدات بأنه فيما لو جرى حل الوكالة ، سوف تتمتع المنظمة الصهيونية بالوضع القانوني ذاته والذي تمتعت به قبل توسيع الوكالة بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب . والحكومة البريطانية في ذلك الحين قدمت التعهدات والتأكيدات المرجوة . لكن المذكرة لا توضح طبيعة التعهدات المعطاة ، بل تنتقل مباشرة الى استخلاص النتيجة التالية : بما ان الانتداب قد انتهى الآن (١٩٥٠) ، وعلمنا بأن دستور الوكالة اليهودية ينص على البند المذكور أعلاه ، فإنه ليس من غير المعقول تصفية الوكالة اليهودية ونقل وظائفها الى المنظمة الصهيونية العالمية .

ولدى مراجعة « دستور الوكالة اليهودية الموسعة » يتبين من مواد الاتفاقية المعقودة بين وايزمن — سوكلوف (عن المنظمة الصهيونية) ، من جهة ، وبين مجموعة من الاشخاص الذين وضعوا تواقعهم عن « اللاصهيونيين » في عدد من البلدان ، من الجهة الاخرى — ان المادة ١٥ (« وضع الاتفاق موضع التنفيذ ») تتحدث بالفعل عن « البند » الذي أشارت اليه المذكرة . لكن هذا التلاعب والدوران حول النصوص لا يغير شيئا من حقيقة انتهاء الصفة القانونية للوكالة مع نهاية الانتداب على فلسطين .

ففي أواخر شهر آب (اغسطس) من العام ١٩٤٨ تنادى المجلس الصهيوني العام لعقد دورته الرابعة (الاولى بعد اعلان قيام اسرائيل) ، لكي « ينظر في المشاكل المتعلقة بالصلوات بين الدولة اليهودية والحركة الصهيونية ، ويعمل على رسم الحدود الفاصلة لسلطات كل من الطرفين في جميع الحقول الواسعة خارج فلك الدولة السيدة » . ويمضي التقرير الرسمي ، المرفوع من اللجنة التنفيذية ، الى القول ان « احدى النتائج الرئيسية لاجتماع المجلس كانت في تكليف اللجنة التنفيذية الصهيونية بمهمة تنظيم الهجرة » الى اسرائيل . فالقرار المفصل الذي اتخذته المجلس آنذاك جاء على تعيين الدوائر التي تحتفظ بها اللجنة التنفيذية الصهيونية مثلما قام بتحديد الوظائف والمهام المنوطة بكل دائرة منها . وسوف نقله هنا كما ورد بنصه الحرفي في التقارير الرسمية الصهيونية (١٩٥١) :

« تحتفظ اللجنة التنفيذية الصهيونية بالدوائر التالية :

١ — دائرة الهجرة : ويشمل نطاق عملها ما يلي : (أ) تدريب المهاجرين (باستثناء الرواد والطلّاعين منهم — انظر : دائرة الشباب والطلّاع — الرواد) . (ب) ادارة « مكاتب فلسطين » في الخارج . (ج) التقدم من الحكومة ، بين وقت وآخر ، بمقترحات حول « كوتا » الهجرة ، على ان تحتفظ الحكومة بالقرار النهائي لنتيبت الكوتا .

(د) توزيع حصص الهجرة على البلدان المختلفة ، بالتشاور مع الحكومة . (ه) اختيار المهاجرين من بين أفراد كل كوتا ، لجهة انتمائهم الى فئات الرواد - الطلائع والهجرة العمالية (والفئات التي لا يشملها هذا البند : الرأسماليون ، وأقارب المقيمين في البلد ، وطلاب المؤسسات التربوية في البلد ، والخبراء الخ - اذ يتلقى هؤلاء اذونات الدخول من حكومة اسرائيل) . (و) تنظيم الهجرة ونقل المهاجرين الى شواطئ اسرائيل .

٢ - **دائرة استيعاب المهاجرين** : العناية بالمهاجرين توضع بيد المنظمة الصهيونية ، وهي التي تقوم على تزويد الاموال اللازمة . سوف يتم انشاء هذه الدائرة الجديدة لكي تعمل بالتعاون مع الحكومة .

٣ - **دائرة الاستيطان الزراعي (الاستعمار)** : تتعاطي نشاطات الاستيطان الجديد ، على نحو مماثل في نطاقه للنشاطات المدرجة تحت دائرة الاستعمار سابقا في الوكالة . (Hityashvut) .

٤ - **دائرة هجرة الاحداث والشبان** : تشمل جميع النشاطات في اسرائيل والخارج . (Youth Aliyah) .

٥ - **الدائرة الاقتصادية** : وتتضمن مهماتها ما يلي : أ - تعبئة الرساميل الخاصة بقصد التوظيف في اسرائيل . ب - تزويد الخارج بمعلومات عن الشؤون الاقتصادية في البلد . ج - بث الدعاية في الخارج لترويج المنتوجات الاسرائيلية . د - تشجيع السياحة وتنظيمها .

٦ - **دائرة انماء القدس وتطويرها** .

(جاء في قرارات المجلس الصهيوني العام تحت موضوع « القدس » ما يلي : الى أن يتقرر الوضع السياسي للقدس ، تنشأ دائرة خاصة لتطوير القدس تحت اشراف عضو واحد أو اثنين من أعضاء اللجنة التنفيذية . وتقام في القدس ادارة محلية تمثل جميع الهيئات العامة المسؤولة عن مصير المدينة) .

٧ - **دائرة امانة الصندوق** .

٨ - **دائرة العلاقات العامة** (ملحقة بمكتب رئيس الدوائر ، برئاسة اللجنة التنفيذية) . والسبب الرئيسي وراء انشاء هذه الدائرة ، بعد اغلاق الدائرة السياسية في الوكالة وانتقال المسؤولين عنها الى وزارة الخارجية في الحكومة المؤقتة ، هو كما تقول التقارير الصادرة عن اللجنة التنفيذية :

« وحتى بعد انشاء دولة اسرائيل وقيام حكومتها ، فما زال من الضروري الحفاظ على مقدار معين من العلاقات الخارجية ، لشن حملة اعلامية صهيونية على نطاق واسع ولخلق جو من التفهم والعطف في اوساط الرأي العام غير اليهودي على منجزات اسرائيل ومشاكلها ، ولتقوية مركزها في الميدان الدولي » .

٩ - **دائرة التنظيم والاعلام** : تشرف على شؤون الاعلام الصهيوني وقضايا الدعاية الصهيونية .

١٠ - **دائرة الشباب والرواد (الطلائع)** : تقوم على تدريب الرواد .

١١ - **دائرة النشاطات التربوية والثقافية في الشتات** * .

١٢ - **دائرة فرعية للشؤون اليهودية في الشرق الاوسط** (بالاشتراك مع دائرتي الهجرة والتنظيم) . «

وقد جاء في القرارات الصادرة عن المجلس الصهيوني العام آنذاك (ايلول ، ١٩٤٨) ان هذا المجلس « يلفت انتباه اللجنة التنفيذية للوكالة الى الحاجة الملحة في انشاء

« دائرة فرعية خاصة لانقاذ اليهود في البلدان العربية والعمل على تهجيرهم الى اسرائيل » .

ان هذا التشكيل الجديد للدوائر الصهيونية ، واعادة تعيين المهمات الملقاة على عاتقها في ظل الدولة اليهودية ، يؤكد على مجموعة بارزة من الحقائق التي يصعب تجاهلها . فالمنظمة الصهيونية — الوكالة اليهودية (وهما اسمان لمسمى واحد) قامت بدور « حكومة الظل » خلال الانتداب البريطاني على فلسطين . والوصف الذي جاء عنها في تقرير لجنة بيل — من انها « حكومة قائمة جنباً الى جنب مع الحكومة المنتدبة » — ينطبق عليها تمام الانطباق . أما عندما انتقلت « حكومة الظل » الى مقاعد الحكم الفعلي لدى اعلان قيام الدولة وتاليف الحكومة المؤقتة ، فان المنظمة الصهيونية لم تشأ ترك الساحة ونصفية اعمالها . بل فرضت على نفسها الاستمرار في ظل ما قيل انه مبدأ الفصل التام بين صلاحياتها وسلطات الحكومة . ومن الواضح ان معظم المهمات التي انيطت باللجنة التنفيذية للمنظمة — الوكالة هي من الامور التي تقع ضمن سيادة الدولة وتخضع لاشرفها .

معنى ذلك ان المنظمة الصهيونية تابعت ممارسة وظائفها كهيئة عامة الى جانب دولة اسرائيل . وهذا على الرغم من « ان نهاية الانتداب البريطاني وقيام دولة اسرائيل في ١٤ أيار (مايو) ، ١٩٤٨ ، قد أنهت السيادة القانونية للوضع الذي تمتعت به المنظمة الصهيونية — الوكالة اليهودية كهيئة عامة . فالامم المتحدة لم تتخذ اي اجراء لتزويد المنظمة بالاساس الحقوقي الذي يؤمن استمرارها . وبما ان خلق دولة اسرائيل كان هدفاً سياسياً من اهدافها الرئيسية ، فالمرء قد يستنتج بأن المنظمة انتهت الى الحل الآن . لكن الحقائق والوقائع تشير الى استمرارها في ممارسة الوظائف » .

والتقارير الصهيونية الرسمية التي جيء على ذكرها أعلاه تؤكد صحة هذا التحليل . فالدائرة السياسية لدى الوكالة اليهودية تحولت الى وزارة الخارجية ، لكي تأخذ محلها « دائرة العلاقات العامة » . ودائرة الشؤون الاجتماعية أصبحت وزارة الشؤون الاجتماعية ، بينما تحولت منظمة الهاغاناه الى « الجيش الاسرائيلي » . أما دوائر الهجرة والاسكان واستيعاب المهاجرين والاستيطان الزراعي فبقيت « مشتركة » بين المنظمة والدولة ذات السيادة . حتى ان مهمة استقطاب المهاجرين واستجلابهم الى فلسطين بعد قيام الدولة استمرت في كونها من ابرز الوظائف المنوطة بالمنظمة الصهيونية العالمية . والدور المالي للوكالة اليهودية ، من خلال مواصلة الصناديق القومية لحملات الجباية وجمع التبرعات ، يبرز على حقيقته في التقارير الرسمية عن الفترة الممتدة من ١٩٤٦ الى ١٩٥١ ، حيث تقرر اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ان الصناديق المالية الصهيونية قامت « بتمويل الجهود الحربية ضد الدول العربية في أثناء الشهور الاولى من القتال وخلال الفترة السابقة لنشوب القتال » .

لقد تساءلت صحيفة « الجويش ستاندرد » ، الناطقة بلسان التحريفيين ، في احدى مقالاتها المنشورة بتاريخ ١٣ شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، تحت عنوان « مستقبل الحركة الصهيونية » ، عما تراه سيحل بالمنظمة الصهيونية العالمية لدى ظهور الدولة اليهودية الى حيز الوجود . واستطرد كاتب المقالة مؤكداً : « ومما تجدر ملاحظته ان السؤال اياه لم يطرح بالنسبة للوكالة اليهودية ، لان الافتراض السائد في كل مكان يشير الى تعذر وجود الوكالة جنباً الى جنب مع حكومة الدولة ، بل سوف يتم حلها وتختفي بصورة آلية » .

ان مثل هذه التساؤلات والتوقعات — على ما فيها من تجاهل مقصود لوحدة الحال بين المنظمة والوكالة — تبددت كلياً غداة قيام الدولة وتوزيع المهمات بين الحكومة والادارة

الصهيونية . وفي النقطة الاولى من البيان الذي أصدره المجلس الصهيوني العام (١٩٣٠ / ٤٨) في ١٤ نقطة ، وبمناخة القرارات السياسية ، نقرا ما يلي : « انشاء الدولة هو بداية حقبة جديدة في تاريخ الشعب اليهودي . . . ان الحركة الصهيونية ، وهي التي تجمع في ذاتها بين الشعب اليهودي المقيم في الدولة وبين أولئك الذين أخلصوا لفكرة الاحياء القومي وهم يتوزعون في سائر انحاء العالم ، وأجبت المهمات الضخمة في تنظيم الهجرة الحرة وتجميع المنفيين واستعمار المناطق الموات من أرض اسرائيل و اخصاب صحاريها » . ثم جاء البند الثامن ليؤكد « الحق الاساسي لجميع اليهود في مغادرة بلدان شتاتهم والاستيطان في بلدهم القومي » .

وفي منتصف تشرين الثاني (نوفمبر) ، ١٩٤٨ ، أعلنت الوكالة اليهودية انها تنوي انشاء مائة مستوطنة جديدة في « مجرى السنة اليهودية الحالية » كجزء من مشروعها للاستعمار الاستيطاني ، مع تخصيص ميزانية بقيمة مليوني جنيه استرليني لهذا الغرض فورا . ثم عمدت اللجنة التنفيذية الصهيونية (للوكالة اليهودية) الى اثبات التزامها بما جاء في « اعلان قيام اسرائيل » عن تجميع يهود العالم وفتح ابواب البلاد أمامهم — والى استباق قانون العودة ١٩٥٠ — فأتخذت خلال اجتماعها الذي عقدته عند اواخر ١٩٤٩ القرار التالي بشأن الهجرة : « تمشيا مع قرارات المجلس الصهيوني العام في دورة انعقاده الأخيرة بالقدس ، تؤكد اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية من جديد على مبدأ الهجرة الحرة ، هذا المبدأ الذي يؤلف شرطا مسبقا لتجميع المنفيين . وتعلن ان المبدأ المذكور بقي في موضع الأساس من سياسة اللجنة التنفيذية في حقل الهجرة والاستيعاب » . « ان ابواب دولة اسرائيل مفتوحة أمام كل يهودي يرغب في الهجرة او يقدر عليها او ترغمه الظروف على الهجرة الى وطنه » .

✽ بادرت اللجنة التنفيذية عام ١٩٤٨ الى انشاء هيئة خاصة او لجنة فرعية وأوكلت اليها مهمة القيام بتقصي مشاكل الاعلام الصهيوني والتربية الصهيونية . وتحددت مهمات هذه اللجنة بما يلي : أ — توضيح معنى التربية الصهيونية . ب — اقرار الوسائل اللازمة للقيام بالدعاية الصهيونية من جانب كافة المؤسسات التي تنهك بمثل هذا العمل . ج — استقصاء تدريس الصهيونية في المعاهد اليهودية القائمة في سائر انحاء الشتات . د — دراسة الوسائل الاعلامية المتبعة حاليا . هـ — وضع الخطوط الرئيسية للتركيب الصهيوني الجديد في حقل التربية والتعليم .

الوقوف على الحد الفاصل

خالد ابو خالد

أسميكِ

... ..

ماذا أسميكِ ؟

مخفورة في الذهابِ

ومغدورة في الإيابِ

ندى

أو دماً

تارة يتمخزن تحت الترابِ

وأخرى سحاباً يغطي سما الضفتين

وما بين نارين تنتفضين

ويستاقطون فرادى وجمعاً .. رفاقي

تضيعين مني ؟

تضيعين .. حتى أساميكِ

ما بين محترف الزيفِ والزيفِ

في زمن بدوي

يناقش موضوعة الاحتلالِ

ويلعب دور الخدّر في المذبحة

أغمس كفي بأشلاء أهلي

وفي جسد الوطن العربي المسجى

على طول تلك المسافة ما بيننا

حيث كنتِ ... أكون

وحيث تصيرين ... أنشل ضلعي
وأكتب حرفاً وحرفاً
أعاشر معتقلات البداوة والغزور

في حالتين

تداخلتُ

صوّرتُ بالعين عرضاً طويلاً لكل العصي
وكل الكرايبج

سجّلتُ في جسدي متحفاً

فيه كل صنوف الذخيرة

ماذا اسميك ؟

إني أسميك باسمي

وانت الملايينُ

والحبُّ

والارضُ

والليلُ

ما بين قطبين

وجهي .. وعكا

يقولونَ ...

ماذا يقولون ... ؟ قبل الاناشيدِ

خلف الاناشيدِ

أو بعدها

في المنابرِ

أو تحتها

في المواخيرِ

لا تنصتي

إنني اذ أحاصرُ ما بين شطينِ

أقتل بالصمتِ والصخبِ

أقتل داعية للتخطي من الارضِ للارضِ
أقتل تحت شعار مكافحة الخارجين على جدول الضربِ
والسحق

أقتل باسم القضاء على الأوبئة

وأقتل في وطني

آه .. في وطني

ألف عمان قائمة

ظهرها في جبين فلسطين

أما السكاكين

والجنود

والمدفعية

والطائرات

فلا تخجلي

إنها أشرعت في الكمين الاخير

وتنتظر الأمر من سترة لمّعت كل ازرارها

بالمجاعة ... والدم

إني أرى مقتلي قاب قوسٍ وأدنى

فقومي

أناديك بالصوت

والموت

من كل ما احتل مني

ومن كل ما ظلّ منا

ومن صدر أمي

ومن مأزق المرحلة

أراكِ

وإني أرى خلف وجهي .. وجوها

تداري به ذلها

انهم يتقنون التنكر
فالكرنفال الذي كرسوه طقوساً
يصير تقاليد في وطن ضيعوه
وضاعت تقاليده
لست منهم
فهم بعد كانوا
وظلوا
طوال زمان الهزائم والأمنيات
وعبر تطور حرب الاذاعات
ظلوا
الى القدس لافتة
ولهذا الى العلة الكاذبة

وان قلت يا وردة الدم خلفتهم يهدرون مصيري
وغادرتهم
صرت منهم
وان قلت واكبتهم
صرت منهم
وما بين هذين تنصب مشنقي والمذابح
كل المطارات مسدودة والمعابر

ما بين هذين
متهم بالتخلي عن النوم والناثمين
ومتهم بالهزيمة
ومتهم بالجريمة
لكنني بين هذين أصمد
أشحد صوتي وأسلحتي وعذابي
وأجترح المعجزة

أناديك ..
ماذا أناديك ؟
« قطر الندى »
كلما أمطرت مقلتناك .. وقلبي .. دمي
أرعدت في جبال الخليل الخلايا
وشرق الشريعة
فوق تخوم بلادي
أرى الارض خارطة عمرتها الحرائق بالحرب
بالثورة العربية
من ساحة المغرب العربي
الى المشرق العربي
على جبهة القصر
ألتاك بعد محاربة في الطريق الى الناصرة
وإني ارى فقراء القرى والحواري
غداً يخرجون اليّ
وبيرقمهم بيرقي
وشعاري من النهر للبحر
صار شعاراً من البحر
للبحر
للبحر

حيفاً كبيروت
واللد .. كالقاهرة ..
سألتك يا جوهر الحزن والنار
ماذا يفرق بين بنيك
وبين الأقاليم
وحدنا توأمان .. البطولة والصبر
فرقنا توأمان .. العصابات
والسادة الجانحون

الى ذبح مدريد
عبر مذابح كل البلاد التي يحكمون
البلاد التي يذبحون البنات الصغيرات فيها
وتحت شعاره
يقول : نجنبها المذبحة

سألتك بالدم
هل شاركوا الدم مجراه
أم شاركوا الامراء التواقيع
والدخلاء المشاريع والكأس
والوقفات المذلة
في مجلس الأمن
قرب العظام التي يعرضون على المائدة

أحاورك الليلة اتفقوا
ان يخططوا لهم علماً
من بقايا ثيابك
أن يغسلوها
لتخرج بيضاء من غير أبنائك الشهداء
ومن غير بصمات كفك فيها
وعمرك فيها
ورائحة الدم والعشب والجر والطرق المتربات
لتخرج بيضاء من غير سوء - كما يزعمون -
تؤهلهم ان يسوقوا صفار بلادي الى المقبرة
وها .. انني الآن أرفع كفي
أقرأوا فيه مجزةً ونذيراً
أحذّر من كل جيش يموت من البرد
تحت الحريق

وتحت الشعارات
والامتيازات

والجوع للعبة الخاسرة

وأندركم ان نازلة تتخفى وراء الحجارة
والطاولات

وفي لغة الخطباء

وفي لغة السفهاء

وفي لغة الحكماء

وفي الصحف الرائجة

هنا أنتضي الآن صوتاً ذبيحاً
يحذر من كل بوابة للخروج سوى الحرب بالشعب

إني أسمىك حربي

وإني أتأديك حربي

وما بين موتك

والأرض

ما بين نصرك

والأرض

أن تسقطي الأدياء

التوايبت

أن تربطي حول زندي سرايين قلبك

أن تمنحيني عظامي جسوراً

على الماء

أن تعبري فوقنا مرتين

الى الغرب

والشرق

بالشعب

بالشعب

والأسلحة

ملاحظات اولية على حزب الشعب الثوري الاردني

عصام الصالح

لم تكن الحركة الوطنية في الاردن ، منذ بداياتها الاولى ، بمعزل عن التيارات السياسية والاحداث التي اجتاحت تاريخ العرب المعاصر ، بل على العكس من ذلك تماما كانت دائما في الصميم منها ، تنفعل بها وتؤثر فيها على سواء . واذا استعرضنا تاريخ هذه الحركة لوجدنا ان ارتباطها بالقضايا العربية الكبرى كان دائما ارتباط مصر اذ كانت هذه القضايا محورا اساسيا بل تكاد تكون محورا منفردا شغل هذه الحركة طوال تاريخها واستقطب جهد العاملين فيها منظمات وافرادا . وتاريخيا ، تمثلت البدايات الاولى للحركة الوطنية في شرقي الاردن بحزب الاستقلال الذي انشأته جمعية العربية الفتاة في سوريا في العام ١٩٢٠ في اثناء الحكم الفيصلي . وقد اتخذ اعضاء هذا الحزب بعد معركة ميسلون وانتهيار الحكم الفيصلي ، اتخذوا من شرقي الاردن قاعدة لعملياتهم في سوريا* ، وبذلك ارسى هذا الحزب منذ اللحظة الاولى لتأسيس الكيان الاردني تقليدا في التوجه نحو القضايا العربية في شكل اصبح هذا التوجه سمة الحركة الوطنية في الاردن خاصة عندما اصبحت القضية الفلسطينية في المركز من القضايا العربية . وقد عت القوى الوطنية في الاردن مركزية القضية الفلسطينية ، فوجهت لها جهدا خاصا ، وهو ان كان عفويا وغير منظم الا انه دليل واضح على اتجاه اصبح تقليدا في الحركة الوطنية في الاردن** . وقد كرس هذا التقليد وحافظ عليه ودفع به في اتجاه متصاعد قبل العام ١٩٤٨ **حزب اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني** الذي تأسس في العام ١٩٢٩ والذي

* نظر الاستقاليون الى اتفاق الامير عبدالله مع تشرشل في العام ١٩٢١ على انه معاكس لاهدافهم في استعادة سوريا من الفرنسيين وقد خيب هذا الاتفاق آمالهم . وفي محاولة لاكتساب دعمهم قدم لهم عبدالله مناصب عليا في ادارته ، وكان رشيد طليح اول رئيس لمجلس المشاورين من بين صفوف حزب الاستقلال . (انظر : Naser Aruri, Jordan: A study in Political Development, p. 25) وقد دخل الحزب في صراعات مع الامير عبدالله وكان قصد رجال هذا الحزب اضعاف شوكة الامير وارغامه على الاستسلام لهم ليكون طوع ارادتهم او انهم يهدفون الى خلعهم . (انظر : عودة القسوس ، مذكرات عودة القسوس - نسخة محفوظة في مركز الابحاث) . وبعد ان تصاعدت اعمال الاستقاليين ضد القوات الفرنسية ضغقت بريطانيا على الامير عبدالله لاجراء اعضاء الحزب من الاردن وتم له ذلك في العام ١٩٢٤ . (انظر : سليمان موسى ، تأسيس الامارة الاردنية ، ص ١٦٩ ، ١٧٠) .

** في العام ١٩٢٠ قام سكان منطقة عجلون بعمل ايجابي في مقاومة البريطانيين في فلسطين فقد جمعوا جموعا غفيرة وعقد اجتماع كبير تقرر فيه القيام بهجوم على الانجليز واليهود . وقد اغارت جموع الاهلين في نيسان ١٩٢٠ على سمخ وبيسان وبعض القرى اليهودية . وانقطع نتيجة هذا الهجوم سير القطارات بين حيفا ودمشق وتعطلت المواصلات الهاتفية ، فسارعت السلطات البريطانية وارسلت طائراتها لقصف تحشدات المهاجرين بالتقابل ، فاضطر المهاجرون الى التراجع والعودة الى قراهم بعد ان قتل عشرة من رجالهم بينهم الشيخ كايد الملاح ، زعيم ناحية الكفارات . (انظر : منيب الماضي وسليمان موسى ، تاريخ الاردن في القرن العشرين ، ص ٩١ ، ٩٢) .

تاد المعارضة في شرق الاردن مدة طويلة . وقد تصدى هذا الحزب للامير عبد الله وقاوم محاولاته بيع أراضي شرقي الاردن للصهيونية في العام ١٩٣٤ ، كما قاد الانتفاضة الوطنية المسلحة في شرق الاردن منذ اواخر العام ١٩٣٧ حتى العام ١٩٣٩ والتي ارتبطت ارتباطا وثيقا بالثورة الفلسطينية الكبرى* . وقد تأتى هذا الافسق العربي للحركة الوطنية في الاردن نتيجة عوامل عدة : فبالاضافة للعوامل الجغرافية التي جعلت من شرقي الاردن منطقة محاذية لمناطق الاحداث الرئيسية في العالم العربي — خاصة فلسطين — وبالإضافة الى ارتباط مصر شرقي الاردن بمصر الوطن العربي ، فقد كان للعوامل التي ارتبطت بتأسيس الامارة نفسها أثر في هذا التوجه العربي الملح . فقد كان خلق الانجليز لامارة شرق الاردن في العام ١٩٢١ كدولة منفصلة خلقا من العدم تماما ولم يكن الاردن من قبل قد اتحدت اجزائه او دانت بالخضوع لعاصمة واحدة في داخل البلاد** ، وبذلك فان أي شعور بالانتماء الاقليمي كان غير وارد في ظل تطورات القوى الوطنية نحو تحرير الوطن العربي وتوحيده ، كما ان هذه القوى كانت تدرك ان الكيان الاردني كيان مستحدث ومصطنع لم تترسخ جذوره بعد . لذلك فان الاشواق الوطنية لم تكن لتتوقف عند الحدود التي اصطنعت بل كانت تتعداها الى رحابة الوطن العربي الكبير . لذلك فلم يكن بمستغرب ان يواجه الامير عبد الله وادارته اول ما يواجهان تظاهرات صاخبة قامت في عمان في شهر آب ١٩٢١ بسبب اعتقال السلطات البريطانية للمجاهد السوري ابراهيم هنانو في القدس*** . كما ان ادارة الامير واجهت في الوقت نفسه هياجا شعبيا في عمان عندما حاول الضابط البريطاني بيك (الذي كان يتولى قيادة القوة السيارة في شرق الاردن) القاء القبض على احمد مريود المسؤول عن حداث الهجوم على الجنرال غورو في ١٩٢١/٦/٢٣ ومحاولة اغتياله ، مما اضطر بيك ان يسترجع قواته العسكرية التي خرجت من عمان لتلك الغاية**** . كذلك لم يكن بمستغرب ان تلجأ المعارضة يوما الى المنفى في دمشق وتنفوذ معارضتها من هناك ، كما حدث مع جماعة الشباب الاحرار التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية بزعامة الدكتور صبحي ابو غنيمه والتي اضطرت الى هذا اللجوء بعد اشتداد حملة الامير عليها . وبعد العام ١٩٤٨ ترسخ هذا الخط ذو الافاق العربي : أصبحت الحركة الوطنية في الاردن امتدادا لحركة التحرر العربية وجزءا منها . وقد لعبت الاحزاب والمنظمات السياسية التي نشأت خارج الساحة الاردنية دورا كبيرا في هذا المجال اذ انشأت فروعها لها في الاردن ارتبطت تنظيميا بالمركز الذي كان دائما خارج الاردن . كما كان لنضوج الوعي القومي الذي أسهمت نكبة العام ١٩٤٨ في بلورته وتصعيده دور كبير في استشراف الافاق القومية من جانب الحركة الوطنية في الاردن . وفي الوقت نفسه لا تقلل من الدور الذي قام به الفلسطينيون في الاردن في انشداد الحركة الوطنية الى آفاقها القومية . ومن الملاحظ ان جميع الحركات والاحزاب السياسية الوطنية التي قامت في الاردن بعد العام ١٩٤٨ كانت جميعا — باستثناء الحزب الوطني الاشتراكي — امتدادا لاحزاب وحركات عربية ترتبط مع هذه الاحزاب والحركات بروابط تنظيمية معينة تنفي عنها ان تكون احزابا محلية .

* راجع تفاصيل هذه الانتفاضة في كامل محمود خلة ، التطور السياسي للمملكة الاردنية ١٩٢١ — ١٩٤٨ ، في الصفحات ٢٩٣ — ٢٩٨ (وهي رسالة ماجستير في جامعة القاهرة . نسخة من الرسالة محفوظة في مركز الأبحاث) .

** الدكتور أنيس صايغ ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، ص ٢٢٠ .

*** موسى ، تأسيس الامارة ، ص ١٣٩ . وقد اتهم ضابطان في الجيش بالتحريض على التظاهرات هما الرئيس صالح النجداوي وأخوه توفيق النجداوي ، وشملت التهمة كذلك الزعيم علي خلقي الشرايري .
**** المصدر نفسه ، ص ١٢٨ . وفي اثر تلك الحادثة قدم رشيد طليح استقالته الى الامير عبد الله .

هذه المقدمة وجدناها ضرورية تمهيدا لقراءة وثيقة صدرت عن حزب اردني اعلن عن تأسيسه في تشرين الاول ١٩٧٢ ، واضمح من تسميته « حزب الشعب الثوري الاردني » ومن الوثيقة الصادرة عنه « ملامح اولية حول مسألة الثورة الوطنية الديمقراطية في الاردن » انه يجهد لان يكون حزبا محليا في الاردن ، وهو امر لاغت للنظر بعد ان تبين من خلال ما سلف ان الحركات السياسية في الاردن كانت في الاغلب امتدادات لآخرى عربية . والسؤال الذي يطرح هنا هو ما هي الظروف التي تدفع نحو تشكيل حزب في الاردن بعد ان كان الشعار المطروح حتى الان هو تشكيل جبهة وطنية تشارك فيها القوى الوطنية الاردنية وحركة المقاومة الفلسطينية على حد سواء . ان الاجابة عن مثل هذا التساؤل تكمن في تقديرنا في حقيقتين متناقضتين تماما ومتسببة عنهما معا في وقت واحد : تجربة حركة المقاومة في الاردن حتى ايلول ١٩٧٠ ، وتصاعد المد المضاد الذي قاده النظام الهاشمي والذي اتخذ شكلا اكثر شراسة في ايلول ١٩٧٠ وتموز ١٩٧١ .

ان الوجود الكثيف لحركة المقاومة في الاردن بعد العام ١٩٦٧ لم يفتح الفرصة كاملة للحركة الوطنية الاردنية في النمو والانتعاش والتصاعد . فبالاضافة لظروف الحركة الوطنية الاردنية الذاتية نفسها والتي كانت تعاني من ضعف نتيجة الحملات التي قادها ضدها النظام الهاشمي قبل ١٩٦٧ بالاضافة الى ذلك مثلت حركة المقاومة امام الجماهير تفضة نوعية متقدمة وتجاوزا للحركات الوطنية التي سبقتها . فانشدت الجماهير اليها وانخرطت في صفوفها متجاوزة هي الاخرى حالات التأييد التي منحتها للحركات السياسية التي كانت قائمة قبل نشوء المقاومة الفلسطينية . بتعبير اخر كانت الصورة كما يلي : حركة وطنية ضعيفة وممزقة ، وجماهير معرضة عنها متجهة الى بديل استجاب اكثر الى طموحاتها وفهمها للعمل . بجانب ذلك فان الحركات والقوى الوطنية العربية التي كان لها امتدادات في الساحة الاردنية حولت هي الاخرى امتداداتها التنظيمية الى فصائل تعمل ضمن اطار حركة المقاومة . ومن هنا فان الجهد الذي قامت به الحركة الوطنية في الاردن بعد العام ١٩٦٧ (تمثلت هذه الحركة بالامتدادات العربية وبالشخصيات الوطنية والمنظمات المهنية والنقابية) كان جهدا متجها نحو رفق حركة المقاومة الفلسطينية ودعمها وتهيئة الاجواء لتصاعدها . وهذا الجهد — ولا تقلل من اهميته وخطره — لانه كان متجها نحو تدعيم حركة المقاومة الفلسطينية والمشاركة فيها لم يلتفت جديا وجذريا الى معالجة القضايا الاردنية المحلية التي وان كان لها مساس مباشر بالقضية الفلسطينية الا انها تظل منفصلة عن برنامج حركة المقاومة الفلسطينية المتجهة بصورة اساسية — وهذا مبرر وجودها — نحو النضال من اجل تحرير فلسطين . واكثر من ذلك ففي المرات القليلة التي التفتت فيها الحركة الوطنية الاردنية نحو معالجة القضايا المحلية فقد كان هذا الالتفات يتم تحت راية المقاومة الفلسطينية . فيلاحظ مثلا ان النضال المطليبي الذي قامت به نقابات العمال والذي بلغ اوجه في الاشهر القليلة التي سبقت مجزرة ايلول ارتبط ارتباطا وثيقا بحركة المقاومة وكان فعلا متمتعا بحمايتها ، وما كان له ان يحقق انجازاته في تلك الفترة لولا تلك الحماية* . ومن جهة اخرى كانت تصفية الوجود العلني لحركة المقاومة في الاردن سببيا في انكشاف ظهر القوى الوطنية فيه . واذا كانت هذه التصفية قد تلبست بقناع اقليمي فقد كان واضحا من خلال

* نشرت صحيفة « فتح » ١٩٧٠/٧/١ رسالة من عمال واصحاب مصانع الخياطة العسكرية تتقدم بالشكر للمكتب العمالي لحركة فتح للمسامحة الحميدة التي قام بها واسهمت في انهاء الخلاف بين اصحاب العمل والعمال بالشكل الذي ضمن للعمال جميع مطالبهم بعد اضراب استمر يوما . نشرت « الهدف » ٧٠/٦/٢٠ بيانا صادرا عن الجبهة الشعبية حول مطالب عمال شركات المواد العمرانية قالت فيه : ان ج.ش.ت.ف. التي وقفت باستمرار مع اضرابات العمال انطلاقا من التزامها الايديولوجي والسياسي ترى في المطالب التي قدمها عمال الشركة مطالب عادلة لا بد من اسنادها .

ممارسات النظام القمعية التي لم تميز بين وطني فلسطيني و وطني أردني ، ان النظام قد استفرد بالقوى الوطنية الأردنية بعد زوال الحماية التي منحها لها حركة المقاومة لذلك فان هذه « النشوة الاقليمية » التي حاول النظام اسكار الجماهير الشرق اردنية بها سرعان ما سوف تتبخّر ، عندما تكتشف الجماهير هذه ان هذا النظام الذي حاول ان يجعل منها اداته في قمع حركة المقاومة هو هو جلاها القديم ، وان ممارساته القهرية والاستغلالية القديمة هي ذاتها التي تمارس ضدها راهنا وان كان بوطأة اشد بعد ان اصبح وحيدا في مواجهتها . والنتيجة الحتمية والمنطقية لذلك ان تبدأ الجماهير بالدفاع عن نفسها وتشرع في خلق تكتلاتها القادرة على التصدي للنظام . وبسبب غياب حركة المقاومة العلني عن الساحة الاردنية ، وهي الحركة التي ساندت القوى الوطنية فان **الاتجاه سوف يكون بالضرورة نحو خلق منظمات سياسية اردنية فلسطينية محلية تعمل من خلال بحث الجماهير عن مصالحها واتساع تطעותها ، على تحقيق المهمات الوطنية الاردنية التي لم تدخل في صلب برامج حركة المقاومة الفلسطينية ، وفي الوقت نفسه سوف تكون هذه المنظمات حليفة حركة المقاومة في الاردن لان القضية الفلسطينية هي في المحور من المهمات الوطنية الاردنية .**

من هنا يدرك الاهتمام بالاعلان عن تأسيس حزب أردني ، يؤكد من جانب على « مركزية القضية الفلسطينية » والعمل لتحريرها تحريرا كاملا ترابا وشعبا (ص ٦ من الكراس ، الطبعة الثانية) ، ولكنه في الوقت نفسه يلتفت الى هموم الجماهير في الاردن ويتصدى لعلها وي طرح لنفسه مهمات محلية : سياسية واجتماعية واقتصادية ، ويحاول بالاضافة الى ذلك ان يضع قضية التحالف بين النضالين الاردني والفلسطيني في صيغة تستفيد من التجارب التي مضت ولكنها تخطو بها خطوة متقدمة أكثر فهما لمعنى التحالفات . فالشعار السابق الداعي الى اقامة الجبهة الوطنية الفلسطينية — الاردنية يتخذ له هنا شكلا تفصيليا وأكثر تحديدا . فاقامة مثل هذه الجبهة يتطلب في البداية « **وجود جبهة وطنية اردنية** تضم مجموع القوى الوطنية والديمقراطية في الاردن **تتحالف** بارتمى اشكال صيغ التحالف وأكثرها جدية مع **جبهة وطنية فلسطينية** تضم بدورها فصائل المقاومة الفلسطينية » (ص ٢٧) . ومن الواضح ان ايجاد هذه الجبهة الوطنية الاردنية ليس من مهمات حركة المقاومة ، بل هي منوطة بتساعد الحركة الوطنية في الاردن ومرتهنة بقدرتها على التصدي للعمل ، وان كانت حركة المقاومة ، باعتبارها حركة ثورية عربية ، يتوجب عليها ان تقوم بدور في تهيئة الظروف الملائمة لقيام مثل هذه الجبهة ومدّها بالاسباب التي تساعدها على تحقيق أغراضها . ان مهمة بلورة النضال الاردني هي مهمة القوى الوطنية في الاردن بالدرجة الاولى سواء اكانت هذه القوى شرق اردنية ام فلسطينية ، ذلك « ان اي تعبئة لقوى الشعب الاردني لا تعني استثناء الفلسطيني [الموجود في الاردن] ما دام هناك واقع طبقي واحد ، فالخصم واحد ولا بد من برنامج واحد لتعبئة كل الطاقات في مواجهة كل الخصوم » (ص ٢٨) . وفي المقابل « فان تعبئة الجماهير الفلسطينية وحدها لتواجه كل القوى المعادية ضرب من الخيال لا يجيز لنا سوى الاستهلاك المادي والبشري والمعنوي » (ص ٢٨) . ان هذه المعادلة بين الحركة الوطنية الاردنية وحركة التحرر الفلسطيني تجعل العلاقة بينهما محددة واضحة . فاذا كان المطلوب من حركة التحرر الفلسطيني ان توجه جهودها في الاساس الى تنمية ذاتها لتحقيق هدفها في التحرير وفي الوقت نفسه تخلق الاجواء الثورية في العالم العربي — والاردن خاصة — لتنمية الاتجاهات الثورية الجذرية ، فان امام الحركة الوطنية الاردنية انجاز المهمات العامة للثورة الوطنية الديمقراطية وفي الوقت ذاته تهيئة المناخ الملائم الذي يمكن حركة المقاومة الفلسطينية من الوصول الى اهدافها .

والمهمات الوطنية التي يطرحها الحزب في كراسه (ص ٣٤ — ٣٩) تندرج تحت العناوين

الرئيسية التالية : اسقاط النظام الرجعي القائم واقامة نظام وطني ديموقراطي يستند الى تحالف جميع القوى والطبقات الديموقراطية ويفسح المجال لتحرير الاقتصاد الاردني من القيود التي تفرضها عليه الوصاية الامبريالية والرجعية وارساء قاعدة صلبة للتصنيع ، واقامة اقتصاد زراعي موجه وتحرر العلاقات السياسية للاردن من كل انواع التبعية واقامة السياسة الخارجية على اسس من مركزية القضية الفلسطينية من جهة ونهج عربي وطني تقدمي معاد للامبريالية والصهيونية والرجعية من جهة ثانية واقامة اوسع العلاقات والصدقات مع المعسكر الاشتراكي من ناحية ثالثة .

وهذه العناوين الرئيسية تستند الى فهم الحزب لطبيعة المجتمع الاردنسي والنظام الهاشمي الحاكم . ففي مقدمة الكراس يوضح الحزب ان « الاردن محكوم من قبل نظام رجعي مرتبط مع الاستعمار » (ص ٥) . كما ان النظام الهاشمي ما وجد الا لتسهيل اقامة الوطن القومي اليهودي وطمس فلسطين من ذاكرة الامة العربية * (ص ٩) . اما عن نمط علاقات الانتاج في الاردن وهو النمط الذي يقرر شكل المجتمع ، فنقرأ في الكراس (ص ٢١ — ٢٤) العناوين التالية : يعيش الاردن كما تعيش دول العالم الثالث المتخلف ، تنمو فيه تجارة الاستيراد والانتاج الاستهلاكي واقتصاد الخدمات والعقار ، اما الطبقة السائدة في الاردن فهي طبقة الوكلاء التجاريين في المدينة والقطاع في الريف والمدينة ، ومع ازدياد انتشار الثقافة توسعت طبقة البرجوازية الصغيرة عبر الوظائف والاستخدامات وقد تحول بعضها الى مواقع بيروقراطية الدولة المساهمة في الحكم المتحالفة مع القطاع العشائري والرأسمال التجاري ، والجيش هو احدى المؤسسات الاقتصادية في الاردن كما انه اداة السلطة لارهاب الجماهير مدعوما بذراع الدولة البوليسية والمخابرات الفاتسية . اما العامل فهو يبيع قوة عمله الى صاحب المؤسسة مقابل كسب بسيط لا يكفي لنصف حياته * .

مثل هذا المجتمع تتضح فيه اي القوى التي لها مصلحة في بقاء نظام الحكم القائم حاليا ، واي القوى التي لها مصلحة أساسية في التغيير . وقد حدد الكراس (ص ٢٩ — ٣١) القوى الاولى ، والتي وصفها بأنها « خصم الجماهير وعدوها » ، بأنها طبقة كبار الملاك الذين لهم اجود الاراضي الزراعية ولها املاك عقارية واسعة في المدن وهي تسيطر كذلك

* في محادثات القدس التي تمت بين تشرشل والامير عبدالله التي ابتدأت يوم ٢٨ آذار ١٩٢١ اوضح تشرشل في الجلسة الاولى عندما عرض ان تكون شرقي الاردن تحت ادارة حاكم عربي (وكان مؤتمر الشرق الاوسط في القاهرة الذي عقد برئاسة تشرشل في ١٢ آذار ١٩٢١ قد اوصى بالتوصل الى ترتيب مرض مع عبدالله الذي كان قدم من الحجاز) اوضح ان الحكومة البريطانية تتوقع من ذلك الحاكم ضمانا بان يتفادى القيام بنشاطات معادية لليهود في شرقي الاردن والا يسمح بقيام نشاطات من هذا النوع ، ومن المفترض في ذلك الحاكم ان يتقبل السياسة البريطانية في فلسطين الى الغرب من نهر الاردن لتتمكن الدولة المنتدبة (بريطانيا) من الوفاء بالتزاماتها الدولية . وقد وافق عبدالله على ذلك . (انظر : سليمان موسى ، المصدر السابق ، ص ١١٢) . كما نذكر هنا بما كتبه السير اليك كركبرايد ، المعتد البريطاني في شرقي الاردن في عهد عبدالله ، الذي ذكر ان الحكومة البريطانية كانت منهكة في انشاء ادارة مدنية في فلسطين ، ولم تلق كثيرا من الاهتمام للمناطق البعيدة وغير المتطورة شرقي نهر الاردن ، والتي كان يقصد ان تكون مناطق احتياط تستعمل لاعادة توطين عرب فلسطين بعد ان يتحقق الوطن القومي لليهود في فلسطين والذي تعهدت بريطانياه بدعمه . (انظر : Alec Kikbride, A Crakle of Thorns, p. 19) .

* نشر هنا الى أن معدل الاجور للمستخدمين في الصناعات الاردنية في العام ١٩٦٨ كان ٢٦٨ ديناراً أردنياً في السنة. ومن الملاحظ ان هناك نسبة متدنية جدا في اجور بعض الصناعات مثل الكسارات (١٩٢ ديناراً) ، الملابس والخياطة (١٩١) ، الاثاث والمفروشات (١٨٠) ، منتجات المطاط (١١٢) ، الآلات غير الكهربائية (١٦٥) ، معدات النقل (١٧٥) . (المصدر : دائرة الإحصاءات العامة ، تقرير الدراسة الصناعية للعام ١٩٦٨ ، عمان ١٩٧٠ ، جدول رقم ١ - ٢) .

على مؤسسات الدولة مثل الجيش والحكومة والبرلمان ، كما تضم البرجوازية الكبيرة المسيطرة على المصانع والشركات ، ووكلاء الشركات الاجنبية والسماصرة (الكمبرادور) الذين يقومون بعملية استغلال يومية لجماهيرنا نتيجة علاقاتهم المتشابكة مع الطبقة البرجوازية الكبيرة . وحدد الكراس هذه الطبقات بأنها تمثل نسبة ٥ بالمئة من السكان . أما القوى التي لها مصلحة في التغيير أو قوى الثورة كما يسميها الكراس فهي العمال (نحو ربع مليون) والفلاحون (أكثر من نصف مليون) والبرجوازية الصغيرة والمتقنون الثوريون وشرائح من البرجوازية الوطنية ، والبدو وهم أكثر القطاعات تخلفا وجهلا وضياعا (ص ٢٦) . أما الطريق الذي يتشوف اليه الكراس وصولا الى تعبئة قوى الثورة والانتصار على « العدو الطبقي » فهو في قياس التنظيم الثوري القادر على استيعاب كل القوى الوطنية والثورية وابدال حقتها وحقتها الى عمل مبرمج . وهذا التنظيم السياسي « الحزب الثوري » يستند الى فكر الطبقة العاملة وبرامجها ويمارس العنف الثوري ، بالاضافة الى جبهة وطنية عريضة تحمل السلاح (ص ٢٧) ، فالعنف الرجعي لا يمكن ان يواجه الا بالعنف الثوري القادر على صد هجمات وشراسة الرجعيين ، خاصة وان كل طبقة تستميت في الدفاع عن موائعها وما على قوى الثورة الا استعمال العنف الثوري المستند الى تحليل سياسي وطبقي وايدولوجي حتى تحقق الانتصار على خصومها (ص ٣٣) .

هذه هي الافكار الرئيسية التي طرحها الحزب في كراسه حول مهمات التحرر الوطني الديمقراطي في الاردن . وقد أشرنا سابقا الى مركزية القضية الفلسطينية في برنامج الحزب . ذلك ان الحزب يعتبر « ان فلسطين وأرضيتها تشكل الآن قوة لمسيرة الثورة العربية ومادة انتصارها ، كذلك هي جزء من حركة الثورة العربية التي هي حركة الجماهير ، وليست حركة الانظمة ، ويجب أن تتسع التحاما بالجماهير العربية الثورية حتى تؤمن لها الثورة الرافدة على طريق حرب الشعب الطويلة الامد القادرة على فهم مهمات التحرير الوطني الفلسطيني الكامل لكل التراب الفلسطيني واسقاط الوجود الصهيوني على الارض العربية » (ص ٢٩) .

يبقى هناك بعض الملاحظات التفصيلية على الكراس نوردتها كما يلي : ١ - بعض المعلومات التاريخية : جاء في الصفحة (١٠) ان لقاء تشرشل وعبدالله في القدس كان في ١٧ آذار ١٩٢١ ، والصحيح ان اللقاء كان في ٢٨ آذار ١٩٢١ واستمر الى ٣٠ آذار . وفي الصفحة نفسها ايضا جاء انه في السنة ١٩٢٨ تألفت أول قوة عسكرية بالاردن عرفت باسم قوة حدود شرق الاردن . والصحيح ان قوة الحدود شكلت في العام ١٩٢٨ اما أول قوة عسكرية شكلت في شرق الاردن فقد كانت في العام ١٩٢٠ (قبل تأسيس الامارة) بعد أن أرسل الضابط البريطاني فردريك بيك الى شرق الاردن لتنظيم الادارة وقد حوله المندوب السامي في فلسطين تشكيل قوتين صغيرتين واحدة من مئة رجل لتقوم بحراسة طريق عمان - فلسطين والآخرى من ٥٠ رجلا لتساعد المعتمد البريطاني في الكرك . وبعد قدوم الامير عبدالله الى شرق الاردن وتأسيس امارته فيها اخذ بيك على عاتقه مهمة تشكيل كتائب وقوات عسكرية متدرجا بتوسيع هذه القوات . وفي أيلول ١٩٢٣ اعطيت هذه القوات اسم « الجيش العربي » ، وفي تشرين الثاني من العام نفسه أعطى الامير عبدالله لقب أمير لواء للضابط بيك الذي أصبح قائدا للجيش* .

٢ - حول تأسيس الامارة : اذا كان صحيحا باطلاق ان النظام الهاشمي ما وجد الا لتسهيل اقامة الوطن القومي اليهودي وطمس فلسطين من ذاكرة الامة العربية (ص ٩) فانه صحيح كذلك ان هذا الدافع الرئيسي وراء انشاء الكيان كان يصاحبه دوافع أخرى

* لزيد من التفصيل حول انشاء الجيش الاردني انظر P. J. Vatikiotis, *Politics and the Military in Jordan*, Chapter IV

لا نقتل من قيمتها . فكما لاحظ الدكتور انيس صايغ* عند تعليقه على تأسيس امارة شرق الاردن « أصبحت التفرقة بسبب الكيانات عملاً شرعياً له حرمة . أصبحت الولاية او المحافظة السابقة وطناً له شعاره ورايته ودستوره وأصبح العمل على ازالة هذه الرموز ، أي العمل للوحدة ، خيانة بحق الكيان . وقامت مع الكيانات طبقة المنتفعين بها . وتحول الكثيرون من رجال الحركات الوطنية العاملة قبل ١٩٢٠ للوحدة والاستقلال الى سند يدعم الكيانات لانهم يبتفعون منها ، واخذوا يقاومون اي حركة صحيحة للوحدة ... [كما] افشلت الكيانات الجهاد في سبيل الاستقلال ... [و] رأى السياسيون البريطانيون هذه المكاسب لهم في التفرقة ، بنظرهم البعيد ، قبل حصولها فعملوا لها وحققوها في وقت قصير » . بالاضافة الى ذلك فينبغي الا نقلل من أهمية العوامل البترولية في خلق الكيان الاردني . وعودة الى التاريخ الذي سبق تأسيس الامارة تكشف هذه الاهمية . ففي الفترة ما بين ١ و٤ كانون الاول ١٩١٨ عقدت في لندن جلسات

بين لويد جورج ، رئيس وزراء بريطانيا ، وكليمنسو ، رئيس الحكومة الفرنسية ، جرى فيها تعديل سرى على اتفاقية سايكس - بيكو ، وقد طلب جورج في تلك المحادثات نقل **الموصل وفلسطين الى نصيب بريطانيه** ، وقد وافق كليمنسو على ذلك** . وغني عن البيان ان هذا الطلب البريطاني كان لتأمين منابع البترول في الموصل وطرق شحنه عبر فلسطين التي كانت بالاضافة الى حدودها الاقليمية الان تشمل ما وراء نهر الاردن شرقاً . وفي مذكرة عمل قدمتها بريطانيا في العام ١٩١٩ تتعلق باحتلال سوريا وفلسطين والعراق الى ان يتخذ قرار بشأن توزيع الانتداب جاء ما يلي : « وفقاً للمبادئ التي تتضمنها اتفاقية سايكس - بيكو فان الحكومة الفرنسية لن تعارض حق انشاء سكة حديدية بين **حيفا والعراق** ... كما انه سيكون لبريطانيه العظمى الحق في انشاء خطوط أنابيب للنفط ... وتشعر الحكومة البريطانية الحكومة الفرنسية والامير فيصل عن عزمها على القيام فوراً بمسح هندسي بغية العثور ، اذا كان هذا الامر ممكناً ، على ممر للسكة الحديدية ولخطوط النفط يقع كلياً في منطقة الانتداب البريطاني»*** . وقد أوردنا هذه الامثلة ليس بهدف تاريخي وانما تأكيداً على الدور الذي يقوم به النظام الهاشمي في خدمة المصالح الامبريالية في المنطقة العربية .

٣ - الحركة الوطنية الاردنية : يعزو الحزب فئسل الحركة الوطنية في الاردن بين العامين ١٩٥٠ و١٩٦٧ الى أن طبيعة قيادات الحركة الوطنية وبنيتها الطبقيية بقيت معزولة ضمن المدن ولم تمتد الى الريف لتشكل قوة مسلحة في وجه النظام بل عانت الكثير لاعتمادها البرجوازيين اساس تكوينها أولاً ، ولعدم امتلاكها القدرة على تنظيم فقراء الفلاحين ، خاصة في غياب طبقة عمالية ظاهرة كقوة رئيسية في الاردن (ص ١٦) كما انه مما زاد أو ساهم في عجز الحركة الوطنية عن أخذ مبادرة العنف الثوري في التصدي للنظام العميل هو عجزها عن امتلاك أفق نظري واضح واستراتيجية سياسية تحدد لها الطريق مما أوقعها أسيرة أحلامها كأن تفيق يوماً على مارشلات عسكرية وبلغ رقم ١ (ص ١٧) .

ان الحكم على أي ظاهرة ، سياسية كانت أم اجتماعية ، يجب ان يراعي الظروف الموضوعية التي أوجدت تلك الظاهرة ، وفي الوقت نفسه يحاكمها بمقاييس المرحلة التي أفرزتها دون ان تنتزع هذه الظاهرة من السياق التاريخي الذي وجدت فيه . ومحاكمة الحركة الوطنية في الفترة من ١٩٥٠ - ١٩٦٧ تتم فقط من خلال وضع هذه الحركة في

* صايغ ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

** زين نورالدين زين ، الصراع الدولي في الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان ، ص ٩٥ - ٩٧ .

*** Notes of Meeting of Heads of Delegattons of the Five Great Powers, Paris, Sept. 15, 1919.

ذكرها زين ، المصدر نفسه ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

أطرها الصحيح من حيث طبيعتها ، الظروف المحيطة بها ، الفئات الاجتماعية التي قادت ، الأهداف التي سعت الى تحقيقها ، وفي ضوء ذلك كله يدرس فشلها أو نجاحها . الحركة الوطنية في الأردن كانت ذات أفق وطني ، وجدت في المدينة ليس لأنها لم تستطع أن تمد لها جذوراً في الريف وإنما لان الطبقة التي قادت هذه الحركة (شريحة المثقفين من الطبقة البرجوازية الصغيرة) **موطنها** المدينة ، وبذلك فان عملها مرتبط بالمدينة . وهي لم تعتمد على البرجوازيين ، وإنما كانت هي الحركة التي أوجدتها البرجوازية . أما قضية العنف الثوري فهي غير واردة أصلاً لأنها لا تدخل في برنامج الطبقة التي قادت هذه الحركة ، لذلك فلم يكن ثمة بديل عن التفكير بالانقلاب العسكري عن طريق الجيش ، لانه من خلال التجارب التي حدثت في العالم العربي والعالم الثالث ثبت ان هذا الأسلوب هو الذي تلجأ اليه الحركة الوطنية ذات الأفق البرجوازي للوصول الى السلطة . ومن هنا فان محاكمة الحركة الوطنية في الأردن ينبغي أن تتم في إطار فهم هذه الحركة على انها حركة قادت البرجوازية الصغيرة وسعت الى تحقيق طموحاتها الوطنية بالاساليب التي تتماشى وتنسجم مع طبيعتها . وفي هذا الإطار فشلت الحركة الوطنية في الأردن عن تحقيق أهدافها ، ولسنا هنا في صدد دراسة هذه الحركة بيد أن العناوين التالية قد تكون صالحة لدراسة اسباب هذا الفشل : ● ان الطبيعة المتذبذبة للطبقة التي قادت الحركة الوطنية خلال الخمسينات والستينات ، جعلت هذه الحركة غير قادرة على الحسم ومتردة في الموقف من النظام بينما كان النظام على العكس من ذلك تماماً حاسماً تجاهها . ● القوى السياسية التي كانت تقود الحركة الوطنية كانت امتدادات لقوى أخرى مركزها خارج الساحة الأردنية ، وكانت هذه القوى الأخيرة تخضع للعبة التوازنات والتسويات العربية (مؤتمرات القمة كمثال) مما جعل تأثيراتها تنعكس سلبياً على الحركة الوطنية الأردنية نفسها . ● ان دخول الولايات المتحدة في أواسط الخمسينات الى حلبة السياسة الأردنية* مع ظهور مبدأ أيزنهاور ، كان له دور كبير في تثبيت أقدام النظام ومدّه بالقوة التي واجه بها الحركة الوطنية وتصدى لها . كما ان المعونات الاقتصادية الأميركية ومشاريع التنمية ساعدت على خلق ازدهار اقتصادي مشوه ومكن النظام من توسيع قاعدته البروقراطية في محاولة لتطويق البرجوازية وضمها الى صفوفه بل وجعلها في وجه من الوجوه جزءاً منه ومستفيدة من وجوده .

٤ - أغفل الحزب في برنامجه موقفه من الوحدة العربية ، والذي يدعنا الى اظهار هذا الامر أن الأردن كيان لا يستطيع أن يقوم وحده وان النضال من أجل ارتباطه بالامة العربية ضمن إطار وحدوي هو الكفيل فقط بإبطال الاسباب التي أوجدت من أجلها هذا الكيان . كما أغفل الحزب كذلك الموقف من الضفة الغربية ، وعلى الرغم من أنه اعتبر ان ضم الضفة الغربية تم بعد انتخابات زائفة في الضفتين في ١١ نيسان ١٩٥٠ الا انه لم يشر الى مصير العلاقات بين الضفتين راهناً ومستقبلاً .

* يلاحظ هنا دور الولايات المتحدة في الحركة الانقلابية التي قادها النظام على تجربة الحكم الوطني في العام ١٩٥٧ . ومن المؤشرات الدالة على ذلك الدور انه قبل يوم واحد من تأليف وزارة ابراهيم هاشم التي عينت في ٢٤ نيسان ١٩٥٧ (استقالة حكومة التابلسي كانت في ١٠ نيسان ١٩٥٧ وفي الفترة ما بين الوزارتين شهد الأردن اضطرابات وأحداثاً سببها الانقلاب المضاد الذي قاده النظام) صرح جون فومستر دالس ، وزير الخارجية الأميركي « ان لنا ثقة كبيرة في الملك حسين لاننا نعتقد حقيقة انه يكافح من أجل الحفاظ على استقلال بلده في وجه صعوبات عظيمة . . . وان لدينا الرغبة في دعم الملك حسين في هذا الشأن الى الحد الذي ينكر هو اننا قادرون على أن نكون مفيدين» . وفي ٢٩ نيسان ١٩٥٧ تقدم سمير الرغامي ، وزير الخارجية الاردني ، بطلب مساعدة من ليستر مالوري ، السفير الأميركي في عمان ، وفي اليوم نفسه وافق مالوري على منحة قيمتها عشرة ملايين دولار اعترافاً « بالخطوات الشجاعة التي اتخذها جلالة الملك حسين وحكومة الأردن وشعبه للحفاظ على وحدة البلاد واستقلالها » (انظر: مروري، المصدر السابق ، ص ١٤٤ ، ١٤٥) .

مراجعات

محمد أبو شلبايه ، الطريق الى الحرية والخلاص والسلام
(مطبعة الشيخ جراح التجارية ، القدس : ١٩٧٢)

تكمن خطورة الكتاب والانكار التي تضمنها ، ليس في التشويهات والاطعاء لتاريخ القضية الفلسطينية فحسب ، بل كونها تتقود الى اتجاه استسلامي وتصفوي خطير يحاول أن يشق طريقه بمساعدة العدو لابراز وجوه فلسطينية جديدة تقبل شروط اسرائيل ، وتبني القضية الفلسطينية لصلحة العدو الصهيوني — الاجريالي .

ما هي الاسس الذي اعتمدها الكاتب لاقامة دولة فلسطينية ؟!

يقول الكاتب :

« ان قيام وحدة عربية ذات جيش يبلغ الملايين ، وذات امكانات عسكرية حديثة ، لا يعني ابدا القدرة على سحق الكيان الاسرائيلي . وذلك بسبب الظروف الدولية التي تمنع الولايات المتحدة من احتلال كوبا ، واسرائيل من احتلال جنوب لبنان ... » .

رغم ان التفسير العلمي للتاريخ ، وقوانينه الاساسية تؤكد على ان القوى الذاتية هي العامل الاساسي لحسم التناقض ، وان ثمة علاقات دياكتيكية متفاعلة ومتطورة بين موازين القوى الدولية الراحنة ، تجعل من حركة التاريخ نتجه في سيرها الى الامام ولصالح الشعوب المضطهدة والمستغلة ، ورغم ان هناك تغيرات عديدة طرأت على تلك الموازين خلال السبعين عاما الماضية ، نجد ابو شلبايه بمنطقه الصوري ونظراته الاستاتيكية للعلاقات الدولية ، يريد أن يوقف عجلة التاريخ ويجمد موازين القوى الراحنة الى الابد ، ليعزي استحالة المواجهة لقوى خارجية (أي الظروف الدولية) مضغيا عليها صفة الثبات والديمومة والاستمرار وبالتالي اعطائها الدور الرئيسي في تقرير مصير الشعوب .

بات مؤلف هذا الكتاب معروفا لسكان المناطق المحتلة وخارجها ، كواحد من اشهر المتحمسين لاقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، تأخذ على عاتقها مهمة الاعتراف بالكيسان الاسرائيلي ، كحل وحيد للمشكلة الفلسطينية ، وكمدخل لانهاء الصراع العربي — الاسرائيلي « لتحقيق سلام دائم ونهائي في المنطقة » — على حد تعبيره .

ساعد ابو شلبايه على ترويج افكاره هذه ، عمله كصحفي في عدد من الجرائد الاسرائيلية التي تصدرها سلطات الاحتلال باللغة العربية ، ونشره سلسلة طويلة من المقالات والندوات على صفحاتها. وقد بلور الكاتب افكاره في كتابين اصدرهما في الداخل — احدهما بعنوان « لا سلام بدون دولة فلسطينية حرة » ، والاخر المائل بين ايدينا .

يتجه الكتاب نحو اهداف محددة تلتخص : بضرورة اقامة قيادة فلسطينية جديدة ، متجاوزة المنظمات والاحزاب الفلسطينية الراحنة والانظمة العربية (وخاصة النظام الاردني) ، لتعمل وفق ميثاق وطني لتشكيل حزب مشروع داخل الاراضي المحتلة ، يدعو لاقامة دولة فلسطينية على جزء من الارض التي تمنحها قرارات الامم المتحدة ، يكون لها نظام سياسي واقتصادي وتعليمي واجتماعي ، يتوافق مع برنامج عمله ومنسجما مع اسس دعوته .

وفي اطار هذه الاهداف يردد ابو شلبايه مقولاته والتي يمكن تلخيصها بفكرتين اساسيتين :

الاولى — الدوافع والاسس التي جعلته يتقدم بمشروع الدولة الفلسطينية .

الثانية — الخطوات التنفيذية والعملية الواجب اتخاذها لتنفيذ ذلك المشروع .

وفي سياق هذا الفهم الدغمائي للعلاقات الدولية يتجاهل أبو شلبابه المكنة الاستراتيجية الهامة التي تتمتع بها منطقتنا ، والتي استحوذت على اهتمام خاص لحد اطراف القوى الدولية المتصارعة وهي الامبريالية العالمية ، ممثلة بالمصالح الاستراتيجية السياسية والاقتصادية (وخاصة البترولية) الضخمة التي تملكها ، والتي شكلت عنصرا اساسيا في تأييد ودعم اسرائيل ليس كعامل دائم وثابت في المنطقة فحسب ، بل كحارس امين على تلك المصالح من خلال مواجهة وتميع اي حالة تعرض مخططات الامبريالية ومصالحها للخطر .

اراد الكاتب ان يضع الظروف الدولية كقطعة ارتكاز لتثبيت مبدأ « استحالة المواجهة » ، مما جعله يتجنب الحقائق والوقائع التاريخية السابقة والراهنة ، التي تؤكد على الارتباط العضوي والتطابق الاستراتيجي السياسي والعسكري بين العدو الصهيوني وقوى الامبريالية العالمية . وذلك بهدف الفاء التناقضات الرئيسية والثانوية بين القوى الدولية المتصارعة ، واضعاً اياها على نفس المستوى في مواقفها السياسية تجاه الصراع القائم في المنطقة .

وإذا كانت المهام الوطنية والثورية تتطلب ادراك الظروف الدولية ، واكتشاف مدى وحجم تأثيرها من أجل توجيهها لمصلحة قواها الذاتية ، والاستفادة من التناقضات القائمة فيما بينها للنضال ضد معسكر الإعداء الرئيسي ، فالكاتب — على العكس من ذلك — يريد ان يثبت عدم جدوى القتال والنضال ، وذلك من خلال استسلامنا للظروف الدولية ، ووضع مستقبل قضيتنا رهينة لتوازنها .

ثمة سبب آخر جعل أبو شلبابه أكثر فتاعة بمشروعه ، وهو خشيته ان يضيع شعبنا «الممكن» في طلب « المستحيل » . . يقول الكاتب :

« ان تاريخ القضية اكد لنا في جميع المصالحات ، اننا كنا نضيع الممكن في طلب المستحيل » و « انا اصبحنا اناسا سلبين نقتات بالخطب الزنائة دون ان نكون لنا مغارة نختبيء فيها او شبر من الارض نقف فوقه » .

أما الكيفية التي يريد ان يتخذ أبو شلبابه بها تاريخنا الذي اضاع الممكن في طلب المستحيل فيقول : ان تحقيق الممكن يأتي عن طريق « حسن النوايا » و « زرع الثقة » و « ائناع الشعب الاسرائيلسي اننا لا نريد الحرب » و « الالتجاء الى السدول

الكبرى » و « حمل اغصان الزيتون . . الخ » . تناول أبو شلبابه ايضا بعض المعضلات الاساسية التي تقف امام مشروعه ، وذلك بوضعه طسولا « ممكنة » لها كمسألة القدس ، و « المستوطنات الجديدة » التي اقامتها اسرائيل على الاراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ .

بالنمبة للقدس يقول « . . انني اتصور مستقبلا زاهرا تكون فيه القدس العربية عاصمة للدولة الفلسطينية ، وتكون فيه القدس الاسرائيلية عاصمة لدولة اسرائيل ، واتي اتصور المدينتين متصلتين بلا حواجز ولا اسوار » .

اما فيما يتعلق بسكان « المستوطنات الجديدة » يقول الكاتب : « ان هناك وسيلة ممكنة . . نعدد قيام الدولة الفلسطينية المقترحة ودولة اسرائيل سيجعل عددا من المواطنين الاسرائيليين يقيمون في الدولة الفلسطينية ، وسيجعل عددا من المواطنين الفلسطينيين (ويقتصد عرب المنطقة المحتلة ١٩٤٨) يقيمون في الدولة الاسرائيلية . . اي سيجعل لدولة اسرائيل جالية يهودية في الدولة الفلسطينية . وسيجعل للدولة الفلسطينية جالية فلسطينية في الدولة الاسرائيلية » .

لا يمكننا تناول أفكار أبو شلبابه هذه بمعزل عن الاتجاهات الاستسلامية السائدة بين اوساط عربية وفلسطينية داخل المناطق المحتلة وخارجها ، اذ ان المأزق السياسي والعسكري الذي تعيشه أغلبية الانظمة العربية ممثلا بانتهاجها طريق التنازل ورهانها على « تسوية » من قبل الولايات المتحدة ، وتحديد وتطوير نشاط المقاومة الفلسطينية في الداخل والخارج ، ساعد الى حد كبير في نمو تيارات واتجاهات في الداخل تدور حصول نفس الاطر السياسية التي تنتهجها تلك الانظمة ان لم تكن تتجاوزها .

كذلك فان أفكار أبو شلبابه ليست بعيدة عن التطورات الاقتصادية التي واجبت الاحتلال الصهيوني ، من حيث التنامي المتزايد لمصالح البرجوازية الفلسطينية الكبيرة الاقتصادية في الاراضي المحتلة ، وسعيها المستمر في بلورة اتجاهات سياسية منسجمة مع تلك المصالح تطمح في الصعود على الهرم السياسي لتمثيل الشعب الفلسطيني بمعزل عن القوى الفلسطينية الثورية الاخرى والذي لا تتعدى مسألة اقامة دولة

فلسطينية « مسألة » ونبذ كافة الاتجاهات التي تدعو الى تحرير الارض الفلسطينية ومواجهتها الهجمة الامبريالية الشرسة في المنطفة .

وتعتبر افكار ابو شلبايه نموذجاً تصفويها جديداً تكمن اهميته السياسية في انه يعبر عن وجهة نظر عدد من الشخصيات الفلسطينية الذي نجح العدو الى حد ما في ربط مصالحهم الاقتصادية بسياسته داخل الارض المحتلة ، ليتخذ هذا الاتجاه الاستسلامي الخطير طابع التنازل الاكبر والقبول الاكثر لشروط العدو الصهيوني ، مما ترتب عليه — بغض النظر عن النوايا — ان وضع نفسه في نفس الاتجاه الذي تسعى اليه سلطات الاحتلال في تطويق الارادة الفلسطينية وكسب ولاء سكان المناطق المحتلة عن طريق خلق زعامات فلسطينية تقبل « الامر الواقع » الذي فرضه الاحتلال ، ووضع تلك الزعامات كاحتياط سياسي في حالة عدم تجاوب الدول العربية للشروط الاسرائيلية الراهنة والمستقبلية .

وعلى امتداد هذا النهج سعى ابو شلبايه الى ايجاد اسباب اخرى للمشكلة الفلسطينية بعيدة عن الاطماع التوسعية الصهيونية ، وذلك من خلال ارجاعه اسباب المشكلة الى صيغ ديماغوجية « كحسن النوايا » و « زرع الثقة » . ومن الطبيعي ان يأتي الحل المستند الى تلك المفاهيم بشكل يتوافق مع أسس دعوته وفي اطار الهدف الذي حدده ، والذي عبر عنه ابو شلبايه بانتهاجه طرق الهداية والتبشير في حل الصراعات الاستغلالية والاستيطانية ، واتباع ما اسماه بطرق « الاتناع التسامح والعتلاني للشعبين الاسرائيلي والفلسطيني . ان المؤامرات الدولية (. . .) تريد لهذين الشعبين عدم الاستقرار والاستمرار في الحروب » على حد تعبيره .

واذا كانت الاتجاهات الاستسلامية الراهنة قد وصلت الى حد الاعتراف بالكيان الاسرائيلي وفق شروط معينة كالانسحاب من الاراضي المحتلة ووضع حد لسياسة التهجير والتفويض والاستيطان التي ينتهجها العدو في الاراضي المحتلة ، فان الكتاب يدعو الى التكيف مع الاطماع التوسعية وتعبيراتها العملية (المستوطنات ، تهويد القدس ، الاستيلاء على الارض) من خلال قبوله لما يسمى بالحقائق الجديدة التي اتامها الاحتلال ، واضفائه صفة المواطنة لشعوب المستوطنات واعتراقه بها

« كجاليات يهودية » شرعية تملك نفس الحقوق التي يتمتع بها شعبنا الاصيل .

ومهما يكن من امر ، فباستقاعتنا القول ان العقل العربي والفلسطيني مهما بلغت درجة ياسه ومعاناته للظروف الصعبة التي يعيشها لن يتقبل اتجاهات وافكارا من شأنها ان تصفي القضية الفلسطينية وتنهى حقوق الشعب الفلسطيني التاريخية فوق الارض الفلسطينية ، باستثناء العناصر المرتبطة مع الصهيونية والعاملة على تنفيذ مخططاتها .

ينطلق ابو شلبايه باساسه الثالث من خلال وصفه الاوضاع الفلسطينية الراهنة وما يحيط بها من ظروف اجتماعية وسياسية ونفسية صعبة فيقول « . . على ان القيه الذي نضل فيه الان ، والضياغ الذي تتردى في هاويته المسحقة ، والظلم والارهاب والوصايات ، على ان هذا كله هو اول واقوى دافع يدعنا من جديد للبحث عن طريق الحرية والخلاص » .

وكعادته يتجاهل الكاتب البحث عن الاسباب الجوهرية الاساسية التي ادت بالشعب الفلسطيني الى تلك الاوضاع متناولا اياها في ثلاثة اتجاهات :
١ — ابراز الخصائص والمميزات التي يمتاز بها الشعب الفلسطيني عن باقي الشعوب العربية الاخرى ، واصفا الشعب الفلسطيني بأنه « ملح البلاد العربية » و « ان نهضة كثير من الشعوب العربية الحديثة قد قامت بالدرجة الاولى على اكتافه » .

٢ — مقارنة الايجابيات التي يمتاز بها بالاوضاع الصعبة التي يعيشها فيقول « انه الشعب الوحيد في العالم الذي ليس له هوية ولا كيان ولا ارض ولا وطن . . الخ » .

٣ — وضع الدول العربية والمنظمات الفلسطينية بأنها المسؤولة عن تلك الاوضاع بقوله : « ان الشعب الفلسطيني يتلقى دوما جزاء سفار » ويخضع « للوصايات والسجون » و « يرغس شعارات دون ان يملك ارضا او مفارة » . وتأتي محصلة عرضه لتلك الاوضاع في تثبيت قاعدة تقول « ان اصل القضية هي الشعب الفلسطيني وان الازمة العربية الاسرائيلية تنفرع عن الاصل . . فقد أثبتت تجارب ٤٨ — ٥٦ أن التفاهم الاسرائيلي مع الدول العربية وحدها لا يحقق سلماً وانما يحقق

هدنة ، لانه يجب ان يقوم ويستند على تفاهم اسرائيلي - فلسطيني .

تجمع كافة الاراء والاتجاهات المستندة الى تحليل علمي للعدو، على ان الاطماع التوسعية الصهيونية قد شكلت وتشكل حجر الزاوية الرئيسية في صرح السياسة الاسرائيلية منذ بدء الصراع العربي الصهيوني وحتى الوقت الحاضر ، وعلى امتداد تلك الحقبة التاريخية شهدت القضية الفلسطينية سلسلة من الوقائع والحقائق الموضوعية ، اكدت جملة من الديدхийات التي تفسر الاسباب الجوهرية والاساسية التي ادت الى الازعاج الفلسطيني بترافقها المأساوي الراهن ، من حيث رجوعها الى العدو الصهيوني باطماعه التوسعية وانتهاجه سياسة التهجير والنهويد والاستيطان ، والتي شكلت السبب المباشر في طرد الشعب الفلسطيني من ارضه ولجؤه الى الاراضي العربية المجاورة . ويستدل من انتهاج ابو شلبايه الاسلوب الوصفي لشرح الازعاج الفلسطينية الراهنة دون البحث والتحليل عن الاسباب والمسببات التي ادت الى تلك الازعاج ، انه عمد على حصر مطالب الشعب الفلسطيني ضمن اختيارات محددة بعيدة عن جوهر الصراع من جهة ومتجاوزة الحقوق التاريخية لشعبنا فوق ارضه من جهة اخرى . حتى انها تخطت المبدأ العام الذي التزمت به الدول العربية العاجزة حيال مسألة حقوق الشعب الفلسطيني والذي تعطلت بقبولها قرارات الامم المتحدة التي لم تتجاوز مبدأ « التعمير او العودة » . فتأتى مطالب الشعب الفلسطيني - حسب رأي الكاتب - ضمن الحدود الذي رسمها والتي لا يتجاوز حدها النهائي مسألة الحصول على دويلة على جزء من الارض الفلسطينية التي تمنحها قرارات من الامم المتحدة .

وقد حرص الكاتب على ان يتناول « مأساة » الشعب الفلسطيني في اتجاهين :

أ - ترغيب الشعب الفلسطيني بإمكانية حصوله على دولة اذا ما انتهج الوسائل السلمية ، وقبل مبدأ الناعم والتعاون مسح الاحتلال الصهيوني بمزل عن الدول العربية والاحزاب والمنظمات الفلسطينية .

ب - تمجيد الشعب الفلسطيني وابرار خصائصه وتميزه عن الشعوب العربية الاخرى بهدف ابراز القطرية الفلسطينية لمواجهة الدول العربية

والمنظمات على اعتبار انها تقف عائقا امام الحل « العقلاني والعلمي !!! » المستند على تفاهم اسرائيلي - فلسطيني مشترك لحل المشكلة الفلسطينية حلا نهائيا واعامة دولة فلسطينية .

.. ومن نافذة القول ان الشعب الفلسطيني هو عنصر اساسي للمشكلة الفلسطينية ، ولكن التحليل السطحي للامور الذي انتهجه الكاتب دون الغوص عن الحركة الصهيونية واهدافها وعلاقتها اسرائيل بالدول الامبريالية ومخططاتها التوسعية ودورها في المنطقة لا تستلجب انتباه ابو شلبايه ، بل حتى قلما تجد في كتابه اية اشارة لتلك الاطماع ، فليس ذكرها في مصلحة الكاتب لانها من شأنها ان تقوض اساس افكاره ومقوماتها . فيأتي عرضه للازعاج الفلسطينية كاسلوب رخيص لاستدرار المشاعر الفلسطينية واستخدامها كوسيلة في ترويح افكاره الاستسلامية بما ينطوي عليها من اخطار في ابعاد الشعب الفلسطيني عن مهماته النضالية ، ليدور حول « ممكنات نظرية » لا تمت الى الواقع الصلي الموضوعي بأية صلة .

بعد عرضه للاسس والاسباب التي جعلته يتقدم بمشروع الدولة الفلسطينية يخصص الكاتب فصولا عدة لعرض الخطوات العملية الواجب اتخاذها لتنفيذ ذلك المشروع .

ويخلص بذلك على ضرورة انشاء «حزب مشروع!» في الاراضي المحتلة يتجاوز المنظمات الفلسطينية والنظام الاردني ويجعل من المقدمات التي ذكرها « ميثاقا وطنيا » لهذا الحزب .

ويستطيع القارئ ان يدرك السبب الذي جعل ابو شلبايه يدعو للتصدي للمقاومة الفلسطينية « وسحب البسط من تحت ارجلها » على اعتبار ان المقاومة الفلسطينية تقف على نقيص كامل لتحليلاته وافكاره واهدافه ، بنفس الوقت الذي لا يجد المرء اية خلافات جوهرية واساسية بين ما يطرحة « مشروع الملك حسين » وبين « مشروع الدولة الفلسطينية » الذي ينادي به ابو شلبايه . فتأتي دعوته للتصدي لمشروع « المملكة العربية المتحدة » مفتقرة الى اية اساس موضوعية او ضمايين سياسية وايدولوجية .

.. ثم يتناول الكاتب مهمات الحزب فيقول « ان الوطنية العاقلة تتطلب تأليف حزب مشروع في المناطق المحتلة يحبل في يده اغصان زيتون ويستغل

الصحيح للقومية العربية هو القادر على الاعتراف
بكيان اسرائيلي غير توسعي (٠٠٠) في جزء من
فلسطين » .

٢

والخلاصة :

يعتبر هذا الكتاب تلخيصا للاتجاهات الاستسلامية
والتصفوية التي تنامت في كنف الاحتلال الصهيوني،
وجاءت نتيجة نجاح العدو في وضع بعض الفئات
الفلسطينية داخل الارض المحتلة ضمن مخططاته
لابراز وجوه فلسطينية تأخذ على عاتقها مهمة
التصدي للمقاومة الفلسطينية وسحب البسط من
تحت اقدامها ، لتصفية القضية الفلسطينية لصالح
العدو الصهيوني الامبريالي .

صحي طه

غسان كنفاني : الآثار الكاملة ، المجلد الاول - الروايات .

(لجنة تخليد غسان كنفاني ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت . الطبعة الاولى :
تشرين الثاني ١٩٧٢)

الثوري العربي - ناقله اياه الى التجذر في مسألة
التحول . حيث البنية القديمة لا تحل انحلالا وسط
الطم الثوري الرومانسي كما في ام سعد ، بل هي
بنية لا يتعامل معها الا من خلال نبض الفعل الثوري
في طريق طويل ومعقد - التحول لا يعود مسألة
الفلسطيني الذي يثور مع المقاومة في انطلاقتها
ويكتشف ضرورة التجذر في بنية التحول ، بل يصبح
الانسان العربي عاريا أمام القمع وأمام تحدي
الفعل .

١ - العاشق : رواية بدأ كنفاني بكتابتها سنة
١٩٦٦ . لكنها توقفت عند لحظة منها ولم تتم . هذا
التسم من الرواية لا يزيد شيئا على معرفتنا بأدب
كنفاني سوى طموحه الى كتابة ادب شعبي ملحمي .
أي ان قصص المقاومة التي عرفناها في مجموعات
كنفاني السابقة ، تعود هنا وبقامة جديدة . انها
نسج حول بطل شعبي يتحرك في جسده الماضي
النضالي المقاوم للشعب الفلسطيني . والرموز تكاد
تكون معدومة . هناك صورة واحدة تتكرر هي صورة
الفرس . الفرس التي ترافق البطل الشعبي
وتتداخل فيه . لكنها تبقى منفصلة عنه في الوقت
نفسه . التسيج « الملحمي » الشعبي الذي أرادته
هذه الرواية لنفسها هو تسيج نضالي ، بمعنى انه

جميع الوسائل النسلية من اجل اغرام الرأي العام
في اسرائيل والعالم ان شعبنا لا يريد الحرب » .
كذلك فقد اعطى الكاتب تفسيرات جديدة للايمان ،
وللقومية العربية والوحدة العربية بشكل يتلاءم
واسس دعوته : فيقول الكاتب « ان الصفة الاولى
التي ينبغي ان تكون عليها عقيدتنا المكتملة هي
الايمان بفلسطين وبالارض وبالشعب » . ولا يجد
القارئ اي عناء في البحث عن المتصود بالايمان
بفلسطين فقد حددها الكاتب بـ « الارض في الجزء
الذي منحته اياه القرارات الدولية من ارض
الوطن » .

وتحت ستار شعار « العقلانية » و « العلمية »
يمضي الكاتب بتقده لكافة المفاهيم التقدمية للقومية
العربية واضعا مفاهيم جديدة لها فيقول « ان المفهوم

رغم كل ما كتب عن غسان كنفاني ، فانه يبقى
مناجنا . يفاجنا بقدرته على الابداع وبفغله داخل
الاشياء والعلاقات ليعيش في الرحم ، في مكان توالد
الانجازات وذوول التجاوز . في المجلد الاول من
آثاره الكاملة ، نتاجتنا ثلاث روايات لم تنته :
العاشق ، الاعى والاطرش ، برقوق نيسان .
وهذه الروايات تنافس لاتها تدفننا الى اعادة
النظر في الكثير مما كتب عن روايات كنفاني . فهو
يتقدم نحو واقعية شفافة تتجاوز « عائد الى حيفا »
ويصل اليها بكثير من الشفافية في برقوق نيسان ،
حيث لا يعود الصوت لام سعد وحدها ، او لصوت
الحقيقة السياسية عارية على وجه سعيد مس . بل
يصبح صوت البرقوق الدامي (الشعر - الرؤيا)
هو الذي يعقد عربة الرواية . وتتحول القصص
الشعبية في العاشق الى رؤى واقعية تنفجر
بالاحساس الشعبي النادر ، حيث الاقدام مغروسة
عميقا في التراب . أما الاعى والاطرش فانها
تعيدنا الى « رجال في الشمس » و « ما تبقى لكم » ،
وإذا كانت الرؤيا الفنية في الروايتين تقودنا الى
احساس حاد بفلسطينية هذا الادب ، فان فلسطينية
المنطلق تقودنا في الاعى والاطرش الى رؤيا شاملة
تمس الانسان العربي - طاعة الفعل في الوعي

الزمني . الزمن الفسيح ، الزمن المترابط حول البطل الشعبي ، حول انتصاراته . انها مقدمة للدخول الى الرواية الواقعية . مقدمة غير مكتلة لام سعد ، ولبرقوق نيسان . وهي من جهة اخرى — تاريخية — تحمل ولعا شديدا بتسجيل البطولة في اطارها الشعبية . البطولة التي تساهم الذاكرة العربية المستقلة بايدولوجية الهزيمة والمبشرين بها . فالبطل الشعبي هو من حيث المبدأ ميدان الذاكرة الجماعية الثورية ، في مقابل ذاكرة الابطال الرسميين .

ب — **الاعمى والاطرش** : مع الاعمى والاطرش ننتقل الى مستوى آخر . الى مستوى البطل الواقعي ، المليء بالرموز . فالرواية تتحرك في اطارين :

١ — اطار واقعي شديد الالتصاق بالمهموم اليومية ، بالمشاكل اليومية ، القسي يخرج منها المستوى الرمزي ، « ان الرغيف هو الشيء الوحيد الذي يمكن أن يرى بالاصبع ، تماما مثلما يرى بالعين » . الواقع المليء بالتفاصيل المنقمة . الاعمى والاطرش تيل اللقاء وبعده امام الولي عبد العاطي ، مع كل المهموم ، ومع الحياة اليومية في مكاتب وكالة الغوث . والناس الذين يموتون والذين يولدون .

٢ — اطار رمزي : يجري فيه انتقاء الرموز بعناية شديدة . اعمى ، لا يرى سوى بيده المائلة بعرق جببة أمه التي تحمله على ظهرها من ضريح ولي الى ضريح ولي آخر . واطرش ، كان لا بد ان يكون اطرش حتى تنقذه عاهته من الموت ، وتحيله الى اداة من أدوات الوكالة ، تستعملها لتلقي الشتائم . وولي ، اليه يجري النظر كي ينفذ المحرومين من « عيشة النكد » التي يحيونها . والسنة هي سنة ٦٧ والحرب والمقاومة ومصطفى خدائي « الطاق طاق » وحمدان ووالده .

الرموز الواضحة ، الشفافة ظاهرا ، تعطي انطباعا بسهولة الرواية ، لكنها تعطى اطارا جديدا . فالواقع — أي الاطار الاول — يتحرك ضمن الرمز — الاطار الثاني — ليخرج من هذه الحركة ارعاص بفعل ما . أو محاولة للتجزر في فعل من مستوى آخر .

عندما يلتقي الاعمى والاطرش امام ضريح الولي عبدالعاطي ، فان هذا اللقاء يأخذ معنى جديدا : « ووضع كفه على كفي . وخيل الي انها التصقت بي الى الابد . اين يمكن لاصم وأعمى ان يلتقيا

يحاول ان يقدم الماضي النصالي على بساط غنائي دافئ . حيث تصير التقنية الروائية اسيرة البعد الذي وضعه الكاتب لروايته . انها رواية تتابع وليست عمل تجاوز للانتاج السابق . تتابع بمعنى النمو الطبيعي ، النمو الذي لا ينجأ وان كان له ايقاعه المتجدد . انه تتابع في اتجاه آخر . فعوض الحاضر ، يعيد الكاتب تضمين الماضي وصياغته . والبطل الشعبي هنا يختلف عن ام سعد ، فاذا كانت ام سعد ، تعبيرا عن الواقع المعاش لرومانسية ابن المخيم الثورية في فترة صعود المقاومة ، فان قاسم أو شتى تنويعات اسم هذا الفارس الشعبي ، هو حلم الحركة المستقبلية موضوعا في اطار الماضي الذي ينظر اليه بشكل متحرك . أي انه الآتي في رؤية الكاتب لماضيه . انه اعادة ترتيب للماضي الذي أريد له ان ينسى في غبار المخيم وعذابات المتفى .

وإذا كان كنفاني يستعمل أسلوبا سينمائيا ، ويترك الماضي يتمازج بالحاضر ، فان الاسلوب ليس أكثر من طريقة لعرض وقائع محددة . يعلم تماما ايقاعها وأهدافها . أي ان هذا المزج الذي لا نجد فيه أي أثر للتعقيد هو محاولة لبسط الماضي أمامنا ، والنظر اليه من مواقع جديدة ، ومتحركة .

« العاشق » توقفت ، فالماضي وحده ، دون الحاضر وأفاته ، أي معنى يصير له ؟ والبطل الشعبي الذي تنسج حوله احلام تحركنا ، الى أي حد يستطيع ان يحتل هذه الاحلام ؟

« العاشق » ليست كتابة وثائقية . انها نسيج للعلاقة مع المستقبل . من هنا ، فهي حلم متوتر ، لكنه حلم لا يطال آفاقه الواقعية . فاللغة تنعقد مخرجة النص من اطاره الشعبية . وتعدد النص هو الذي يحمل آساق الإرادة التي يذكرنا بها كنفاني . ارادة المستقبل ، أي توظيف هذا الماضي في خدمة المستقبل .

هل تقدر الرواية التي تؤرخ ، ان تنسج نفسها حول بطل شعبي ، وتترك نفسها كي تتلفز فوق حدودها الكلاسيكية لتطال المستقبل ؟ كنفاني لم يعطنا جوابا في « العاشق » . بل طرح سؤالاً . فالرواية غير المكتملة ، وفي هذه الرؤية هي مجرد سؤال . النسيج حول الماضي ، هو مجرد مشروع واقعي .

لكن « العاشق » من ناحية أخرى مليئة بالبعد

الا عند ضريح عبد العاطي « ، هذا اللقاء يؤدي الى عمل آخر . فمن دخان الصلوات ، يتولد الجدل الاجتماعي . فالصلوات هنا هي بديل للفعل ، لكنها ارادة تمثل هذا الفعل . من هنا ، عند اللقاء يبدأ التحرك . فيصعد الاعمى على كتفي الاطرش ليلمس وجه عبدالعاطي وليجده فطرا . « انسه فطر ، مجرد فطر ، ثم ادركت انه لا يسمع ، فصحت بصوت عال انه فطر ، فطر ، فطر . اما جواب الاطرش فكان أكثر حدة : « يسبونه ايضا فقعا وسكت . سأطلب كل عمري اضحك على نفسي كلما أتذكر اني جئت اطلب من حبة فتع اذنين اسمع بهما » .

« اثنان من طيرة حيفا ، يلتقيان حول حبة فتع ! ليس ذلك معجزة يا عبد العاطي ؟ » . اثنان من طيرة حيفا ، جمعتها الفجيسة والتتيا . حول اوهاهما ، كلا ليس حول اوهاهما ، بل حول افيون الجمود الذي أورث الهزائم والبكاء ، هذا الايفون الذي هو جزء من بنية التمع . « قلت لنفسي ها قد صار عند الولي جهاز شرطة » . هذا اللقاء يولد ارادة للفعل . يجب قتل الولي ، يجب ان تبول عليه ، يجب اعادة تنزله . لكن ارادة الفعل تأخذ طريقا آخر . فأبو تيس يحلم نفسه يخطب وسط جموع اللاجئين ، ويحلم بهم يصيرون جموعا نائرة تميد الطنين الى أذنيه . ارادة الفعل تتحرك من الواقع نفسه . من اكتشاف منطق علاقته الداخلية .

هذا التداخل بين الاطارين الواقعي والرمزي ، يجد لنفسه خطأ ، يتلون باللونين ، انه اللحن المرسل ، الذي يوقعه كنفاني في المقطعين ٥ و ١٢ من روايته . هذان المقطعان يأخذان تشكيلة صلاة وثنية ، لكنها في الواقع صلاة من نمط آخر . صلاة من نمط السهم الذي تتكشف عنه هذه العلاقة بين الاطارين . الواقع يستحيل رموزا تتداخل في بنيته . ومن خلال علاقة الولي ، بالاعمى والاطرش ، تتكشف علاقة الاطرش بمصطفى وعلاقة الاعمى بحمدان . مصطفى هو الشخصية للواقعية مئة في المئة في هذه الرواية لكن واقعيها هي الواقع الذي يراد تجاوزه ، والتخلي عنه . وعندما تتوقف الرواية عند ارادة هذا التجاوز الذي لم يتحقق ، فان كنفاني يترك الواقع نفسه يتحرك فينا . لقد رسم هو سهم هذا التحرك . « وانا الاعمى الذي اعرف ان المعجزة انها تجترح من القاع ، فالمعجزة

هذا التداخل بين الاطارين الواقعي والرمزي ، يجد لنفسه خطأ ، يتلون باللونين ، انه اللحن المرسل ، الذي يوقعه كنفاني في المقطعين ٥ و ١٢ من روايته . هذان المقطعان يأخذان تشكيلة صلاة وثنية ، لكنها في الواقع صلاة من نمط آخر . صلاة من نمط السهم الذي تتكشف عنه هذه العلاقة بين الاطارين . الواقع يستحيل رموزا تتداخل في بنيته . ومن خلال علاقة الولي ، بالاعمى والاطرش ، تتكشف علاقة الاطرش بمصطفى وعلاقة الاعمى بحمدان . مصطفى هو الشخصية للواقعية مئة في المئة في هذه الرواية لكن واقعيها هي الواقع الذي يراد تجاوزه ، والتخلي عنه . وعندما تتوقف الرواية عند ارادة هذا التجاوز الذي لم يتحقق ، فان كنفاني يترك الواقع نفسه يتحرك فينا . لقد رسم هو سهم هذا التحرك . « وانا الاعمى الذي اعرف ان المعجزة انها تجترح من القاع ، فالمعجزة

ج — برفوق نيسان : برفوق نيسان هي الاستعادة . القطيعة التي اعلنتها « عائد الى حيفا » عبر تمزية سعيد س. ، وادانته ، وسحقه واحتقار دموعه . تستعاد هنا بشكل آخر . ابو القاسم الذي ينكر جثة ابنه الشهيد هو الوجه الآخر لسعيد س. هو وجه الهرب الذي استعاد وعيه في حيفا عبر الضربة الساحقة — هزيمة حزيران — ليستعيد هنا وعيه ثانية عبر وردة البرقوق الحمراء . عبر سعاد وحركيتها النضالية ، التي هي واقع التحرك في اتجاه المقاومة . فاذا بهذا التحرك يحيل ابا القاسم من سعيد س. آخر الى مناضل من نمط جديد .

الرواية تتحرك عبر خطين متوازيين :

١ — خط الواقع : الذي تمثله الهوامش .

فالهوامش هي نمط جديد من التداخي الذي يلجأ إليه كنفاني . لكنه نمط واقعي . فالتداخي هنا يستعيد الواقع ، يرسم خلفيات شخصيات روايته ، يوظفها ، ويرينا كيف يتحرك المتكلمون عبر خطوط هذا الواقع ، كما في شخصية سعاد . أو أنه يكتفي برسم الاطار الخلفي للشخصيات الذي يضيء حركة الرواية ، ويزودنا بمعرفة خلفية واقعية الذي يجري على سطح الواقع .

٢ - خط الحركة : حيث يستحيل الواقع الى سهم متحرك ، حيث السطح هو حركة علالة الشخصيات ببعضها البعض في اطار التحرك الثوري ، عبر هذين الاطارين يتحرك الشاعر في كنفاني ، فكنفاني هنا هو رجوع الصورة الواقعية . هو غطاؤها الفني . حيث هناك حركة ثالثة تتحرك في تجاوز لشخصيات الرواية . انها الشعر . حين تضيء الهوامش الخلفية الواقعية للرواية ، فاننا ننقل الى جو مألوف ، ولكن هذه الالفة التي لا تنقطع من خلال جو الحركة لا تلبث ان تنقطع مع الرجوع الفني . الكاتب هنا ، ليس محرك الواقع . الواقع يتحرك وهو يتدخل في حركته من آن الى آخر . لكن الكاتب هو صوت مختلف . انه ينقل هذا الواقع ويعيد صياغته من جديد : « عندما جاء نيسان ، اخذت الارض تتضرع بزهر البرقوق وكانها بدن رجل شاسع ، مثقب بالرصاص . كان الحزن وكان الفرح المختبئ فيه مثلما تكون الولادة ويكون الالم ، هكذا مات قاسم قبل سنة » . هذا الصوت لا يفرض نفسه على سير الاحداث انه يفرض ايقاعه عليها . يعاملها بالشعر وينفصل عنها دون ان يبتعد .

السياق الذي تجري ضمنه الاحداث ، سياق شديد الواقعية ، فالواقع هو الذي يفرض ارادة تخطيه ، طريق الخلاص الوطني تأتي من الاحداث نفسها . فالرجل الذي انكر جسد ابنه الممزق بالرصاص لا يلبث ان يعي دوره النضالي ويتحرك بأسلوب جديد على فهمه القديم . والحركة نفسها ، هي التي تضم العناصر جبيها اليها . عندما تستجوب الرواية الواقع ، فانها تضعه في اطاراتها الخاصة ، لا تستغل عليه شيئا . فقط ترسم له اطاره ، وابطال الرواية هم الذين يصنعون حركتها .

كنفاني في « برقوق نيسان » عاشق من نوع خاص

جدا . عشقه للارض يدفعها الى الامتداد في داخل لغته ، امتدادا صاخبا . والرصاص ينبت زهرا على جسدها ، والبرقوق يصبح دماء المقاتلين . هذه الحركة الفنية تعطي للقصه عمقا جديدا . انها بحث عن آفاق المقاومة . الصوت الشعري الذي يتردد صدها في تقاطيع الكلمات ، هو في الواقع بحث عن الانق . كنفاني يجعل من الانق بابا مفتوحا ، انه يستعير حادثة جزئية ، يستجوبها في سبيل ان ينهمر عليها شاعرا من نمط مختلف . هذا في رأينا هو الذي يبرر الانتقال من اطار شديد الحساسية الرمزية ، وشديد الانتفاء الى عملية البحث عن افق جديد ، الى رواية واقعية ، تنبع في الواقع مسيرته في « ام سعد » وفي « عائد الى حيفا » ولو من زاوية مختلفة . كنفاني يستجمع الحدث الصغير ، يتركه ينمو ويكبر ، ويمتد شاعرا في تقاطيع الكلمات . ان هذا لا يعني فصل الشعر الذي في الرواية عن مضمونها الاجتماعي بالقدر الذي يعني ، البحث عن مستقبل نشته الكلمة بنفسها وبالصورة الدامية ، كما في هذه الرواية . واذا كان الحدث شديد الصلة بالية التقدم في حركة مقاومة وطنية ، فان اللغة الشعرية شديدة الصلة هي الاخرى باتفاق هذا التقدم المرتبط بالارض ، وبالدماء التي تشربها هذه الارض وبالارادة التي تتجلى عبر التعامل معها .

في رواياته الثلاث فير المكتبة كحياته ، يعود كنفاني الينا على فرس الكلمات مزودا برؤيا شاعرية شديدة الشفافية ، حاملا معه فلسطين التي تتجاوز نفسها باستمرار . فلسطين الرؤيا هي فلسطين برقوق نيسان الذي يتجمع في القبضة التي تتحجز . كنفاني في خط رواياته يتقدم نحو القدرة على التحرك من ضمن حركة الواقع ، وهو في كل ما كتب ، في كل رموزه ، وصوره الشعرية ، كان يتقدم ليس نحو الواقع ، بل نحو مستقبل هذا الواقع . وهنا تقع اهميته التاريخية .

قدرته على ان يتحول داخل جسد فلسطين ، الى رؤيا غير مكتملة المعالم . تاركا الواقع الذي تصنعه الجواهر ان يكمل هذه الرؤيا وان يحدد معالمها .

اليناس خوري

الاسرائيلي بقوله : « ان اسرائيل ، منذ ١٩٤٨ ، لم تقم ابدا بحماية حدودها وراء شبكة من الاسلاك الشائكة او خلسق خط من التحصينات . ان الدفاع ... كان وسيبقى الهجوم ، الهجوم على العدو فوق أرضه بالذات » . ومرارا يؤكد دايان مبدأ « الهجوم الدائم » ، ولكنه يشير الى « الهوة بين القيم السائدة في الحياة المدنية وفي الحياة العسكرية » . ويذهب الى القول انه لا يوجد « اي تمييز طبقي » داخل الجيش ، اذ ان الضباط تعلموا ان لا يحاربوا وراء جنودهم ابدا ، بل ان يحاربوا امامهم دائما او قدر الامكان : « هذا هو سر قوة جيشنا » .

٢ - القسم الاول من الكتاب يضعه مؤلفه في حدود ايار ١٩٦٨ ، ويبدأ بالحديث عن كمين نصبته وحدة من المظليين الاسرائيليين للفدائيين على ضفة نهر الاردن . ويأخذ الكاتب برسم مزايا الجيش الاسرائيلي :

— قلة الكلام ، والانشغال الدائم بحل مشكلة « الانتصار الدائم » . وهذا يعني ان الجيش الاسرائيلي لا يفسح له المجال ابدا بطرح مشكلات الوعي والتوجدان او الضمير .

— الجندي الاسرائيلي يجب ان يعرف كل شيء يتعلق بالوامر المعطاة له ، ولهذا بات قادرا على الحلول محل الضباط او نائب الضابط .

— الجندي الاسرائيلي يعيش نصف حياته في الحرب الدائمة ، ونصفها الاخر في اغلام الكوي — بوي .

— الاسرائيلي يقتل بدون تردد وبكل بساطة ويرودة اعصاب .

— في الكمين الذي ينصبونه للفدائيين يقتلون ويجهزون ايضا على الجرحى — كمين ابادة .

— الجنود الاسرائيليون يفضلون سلاح الكلاشينكوف الهجومى على الرشاش « عوزي » .

— الضباط يسرون دائما في المقدمة ، ولهذا كانت نسبة الضباط القتلى خلال حرب ١٩٦٧ حوالي ٣٠٪ من مجموع الخسائر الاسرائيلية .

— اذا كان الاسرائيليون يعرفون نقاط مرور الفدائيين ، فان الفدائيين يعرفون بدورهم كمين المظليين ، واحيانا يلغونوا .

صدر مؤخرا في باريس كتاب « أسوار اسرائيل » لجان لارتيجي ، مع مقدمة لموشي دايان ، وعنوان صغير : « اسرار الجيش الاكثر سرية في العالم » . يقع هذا الكتاب ذو الحجم الصغير في ٣١٧ صفحة ، وهو من منشورات دار « برمس بوكيت » (باريس ١٩٧٢) . ويرمي واضع هذا الكتاب الى ان يحكي حكاية الجيش الاسرائيلي بأسلوب ادبي يجمع بين اشكال التعبير الصحفي (مقابلات عديدة) والتصوير الميداني (زيارات اماكن في الارض المحتلة) وبين النبوءات التاريخية السريعة — الذبورية غالباً . والكاتب يعزل موضوعه عن كل ابعاده الراهنة وعن كل مدارات الصراع في الوطن العربي ، ويحصر تفوق البنية العسكرية الخاصة بالمجتمع الاسرائيلي ، بالجانب النفساني المتفوق عند الجندي الاسرائيلي . جيش اسرائيل عو سورها وسرها : هذه هي الموضوعة الاساسية التي ينطلق منها الكاتب . ثم يبرهن انه لا يوجد سور ولا سر . اذن كيف يفسر الكاتب ظاهرة العسكرية الاسرائيلية وبماذا يبرر حروبها المتتالية وما قابله من هزائم عربية ؟

لا بد من التوضيح ان كتاب « اسوار اسرائيل » يتبع المنطق العام للغزو الاسرائيلي ، والمهم فيه هو انه يحاول كشف مزايا الغزاة ، مع نقد جانبي لبعض مفاصلهم . ويتأرن هذه المزايا ، من وجهة نظر الاسرائيليين ، مع ما يقابلها عند العرب .

ينقسم الكتاب الى قسمين : القسم الاول من ١١ فصلا : كمين على نهر الاردن ، اعراس القدس ، النبي المسلح ، كومنندوس نصف الليل ، الجيش المنزق ، المراج ، كوكبة المدرعات ، جنسالات وكولونيلات اسرائيل ، المظليون امام حائط المبكى ، صورة الجندي الاسرائيلي . والقسم الثاني يتألف من مقدمة وفصلين : الفلسطينيين ، وعزلة اسرائيل . ونحن سنحاول استعراض نظرة الاسرائيليين الى انفسهم بالذات .

١ — في المقدمة الصغيرة للكتاب ، يشيد دايان بـ « المزايا المعنوية » و « النضحية » التي يتصف بها جنوده ، ويركز على تكييف الجيش مع الاوضاع الخاصة بمنطقة الشرق الاوسط ، (مدرعات مظليون ، طيران) . ويحدد مفهوم الدفاع

— قتل الفلسطينيين هو نوع من **الصيد العادي** في نظر الاسرائيليين . ويعترف الاسرائيليون بسأن « الفلسطينيين شجعان ، ولكنهم غير مجربين كفاية ، وسلاحهم جيد جدا » .

— يطلق الاسرائيليون اسم «فتح» على كل منظمات المقاومة الفلسطينية ويخشون من الفدائيين العاملين بكل وضوح من أجل اهداف واضحة ومحددة : « استعادة ارضهم السليبية بالانضال لا بالكلام ، والتحرر من سحر الكلام الذي يدمر كل الانظمة وكل حركات المقاومة » . ولهذا فان الجنود الاسرائيليين الشباب بدأوا يشعرون بتقدير معين لهؤلاء المقاتلين الفلسطينيين .

— الجندي الاسرائيلي فردي جدا ، يشعر بالخطر الداخلي عليه — خطر مجتمع الاستهلاك — ويعتبر انه لا يحق له ان يخسر معركة واحدة .

— الجيش الاسرائيلي عجيب : منضبط وغير منضبط في آن واحد ، يأكل حسب وصايا التوراة ولكن ٨٠٪ من جنوده ملحدون او ضد الدين .

— الجندي الاسرائيلي مصاب بـ « عبادة طفولية للاسرار » ، فيرى الجواسيس في كل مكان ، ويعتبر ان اقل نقد له هو دليل على « العداء للسامية » . فضلا عن ذلك فهو يجمع بين الطاعة المطلقة للاوامر وبين الفلق والصلف .

— يعتبر الاسرائيليون ان العرب متعاطشون للعداوة المتسخمة ، وهذا مما يجعل العرب لا يؤمنون بشيء ولا يصدقون ما يسمعون .

— الجنود الاسرائيليون يبحثون عن القتال الفلاحمي ، وذلك لاعتمادهم بأن العرب يخافون من القتال المتلاحم ، وانهم يتخيلون كثيرا في الليل خاصة ، غمرون حفنة من الاسرائيليين وكانها الوف من الاعداء .

— الكمين المنصوب للفدائيين لم يقع فيه اي اشتباك ، ويكتفي الكاتب ، كما رأينا ، بابرار جزايا وصفات **المغامر العسكري الاسرائيلي** ، المأخوذ بحلم « اورشليم الذهبية » ، على طريقة الوسترن الاميركي مع الهنود الحمر .

٣ — يتحدث الكاتب عن الاستعراض العسكري الاسرائيلي في ايار ١٩٦٨ . يقول : في القدس سبعون الف عربي ، مسيحي ومسلم ، يرقصون الغزو ، ويشبهون يهود اسرائيل بالصلبيين الذين

مكتوا قرنا في فلسطين ثم اخرجوا منها . في الاستعراض انطلقت اغنية حرب الايام الستة ، وهي اغنية اسطورية حاملة : « اذا نسيتك يا اورشليم ، اورشليم الذهب الخالص .

ظيهرق اسمك شفاهي كقبلة الملك الناري . يا اورشليم الذهب والنحاس ، والنور ... » ثم يكشف الكاتب ان حملة الاسرائيليين على مخيم الكرامة كانت الغاية منها تأمين نجاح هذا الاستعراض .

٤ — « النبي المسلح » هو داغيد بن غوريون ، لانه لا يريد السلام ، اي سلام . يقول : « ان الصهيونية الوحيدة ، الصحيحة ، هي استعمار فلسطين ، وكل الباقى ما هو الا خداع وثرثرة واضاعة وقت » . لقد كان بن غوريون يدعي « الاشتراكية » واذا بها تحي امام العنصرية الصهيونية . ولقد علم الاسرائيليين حب التجسس والتكتم وايضا الانتقاسات الحزبية والكره الداخلي المتبادل . وهو يشعر دائما بحاجة الى « اذلال خصومه » . ويعتبر بن غوريون ان الحرب الدائمة تنفذ الجيش من ازماته وصراعاته الداخلية ، فهو لا يؤمن ابدا بـ « السلام العربي » ، وعلى هذا ربه تلميذه العسكري موشي دايان وسواه . ولا يوجد في الجيش الاسرائيلي « اوامر » الى الامام ، وانما هناك امر واحد : « اتبعوني » . ويسأل الكاتب بن غوريون عبا اذا كان على اسرائيل اعسادة الاراضي التي احتلتها في حرب الايام الستة ، فيجيبه : « اذا كان علي ان اختار بين السلم والحرية فحسب ، فسوف اختار الحرية واقول انه يجب الاحتفاظ بالاراضي المحتلة . ولكنني اتمسك بالسلم والحرية معا . ولهذا فليس علينا سوى الاحتفاظ بالاراضي المحتلة ، اذ ان الشرق الاوسط في تبدل دائم ، والسلم لا يمكن ان يقوم الا بدعم القوى الكبرى : اوروبا ، روسيا وامريكا ... واوروبا وحدها تستطيع ان تقودنا الى السلم ، ولكن اوروبا متحدة » . ويدعي بن غوريون ، فيما يدعي ، بان الاسرائيليين « هم حقا فيكونغ الشرق الاوسط » ، ولكنه يشير الى ان تاريخ اسرائيل هو **تاريخ عسكري** ، وان « الاسرائيليين ليسوا رحيمين مع اعدائهم المقهورين » و « الجيش لن يسقط ابدا » .

٥ - وينتقل الكاتب الغرلمسي ، جان لارتيفني الى سرد حكاية الجيش الذي يريده الاسرائيليون « اسطورة الاساطير » فهو كما يصفونه عجيب في كل شيء ، فريد من نوعه في العالم . ولكنهم لا يستطيعون ان يصدقوا ذلك دائما . وهذه ستكون نقطة ضعفهم في النهاية . لقد بدأوا بتجربة مستوطنات « ابناء الموت » ، « واثبتوا عدم تخافهم فيما بينهم » ، فكان شعارهم ، بعد ظهور منظمة الحرس السري « الهاشومير » : « لقد سقطت يهودا في الدم والنار ، وستنهض يهودا في الدم والنار » . ثم اتاموا « مستوطنات زراعية » و « مستوطنات عسكرية » ، ومارسوا « المقاومة » الداخلية والخارجية ، ومع الانكليز انشأوا « منظمة الدفاع اليهودية » التي وصفوها بانها « سوداء بيضاء » اي قادرة على التقلب حسب الاوضاع السياسية ، ومارسوا كل الوان القتل والحرق والتعذيب والسلب والاحتلال ، وتجسروا في كل مكان ، وكونوا مع الانكليز ايضا « البوليس الريني » ، ولكنهم انتهوا حيث بدأوا : الغزو الدائم ، الحرب الدائمة . لقد اصبح « الارهاب الاعمى هو الحل الوحيد المناسب لوجودهم ... » . ومع ذلك ففي اذار ١٩٤٨ خسر اليهود معركة الطرقات في كل فلسطين ، والذي انقذهم هو عدم التصميم العربي على القتال واسترسالهم في خلافاتهم الذاتية . العرب الذين اوقفوا القتال ارتكبوا خطأ مبيتا ، سيكرر مرارا ، وسيقتض اسرائيل . ولكن ذات يوم قد لا يرتكب العرب هذا الخطأ . لقد عاد العرب الى حرب العصابات ، ولكن الامور تبدلت : فالهجوم اصبح استقرازا يجر اسرائيل الى حرب انتقامية . في حرب ١٩٤٨ ، قاتل الفلسطينيون بحزم ، وخسر اليهود ستة الاف قتيل ، وفي حيلة ١٩٥٦ خسروا ٢٠٠ قتيل خلال عشرة ايام ، وفي ١٩٦٧ خسروا ٨٠٠ قتيل خلال ستة ايام . وهذا يعني ان الحرب الطويلة هي الخطيرة فعلا على اسرائيل .

٦ - الجيش الاسرائيلي ، « اسطورة الاساطير » له ازماته الخطيرة ، التي يستعرضها الكاتب بالتحديد : ازمة ١٩٤٨/٥/٣ عندما قام بن غوريون بابعاد اسرائيل غاليلي ، وكانت هذه الازمة الاولى ازمة قيادة وسلطة . ثم الازمة الثانية وهي اخطر من الاولى ، اذ قام جنود اسرائيليين باطلاق النار على بعضهم بعضا ، عندما اندلع الصراع بين الهاغانا والايروغون والشترن ، فسقط اربعون

قتيلا ، واخذت الاذاعة السرية تتهم بن غوريون بالجبن والحماقة والديكتاتورية ، وكان وراء هذا الصراع بيجن وعمسابة الايروغون .

اما الازمة الثالثة فكانت في ايار ١٩٦٧ ، قبيل الحرب بالضبط . وهذا ما يؤكد الجنرال رابين : « لا اعتقد انه كان بالامكان وقوع انقلاب عسكري في اسرائيل ، ولكننا كنا قريبين جدا من وقوعه » . وانهار الجنرال رابين عصبيا ، وعاشت اسرائيل اسبوعا من الشعور بالنكبة ومن اليأس ، وتقررت الحرب ضد العرب لانهاء ازمة الجيش الاسرائيلي الذي لا يزال يتصرف وكأنه وحدة من الكومندوس . يقول جسان لارتيفني (ص ٩٩) : « في تموز - يوليو - ١٩٦٨ قام الكولونيل ريغيف ، قائد كتية المظليين (ورتبة كولونيل توازي في فرنسا رتبة جنرال بنجمتين) ، بنفسه وعلى رأس بضعمة رجال ، بطاردة مجموعة فدائية فلسطينية اقدمت على اجتياز نهر الاردن . ويبلغ ريغيف من الخامسة والثلاثين ، ويعتبر واحدا من افضل الاختصاصيين في مكافحة حرب العصابات ، فقتل في معركة التحام مع رجال فتح . واعترضت الحكومة الاسرائيلية وتساءلت اذا كان من الضرورة المطلقة تعريض كبار الضباط للثيران مثلما يتعرض لها الجنود العاديون ... » . ونعتقد ان في هذا القول ما يدحض نظرة الاسرائيليين القائلة بخوف العرب من القتال المتلاحم وفي الليل .

٧ - يقول لارتيفني ان السلاح الفعال في الجيش الاسرائيلي ليس الطيران ولا المدرعات وانما المخابرات التي تضم « رسيا » خمسة اجهزة متميزة : مخابرات الموساد العاملة في الخارج والمرتبطة برئاسة الحكومة ، المخابرات العسكرية او المكتب الثاني : جهاز الامن الداخلي والجاسوسية المضادة ، جهاز الابحاث والوثائق (الخارجية) ومهمته درس الوضع السياسي في البلدان العربية المجاورة ، واخيرا جهاز الاستقصاءات . ويعتقد هذه الاجهزة معا مسؤول ايسر هاريل ، ثم ياريف . وهنا ايضا اسطورة وتضخيم ، ولكن لا شك في ان المخابرات الاسرائيلية تلعب دورا خطيرا وتستند الى المخابرات الغربية . اسطورة لان الاسرائيليين يدعون معرفة كل شيء عن العرب ، والعرب يدورهم لا يعرفون شيئا ، وتضخيم لان محدودية عملاتهم تجعل من المستحيل التصديق بأن كل الوضع العربي مكشوف لاسرائيل .

صحيح ان الاسرائيليين يستفيدون كثيرا من اخطاء العرب العسكرية والسياسية ، ولكن هذا لا يعني انهم يدورهم بدون اخطاء قاتلة ، لا يستفيد منها العرب في نخالهم . ان ياريف يعترف بما يلي : « ان الحرب مخشنة ولهذا فاننا لا نترك الجنرالات يهرمون في مناصبهم ... ومن ثم فوضعتنا غير مؤوس منه بعد ، ومن واجبا ان نجني مسن انتصارنا الحد الاقصى من المكاسب الاستراتيجية ... ومن جهة ثانية فان العرب لن يبدلوا على الفور موقفهم وسلوكهم ... ففي الاراضي المحتلة نرى زيادة السكان العرب مليوناً ومائة وعشرين ألفاً ، وعندها نثار مشكلة التخريب . واعتقد اننا سنواجه متاعب من هذه الجهة بالذات ، وانها لمتاعب خطيرة » . « ان السكان العرب لا يحبون الاسرائيليين » وهم يشعرون بانهم مرغون على القتال وعلى مساعدة مقاتليهم . يقول لارتيغي : في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، عندما رجعت الى اسرائيل ، كان الجنرال ياريف ومخابراته يتعرضون لمتاعب خطيرة . لم يكونوا قد تطلوا كثيرا من تقديرهم للعرب ؟ ويشير لارتيغي الى محاولات المخابرات الاسرائيلية الرامية الى التغلغل في اوساط الاطياف داخل البلدان العربية .

٨ - وينتقل الى قضية طائرات الميراج المعلقة بين فرنسا الديغولية وبين اسرائيل ، ملحا الى ان « العقيدة الاسرائيلية قائمة بمجملها على الهجوم والحرب الخاطفة ، وان تعبت ١٢٪ من السكان الشباب والعاملين تشل اسرائيل ، فضلا عن ان الجنود الاسرائيليين المبالغ في تدريبهم واعدادهم للحرب لا يستطيعون ان يصمدوا اكثر من شهر ، بدون ان يتعرضوا للانهيان ، ولا يجوز لهم ان يخوضوا حربا في مواقعهم ، وانما حربيهم في مواقع الاخرين . اذن جيش اسرائيل هو قوة صدامية قادرة على التدخل المبالغ السرعة والمبالغ الوحشية في اراضي العدو . ولكن هذا الجيش لا يمكنه ان يكون فعالا الا اذا كانت السماء خالية من الطائرات المعادية » .

ان الاخطاء والنواقص موجودة عند الاسرائيليين والعرب ، ولكن هؤلاء الاخيرين لا يستفيدون الا نادرا من اخطاء الاوائل . يقول لارتيغي : « هنا اي بلد غريب هي اسرائيل حيث يخفون عليكم مفتاح حقل العمليات كما لو انه سلاح سري ، وحيث ينشر قائد السلاح الجوي في جريدة واسعة

الانتشار كل اسرار الاستراتيجية الجوية في بلده » . ان « الدفاع » الوحيد لاسرائيل هو بالطبع سلاحها الجوي ، والسماء هي ميدانها المتوخ الوحيد : « الارتفاع والاقق هما عقبتنا الاستراتيجي » - هذا ما يقوله الجنرال وايزمان .

ويوضح لارتيغي ان طائرات اسرائيل مزودة دائما بالقنابل والنابال ، وان الطيارين في شركة العال كلهم ضباط في الجيش ، ومعظمهم من الكيبوتسات (٢٥٪ من طياري اسرائيل) . وبخجل يفصح لارتيغي مزاعم مصدثيه الاسرائيليين : « اصنعوا جيدا : طوال حرب الالام الستة في المعركة الجوية لم تتمكن اية طائرة معادية من اسقاط طائرة اسرائيلية واحدة . فكل معاركتنا الجوية كانت معارك مطاردة . ولم نتجابهنا ايدا اية طائرة ، حتى الميغ ٢١ . لقد شربناها من خلف . (هذا غير صحيح) . لقد سقطت طائرات اسرائيلية في المعركة الجوية : ثلاث طائرات بالضبط » (ص ١٥٤) . ويكشف كيف انتقل طيارو شركة العال الى طائرات حربية واشتركوا في القتال سنة ١٩٦٧ ، ويشدد على ان انتصار الطيارين الاسرائيليين كان بالدرجة الاولى بسبب اخطاء الطيارين العرب ، وثانيا بسبب التدريب الجيد ، وثالثا بسبب « الخوف المقدس » الذي بذروه في قلوب العرب .

٩ - يتبين من كل ما تقدم ان الجيش الاسرائيلي هو جيش غزو دائم ، ولا يمكنه في حرب الحركة الا ان يحارب في اراضي العرب الاخرى . ويتساءل كيف يعمل السلاح الاسرائيلي المدرع ؟ اولا : وفقا للسيطرة المطلقة على الجو ، وثانيا بالانفاذ من خطوط دفاع العرب غير المتصلة . ويعترف لارتيغي ان المدرعات المصرية في سيناء قاومت في كل مكان، ولكن الطيران الاسرائيلي والمظليين ضربوها من خلف ، وان المظليين الاسرائيليين تكبدوا خسائر فادحة (اكثر من ٥٠٪) ، ويعترف بان « الفلسطينيين قاتلوا ببسالة في غزة » (ص ١٧٢) . وبعد ذلك يتحدث ، بأسلوب دعائي صريح ، عن جنرالات اسرائيل وكولونيلاتها . والاسرائيليون هؤلاء يطيب لهم تأكيد اللازمة الدائمة : « ولكن انتصارنا لا يعود الى العتاد ولا الى التكتيكات ولا الى القادة الذين يستخدمونها او الذين وضعوها ، وانما يعود الى الجندي الاسرائيلي ... المطبوع قبل كل شيء بتدريبه المظلي » (ص ١٩٤) .

١٠ - فمن هم هؤلاء المظليون ؟ انهم يعتبرون

— عندما لا تنظقي أي أمر به تصور الأمر الممكن ،
 — في حالة الشك اضرب . اقرب طريق الى الامن
 هي طريق الهضبة المعادية ،
 — لا تهاجم مجابهة ، فهناك عادة طريق افضل ،
 — اذا هاجمت مجابهة ، فليكن هدفك محصورا ،
 — عندما تكون القوات مستنفدة ، توقف ، ودعها
 للراحة ،
 — لا تؤخر القتال بسبب الافتقار للتبوينات ،
 تصرف وكأنها في طريقها اليك ،
 — عندما تسلط النيران عليك ، الحركة افضل من
 الارتواء ارضا ،
 — وعندما تهاجم ، تشجع ، تجاسر ، تجاسر .
 هذا هو تكتيك الكومندوس الذي لا قيمة له بدون
 نوعية الانسان وعزمه .

١٢ — ومع ذلك فاسرائيل تعاني العزلة ، ويواجهها
 الخطر اللامسطيني ، الذي تحاول حله بواسطة
 الزمن و « التنازلات » والابادة . ويعتبر
 الاسرائيليون « ان الفلسطينيين ، بدون ارض ،
 هم عنصر من العناصر الاكثر ديناميكية وانفتاحا
 في العالم العربي » . واليوم يعيش مليون ونصف
 مليون فلسطيني داخل « اسرائيل الكبرى » مقابل
 ٢٢٠٠٠٠٠ يهودي . « ولقد تكبد جيش اسرائيل
 سنة ١٩٦٩ خسارة بالارواح بلغت يوميا ثلاثة
 قتلى ، وهذه خسارة باهظة جدا على اسرائيل ،
 باهظة اكثر من حملة سيناء وحرب الايام الستة »
 (ص ٢٧١) ، « وفي المقابل لم تتمكن اسرائيل من
 القضاء على المقاومة الفلسطينية ، بل ان المقاومة
 لم تزد الا توطيدا . واذا كان هناك فشل
 اسرائيلي ، فهو هذا بالذات » (ص ١٧٦) . واما
 عزلة اسرائيل فهي دائمة . لماذا ؟ « لان اسرائيل
 لكي تعيش يا سيدي تحتاج الى الحرب اكثر مما
 تحتاج الى السلم » — هذا ما قاله شمعون بيريز
 لجان لارتيغي (ص ٣١٥) . ويختم لارتيغي « ولكن
 الحرب ضرورية للعرب ايضا . فهذه الحرب ضد
 اسرائيل هي بالنسبة الى العرب الوسيلة الوحيدة
 لقيام نقطة مشتركة بينهم ، ولاعطاء معنى لمبوس
 للقومية العربية هذه التي اصبحت على كل سنة
 ولسان » (ص ٣١٦) . وهذا الكتاب يبقى له
 قيمة تعريفنا بالعدو الاسرائيلي .

الدكتور خليل احمد خليل

« الحرب عملية كومندوس واسعة تشمل ابعاد
 الحسب الكلاسيكية » . اذن المظليون هم
 الكومندوس الذي « يضرب بسرعة وبقوة » . « من
 المكتبة الى الفرع ، تعمل كل وحدات الجيوش
 الاسرائيلي وفقا لاسلوب الكومندوس ولروحيتهم »
 اسلوبهم : مفاجأة ، ضرب ، اختفاء . « جنودنا
 يظهرون هناك حيث لا ينتظر احد ظهورهم ، ولا
 يتوقفون ابدا ، بل يتوغلون دائما نحو الهدف
 المتشود . وهذا الهدف هو دائما تدمير جيش
 العدو » . المظلي هو الفدائي بالضرورة ، يتدرب
 ليلا ، ينام قليلا ، ويحمل ما خف وقل . يقول
 الجنرال اوزي ناركيس : « اتدر بشهرين امكانية
 المقاومة في المعركة التي يمكن الجندي الاسرائيلي
 الطليعي الصمود فيها . اذن نحن مرغون على
 شن الحروب السريعة . والحرب الاخيرة استمرت
 ستة ايام » . هذا درس كبير للعرب . تعاليمهم
 هي : « العربي يخاف من الليل ، فكونوا جنود
 الليل . العربي يخاف من الالتحام والسكين :
 فقاتلوا بالسكين وبالالتحام . والذي يخيف الاخر
 يكسب اذا استفاد من تقائصه » . ولتدريب
 المظليين غايتان : الاولى تزويدهم بالقدرة القتالية
 وهذا امر سهل ، والثانية اثارة رغبة حقيقية في
 القتل عندهم .

١١ — يرسم الكاتب صورة غريبة وعجيبة للجندي
 الاسرائيلي ، على مثال الجيش الاسرائيلي الذي
 « لا يميز الضابط عن الجندي » . ويذهب ابعد من
 ذلك مدعيا ان اسرائيل بلد بدون طبقات ، وجيشها
 بدون طبقات (ص ٢٣٢) . ثم يتحدث عن تعبئة
 الفتيات للقتال بين ١٨ و ٢٠ سنة لمدة ٢٠ شهرا ،
 ويذكر انه مما يسهل ذلك هو « المدرسة المختلطة
 في كل الاعمار » . وتبلغ نسبة النساء في الجيش
 الاسرائيلي العامل ٣٥٪ . ويوضح ان الخدمة
 العسكرية النسائية تلعب دورا تربويا كبيرا ، وان
 جيش النساء خاضع للنساء (العقيدة ستلا ليعي) .
 واما الوحدة العسكرية الاسرائيلية فهي تضم
 العناصر الذكية والقل ذكاء ، القوية والضعيفة ،
 الجديدة والقديمة . وينقل لارتيغي المبادئ
 الاساسية للتكتيك الاسرائيلي عن الجنرال مارشال
 في كتابه Sinai Victory ، وهي :
 « — القيادة تعني الانتقال الى درجة الخطر
 الاعظم ،
 — لا عذر لمن يبقى متأخرا ،

تقديمية ، وخاصة مصر ، حظيت ببركة المجلة » .
الا ان ما اورده من اقوال المجلة بهذا الصدد
اظهر ان المجلة لم تعط بركتها للنظام المصري
(الناصري آنذاك) ، بل كانت مترددة بشأنه كما
عبرت عن تخوفها من « ديكتاتورية (ناصر) وتهدداته
ضد اسرائيل » . كما اخبرنا المؤلف ان المجلة دعت
الى انسحاب بريطانياه (من مصر ؟ ص ٨٠) وان
دعوتها هذه جاءت انطلاقا من « مبادئها
الاشتراكية » ، الا انه اخبرنا انها دعت ايضا الى
« الحفاظ على النفط » . وقد اخبرنا المؤلف ان
المجلة ايدت حتى عبدالناصر في تأميم قناة السويس
ولكنها عارضت حقه في منع الملاحة الاسرائيلية
فيها . ويقول المؤلف ان مواقف المجلة (المتناقضة
هذه ؟) جعلتها محط انظار « المثقفين العرب » الى
ان ادى موقفها من فلسطين والصهيونية الى
« افتراق الطرق » بين المجلة و « العالم العربي » ،
حين اتضح ، على حد قول المؤلف (ص ٩٠) ،
« ان المجلة ايدت العدالة في كل مكان باستثناء
فلسطين » . الا ان المؤلف لم يجد اي ضرورة
لتحديد من هم هؤلاء « المخرون العرب » ، كما انه
لم يخبرنا متى تم « افتراق الطرق » !

قدم المؤلف عرضه لموقف المجلة من المسألة
الفلسطينية بداية بالحرب العالمية الاولى واظهر
انها دعت الى تأييد الصهيونية طوال الفترة منذ
ذلك الحين : فقد نشرت المجلة مقالة مديح
للصهيونية واعمالها في فلسطين عند بداية الحرب.
وفي عام ١٩١٧ رحبت المجلة بوعد بلغور ووصفته
بأنه خطوة سياسية بارعة . وبعد انتفاضة ١٩٢١
العربية نشرت المجلة مقالات زعمت فيها ان العرب
يستفيدون من المشروع الصهيوني كما عبر محرر
الصحيفة عن رايه بأن مخاوف الفلسطينيين « لا
أساس لها » . وبعد انتفاضة عام ١٩٢٩ نشرت
المجلة مقالات تهجمت فيها على الكتاب الابيض
(باسفيلد - ١٩٣٠) الذي اخذ حقوق الشعب
الفلسطيني بعين الاعتبار . واقترحت المجلة فيما
اقتترحت آنذاك ان يتم نقل الفلسطينيين العرب
الى شرقي الاردن . وفي عام ١٩٣٦ عارضت المجلة
المشروع المقترح لاتمامه مجلس تشريعي في فلسطين
وزعمت ان مثل هذا المجلس من شأنه ان يؤدي
الى النزاع بين اليهود والعرب لانه يعطي اقلية

لماذا يخصص كاتب تقدير مثل الاستاذ القشطيني
دراسة كائلا في كتاب كالذي نحن بصدد مراجعته
بمعالج تغلطة مجلة بريطانية واحدة لتغذية فلسطين
خلال فترة نصف قرن من الزمن ؟ والواقع ان هذا
السؤال يتبادر الى الاذهان بمجرد رؤية عنوان
الكتاب : **النبيوستاينسمان والمشرق الاوسط** . الا
ان هذا السؤال نفسه يبقى مطلقا في الاذهان حتى
بعد الانتهاء من قراءة الكتاب . لا يبدو ان الهدف
الرئيسي ارتكز على تقديم عرض تاريخي شامل
لتطور مواقف المجلة حول القضية . فالدراسة
اقتصرت على ايراد مواقف المجلة من عدد محدود
نسبيا من الاحداث التي اختيرت ، على ما يبدو ،
لاظهار توجهات المجلة عامة ازاء القضية . ولا
يسع القارئ الا ان يحس ان الاستنتاج الذي
توصل اليه المؤلف في صدد توجهات المجلة حول
القضية بالذات ، وهو ان المجلة كانت تحبذ
الصهيونية باستمرار طوال الفترة المعنية ، كان
استنتاجا متوقعا مسبقا . الا ان المؤلف لم يطرح
استنتاجه على شكله البسيط هذا ، بل اورده ضمن
اطروحة تقول - ليس دائما مباشرة بل أحيانا
ضمنيا - ان المجلة عسرفت بمعارضتها للوراثة
الاستعمارية البريطانية ولكنها لم تلتزم بمبادئها هذا
في حالة واحدة : مسألة فلسطين .

ان تدعيم مثل هذه الاطروحة يتطلب معالجة مواقف
المجلة من احداث شهدتها بلدان افريقية - آسيوية
أخرى ، ومقارنتها مع موقفها ازاء القضية
الفلسطينية . ولكن باستثناء بضع ملاحظات عابرة
ومبعثرة في متن الكتاب عن موقف المجلة من بعض
شؤون مصر والعراق خلال الخمسينات ، فان
المؤلف لم يتطرق الى موقف المجلة من احداث اي
من البلدان الافريقية والاسيوية بالتحديد . وحتى
بالنسبة لمصر والعراق ، لم يثبت المؤلف ان المجلة
رفعت مبدأ معارضة « الوراثة الاستعمارية
البريطانية » الذي تكلم عنه . فقد اخبرنا المؤلف
ان المجلة عارضت حلف بغداد (ص ٨) ، الا انه
لم يخبرنا من اي موقف جاءت معارضتها له ، سوى
قوله (ص ٧٨) انها تهجمت على حلف بغداد مطلقا
تهجمت على « تفكير بريطانياه الاول بارضاء العرب
على حساب اسرائيل » . اما بشأن مصر ، فقد
قال المؤلف (ص ٧٩ - ٨٠) « ان الانظمة الاكثر

كان من شأنها ان تؤثر على أوضاع اليهود في بولنده التي كانت جزءا من روسيه القيصرية . وقد أكد المؤلف بصدد تأييد المجلة لوعد بلغور ان محريها لم يكونوا على معرفة بحقائق الامور في فلسطين . الا انه لم يتطرق الى ما اذا كان المحررون على اطلاع بأوضاع اليهود في شرقي أوروبا الذين يبدو أنهم كانوا الهدف الرئيسي لمشروع التججير ولسم يتطرق المؤلف الى موقف المجلة من موضوع هجرة هؤلاء (يهود بولنده) تجاه الغرب . كما لم يتطرق المؤلف الى موقف المجلة من الثورة البولشفية . وعلى ذلك ، فلم يعالج المؤلف ما اذا كانت نظرة المجلة نحو وضع اليهود في أوروبا ، وأوروسيه الشرقية بشكل خاص ، هي التي جعلتها تفتح صفحاتها للصهيونيين . وهناك مثال آخر على هذا النقص في الدراسة : فقد تكلم المؤلف في الفصل الخامس عن اعداد الهجرة اليهودية الهائلة التي شهدتها فلسطين خلال الثلاثينات وقال المؤلف « ان هتلر كان سبب ذلك كله » . الا انه لم يتطرق بأي شكل من الاشكال الى موقف المجلة من الحزب النازي الألماني قبل اعتلائه السلطة وبعد ذلك ، كما انه لم يذكر شيئا عن موقف المجلة من قانون الجنسية النازي الذي نزع حق المواطنة عن اليهود منذ عام ١٩٣٥ . وعلى ذلك فالتساؤل يبقى لدينا : ان المؤلف اظهر لنا موقف المجلة من فلسطين . الا انه لم يظهر لنا شيئا عن موقفها من اليهود في أوروبا — هذا الموقف الذي لا بد وان يكون له أثر على موقفها من فلسطين .

عند نهاية الكتاب قال المؤلف (ص ١١٨) ان موقف المجلة المؤيد للصهيونية يشكل « مثلا خطيرا على جعلها بحقائق الامور وعلى فشلها في حمل رسالة مؤسسيها ، رسالة الامية والاشتراكية والعملية » . لكن المؤلف لم يقل لنا سوى القليل عن مؤسسي المجلة : انهم كانوا بمعظمهم مرتبطين « بطريقة او أخرى » بالجمعية الفابية (Fabian Society) ، وانهم كانوا « زمرة من الاسلحين الاجتماعيين » ، وانهم كانوا « يلتزمون بالاشتراكية التدريجية وليس الاشتراكية الثورية » . ولكنه لم يعالج المحتوى الايديولوجي لعقائد هذه المجلة (والجمعية) حول الامور الاجتماعية ولم يورد ولا فقرة واحدة تعبر عن آراء المجلة في هذا الصدد ، كما انه لم يطلع القارئ على موقف المجلة من النضالات الاجتماعية المختلفة التي شيدتها بريطانيا ، وأوروسيه عامة ، منذ انشاء المجلة عام ١٨٨٢ حتى الان . وعلى ذلك

في عضويته للعرب . واقترحت المجلة « امامة دولة يهودية في جزء من فلسطين » آنذاك ، قبل بضعة اشهر من صدور تقرير لجنة بيل الذي اقترح تقسيم فلسطين . وبعد عام ١٩٣٩ ساهمت المجلة في الحملة التي اطلقتها الصهيونيون ومؤيدوهم ضد الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ والذي حدد اعداد المهاجرين اليهود الذين سيسمح بقدمهم الى فلسطين . وفي تموز - يوليو ١٩٤٧ دعت المجلة الى تحقيق تقسيم فلسطين « اما لا قانونيا بقوة الهاغانا اليهودية او قانونيا بموافقة وتأييد المجموعة الدولية » . وباندلاع الحرب بعد ذلك في فلسطين ايدت المجلة الهاغانا وأعمالها لدرجة انها رحبت بجلاء الفلسطينيين عن الاراضي التي سيطرت عليها الهاغانا ووصفت هذا الجلاء على انه « أحد انتصارات اسرائيل » . وقبيل عدوان السويس عام ١٩٥٦ نشرت المجلة مقالة جاء فيها « ان اسرائيل قد تضطر الى التحرك طالما ان العرب يرفضون توقيع اتفاقية سلام ، (و يرفضون) توطين اللاجئين في اراضيهم ، (و يرفضون) وضع حد للتسلل ضد اسرائيل » . وفي عام ١٩٦٧ ايدت المجلة العدوان بتأييد تاما ووصفته بأنه حرب وقائية .

عالج المؤلف تاريخ موقف المجلة من قضية فلسطين بقدر كبير من التفصيل في الفصول المتتالية التي تشكلت منها الدراسة وأظهر مدى عدائها التاريخي لحقوق شعب فلسطين . الا ان معالجته للظروف التي جعلت المجلة « تحبذ » الصهيونية لم تكن وافية . فالاطروحة التي أوردتها بهذا الصدد هي كلاسيكية الى حد بعيد وهي تقول ان المجلة كانت تجهل وقائع الامور في فلسطين ، فوثقت تحت تأثير الصهيونيين في ظروف انعدام التأثير العربي المائل . الا ان هذه الاطروحة لا تفسر لماذا لم تعبا المجلة بآراء اللاصهيونيين من اليهود الذين اتاموا في بريطانياه وناهضوا الصهيونية بشدة . وعلى ذلك ، فقد تجنب المؤلف معالجة التوجهات الاساسية للمجلة التي جعلتها قابلة للوقوع تحت تأثير الصهيونيين دون غيرهم منذ البداية . ونذكر مثلا لتوضيح هذه المسألة : ان المقالة الاولى التي وجدها المؤلف حول الموضوع في المجلة صدرت عام ١٩١٤ وكانت بقلم الصهيوني المعروف ألبرت هايمسون ودعت الى تأييد الصهيونية وبرنامجها الداعي الى تهجير يهود بولنده بشكل خاص الى فلسطين . كما اننا نعلم ان اعلان بلغور الذي رحبت به المجلة صدر علنيا بعيد الثورة البولشفية التي

كان يتطابق مع موقف لينين منها بعد قدومه الى السلطة ، وقوله ص ١٧ ان الشخصية الاشتراكية للمجلة انعكست ، بين الامور ، في « النظرة الباردة الى الاحصاءات والمحاسن البريطانية » وهذه العبارات أساءت الى معنى الاشتراكية . لقد رفض المؤلف مزاعم الاشتراكية الصهيونية دون تردد (ولو بغموض) في كتابه ، لكن فهمه لمزاعم اشتراكية المجلة لم يكن سوى تعبير عن التردد .

لا تدري ان كان المؤلف يعتقد ان هذا الاسلوب المعاتب سيكون له اثره لدى المعنيين من العاملين في المجلة ومن قرائها وخاصة في اوساط حزب العمال البريطاني التي تمثل وجهة نظره الى حد بعيد . ولكن بالنسبة للقارئ العام الذي لا علاقة محددة له بالمجلة ، فان الاسلوب الذي اتبعه المؤلف ، على اعتدائه ، لم يكن افضل السبل لتقديم قضية فلسطين . فالقضية الفلسطينية هي قضية حقة بشكل يجعل اي طرح واضح لها مفيدا اعلاميا . من هنا فائدة الدراسة الحالية التي تضمنت عرضا هاما ومفيدا لمواقف مجلة بريطانية ذات اثر في الاوساط البريطانية العامة . كما تضمنت الدراسة نقدا قويا لهذه المواقف . ولا شك ان هذه النائدة كان من شأنها ان تكون افضل لو اكتفى المؤلف بالطرح الوثائقي لمواقف المجلة والنقد الموضوعي لها دون الاطروحة الغامضة التي تضمنتها ودون الاسلوب الاعتذاري التبريري الذي انعكس في الكلام عن اشتراكيته ومثاليته وما قابله من كلام عن جهلها بحقائق الامور . ولكن على اي حال ، فان هذه الدراسة لم تكن بمستوى القدرة على البحث الذي يتمتع به المؤلف والذي اظهره في دراساته السابقة وخاصة في دراسته ، عمران فلسطين ، التي صدرت عن مركز الابحاث عام ١٩٧١ .

أ. ن. سعد

فقد جاء قوله باشتراكية المجلة عابرا وعاما دون توضيح ودون تدعيم وثائقي . ويقول لنا المؤلف ان رئيس التحرير الاول للمجلة - الذي شغل المنصب حتى عام ١٩٢١ - كان « ملتزما بمنع الفقر » (ص ١٠) . اما عن رئيس التحرير الثاني الذي شغل المنصب منذ ذلك الحين حتى اواخر الستينات ، فيقول لنا المؤلف انه اختير للمنصب « رغم عدم وجود اي علاقة سابقة له بالحركة الاشتراكية ككل » ، وانه اعتبر « فابيا Fabian تماما في أسلوبه ، يتخوف من اثر الدعاية الشيوعية على حزب العمال » (ص ١١) . وبناء على هذه الادلة ، فلا يمكن ان يتقنع القارئ بان المجلة كانت اشتراكية وأيدت الصهيونية ووعده بلفور نظرا لجهلها بوقائع الامور ، خاصة وان اسم المجلة بحد ذاته ، « السياسي الجديد » ، كان قد جاء ، كما يخبرنا المؤلف ، بناء على اقتراح آرثر بلفور صاحب الوعد المشهور !

بناء على ما ورد في الكتاب (وعلى ما لم يرد فيه) ، لا يمكن ان يتوقع من القارئ مجازاة المؤلف في قوله ان المجلة كانت اشتراكية معادية للاستعمار ، ايدت العدالة في كل مكان باستثناء فلسطين . فهذه الاطروحة لو صححت لكان على المؤلف ان يدعمها باشارات محددة الى مواقف المجلة من شؤون عدد من الاحداث في البلدان المختلفة . ولعل السبب الذي دعا الى هذه الاطروحة هو ان المؤلف اورد طرحه للموضوع على صيغة عناب ، شخصي الطابع الى حد بعيد ، ارسله الى المجلة التي سبق وكان له اهتمام بها . واسلوب المعاتبة تطلب من المؤلف الصاق صفات بالمجلة (صفات الاشتراكية وتحبيذ العدالة التي جانب صفات اخرى) لا يبدو انها تستحقها . كما ان هذا الاسلوب استدرجه الى جدال ايديولوجي مبهم جعله يطلق عبارات غامضة عديدة في متن الكتاب ، مثل قوله ص ١٦ ان موقف المجلة من المسألة الاستعمارية

تقارير اعلامية

الاسبرانتو والاعلام العربي

على الملأ في سنة ١٨٨٧ . وكانت الاسبرانتو في الواقع واحدة من محاولات عديدة مماثلة جرت في القرن التاسع عشر لتأليف لغة دولية اصطناعية بسيطة سهلة تكون في متناول جميع الناس من كل الاقطار كلفة مشتركة بينهم بالاضافة الى اللغات القومية المحلية . وكانت الاسبرانتو هي المحاولة الوحيدة التي كتب لها النجاح من بين كل ميلاتها فانتشرت انتشارا واسعا وذلك بعد الحرب العالمية الاولى وخاصة في اوربا والامريكتين ، كما كتب لها قسط من النجاح فيما بعد في بعض الاقطار المتطورة الاخرى مثل اليابان واستراليا والصين في الوقت الحاضر . وتعتبر المجلات الصينية الاسبرانتوية الان مرجعا معتمدا لتطور اللغة الدولية وذلك لانها اكثر المجلات الاسبرانتوية انتشارا في العالم في الوقت الحاضر . ويقدر عدد الذين يتكلمون الاسبرانتو الان بحوالي العشرين مليونا منتشرين في معظم اقطار المعمورة ، (وكان تقدير التايمس اللندنية لهم ٨ ملايين في سنة ١٩٥٣) .

وتشتق الاسبرانتو في الغالب من الجذور اللاتينية، كذلك من اللغات الاوروبية الاخرى . وتتسم الاسبرانتو بطابع منطقي دقيق بحيث يمكن تعلمها بمثل سرعة تعلم بعض مبادئ الرياضيات البسيطة . ويتألف نحوها وصرفها من ١٦ قاعدة بلا شواذ يمكن استيعابها جميعا خلال ساعة زمنية واحدة . وحروفها الهجائية لاتينية ، ولكن طريقة التهجى صوتية ، اي تكتب كما تسمع وتقرأ كما تكتب ، اذ ان لكل حرف هجائي صوت واحد فقط لا يتغير . وقد روعي في اختيار كلماتها وطريقة اشتقاقها الاختصار والدقة والموسيقى اللفظية ، كذلك البوضوح الكامل في التلفظ الذي يساعد عليه ان حروف العلة الخمسة في اللغة الدولية كلها ذات نبرة طويلة . ولحسن الحظ كلها موجودة فعلا بالضبط في النطق

يرجع اول مهدي بلغة الاسبرانتو الدولية الى يوم من اواخر ايام سنة ١٩٦١ عندما كنت اجتاز الحدود الإيطالية بالقطار الى النمسا . وعندما جاء قاطع التذاكر النمساوي دخلت معه في جدل حول مفعول بطاقتي الإيطالية التي كانت تخولني السفر بالقطار لمدة شهر كامل . وكان موضوع النقاش هل ان تلك البطاقة كانت تصلح للركوب لمدة شهر داخل القطارات الإيطالية ام داخل حدود ايطاليا نفسها . ولما احتد اللغط بيننا اخذت اخلط معه كلمات ايطالية باخرى المانية . وهنا تدخلت سيدة نمساوية كانت جالسة في المقعد المجاور فاقترحت حل النزاع بان تنبرع هي بفرق الاجرة - مما دعاني الى ان امد يدي الى جيبي حالا وادفع لقاطع التذاكر فاتحل بيننا النزاع . وكانت هذه مناسبة للتحدث مع تلك السيدة التي قالت لي غيما بعد انني كنت اتكلم مع قاطع التذاكر مزيجا لغويا يشبه «الاسبرانتو» . ولما سألتها ما الاسبرانتو لم تكن تعرف عنها سوى انها اللغة الدولية وانها صادف ان سمعتها مرة مع صديقتها في احد النوادي .

وبعد ما لم تبرح من بالي كلمة « لغة دولية » ولا الفكرة التي اثارها في ذهني تلك الكلمة خاصة بعد تلك المشاهدة مع قاطع التذاكر التي كان سببها الاول هي المشكلة اللغوية . وفي ربيع ١٩٦٦ صادف ان لحث في احدى مكاتب بغداد كتابا بالانكليزية لتعليم الاسبرانتو فرجعت بي الذاكرة الى ذلك الحادث ، وبعد عدة ايام وجدنتي اكتب رسالة باللغة الدولية الى عنوان تلك السيدة النمساوية وجاعني جواب بالاسبرانتو من سكان العنوان الجدد ان تلك السيدة كانت قد هاجرت قبل سنين الى استراليا وان احد معارفهم الاسبرانتويين قد حرر لي الرسالة . وهكذا تحققت لي كلمة عابرة كنت قد سمعتها قبل ذلك بخمس سنين . . لقد الف الطبيب البولوني زانوهوف لغة الاسبرانتو واخرجها

للإسبرانتو أكثر من ٧٠ قاموساً — وهذا العدد من القواميس لا يتوفر لكثير من اللغات الحية في الوقت الحاضر . كما صدرت بالإسبرانتو أفلام وأغان كثيرة . وتتفرع من منظمة الإسبرانتو الدولية مئات من الجمعيات والنوادي القومية في أكثر من ٨٠ قطراً في العالم . وتجد حركة الإسبرانتو في الوقت الحاضر اقبالاً كبيراً بين شعوب الدول الأوروبية والاشتراكية منها بصورة خاصة وذلك كمخرج من تنافس اللغات المحلية فيما بينها ، كذلك كمهرب من محاولة لغات بعض الدول الكبرى السيطرة « كلغات دولية » تبعاً لنفوذها السياسي .

لقد كانت منظمة عصبة الأمم قد اتخذت توصية في سنة ١٩٢١ بحق الإسبرانتو ، كما تبعتها منظمة الثقافة والفنون (اليونيسكو) في الأمم المتحدة فاتخذت قراراً في سنة ١٩٥٤ اعترفت فيه لحركة الإسبرانتو الدولية بخدماتها الجليلة في مجال العلاقات الثقافية الدولية خلال السبعين سنة الماضية وأوصت فيه الأمم الأعضاء بتشجيع تعليم الإسبرانتو في مدارسها . وتعتقد منظمة الإسبرانتو الدولية (ومقرها في روتردام هولندا) مؤتمرات دولية سنوية تكون بمثابة « سوق عكاظ » عالمي . ويعقد مؤتمرها الـ ٥٦ هذه السنة في لندن (خلال آب القادم) ، وكان قد عقد المؤتمر السابق في فيينا .

ان أبرز ما لاحظته عندما تعلمت اللغة الدولية وبدأت أقرأ بها انها كانت خلوا من أي أثر عربي . . فلا خبر عن العرب الا ما « يجود » علينا بسه الخوصوم الامبرياليون والمهانية من الاضاليل والظنقات والمغاططات المضحكة . وبالرغم من أن المهانية اساتذة في فن التفضيل — غالباً عن طريق الصراخ والبكاء والتظلم الكاذب — فان مستوى اعلامهم ، خلافاً لما يتصور البعض ، يظل هزيلاً نوعاً ما بالرغم من كنه ونشاطه الواسع . واذا ما وجدوا ان الحججة تعوزهم ، تراهم يلجأون للغضب والتشجيع . ويندر جداً ان يجد المرء أي اثر للمنطق والرزانة فيما يكتبون ، وتجدهم مهترسلين في اكاذيبهم عندما يجدون انفسهم « مخطئين » بالسامع او القارئ مطالبين الى انهم لا يجدون رداً ولا معارضة ما دام الطرف الاصلي غائبا عن الميدان — « خلا لك الجو فبيخي واصفري . » . وبالرغم من أن صحافة الغرب الإسبرانتوية اكثر « رزانة » الا انها بصورة مبدئية تماؤهم وقلمها

العربي نفسه ، وقد اجتمعت كلها في اللفظ العربي للكلمات العربية الثلاث التالية — راغدين ، تور ، روما . ويتمكن كل من يعرف لغته القومية ان يتعلم الإسبرانتو بـ ١٥ ساعة دراسية . اما الذي لديه مبادئ من الانكليزية او الفرنسية مثلاً فيمكنه تعلمها بسرعة اكبر . وبالعكس ذلك ، فان تعلم الإسبرانتو يساعد كثيراً على تعلم اللغات الأوروبية خاصة اللغات اللاتينية منها كالفرنسية والاسبانية مثلاً . واعتقد جازماً ان انكليزيتي التي بدأت تعلمها منذ سنين طويلة قد تحسنت تحسناً كبيراً بعد تعلمي الإسبرانتو . (حتى اصبحت الان استطيع التحرير ونظم الشعر بها وتظهر لي اثار ادبية في المجلات الانكليزية بين الحين والآخر) . كما وجدت تعلم الفرنسية اسهل من ذي قبل بكثير . والسبب واضح ، الا وهو ان قواعد الإسبرانتو هي قواعد تطبيقية وهي لذلك تمرين لغوي رائع ومفيد جداً حتى في اعادة فهم نحو اللغات القومية نفسها من جديد . . بطريقة ادق وافضل . يضاف الى ذلك جذورها المشتركة مع اللغات الأوروبية . وتظهر حقا في الإسبرانتو عبقرية الصناعة الفكرية الانسانية . واستطيع ان اضيف الى ذلك بكل ثقة ان التحدث باللغة الدولية او الكتابة بها هو بحد ذاته تمرين يساعد على ممارسة التفكير المنطقي بصورة عامة عند الانسان .

لقد صدر باللغة الدولية خلال الـ ٨٤ سنة الماضية عشرات الوف الكتب في شتى فنون المعرفة والاداب وسائر النشاطات الفكرية الانسانية ، المترجم اليها من اللغات القومية والمؤلف فيها اصلاً . ويجد المرء الان روائع الاداب العالمية — الكلاسيكية منها والحديثة — مترجمة الى الإسبرانتو . وقد ترجم القرآن الكريم في العام الماضي الى اللغة الدولية وقد حاز على رقم قياسي بالتوزيع بين الإسبرانتويين . وقام بالترجمة مستشرق ايطالي واخصاً النص العربي أمام النص الإسبرانتوي وتظهر هذه الترجمة الان كدرة في مكاتب الإسبرانتويين . ويصدر بالإسبرانتو في الوقت الحاضر مئات من المجلات والنشرات الخاصة في مختلف مجالات الثقافة والعلوم والسياسة والاقتصاد والقانون والطب وحتى الفضاء . وتذيع بها ٢٢ دولة من بينها الصين وبولونيا وامريكا وفرنسا واطاليا وبريطانيا والنمسا ويوغسلافيا وغيرها . كما تصدر بها عشرات الدول نشرات اعلامية وسياحية وثقافية مختلفة . وقد صدر

تسمح بمعارضة حقيقية لهم على صفحاتها . أما المجالات الاسبرانتوية في الدول الاشتراكية فمقد نشطت بعد حرب حزيران في الدفاع عن القضايا العربية ، شأنها في ذلك شأن سائر اجهزتها الاعلامية . الا ان السؤال الذي يتبادر حالا الى الذهن — اين هم اذن المثقفون العرب انفسهم عن هذه الجبهة الاعلامية الدولية الكاملة التي يصرح ويسرح بها الخصوم كأنهم يناظرون بها الشباحا خفية ؟ . لقد كان هذا حقا شيئا مخجلا .

لقد كانت هذه اول فرصة حقيقية لممارسة هوايتي الادبية التي اكتسبتها عندما كنت ادرس العلوم الاسلامية وعلوم اللغة العربية في مدينة النجف الاشرف قبل عشرين عاما قبل ان اضطر ترك مدينتي تلك طلبا للرزق . وقبلها كنت قد قضيت معظم سني الطفولة في جنوب لبنان على حدود فلسطين مباشرة حيث كنا نحن اطفال القرية نتغنى نيبا نتغنى باعزازيج « عتابا » الثوار الفلسطينيين مما ترك اثرا خاصا في نفسي للثورة الفلسطينية . اما السياسة فهي « العلم الذي لا يحتاج السى تعلم » كما قال احدهم . . (وهي على كل حال تتلخص بكلمتين اثنتين — قوة وضعف — بمعناها الواسع) . نباشرت باصدار ما يشبه النشرة ضمنتها مقالات ادبية وسياسية عن العالم العربي وخاصة عن القضية الفلسطينية ، وشرعت في توزيعها على الاسبرانتويين ومجلاتهم ونواديمهم في الغارات الخمس . وكما كانت دهشتي وسروري عظيمين عندما لاحظت بعد مدة وجيزة ان رد الفعل كان حسنا ومشجعا جدا . وانهالت علي مئات الرسائل مستحسنة ومهنة ومشجعة . لقد لاحظت ان الاسبرانتويين هم بصورة عامة من عشاق الادب والمتعلمين للمعرفة والاطلاع وطلاب للحقيقة ، وانهم بصورة عامة يتعاطفون مع الثقافة العربية ومع نضال الشعوب العربية . ولشد ما اظهروا سرورهم البالغ انه — بعد لاي ، كما يقول المثل — اصبح لديهم بعض المواد العربية باللغة الدولية . وتلخص مواضيع هذه المواد بالكتابة وبعض الترجمات عن الادب العربي (مقتطفات مناسبة من القرآن الكريم — اللغة العربية — امثال وحكم عربية — مقتطفات من الرحلات العربية القديمة — المعري وغيره — وقصائد ومواضيع عربية اجتماعية حديثة وغيرها) ، وكذلك كتابات وترجمات سياسية مناسبة عن كفاح الشعب العربي ونضاله لاسترداد حقوقه والدفاع عن كيانه امام اطماع

القوى الامبريالية المحيطة بالوطن العربي وركزتهم اسرائيل . وقد استفدت كثيرا من منشورات مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت وترجمت قسما من مواده فلاققت قبولا حسنا جدا (ولكن مركز الابحاث لم يستطع مع الاسف اعادة طبع هذه المواد او طبع غيرها وذلك لاسباب مالية ، نهلا تحركت بعض النخوات العربية ؟ .) لقد بلغ عدد المقالات والبحوث التي تيسر لي كتابتها ونشرها بين الاسبرانتويين حوالي المائة خلال السنوات الخمس الماضية ، وقد اقتبست مجلات الاسبرانتو الكثير منها ، كما اذيع عدد كبير منها من اذاعات وارسو وبودابست وزاغرب وغيرها . كما علمت ان قسما منها قد ترجم الى اللغات الالمانية والبرتغالية (مقال عن اللغة العربية ظهرت ترجمته كافتتاحية في مجلة المجتمع اللغوي البرتغالي ، لشبونة) والبولونية واليابانية والكرانية والفرنسية وربما الى غيرها . ويتقوم الاسبرانتويون بهذه الترجمات الى لغاتهم القومية اظهارا لتعاطفهم مع القضايا العربية . واستطيع ان اقول بنحر وتواضع اني استلذت ان اوصل وجهة النظر العربية الى قطاع مهم من الزأي العام المستنير متملا في جبهة الاسبرانتويين خاسمة في اوروبا والامريكتين وهي البلاد التي لا تزال تخضع لاثار سياساتها علينا في الوطن العربي . كما وزعت بينهم حوالي عشرة الاف بطاقة بريدية ملونة بديعة الطبع وبعض المواد الاعلامية والسياحية الاخرى خاصة عن العراق ولبنان . كذلك ترجمت ثلاث كراسات سياحية عن هذين البلدين العربيين الى اللغة الدولية اسوة بعشرات الدول التي تستخدم الاسبرانتو في المجال السياحي ، وقد وعد المسؤولون بطبع هذه الكراسات ونرجو ان يتم ذلك قريبا . وتبادلت مع الاسبرانتويين الاف الرسائل الشخصية تكاد تكون بالنسبة لي « دائرة معارف » لما تحتوي من اخبار وآراء وثقافات وتعليقات وانتقادات ومعلومات شيقة عن بلاد واتوام مختلفة . وكثير من هذه الرسائل كانت صريحة في ان على الشعوب العربية نفسها ان تشدد من نضالها ضد جيوب التخلف قبل ان تتوقع ان تحل مكانها اللائق بين الامم . ولن يستطيع اي مخلص واع الا ان يرى ان التقدم الحضاري في الوطن العربي القائم على الانتفاضة على مخلفات الماضي الفاسدة ، ثم بناء المجتمعات على التقدم التكنولوجي والعدالة الاجتماعية وتطوير الثقافات الوطنية والمشاعر

بطريقة علمية وكيف اننا نستطيع اتقان هذه اللغة بسهولة وبسر لا يمكن ان يتسنى لنا مثله - خاصة نحن العرب - في تعلم اي لغة اوروبية اخرى .
 واوصي القارئ الكريم بالرجوع اليه ليرى ان الصعوبة الوحيدة في اللغة الدولية تتمثل فقط في مرحلة فهم الفكرة - فكرة لغة دولية - نفسها وتبين ضرورتها لعالم اليوم الذي يتسارع تقارب اجزائه بعضها الى بعض يوما بعد يوم بحيث أصبحت مسألة تقبل لغة دولية ثنائية مشتركة ضرورة قصوى وشرط اساسي من شروط تطوير مجتمع دولي افضل .

هذه دعوة مخلصه لاخواني المثقفين العرب وخاصة اخواننا الفلسطينيين منهم ممن يرغبون في الاسهام بمسألة القلم في المجال الدولي . واستطيع ان اؤكد ان مجهودي المتواضع قد فعل فعله ايضا في اغاظة الخصوم الصهاينة ومواليهم واثار حنقهم . فقد حرر احد كتابهم المعروفين مقالا كاملا عني تعنتي فيما تعنتي باوصاف سيئة . كما استلمت من بعضهم تهديدا صريحا بان نشاطي هذا « خطر » (وان لم يقل على من ؟) وانه « كان الاجدر بك ان تستخدم نفوذك في اصلاح ما بين الشعوب (!) العربية نفسها » . حتى ان آخر ما كتب كان تعليقا في احدى المجلات ابدى فيه « عجب » مع « تعانيه النطلبية » لعربي استطاع ان يكتشف اللغة الدولية وان يتعلمها . وكان جوابي الحزين له ان العالم العربي يهب (؟؟) من عقول ابناؤه 15 الف عقل مفكر يسرقهم منا اسياده في الغرب كل عام .

حسين محمد العاملي

القومية على اساس انسانية حديثة هو المخرج النهدي الذي لا بديل عنه للاتحاق بركب الشعوب المتحررة كاملة السيادة . اما السلاح بعد ذاته فسيفيقى بايدينا مثله مثل سيف طويل تحاول التلويح به ذراع هزيلة ، الى ان نطهر كياننا الداخلية من الادران والامراض والنفائات السامة فزربي بذلك جسما سليما قادرا على الدفاع عن نفسه بكفاءة وعزم .

هذه خلاصة لقصتي مع اللغة الدولية التي فتحت امامي - ككتف عربي - ابوابا على عالم جديد وطريف لحيته وسداه اناس هم حقا مدعاة للاهتمام . وهم يمثلون قطاعا واعيا من الرأي العام في مجتمعاتهم لانهم في الغالب من اصحاب المهن الفكرية والثقافية او من محبي الثقافة والاطلاع ، لذلك فانهم وسط مناسب جدا وبالغ الاهمية للاعلام العربي ولتطوير العلاقات الثقافية بيننا وبين شعوبهم - مما لا يمكن اغفاله ونحن نعلم طريقنا للتعريف بقضايانا القومية ثم لتطوير واغناء علاقتنا الحضارية والثقافية مع العالم الخارجي الاكثر تقدما منا - وذلك عن طريق هذه اللغة الدولية السهلة الجميلة الدقيقة الغنية بما لذي وطاب من آداب الامم الاخرى ومشاعرها وثقافتاتها العديدة المتنوعة . ثم ان استخدام اللغة الدولية سيظهرنا امام العالم باننا مجددون في افكارنا واساليبنا جادون في اللحاق بركب الزمن من حولنا .
 وأود ان اذكر بهذه المناسبة اني نشرت مؤخرا مقالا في مجلة « الورود » البيروتية (عددي ايار وحزيران) عالجت فيه موضوع اللغة الاصطناعية

نشاط الطلاب العرب الاعلامي في امريكا

نشاط الطلبة العرب المتزايد والى انصارهم الاميركيين . غيلاء الطلبة يحاولون ايضاح وجهة النظر العربية الى الطلاب الاميركيين وحقائق قضية فلسطين والشرق الاوسط . وجزير بالذكر ان برامج امثال « يوم فلسطين » و « يوم غزة » أصبحت تقام اليوم في معاهد التعليم العالي الكبرى الاميركية ، وتقام مدعومة من قبل اشخاص معروفين ومحترمين في اوساط الطلبة الاميركيين . ومن بين هؤلاء السيد روبرت شير ، المحرر السابق لمجلة « زامبرت مغازين » الذي يقوم حاليا (1972)

« ساعدوا غزة » . كانت هذه العبارة مكتوبة باحرف كبيرة على يانطة عريضة في قلب جامعة كاليفورنيا بمدينة بركلي في « يوم غزة » الذي اقامه الطلبة العرب في الجامعة لناصره غزة الباسلة . وكان الشعار لذلك اليوم : « غزة - اكبر مذبحة اعتنقت في العالم ، وهذه المرة يصحبه اليهود الصهيونيون » (1) .

« من فلسطين الى فيتنام : نضال واحد وجبهات عديدة » وهذا الشعار ايضا أصبح يتزايد في الجامعات الاميركية ، ويعود السبب في ذلك الى

بحملة واسعة النطاق لاعلام الطلبة الاميركيين حول
الوضع الراهن في الشرق الاوسط(٢).

وقام الطلبة العرب في جامعة ستنفورد الشهيرة
بولاية كاليفورنيا بتظاهرة ضد اسحق رابين ، سفير
« اسرائيل » لدى واشنطن . ونتيجة لذلك اضطر
تاخر حديثه ١٥ دقيقة . هذا وحضر الحديث ٥٠
شخصاً فقط ، في حين بلغ عدد الذين تظاهروا ضده
٤٠٠ شخص ، كما وزع الطلبة العرب اكثر من
١٠٠٠٠ منشور (كراسه) توضح للاميركيين ظلم
الصهاينة في فلسطين المحتلة(٣).

وفي جامعة ولاية بنسلفانيا ، قام طالب عربي بعرض
وجهة النظر العربية للقضية الفلسطينية في
« مؤسسة هليل » اليهودية وهي مؤسسة تخدم
الطلبة اليهود في الجامعات هناك . وكذلك قام
طالب عربي اخر في نفس الجامعة بالقاء محاضرة
حول النزاع العربي الاسرائيلي الى احد صفوف
التاريخ . وكلا الحاضرتين توبلتا بالاستحسان
والتهنم للقضية(٤).

هذه هي بعض النشاطات التي يقوم بها الطلبة
العرب ، جماعات وافراداً ، في معاهد التعليم
العالي الاميركية ، مستهدفين ، في ذلك ، ايصال
حقائق القضية الفلسطينية الى رعايتهم في الجامعات
وشيرهم من المواطنين الاميركيين . وفي هذا التقرير ،
يدور بحثنا حول نشاط الطلاب العرب في الولايات
المتحدة وجهودهم الشخصية لخدمة القضية العربية
الاولى ، القضية الفلسطينية . وسنركز في حديثنا
هذا على معالجة النقاط الرئيسية التالية : لحة
موجزة عن عدد الطلاب العرب وحقول تخصصهم ،
مدى معرفة الاميركيين بالبلاد العربية عامة وبالقضية
الفلسطينية خاصة ، ووضع الطلبة العرب
الاستراتيجي لخدمة القضية في الجامعات ومجالات
العمل الاعلامي والوسائل المستخدمة للاعلام ،
الصعوبات التي تواجه الطلاب العرب في عملهم ،
والقاء نظرة سريعة حول اثر العمل الطلابي في
الاميركيين ، واخيراً ، نقدم اقتراحات لتحسين
الوضع الاعلامي العربي على صعيد الجامعات .
ومما يجب الاشارة اليه هو ان هذا البحث يركز
على نشاط الطلبة العرب في جامعات الولايات
المتحدة الاميركية بعد حرب ١٩٦٧ فقط .

لحة عن الطلبة العرب :

والحديث عن الطلبة في اميركا ، يفرض علينا تقديم

لحة موجزة عن عددهم وحقول دراساتهم . تفيد
احد احصاءات المتوفرة لدينا للعام ١٩٧١ ، ان
عدد الطلبة العرب الذين يتابعون دروسهم في
الولايات المتحدة الاميركية بلغ ٨٠٢٠٤ طلاب وطالبة ،
ينتمون الى ١٨ تقراً عربياً ويتابعون تعليمهم في مئات
الجامعات والكليات الاميركية . وبالتحديد ، فان
اكبر مجموعة من هؤلاء انت من لبنان (١٢١٠)
طلاب « يليها مصر (١١٠٢) ، فالاردن وفلسطين
(٩٨٧) ، فالمملكة العربية السعودية (٩٢٨)
عسوريا (٤٦٥) ، فالعراق (٤٤٦) ، فالكويت
(٢٥٢) ، فليبيا (٢٨٩) ، فتنس (١٢١) ،
فالسودان (١١١) ، فالغرب (٧٨) ، فالجزائر
(٤٦) ، فقطر (١٧) ، فاليمن (١٤) ، فالبحرين
(١٢) ، فجنوب اليمن (٥) ، فالامارات المتصالحة
(٢) ، واخيراً طالب واحد من مسقط . ومعظم
الطلبة العرب هم من الرجال ، بنسبة ٩٤ في المائة
مقابل ٦ في المائة للنساء ، وكذلك معظمهم يتابعون
تخصصهم في الدراسات العليا ، بنسبة ٦٠ في
المائة . ومن حيث حقل الدراسة ، فان اكبر نسبة
تدرس الهندسة (٢٧ ٪) ، يليها العلوم الطبيعية
(١٢ ٪) ، فالعلوم الاجتماعية (١١ ٪) ،
فالانسانيات (٩ ٪) ، فادارة الاعمال (٨ ٪) ،
فالعلوم الطبية (٥ ٪) ، فالتربية (٢ ٪) واخيراً
الزراعة بنسبة ٢ في المائة . ويذكر ان عدد الطلبة
الاجانب من كافة انحاء العالم الذين يتابعون
دراساتهم في الولايات المتحدة ١٤٤٠٧٠٨ للعام
١٩٧١(٥).

منظمة الطلبة العرب :

وللطلاب العرب في الجامعات الاميركية منظمة تدعى
« منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة وكندا » .
تأسست في عام ١٩٥١ عندما بادر عدد من الطلبة
الذين ادركوا ان مثل هذه المنظمة يمكن ان تكون
وسيلة مثلى لخدمة القضايا العربية عامة والقضية
الفلسطينية خاصة . وتكونت المنظمة لتحقيق الاهداف
التالية : المساهمة في امانتي العرب في التحرر
والوحدة ، نشر المعلومات والحقائق عن الامة
العربية وتاريخها وحضارتها وامانيها واهدافها
وامكانياتها ونواحي التقدم فيها ، تشجيع الطلبة
العرب في اميركا لدراسة المشاكل الاساسية التي
تواجه العالم العربي وامكانية التغلب عليها ،
تقديم المساعدات الممكنة للطلبة العرب الذين
يدرسون في اميركا والذين يثوون الدراسة فيها في

وركر المؤتمر السنوي التاسع عشر الذي انعقد في مدينة لونغ بيتش بولاية كاليفورنيا في ٨/٢٩ - ١٩٧٠/٩/٢ على حلقة دراسية حول « العمل الطلابي في خدمة الثورة الفلسطينية » (لقاء مع وفد طلاب فلسطين) ، وحلقات دراسية عن « الثورة الفلسطينية ، البعد العربي واستراتيجية الثورة » ، ثم حلقات دراسية عن « البعد العالمي للثورة الفلسطينية » (١٠).

وختم المؤتمر اعماله بعد ان اقر شجب الحلول الاستسلامية كما اقر الخُسط السياسي الجديد للمنظمة . ومن ابرز نقاط الخط الجديد الكلمات التالية : « ان الصهيونية هي حركة استيطانية عنصرية خيفة للاستعمار ومعادية لتطلعات الجماهير العربية وامانها في التحرر والاستقلال والتقدم ، كما وان اسرائيل تشكل قاعدة امامية للاستعمار والامبريالية تستعمل كاداة ودرع وتأخير لسير الثورة العربية ، ولا بد من مواجهة هذا العدو وتعلمه من الارض الفلسطينية ودحره الى الابد . اكدت تجارب شعوب القارات الثلاث - اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية - في حريها ضد قوى الاستعمار ، ان التحرر والخلاص الوطني من قبضة الاستعمار لا يأتي الا عن طريق حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد ، التي يهيئها يتم حشد مجموع طاقات الشعوب وتعبئتها لمحاربة القوى الاستعمارية » (١١).

وتصدر اللجنة التنفيذية في منظمة الطلبة العرب صحيفة تدعى « الاخبار » ، وهي نشرة تربوية ثنائية تستهدف تحسين الروابط بين الشعبين الاميركي والعربي ، وتنفذ اخبار الطلاب العرب ونشاطهم وكل ما يتصل بالقضية الفلسطينية بالفتن الانكليزية والعربية .

جهل الاميركيين بالمنطقة والقضية :

ولا بد لنا من تذكر بعض الشيء عن جهل الاميركيين بالمنطقة وبالقضية الفلسطينية ، وكل من يزور امريكا ويتباحث مع اهلبا يدرك ذلك تمام الادراك . فالاميركيون اجمالاً غير مطلعين على الشؤون الدولية ، كما يتوقع من شعب متعلم وقوي ومتقدم . ويعود ذلك الى ان الصحف الاميركية وغيرها من وسائل الاعلام تركز عادة على الاخبار المحلية والاميركية اكثر من اي اخبار اخرى . واما بالنسبة للشرق الاوسط ، فان اخبار اسرائيل تحتل الصدارة في

حدود امكانياتها ، تنمية الصداقة والتفاهم مع الشعب الاميركي ، الاتصال بالمنظمات الطلابية الاخرى سواء كانت في امريكا او خارجها لتنمية اواصر الصداقة وتبادل النشرات والمعلومات (١٢) . واما في مؤتمر ١٩٧٠ فقد جرى تحول جذري في اهداف المنظمة . اذا استطاعت القوى التقدمية في المنظمة حشد عدد كبير من الطلبة العرب من اجل انتقاد المنظمة من الفئات اليمينية والانتهازية . واستطاع حشد الطلبة التقدميين ان يحرز الانتصارات التالية : اجراء تغييرات على دستور المنظمة والتي اتسمت بالصيغة التقدمية والتي تشكل ضماناً لاستمرار هذا الخط التقدمي الثوري . ناهد البنود الاساسية ، مثلاً ، بنص ان على المنظمة ان تبني من الطالب العربي انساناً ملتزماً بالفكر الثوري كي يستطيع ممارسة دوره فيما بعد عودته للوطن للمساهمة في حل القضايا والمشاكل التي تواجه حركة التحرر العربي عامة وحركة التحرر الوطني الفلسطيني خاصة (١٣) .

ومن خلال اللقاء نظرة سريعة على البرامج التي تركز عليها ، او تدارستها ، في مؤتمراتها السنوية ، يمكن للقارئ ان يدرك اهتمام المنظمة بالقضية الفلسطينية بشكل خاص . ففي المؤتمر الحادي والعشرين الذي انعقد في ٢ - ١٩٧٢/٩/٦ في جامعة الينوي (فرغ شيكاغو) كان من بين المواضيع التي تباحثها المؤتمر النقطةان التاليتان : دور الطلبة العرب في عملية تقييم حركة المقاومة واخراجها من ازمته التاريخية الانية ، وعقد ندوة بعنوان « المهام الراهنة امام حركة المقاومة » القاها ممثلو فصائل المنظمات الرئيسية (١٤) . وفي المؤتمر العشرين الذي انعقد في جامعة هيوستن في تكساس في ٢٦ - ١٩٧١/٨/٢٩ فقد خصص جميع برامج للقضية الفلسطينية تحت عنوان « الثورة الفلسطينية والثورة العربية - تحديات وفاق » . والمواضيع التي بحثت تشمل : النضال الفلسطيني عبر التاريخ ، المقاومة منذ ايلول ١٩٧٠ ، فلسطين الديمقراطية ، الوحدة الزمالية خلال مراحل فلسطين التحرير ، دور المثقفين في الثورة العربية ، الثورة الفلسطينية والواقع العربي . وقد دعي الى المؤتمر اكثر من عشرين منظمة طلابية اميركية ، كما دعي عدد من الشخصيات العربية الفكرية المهتمة بالشؤون الفلسطينية (١٥) .

وسائل الاعلام ، نظرا لطغيان الدعاية الصهيونية هناك ، ولغياب الوجود الاعلامي العربي الرسمي المنظم .

والإهانة التالية تلقي الاضواء على صحة ذلك : جاء في مقال في صحيفة « مدل ايست انترناشونال » التي تصدر في لندن في مقال لها عن الطلاب العرب في الولايات المتحدة ان سيدة فلسطينية نشيطة في حفل التضحية كتبت رسالة الى البيت الابيض حول ازمة الشرق الاوسط . ورد البيت الابيض برسالة جاء فيها : « اشكرك على استفسارك عن قضية فينتام » ، اي ان البيت الابيض اخذ يخلط بين الشرق الاوسط وفينتام . ونقل كاتب المقال عن لسان طالب مصري بأنه عندما يعرف عن نفسه انه طالب مصري ، فان جواب الشعب يأتي دوما « حسنا » ، انت يهودي « اي انهم يخلطون ايضا بين المصري واليهودي ، رغم ان الشاب المصري هذا غير يهودي . وهذا لا يقتصر على عامة الشعب فقط ، بل حتى طلاب الدراسات العليا يجهلون ابسط الحقائق عن المنطقة وبالتالي عن القضية .

ويطرح الشعب اسئلة تظهر سذاجتهم بشكل واضح ومنها : هل انت من العربية (الجزيرة) ؟ كما انهم يظنون ان مدينة دمشق هي في مصر . كما يظن الشعب الاميركي بان قضية الشرق الاوسط هي قضية نزاع بين العرب واليهود ولا يعلمون جوهر القضية التي هي نزاع بين الفلسطينيين والصهيونيين (١٦). هذا ولقد اختبر كاتب هذا المقال تجارب اشرب مما ذكر ، ومن ابرزها ان لبنان يقع في اوروبا ، في مكان ما بجوار سويسرا وفرنسا . او حتى البعض منهم لا يعرف بان ثمة بلدا اسمه لبنان . وبالإضافة الى كل ذلك ، يطرح الاميركيون من طلاب وغيرهم اسئلة بسيطة جدا ، تبرهن عن الجهل الفادح بالمنطقة وبوسائل العيش الاساسية . فالاسئلة التي تطرح هي : هل تعيشون في الخيم؟ هل عندكم تلفونات؟ هل عندكم تلفزيونات؟ هل تجلسون على الكراسي؟ كيف تاكلون : باليد ام بالشوكة والسكين ؟ الخ .

وعلى الرغم من كل ذلك الشيء الذي ينبغي التشديد عليه هو ان الشعب الاميركي اجهالا لطيف ، وطيب القلب ومنفتح على الآخرين ، وفوق ذلك يحب ان يعلم عن الآخرين ، ولا يخاف ان يقول : انا لا اعرف ، حدثني عن بلدك او عن نفسك .

مجالات العمل :

والان تأتي الى صلب الموضوع ، بحيث يتجسد نشاط الطلبة العرب الاعلامي في مجالات عديدة ، ابرزها : مؤتمرات سنوية للمنظمة (كما ذكرنا) ثم قيام برامج تدعى « اسبوع فلسطين » و « يوم غزة » ، وقيام حفلات شاي وقهوة ونزهات ، عقد ندوات وكتابة رسائل الى الصحف وتوزيع نشرات ، القاء محاضرات واحاديث في الجامعات وفي خارجها ، تنظيم تظاهرات والاشتراك بالمعارض وبالمهرجانات الدولية ، الخ .

١ - اسبوع فلسطين ويوم غزة : ومن ابرز ما يقوم به الطلبة العرب في الجامعات الاميركية ربما تنظيم برامج حول « فلسطين » و « غزة » يدعون الطلاب والاساتذة اليها ، يتكلم عادة في تلك البرامج شخصيات اميركية مهتمة في القضية الفلسطينية ومفكرين عرب . وتشمل الوسائل التي يستخدمها الطلبة العرب في البرامج عادة عرض صور واغلام عن فلسطين وتوزيع منشور حول القضية ، وتنظيم رحلات ونزهات وعرض ازياء عربية وفلسطينية تشترك فيها فتيات عربيات وامريكيات ، وتختتم عادة بجمع تبرعات لصندوق فلسطين . ويشترك في البرامج هذه مفكرون وكتاب عرب ، وممثلون عن المقاومة ، واساتذة اميركيون ، وسفراء اميركيون سابقون في البلاد العربية ، وممثلو الدول العربية في الامم المتحدة ، ويهود غير صهيونيين . وفي يوم غزة ، في جامعة كاليفورنيا ، الذي سبق القول عنه ، خصصت صحيفة « ذي دايلي كاليفورنيا » وهي صحيفة الجامعة الطلابية التي توزع ٤٠٠٠٠ نسخة يوميا، صفحة كاملة عن نشاط الصهيونيين ومقاومة ابناء غزة لهم . واثناء النهار طافت سيارة تحمل مكبر الصوت في شوارع بركلي، ودعت الشعب الى حضور الاجتماع . ونتيجة لذلك فقد حضر الاجتماع ٦٠٠ شخص . وعلقت الصحيفة المذكورة على ذلك بان هذا العدد الكبير من الحضور اثار دهشة بعض المراقبين هناك لانه كان اكبر عدد يحضر اجتماعا سياسيا في الجامعة خلال عام اتسم بالرقتود الطائبي . وكان المتكلم الرئيسي السيد روبرت شير ، وهو اميركي من اصل يهودي ولكنه ينتمي الى اليسار الجديد ، فنجذب انظار الحضور ووضح كيف يجب على اليهود ان يتحرروا من الصهيونية ، ثم تلمح الى القاء نظرة حول تاريخ حركة المقاومة الفلسطينية من خلال احداث غزة

ودعا اليهود التقدميين الى تحرير أنفسهم من الدعاية الصهيونية . وفوق ذلك فان محاضراته قد اذيعت في اليوم التالي من على الراديو بحيث وصلت الى ملايين الناس كما نشرت الصحف نشاط يوم غزة على نطاق واسع(١٢).

٢ - **تعلموا عن فلسطين** : وفي جامعة كولومبيا الشهيرة في نيويورك اقيم مهرجان تعليمي Teach-in حول قضية التحرير العربية التي تواجه الامبريالية الصهيونية . وكان الغرض من المهرجان المذكور دعم النضال الثوري العربي . ومن ابرز المواضيع التي بحثت المحاضرات والمناقشات التي دارت حول : حركة التحرير الفلسطينية ، طبيعة واستراتيجية اسرائيل ، الثورة العربية ، الصهيونية ، ودور الاستعمار والامبريالية في المنطقة . وقد تكلم في البرنامج عدد من العرب والاميركيين المهتمين بالقضية الفلسطينية(١٤).

٣ - **رسائل الى الصحف** : ويرسل الطلبة العرب رسائل الى الصحف تشر عادة في بريد القراء ، مقدمين ايضاحات حول ملامسات القضية الفلسطينية .

٤ - **الاتصالات بالمنظمات الراديكالية** : يعمل الطلبة العرب مع المنظمات الطلابية الراديكالية واليسارية الجديدة التي تجتاح معظم الكليات والجامعات الكبيرة في الوقت الحاضر في امريكا . وهذه المنظمات تتعاطف مع حق الشعب الفلسطيني في الحياة والحرية والعودة الى ارضه الاصلية . وفي هذا المجال ، قابلت الانسة الشابة لندا جانس في جامعة جنوب الينوي اثر محاضرة القتها في الخريف الماضي في مهرجان انتخابي . هذه الفتاة مرشحة عن حزب العمال الاشتراكي . عندها سألتها ، في سياق حديثنا ، عن رأيها في القضية الفلسطينية ، اجابت بالكلمات التالية : « نحن ، في حزب العمال الاشتراكي ، نعارض الحركة الصهيونية ونعتبرها جزءا لا يتجزأ من الامبريالية العالمية . ونحن ندعم حقوق الشعب الفلسطيني ، غير اننا لانف مع فريق ضد الاخر في الصراع القائم حاليا في الشرق الاوسط . لذا ، نحن نؤيد حركة فتح الغدائية التي تدعو الى قيام دولة ديمقراطية تضم العرب واليهود في امة واحدة على السواء »(١٥).

هذا ولقد قرأت خبرا في صحيفة الحزب المذكورة والتي تدعى « ذي ميلنت » عن حركة المقاومة وكان الخبر في الواقع مكتوبا بدقة وبموضوعية ،

قلما ترى خبرا من هذا النوع في تلك البلاد .

٥ - **اتصالات شخصية** : ولعل افضل الوسائل لخدمة القضية الفلسطينية تتمثل منسي الاتصالات الشخصية والفردية ، وهذا دون شك افضل وسائل الاعلام الذي يستخدمه الطلاب العرب . وجدير بالذكر ان معظم احاديث الطلبة العرب ، وخاصة الفلسطينيين ، تركز بشكل رئيسي حول القضية الفلسطينية وشرح ملامساتها وتقديم الحقائق عنها .

اثر نشاط الطلبة :

بعد كل ما تقدم ، السؤال الذي يطرح نفسه بصورة جد بديهية هو : ما هو اثر نشاط الطلاب العرب في امريكا وما هي مدى فعاليته ؟ في الواقع لا يستطيع احد ان يعرف تماما اثر نشاط الطلبة الاعلامي ، لان هذا الباحث لم يعثر على اية دراسة حول هذا الموضوع ، غير ان جميع الدلائل المتوفرة ، نتيجة للتجارب والاتصالات الشخصية ، تشير الى ان نشاط الطلاب ذا اثر ، وذلك ضمن امكاناتهم المحدودة . ففي كل حوار او مناقشة يتفوق الطلبة العرب على الصهيونيين . وهذا ما لمستة غير مرة في امريكا ، لان الحضور يتجاوب مع الافراد الذين يقدمون اكبر نسبة ممكنة من الارقام والحقائق . وهذا ما يفعله الطلبة العرب .

وفي هذا المجال بدأت المنظمات الصهيونية تعرب عن ضيقها بنشاط الطلاب المتزايد فكتب مراسل النيويورك تايمز يقول ، تقلا عن تقرير للمنظمة الصهيونية المسماة « بناي بريث » التي ادعت ان جماعات الدعاية العاملين في الولايات المتحدة الذين يتعاونون مع جماعات امريكية متطرفة ، يدعمون حركة فتح الغدائية التي تشن حربا ضد اسرائيل . وقال السيد ارنولد فوستر ، من المجلس العام للعصبة المذكورة ، ان جماعات الدعاية تشمل حوالي ١٠٤٠٠٠ طالب في منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة كما تشمل جماعات شيوعية واليسار القديم والراديكاليين الجدد ، وبعض السود الثوريين . وجاءت هذه الهجمات والادعاءات في تقرير للعصبة من ٢٧ مكتبا اقليميا في جميع انحاء الولايات المتحدة . وكان التقرير قد صدر نتيجة لتزايد العطف على العرب في الغرب والذي سبب اثاره اهتمام اسرائيل . وتابع فوستر يقول « ان حملة تبرع ودعاية قامت لمنظمة فتح في العام الماضي (١٩٦٨) ، وقام بها جماعة من الطلبة

يقول : « لم تبين روما بيووم واحد » .

صعوبات تواجه الطلبة :

يمر نشاط الطلبة العرب الاعلامي وجهودهم بعقبات جمة ، منها داخلية ومنها خارجية ، البعض منها يمكن التغلب عليها بسهولة والبعض الآخر يتطلب جهودا كبيرة . ومن ابرز الصعوبات التي تواجه علمهم الاعلامي في امريكا تتلخص بما يلي :

١ - لعل اول ما تعاني منه منظمة الطلبة العرب في الوقت الحاضر هو الحصول على المال الكافي للقيام بنشاطها على خير ما يرام . فالمال مهم في الحقل الاعلامي ، كما لا يخفى على احد . وتعاني المنظمة بشكل خاص من صعوبات مالية نظرا للحصار الذي فرضته السفارات العربية عليها ، فقد ادى هذا الحصار الى الحد من قدرة المنظمة على التحرك والانطلاق واتمام المشاريع التي كانت قد وضعتها ووعدت الطلبة بها واحمها اصدار المجلة الدورية .

٢ - ويعاني العمل الطلابي الاعلامي من فقدان العمل الموحد في هذا الشأن . فمن المعلوم ان الطلبة العرب في امريكا لا يسرون وفق خطة مدروسة وموحدة ، بل وفق فئات مختلفة ، سياسيا واجتماعيا . فهذه الفئات لا تستجيب الى اهداف المنظمة وبرامجها . اضافة الى ذلك ان ثمة عددا من المؤسسات العربية التي تعمل ايضا بشكل مستقل ولا تبدي رغبتها في التعاون مع المنظمة ، مما يؤدي الى تشتت الجهود الاعلامي العربي . وثمة فئات أيضا من الطلبة العرب تتأثر ببعض الجماعات الطلابية بالفكر غير الواعي لبعض فئات اليسار الجديد في الولايات المتحدة ، مما يسبب وجود مزيد من التنافر بين الطلبة العرب في امريكا ، ويأتي كل ذلك في الوقت الذي يحتاج فيه العرب الى المزيد من الاتحاد وليس المزيد من التباعد والتنافر . فخلافات الدول العربية نفسها هنا تنعكس هناك أيضا . فكل فئة تميل الى دولة عربية أو أكثر .

٣ - وأخيرا ، لا بد من ذكر ضغوط الدعاية الصهيونية . فهنا لا جدال فيه ان عدد الطلاب العرب ضئيل جدا بالنسبة لعدد اليهود الصهيونيين وأنصارهم . فغوة الدعاية الصهيونية والاسرائيلية نفسها كبيرة وقوية جدا وذات نفوذ وخاصة في وسائل الاعلام الجماهيرية ، كالراديو والتلفزيون والصحف والمجلات . والدعاية الصهيونية صناعة

الفلسطينيين العرب في هذه البلاد . وفي ديترويت بولاية ميشيغان يقوم اعضاء منظمة الطلبة العرب بحملة لجمع التبرعات . وفي بعض الاحيان يقومون بالتعاون مع الجماعات الناشئة من التروتسكيين وحزب العمال «(١٦)» . وقيل هذا التقرير بسنوات ، كانت منظمات الصحف الصهيونية قد بدأت ايضا الاعراب عن ضيقها بنشاط الطلبة العرب ، فكتبت صحف اسرائيلية ، تحذر من نشاطهم المتزايد في الولايات المتحدة ، كما فعلت الشيء نفسه صحيفة « النيويورك تايمز » في مقال نشر في تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٦٦ (١٧) . وهذا وقد بدأت السلطات الاميركية ، منذ حادث ميونخ ، تمارس سياسة ارهاابية ضد الطلبة العرب في الولايات المتحدة تتمثل في الملاحقات المستمرة والمضايقات المتتوعة .

هذا ويتجلى اثر نشاط الطلبة العرب في الجهود التي يبذلها بعض الاميركيين والاجانب في نصرة القضية الفلسطينية . ففي هذا السبيل ، كتب البروفسور الاميركي « ثرمان ل . بروكس » ، وهو استاذ العلوم السياسية في جامعة جنوب الينوي بالاشتراك مع طالب الدكتوراه الهندي السيد س . كماراتنام ، الى صحيفة الجاسمة « ذي دايلي ايجبثان » رسالة الى المحرر تحت عنوان : « من هو السلاجيء ؟ » ذكرنا فيها ان العالم يتناسى اللاجئين الفلسطينيين الذين طردوا من بلادهم الاصلية بالقوة وهم اليوم مازالوا في حالة يرثى لها .

وفوق ذلك ، لا يمكن للقارىء ان يتصور مدى اثر نشاط الطلبة العرب وفعاليتهم في الوقت الحاضر ، لانهم يقومون بنشاط مع الطلاب في الجامعات . ولا يخفى ان هؤلاء الطلبة اليوم لا نفوذ لهم في الحكومة ولا في سياسة امريكا الخارجية . ولكن النقطة التي اود ان اركز عليها هي : ان الطلبة العرب يدرسون مع قادة المستقبل في امريكا وزعمائها وطلبة الرأي العام الاميركي . فمن هؤلاء دون شك سيتخرج الحكام والسياسيون والمحامون والقضاة والاطباء والمهندسون والاداريون والعلماء والدرسون ورجال الاعمال وريبات البيوت ، الخ . ومعنى ذلك ان البذور التي يفرسها اليوم طلبتنا في الخارج سوف تنمو وتكبر وتصبح يوما شجرة كبيرة ، تعطي اثمارا . ولكن الذين يريدون نتائج لنشاط الطلبة على جناح السرعة ، فهذا شيء شبه مستحيل في الوقت الحاضر ، وثمة مثل غربي

نتيجة لجهودهم للمساهمة في النشاط الاعلامي ،
ويحسن استقطاب العناصر الطلابية الاميركية
المتعاطفة مع القضية وتجنيدوا للعمل الاعلامي
العربي ودعمها ماديا ومعنويا ، كما يحسن تقديم
منح للطلاب الاميركيين المهتمين بالقضية التي
الدراسة في الجامعات العربية وذلك كي يطلعوا
عن كثر على احوال قضايا البلاد العربية واحوال
اللاجئين . وكذلك يجدر تسهيل الزيارات لبعض
الفئات والافراد الاميركيين المتعاطفين مع القضية
الى زيارة البلاد العربية وخاصة قرى الحدود
ومخيمات اللاجئين التي تتعرض للعدوان الاسرائيلي
بين الحين والآخر . واخيرا ، لا بد من تأليف لجنة
اعلام عربية عليها توجه عمل الطلاب في امريكا .

الدكتور الياس زين

- ١٠ - وصفاة واحدة على ستانسل ، دون تاريخ ،
باللغة الانكليزية (مكتبة الدراسات الفلسطينية) .
- ١١ - نشرة « الاخبار » (منظمة الطلبة العرب
في الولايات المتحدة) تشرين الاول (اكتوبر)
١٩٧٠ ، ص ٦ .
- ١٢ - Henry P. Burn, "Arab Students in —
the USA," *Middle East International*
(London), Vol. 12, March 1972, pp. 27-
29.
- ١٣ - *The Daily Star*, January 20, 1972. —
- ١٤ - *The Militant* (publication of Socia-
list Worker's Party, USA), 11/4/1969.
- ١٥ - مقابلة الكاتب مع الانسة لندا جاتس
اجريت في جامعة جنوب النيوي في ٩/١٠/١٩٧١ .
- ١٦ - *The New York Times*, (April 20, —
1969).
- ١٧ - « الاسبوع العربي » (بيروت) ، ٢٠/٢/١٩٦٦ .

تدريسة ومدروسة للغاية ، يقوم بتخليطها علماء
واختصاصيون في هذا الفن .

اقتراحات لتقوية النشاط الاعلامي

وختاما ، نسا هي أبرز الخطوات الواجب اتخاذها
لجعل نشاط الطلبة العرب الاعلامي اكثر فعالية
وابجابية ؟ لعل أبرز الامور التي يمكن القيام بها
لتوحيد الجهود ولتصعيد النشاطات الاعلامية تتلخص
بما يلي : تزويد الطلاب العرب بأحدث الكتب
والمنشورات والوثائق والصحف والمجلات حول
القضية الفلسطينية باللغة الانكليزية . ثم توفير
المال الكافي الى منظمة الطلبة العرب لاتمام
مشاريعها الاعلامية وفصل السياسة عن النشاط
الاعلامي . وكذلك يجب توفير نوع من الحماية
العربية للطلاب العرب الذين يتعرضون للضغوط
الصهيونية او الذين يحتاجون الى مساعدات مالية

- ١ - *The Daily Star* (Beirut), January 20, 1972.
- ٢ - *Ibid.*
- ٣ - *Ibid.*
- ٤ - *News* (Organization of Arab Students in the USA), May, June 1970, p. 5.
- ٥ - *Open Doors 1971*, (New York: Institute of International Education).
- ٦ - عن كتيب تحت عنوان : **مؤتمر الطلاب العرب الاول** ، مارس ١٩٥٩ (منظمة الطلبة العرب في الولايات المتحدة الامريكية) ، ص ٣ - ٥ .
- ٧ - مجلة « الهدف » (بيروت) ، ١٤/٨/١٩٧١ .
- ٨ - مجلة « الراية » (بيروت) ، ١٠/٧/١٩٧٢ .
- ٩ - « الهدف » ١٤/٨/١٩٧١ .

الاعلام العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية

العام كما يجوز أن تجتمع على دورات استثنائية لدراسة المشروعات الاعلامية واقتراح الخطة الاعلامية والعمل على وضع السياسة الاعلامية التي يرسمها مجلس وزراء الاعلام موضع التنفيذ وتتابع جهود جهاز الاعلام بالجامعة ومكاتبه بالخارج .

وللجنة أن تستعين في دراساتها بالتخصصين العرب في مجال الاعلام بوصفهم خبراء لاعداد بحوث في موضوعات تعينها لهم .

المكتب الدائم للدعوة العربية : يتألف من المحققين الصحفيين في السفارات العربية بالقاهرة ومدوب عن هيئة الاستعلامات المصرية لتحقيق الصلة المستمرة بين الامانة العامة والدول الاعضاء . ويشمل اختصاص المكتب المشروعات الاعلامية التي يستدعي تنفيذها مراجعة الدول الاعضاء والاتصال بها وتقوم الامانة العامة باطلاع المكتب على تقارير مكاتب الاعلام العربي في الخارج المصلة لوجه نشاطها والحملات الاعلامية والرأي العام في المنطقة التي تعمل بها بحيث يكون المكتب الدائم صلة فعالة بين جهاز الاعلام العربي في الامانة العامة والدول الاعضاء ، اما الهيئة التي يستمد منها المكتب سلطته بجانب الدول الاعضاء فهي اللجنة الدائمة للاعلام العربي التي تقدم اليها تقارير المكتب وتوصياته(٤) .

(٢) الهيكل التنظيمي للجهاز

يرئس الجهاز الامين العام المساعد المشرف على شؤون الاعلام ويتكون الجهاز من ادارة مركزية وغروع في الخارج .

١ - **الادارة المركزية :** يرئسها مدير . ونص قرار الامين العام رقم ٩٤ لعام ١٩٦٩ على أن العمل يتوزع في الادارة بين لجنة ومكتبين وثلاثة اقسام :

١ - **لجنة التخطيط والمتابعة :** يرئسها مدير الادارة وتشكل من الوكيل ورؤساء الاقسام وتجتمع يوميا برئاسته واسبوعيا برئاسة الامين العام المساعد المشرف على جهاز الاعلام ، ومهمة هذه اللجنة دراسة اعمال المكتب الفني وتحديد السياسة المرئية والدائمة للعمل الاعلامي ودراسة مشروعات الخطط الاعلامية والبرامج التي يقترحها قسم التخطيط والمتابعة ومشروعات الانتاج التي يقترحها

يقتضي التعرض للاعلام العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية البدء بتحديد مفهوم الاعلام ومدى اختلافه عن مفهوم الدعاية . ويمكن القول ان الاعلام Information عبارة عن مجموعة من الحقائق المرتبطة بموضوع او قضية معينة أو مواضيع أو قضايا معينة تنقل من مرسل لهذه الرسالة الاعلامية الى مستقبل audience لها عن طريق عدة وسائل أبرزها وسائل الاعلام الجماهيري mass media والاتصال المباشر .

وهذا يختلف عن مفهوم الدعاية Propaganda وهو عبارة عن مجموعة من الحقائق المغرضة أو المشوهة أو المناقضة التي تهدف الى تغيير المنطق الذاتي لتقبل الرسالة الاعلامية وتجعلهم يتخذون موقفا معيناً ما كانوا يتخذونه لو لم يتعرضوا لمثل هذا العمل الدعائي(١) .

وتعتبر جامعة الدول العربية اطارا من اطارات العمل العربي المشترك في المجالات السياسية والاعلامية والاقتصادية والثقافية والصحية والفنية الخ ... اي ان الاعلام العربي المشترك يعتبر أحد جوانب العمل العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية(٢) .

ويقتضي التعرض للاعلام العربي المشترك تناول ما يلي(٣) .
اولا : تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العربية .
ثانيا : المنطق الاعلامي المشترك للدول العربية .
ثالثا : وظيفة الاعلام العربي المشترك .

اولا : تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العربية :

يمكن تحديد الابرار التنظيمي لجهاز الاعلام العربي فيما يلي :

(١) اجهزة التخطيط والتوجيه والمتابعة

مجلس وزراء الاعلام العرب : يتألف من وزراء الاعلام في الدول الاعضاء ، وعادة ما يجتمع مرة سنويا ، وينظر المجلس في السياسة الاعلامية العربية المشتركة ، ويقوم بدراسة ما يرفع اليه من تقارير عن الدعاية المضادة وطرق مجابتهها كما يدرس توصيات اللجنة الدائمة .

اللجنة الدائمة للاعلام العربي : تتألف من رؤساء اجهزة الاعلام في الدول الاعضاء ، وتجتمع مرتين في

ويعمل على تعزيز العلاقات بالانحدادات والمنظمات العربية والاجنبية والجاليات العربية وجمعيات المدائة ومنظمات الطلبة والعمال العرب في الخارج ويتولى العمل في هذا القسم شعبتان :

١ - **شعبة المتابعة** : وتقوم بمتابعة اعمال الامم المتحدة ووكالاتها المتخصصة والمنظمات المختلفة واوروبا وغربقيا واسبيا والامريكيتين .

٢ - **شعبة الوثائق والمعلومات والبحوث** : ينقسم العمل بها الى ثلاث وحدات : ١ - **المعلومات** : تتولى هذه الوحدة تبويب المعلومات وحفظها وحفظ الوثائق وتقوم بتنظيم مكاتب الانلام والصور والخرائط . ٢ - **البحوث** : تتولى اعداد الدراسات والبحوث وتتعاون مع مراكز البحث والدراسات وتقتراح البرامج المرشحة وبعيدة المدى تهيدا لتوزيع اعيانها بينها وبين المراكز الاخرى : ٣ - **الترجمة** : تقوم بأعمال الترجمة .

ز - **قسم الانتاج الاعلامي** :

مهمته انتاج المواد الاعلامية ويتولى العمل في هذا القسم : ١ - **شعبة التحرير والمطبوعات** : تتولى امور النشر وتمهيجه والاشراف على اصداره . ٢ - **شعبة الصوت والصورة** : تتولى اعداد الشرائح الملونة والصور الفوتوغرافية وانتاج الافلام السينمائية الخاصة بالاعلام واعداد التسجيلات الاذاعية . ٣ - **شعبة المعارض والسياسة** : تتولى تنسيق التعاون العربي في مجال المعارض في اطار الهيئة العربية للمعارض وفي مجال السياحة بالتعاون مع الاتحاد العربي للسياحة . ٤ - **شعبة الطباعة** : تقوم بتصوير المستندات وطبع الكتيبات والنشرات^(٥) .

٢ - **مكاتب الجامعة العربية في الخارج** : وهي مكاتب الجامعة العربية في الولايات المتحدة الامريكية / مكتب نيويورك ، واشنطن ، شيكاغو ، سان فرانسيسكو ، دلاس/ ، مكتب الجامعة في كندا/ اوتاوا/ ، مكتب الجامعة في بيونس ايرس بالارجنتين ، مكتب الجامعة في ريو دي جانيرو بالبرازيل ، مكتب الجامعة في لندن ببريطانيا ، مكتب الجامعة في باريس بفرنسا ، مكتب الجامعة في جنيف بسويسرا ، مكتب الجامعة في روما بايطاليا ، مكتب الجامعة في بون بالمانيا الغربية ، مكتب الجامعة في نيودلهي بالهند ، مكتب الجامعة في طوكيو باليابان ، وبالنسبة لافريقيا هناك ملحقات

تسم الانتاج الاعلامي والنظر فيما يعد للعرض على اجيزة التخطيط والمتابعة وتقييم العمل الاعلامي في ضوء تقارير المتابعة ووضع برامج التفتيش الفني والاداري والمالي على اعمال مكاتب الجامعة في الخارج وتنسيق العمل بين اقسام ادارة الاعلام .

ب - **المكتب الفني** : يتلقى ما يرد من جميع مصادر الانباء والمعلومات كما يتلقى تقارير الحكومات العربية ومكاتب الجامعة في الخارج وذلك مباشرة او عن طريق قسم التخطيط والمتابعة الذي يزود المكتب بصور ما يرد اليه ويدرس المكتب كل ذلك بهدف تحليل اتجاهات ومواقف الرأي العام والتوصية بالسياسة الواجب اتباعها واقتراح مخرجون الخطط الاعلامية والتوصية بما ينبغي ان يصدر من بيانات او مطبوعات ويدرس ما يتعلق بشؤون المقاطعة بالتعاون مع باقي الاقسام .

ج - **مكتب العلاقات العامة والصحافة** : ينقسم العمل بهذا المكتب الى (١) مركز العلاقات العامة ويقوم باعداد وتنظيم زيارات الوفود والشخصيات للبلاد العربية بالتعاون مع مكاتب الجامعة في الخارج من جهة وحكومات الدول الاعضاء من جهة اخرى كما يقوم بالاتصالات التي يكلف بها على الصعيدين العربي والدولي . (٢) المركز الصحفي ويتولى تنظيم الاتصال بأجهزة الاعلام ورجال الاعلام واهل الفكر وينظم عقد المؤتمرات الصحفية ويصدر البيانات والنشرات الصحفية ويدعو رجال الاعلام للاجتماعات العربية .

د - **قسم الشؤون الادارية** : يعتبر مسئولا عن حسن سير العمل في جميع اقسام ووحدات الادارة فيلتقى بريد الادارة ويتابع تنفيذ التعليمات ويتولى العمل الاداري المتعلق بالجهاز ... الخ .

هـ - **قسم الشؤون المالية والعاملين بجهاز الاعلام** : يوجد بالادارة المالية وشؤون الموظفين قسم للشؤون المالية والعاملين بجهاز الاعلام تسند اليه جميع الاعمال المالية والحسابية وشؤون العاملين ويتولى مراقبة ومراجعة محروقات الجهاز .

و - **قسم التخطيط والمتابعة** : يتولى اقتراح مشروع الخطط الاعلامية وتنسيق العمل الاعلامي وتجميع المعلومات والوثائق وتبويبها واعداد البحوث والدراسات ومتابعة تنفيذ الخطط والبرامج الاعلامية والاشراف على اعمال مكاتب الجامعة في الخارج .

صخني في نيروبي وآخر في داكار(١). وعادة ، يوجد بهذه المكاتب مسئولون عن العلاقات العامة والمحافة والبحوث ... الخ وفقا للامكانيات المتاحة واحيانا تقوم بهام تمثيلية مثل مكتب نيويورك .

وتتعاون البيئات العربية التالية مع المكاتب الخارجية : أ - لجنة رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية : تتألف من رؤساء البعثات الدبلوماسية والتفصلية العربية ومديري المكاتب في المنطقة التي يعمل بها المكتب ومهمتها التعاون وتبادل الرأي والاتفاق على الخطة العربية . ب - اللجنة الاعلامية : تتكون من مديري المكاتب الخارجية ويجتمعون اجتماعات دورية لدراسة الموقف الاعلامي العربي وتبادل المعلومات وتوحيد الخطط الاعلامية التي ينفذها كل مكتب حسب امكانياته المتاحة .

ج - اللجنة الاقتصادية : تتألف من القائمين على الشؤون الاقتصادية في السفارات العربية في الخارج ومهمتها دراسة المصالح العربية الاقتصادية في الدول التي تعمل بها ومتابعة النشاط الاسرائيلي الاقتصادي واقتراح طرق مجابهته . د - اللجنة الثقافية : تتألف من الملحقين الثقافيين بالسفارات العربية . وتعمل اللجان الثلاث بتوجيه من مجلس رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية(٧).

ثانيا : المنطق الاعلامي المشترك للدول العربية :
يمكن تقسيم هذا المنطق الى منطلق سلبي ومنطق ايجابي(٨).

المنطق السلبي : يمكن تحديد المنطق السلبي للاعلام العربي المشترك فيما يلي : (٩)

- اسرائيل حقيقة استيطانية : يستند المنطق الاعلامي العربي الى ابراز الحقائق عن الصفة الاستيطانية لاسرائيل والتصدي لزاعمها التاريخية وابراز الادلة العلمية التي تثبت عروبة فلسطين وابراز اغتصاب فلسطين عام ١٩٤٨ والعوامل التي مهدت لذلك ، والاستناد في هذا المصدر الى الادلة الاثرية وكتابات الاجانب ومنهم بعض اليهود غير الصهاينة لاثبات الصفة الاستيطانية لاسرائيل .

- ابراز الحقائق الدينية المرتبطة باسرائيل واليهود والعرب : وذلك بتفنيد « الوعد الالهي » وغير ذلك من الزامات الصهيونية مع الاستناد الى التخصمين في هذا الصدد وان الوعد شمل العرب ايضا .

- ابراز وجود الديانة اليهودية وعدم وجود ما

يسمى بالعنصر اليهودي : تنفيذ الادعاءات الخاصة «بالعنصر اليهودي» و«الامة اليهودية» و«القومية اليهودية» وحقيقة وجود ديانة يهودية لاناس مختلفي العناصر والاحل الانتروبولوجي مع الاستناد الى كتابات المختصين في الانتروبولوجيا والتاريخ وغيرها .

- اسرائيل حقيقة استيطانية مرتبطة بالغرب : ابراز الصفة المهاجرة للعنصر البشري في اسرائيل وابراز دور العنصر البشري المهاجر من الغرب واهميته النسبية ، وحقيقة الاقتصاد الاسرائيلي الذي يتسم بالاصطناعية فهو منقول Transmitted economy اساسا من الغرب .

- اسرائيل تعبر عن صورة جديدة للفاشية والنازية : تعبر اسرائيل عن صورة جديدة للتسلطية مثل الفاشية والنازية وذلك لاهدائها حتسوق الانسان العرسي وحرياته الاساسية في الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ وما بعدها وذلك بالاضطهاد واهدار الحريات ومصادرة الممتلكات والقتل وهدم الممتلكات وابعاد السكان ... الخ.

- التقدم التكنولوجي الاسرائيلي منقول من الخارج : ابراز الحقيقة العمرية والتكنولوجية لاسرائيل واثبات صفتها الاصطناعية سواء اكان ذلك في العنصر البشري والاكائيات المادية والفنية وان اسرائيل لم تحول الصحراء الى اراضي خصبة ولكن التقدم التكنولوجي ولا سيما الموارد من الغرب هو الذي قام بهذه المهمة .

- اسرائيل دخيلة على الشرق الاوسط : اسرائيل جزء دخيل على الشرق الاوسط ويتسم وجودها بعدم الاستقرار لانها دخيلة عليه ، لقيامها على ارض فلسطين وطرد السكان الاصليين منها .

- اسرائيل تمثل الفكرة العنصرية : وذلك بكشف الاسس العنصرية للمجتمع الاسرائيلي سواء اكان ذلك ضد العرب او بين اليهود انفسهم وتشابه ذلك مع النظم العنصرية في افريقيا الجنوبية .

هذه هي ابرز نقاط المنطق السلبي للاعلام العربي المشترك ، اما ابرز نطاق المنطق الايجابي للاعلام العربي المشترك فيمكن توضيحها فيما يلي : (١٠)

- حتمية الوحدة القومية : ابراز مقومات الوحدة القومية التاريخية والسياسية والاقتصادية وغيرها مع توضيح اهمية التكامل السياسي والاقتصادي في عالم اليوم .

الى المناطق الدعائي الصهيوني ومراحله وتطوره
والعوامل المؤثرة فيه(١٢).

ثالثا : وظيفة الاعلام العربي المشترك :

يمكن تحديد وظيفة الاعلام العربي فيما يلي :

وظيفة الاتصال بالجماعات المؤثرة: يقوم الاعلام العربي بالاتصال بالجماعات المؤثرة مثل جماعات الضغط Pressure groups والجماعات المصلحية interest groups واللوبيات Lobbies والشخصيات البرلمانية والحزبية ومختلف المؤسسات المؤثرة في صناعة القرار السياسي .

وهنا يؤخذ في الاعتبار طبيعة النظم السياسية. السائدة وطرق اتخاذ القرار ومدى ديمقراطيته او اوتوقراطيته وهل يفرض من القيادة او تساهم فيه الفئات الحكومية .

وعلى هذا الاساس فان الاتصال بالجماعات المؤثرة عامل هام في التأثير على موقف الدولة من القضايا التي يطرحها الاعلام العربي وفي هذا الصدد يؤخذ في الاعتبار درجة الموقف السياسي للدولة وتتراوح هذه المواقف بين التأييد التام والتأييد والحياد والمعارضة التامة والمعارضة وهنا تكون وظيفة الاعلام العربي تحديد درجة الموقف السياسي للدولة والعمل على زحزحته نحو درجة التأييد الممكنة لصالح القضايا العربية ويكون موقف الدولة معيارا لتحديد الطريقة التي يتدخل بها الاعلام العربي ومدى الامكانية المتاحة لهذا الاعلام وقدراته والظروف التي يعمل بها في هذا الصدد .

ويتعدى الاعلام العربي هذه الوظيفة للقيام بوظيفة مراخقة الا وهي وظيفة العلاقات العامة .

وظيفة العلاقات العامة : يمكن تلخيصها في انها نقل الحقائق الى مستقبلتي الرسالة الاعلامية ومعرفة رد الفعل Feed-back للمستقبلين واخذ في الاعتبار عند توجيه الرسائل الاعلامية التالية وهنا يتم توزيع الكتب والكتيبات والمنشورات والنشرات والبيانات الصحفية والاتصال بالصحف والاذاعة والتلفزيون واجراء المقابلات مع وسائل الاعلام والسياحة وذلك بتشجيع الحركة السياحية لنعالم العربي ... الخ .

وهذه الوظيفة تؤثر في الرأي العام بشكل عام الامر الذي يؤثر على المستقبلين بغض النظر عن مدى تأثيرهم في اتخاذ القرارات(١٣).

— **شرعية المقاومة الفلسطينية :** ابراز الادلة القانونية والسياسية والتاريخية لشرعية المقاومة الفلسطينية وحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واعتبارها حركة من حركات التحرير الوطني ومرتبطة بالنضال من اجل التحرير الوطني .

— **الدول العربية تأخذ بالتقدم التكنولوجي :** تأخذ الدول العربية بالتقدم التكنولوجي في حدود امكانياتها كدول حديثة العهد بالاستقلال وتسير بخطوات في هذا الصدد .

— **ابراز مساهمة العرب الحضارية :** ساهم العرب في الحضارة الانسانية في المجالات المختلفة كما ان اوربا استفادت مما اضافه العرب الى الحضارة والعلم مع الاستدلال بالبقايا الاثرية وكتابات المختصين في هذا الصدد .

— **ابراز الطابع القومي العربي :** توضيح الطابع القومي العربي واتساعه بالانسانية والتعاون والاخاء مع التمادي للمحاولات التي تهدف الى تشويبه والنيل منه .

— **انسانية الموقف العربي تجاه القضية اليهودية:** تأكيد الموقف الانساني للشعب العربي تجاه القضية اليهودية وابراز تاريخ الاخاء العربي اليهودي وتمتع اليهود بحقوق المواطنة في الدول العربية(١٤) ويأخذ هذا المنطق في اعتباره عدة عوامل اهمها :

— **مستقبلو الرسالة الاعلامية :** يأخذ المنطق الاعلامي العربي في اعتباره مستقبلتي الرسالة الاعلامية ومن هنا تبرز تعدد وسائل الاعلام وتعدد مؤسساته وابراز الداخل المناسبة لمستقبلي الرسالة الاعلامية وعلى هذا الاساس تبدو اهمية معرفة الرأي العام القطاعي Sectorial والمناطق المتعلقة بمستقبلي الرسالة الاعلامية .

— **التخطيط السياسي :** يعتبر الاعلام العربي المشترك احد وسائل السياسة الخارجية العربية المشتركة ولذلك فالتخطيط الاعلامي العربي يسير في اطار التخطيط السياسي العربي المشترك وعلى هذا الاساس يأخذ التخطيط الاعلامي العربي في اعتباره اهداف السياسة الخارجية العربية ودور الاعلام في تحقيق هذه الاهداف .

— **الدعاية الاسرائيلية :** ينسج الاعلام العربي في اعتباره الدعاية الاسرائيلية المضادة ووسائلها وامكانياتها وكفاءة العاملين فيها واستراتيجيتها الطويلة وما يتعلق بذلك من امور مرحلية بالاضافة

ولا سيما استراتيجيتها ومرآتها والعوامل المؤثرة فيها وإمكانياتها ومنطقها الدعائي وتخطيط هذا المنطق ، كل ذلك في إطار الظروف السدولية والاعتبارات السياسية ، وعلى هذا الأساس يمكن القول ان الاعلام العربي المشترك في اطار جامعة الدول العربية سار على نحو لا بأس فيه وحقق اهدانا معقولة في حدود إمكانياته وان الحكم المطلق على دور الاعلام العربي المشترك بالفشل او النجاح دون الاخذ في الاعتبار هذه العوامل يعتبر اما جهلا بالحقائق او حيا في الهجوم فالاعلام العربي المشترك كجزء من نشاط جامعة الدول العربية يعتبر انعكاسا لارادة العمل العربي وارادات الدول الاعضاء ، كما ان الجامعة العربية بدأت تستفيد من المتخصصين والفنيين والخبراء في كافة المجالات في حدود إمكانياتها الامر الذي يجب النظر اليه بعين الجد .

محمد علي العويني

وظيفة تمثيلية : تنحصر في القيام بوظائف تمثيل جامعة الدول العربية باعتبارها ليست منظمة اعليمية فحسب بل هي ايضا منظمة قومية لاتباء اعضائها الى عقيدة القومية العربية وعلى هذا الاساس نجد ان مكتب نيويورك مثلا يقوم بوظيفة تمثيلية بالاضافة الى صفته الاعلامية وهذا يرجع الى وجود الامم المتحدة في نيويورك ومن هنا يبرز دور المجموعة العربية والاتصال بها عند تحديد المواقف والتصويت عليها في الامم المتحدة .

خاتمة : استعرضنا فيما سبق تنظيم جهاز الاعلام العربي في اطار جامعة الدول العربية والمنطق الاعلامي العربي المشترك للدول العربية ووظيفة الاعلام العربي المشترك واذا اخذنا ذلك في الاعتبار لتحديد فاعلية الاعلام العربي فان الإمكانيات المتاحة والاشخاص القائمين بها والظروف المرتبطة بذلك وطرق الاختيار بين البدائل ، كل ذلك في جانب والدعاية الاسرائيلية والصهيونية

٣ - اعتدنا في هذه الدراسة على الاندماج في الظاهرة موضع الدراسة احيانا والاحتكاك بها احيانا اخرى وملاحظتها بالاضافة الى الاحالات المرجمية واعتدنا في الجزء الخاص بالمنطق الاعلامي على تحليل المضمون .

٤ - قرار سيادة الامين العام رقم ٩٤ بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٦٩ .

٥ - **المجلة المصرية للعلوم السياسية** - عدد خاص عن جامعة الدول العربية - العدد / ٦٧

٦ - يوليو ١٩٧٠ - ص ص ١٨٨ - ١٩١ ، ٢٤٠ .

٧ - دليل جامعة الدول العربية - **ملحق الاهرام الاقتصادي** - عدد ١٥ مارس ١٩٧٠ - تقديم

٨ - بطرس بطرس غالي - ص ص ٤٨ - ٤٩ ، ٥٣ - ٥٥ .

٩ - قرار سيادة الامين العام رقم / ٩٤ بتاريخ ١٩ اغسطس ١٩٦٩ - مرجع سابق .

١٠ - **المجلة المصرية للعلوم السياسية** - العدد / ٦٧ - مرجع سابق .

١١ - مزيد من التفصيل انظر :

١٢ - جامعة الدول العربية - الامانة العامة -

مبانيها عام ١٩٧٠ / ١٩٧١ من ١/٧/١٩٧٠ حتى

١٣ - ٢٠/٦/١٩٧١ . والتي وافق عليها مجلس

الجامعة بجلسته المنعقدة في يوم ١٤/٣/١٩٧٠ .

١ - فيما يتعلق بهذه المفاهيم انظر تعريفات اخرى في :

٢ - د. حامد ربيع - المخطط الدعائي في الاستراتيجية الصهيونية - مجلة **السياسة الدولية** - العدد ١١ - يناير ١٩٦٨ .

٣ - د. حامد ربيع - **فلسفة الدعاية الاسرائيلية** - مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - يوليو ١٩٧٠ .

٤ - Klapper: *The Effects of Mass Communication*, 1961

٥ - Symposium Ljubljana 1968, Mass Media and International Understanding, School of Sociology, Political Science and Journalism, Ljubljana, 1969.

٦ - عرضنا لهذا الكتاب في مجلة **السياسة الدولية** - العدد ٢٧ - يناير ١٩٧٢ - ص ص ١٦٧ - ١٧١ .

٧ - د. سيد نوفل - **العمل العربي المشترك**

٨ - **ماضيه ومستقبله** - الكتاب الاول - ١٩٦٨ -

٩ - منشورات معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية - ١٩٦٨ .

١٠ - د. سيد نوفل - **العمل العربي المشترك في**

١١ - **المجال الدولي** - منشورات معهد البحوث

١٢ - والدراسات العربية - جامعة الدول العربية -

١٩٧١ .

١٠ - اعتمادنا في هذا الصدد على المراجع السابقة نفسها .

١١ - جامعة الدول العربية - الامانة العامة - ادارة الاعلام - مذكرة بشأن تنسيق الامكانيات الاعلامية في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي - ١٩٧٠ - وضع هذه المذكرة لجنة من الخبراء مكونة من د. بطرس بطرس غالي ، د. عاطف عبيد ، د. نبيل شعث ، د. انيس صايغ ، والاستاذ تحسين بشير .

١٢ - محمد علي العويني - السياسة الخارجية الاسرائيلية في افريقيا - رسالة ماجستير - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة - يوليو ١٩٧١ - صص ٢٥٤ - ٢٥٧ .
- تحسين بشير - النشاط الاعلامي العربي في الولايات المتحدة - مركز الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٩ .

- منذر غنباوي - اضاء على الاعلام الاسرائيلي - مركز الابحاث - منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - ١٩٦٨ .
Kishtainy, Khalid : *Verdict in Absentia*, P.L.O. Research Center, Beirut, 1969.

١٢ - انظر مثلا :

- جامعة الدول العربية - الامانة العامة - جهاز الاعلام ، تقرير عن نشاط مكاتب الجامعة في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي - ١٩٧٠ .

- جامعة الدول العربية - الامانة العامة - ادارة الاعلام - تقرير عن موقف الاعلام العربي عن النصف الاول من عام ١٩٧١ .

- مكتب جامعة الدول العربية في طوكيو - نشاط المكتب عن الفترة من منتصف نوفمبر حتى منتصف ديسمبر ١٩٧١ .

- مكتب جامعة الدول العربية في لندن - نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .

- مكتب جامعة الدول العربية في روما تقرير عن اهم نشاط المكتب خلال شهر ديسمبر ١٩٧١ .

- مكتب جامعة الدول العربية في البرازيل - تقرير عن نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .

- جامعة الدول العربية - الامانة العامة - مكتب بون - تقرير عن نشاط المكتب خلال شهر نوفمبر ١٩٧١ .

- جامعة الدول العربية - مكتب جنيف - التقرير الاعلامي لشهر نوفمبر ١٩٧١ .

- جامعة الدول العربية - الامانة العامة - جهاز الاعلام - تقرير عن نشاط مكاتب الجامعة في الخارج للعرض على اللجنة الدائمة للاعلام العربي - ١٩٧٠ .

- جامعة الدول العربية - الامانة العامة - ادارة الاعلام - تقرير عن موقف الاعلام العربي عن النصف الاول من ١٩٧١ .

٧ - قرار سبادة الامين العام السابق الاشارة اليه .

المجلة المصرية للعلوم السياسية - مرجع سابق - صص ١٩٠ - ١٩١ .

٨ - وصلنا الى هذا المنطق اساسا عن طريق تحليل المضمون وهو اسلوب من اساليب تحليل المواد الاعلامية .

انظر غيما يتعلق بتحليل المضمون :

Lindzey, Aronson : *The Handbook of Social Psychology*, Vol. II, 1968, p. 63.

د. حامد ربيع - نظرية الدعاية الخارجية - كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة ١٩٧٠ - ص ٩٧ وما بعدها .

انظر بعض الدراسات في تحليل المضمون مثل :

Suleiman, Michael W., « The Mass Media and the June War » & H.H., «The Middle East Crisis of 1967 and the New York Times», in *Essays on the American Public Opinion and the Palestine Problem*, P.L.O. Research Center, Beirut, February, 1969.

٩ - اعتمادنا في الوصول الى هذا المنطق السلبي على تحليل مضمون نشرات وكتب صادرة عن مكاتب الجامعة في الخارج والادارة المركزية للاعلام مثل :

- *The Arab World*, Published by the Arab Information Center, New York, U.S.A.

- *Al'Arab*, Published by the League of Arab States Mission, New Delhi, India.

- *Informations Arabes*, Centre d'Information Arabe, Genève.

- *Actualités Arabes*, Publié par le Bureau de la Ligue des Etats Arabes, Paris.

- *The Arab*, Published by the Arab League Office, London.

- *The Arab Review*, Published by the Arab League Office, Tokyo.

- جامعة الدول العربية - الامانة العامة - ادارة الاعلام - نشرة الاعلام العربي .

جماعة السينما الفلسطينية

وجماعة السينما الفلسطينية في مركز الأبحاث

بعد . وقد كان مهرجان دمشق الدولي الاول لسينما الشباب الذي انعقد في نيسان ١٩٧٢ ، عاملا هاما في تنشيط النقاش والبحث عن صيغة تمكن هؤلاء « المهتمين بشؤون السينما والادب والفكر » ، استخدام هذه الوسيلة الجماهيرية الهامة — السينما .

اما حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، فتح ، فقد أيدت الفكرة ووضعت كافة امكانيات قسم السينما التابع للاعلام المركزي من معدات وأرشيف بمقتول الجماعة . وفي نفس الوقت تم لقاء بين ممثلين عن (الجماعة) ومركز الأبحاث ، وقد أعرب المركز عن اهتمامه بالموضوع ، وعرض على (الجماعة) مترا لها في المركز كما ابدى اهتماما كبيرا بفكرة انشاء مكتبة سينمائية فلسطينية .

هذه العوامل فتحت أبوابا هامة أمام (الجماعة) ، ومنحتها الدعم المعنوي . وقد أعلنت الجماعة بيانها وأقرت نظامها الداخلي بعد هذا التشجيع والدعم بوقت قصير . وزعت الجماعة بيانها بشكل واسع ، وأقامت صلات مع بعض السينمائيين التقدميين ، وخاصة أثناء المهرجان الدولي الرابع للايام السينمائية بقرطاج ، والذي أقيم في تونس في بداية اكتوبر ١٩٧٢ ، كما أجرت اتصالات مع مدير مؤسسة السينما السورية السيد عبدالحميد مرعي ، ومدير مؤسسة السينما التونسية المعروفة (بالسباتك) السيد حمادي الصيد . وأجرت اتصالا مع مركز الفنون السمعية والبصرية الجزائرية ، وآخر مع السكرتارية العامة للمهرجان الدولي الاول لانفام وبرامج فلسطين والذي يعقد في بغداد في الفترة ما بين ١٩ و ٢٢ آذار ١٩٧٢ . وفي وقت لاحق ، وفي حوالي منتصف كانون الاول ١٩٧٢ تقدم مركز الأبحاث ، بعد ان حصل على مرافقة من جامعة الدول العربية بدعم مشروع المكتبة السينمائية ، تقدم المركز بمشروع تبني جماعة السينما الفلسطينية وذكر في مقدمة المشروع المقترح ما يلي :

« يرى المركز أن مزيدا من الالتحام بينه وبين الجماعة سيؤدي الى خير السينما الفلسطينية : ذلك ان المركز يعلق أهمية كبيرة على وجود اللبقات الفنية الواعية التي تضمها الجماعة ،

مع بداية شهر شباط ١٩٧٢ كان الاتفاق قد تم نهائيا بين أغلبية أعضاء [جماعة السينما الفلسطينية] ، بقبول المشروع الذي تقدم به مركز الأبحاث بتبني الجماعة . وبعد هذا القبول ، أصبح اسم الجماعة كالاتي [جماعة السينما الفلسطينية في مركز الأبحاث] . وقد ظلت أهداف الجماعة كما أعلنت عنها في بيانها الذي صدر في شهر حزيران ١٩٧٢ .

ما هي جماعة السينما الفلسطينية ؟ وما هي جماعة السينما الفلسطينية في مركز الأبحاث ؟ كيف تكونت ، وكيف تم هذا اللقاء بينها وبين الجماعة في مركز الأبحاث وما هدفه .

تحدثت الجماعة في بيان لها عن أهمية السينما الفلسطينية وضرورة تطويرها « كي تستطيع الوقوف بجدارة الى جانب المواطنين الشجعان ، وتعكس حقيقة القضية وتصور مراحل كساح الشعب الفلسطيني لتحرير أرضه وتعكس الماضي والحاضر وتستشر المستقبل . ومثل هذه السينما ينبغي ان تنمو وتطور ضمن جهود منظمة مجتمعة .. » . من هذا المنطلق تكونت الجماعة من المهتمين بشؤون السينما والادب والفكر وقد أعلنت عن أهدافها كما جاء في البيان كالاتي :

« ضمن الأنتاج : تحقيق افلام ثورية تحشد الجماهير حول الثورة وتعرف بكفاح شعبنا وقضيته للعالم .
ضمن الوثيقة : انشاء مكتبة سينمائية (أرشيف) يضم الوثائق المصورة المتحركة والثابتة التي تحتوي على صور نضال شعبنا ومراحل تطور قضيته .
ضمن التعاون : توطيد العلاقة مع الجماعات السينمائية الثورية والتقدمية في العالم والمشاركة في مهرجانات السينما باسم فلسطين ، وتقديم التسهيلات السينمائية المتوفرة الى كل الجهات الصديقة التي تعمل ضمن أهداف الثورة الفلسطينية » .

وقد تكونت جماعة السينما الفلسطينية عبر نقاشات طويلة وبعد لقاءات عدة ابتدأت في بداية عام ١٩٧٢ . وقد ساهم في هذا النقاش اطراف رسمية مثل قسم الثقافة الفنية التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية — في بداية النقاش الاولى تم انسحب هذا القسم من المشاركة في النقاش فيما

ج - يهيئ المركز جميع الظروف الممكنة التي تساعد الجماعة على تادية مهماتها ، كما يوفر حاليا مكانا للجماعة ويوفر لها التسهيلات الادارية . »

وبعد مناقشة هذا المشروع ، رأت اغلبية أعضاء جماعة السينما الفلسطينية ، ان قبول هذا المشروع سيكون بمثابة بدء عملي في تحقيق الاهداف التي اعلنت عنها . غاقرت المشروع ، وبهذا أصبح الاسم الجديد (جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث) وقد بوشر بالعمل من بداية شباط ١٩٧٣ في مركز الابحاث ، من اجل تحقيق أهداف الجماعة المعلنه .

من بين أهداف الجماعة ، تبرز المكتبة والارشيف كهدف هام ، فالمكتبة التي مستعمل اللقطات السينمائية عن فلسطين والشعب الفلسطيني ، منذ مطلع هذا القرن ستكون مصدرا هاما للاعلام الفلسطيني والعربي . ان المطلع على القضية الفلسطينية ، يدرك ان جميع الوثائق التي تخص هذه القضية ، هي وثائق في صالح قضية الشعب الفلسطيني . والوثائق التي تخص وعد بلفور ، وكذلك الوثائق التي تخص الهجرة الصهيونية والاساليب التي طبق الصهاينة فيها خططهم لشراء الاراضي واقامة المستعمرات ، وكذلك الوثائق التي تخص النضال الفلسطيني منذ ١٩١٧ مروراً بعام ١٩١٩ ، ١٩٢٩ ، وثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، وكذلك النضال السذي تلا ضد الانتداب الانجليزي والصهيونية مروراً بعام ١٩٤٨ ، وكذلك الوثائق التي تخص مأساة هذا الشعب في التشرذم والضياع . . . هذه الوثائق وغيرها الكثير ، تؤكد حق الشعب الفلسطيني بفلسطين ، وتكشف طبيعة العدوان الواقع على هذا الشعب . والوثيقة السينمائية من بين جميع الوثائق حسي الاعم ، لانها تمتلك خاصية نقل الحدث الحي ، صوتا وحركة وصورة . ان مساعدة الاطراف المهتمة بالعمل في سبيل القضية الفلسطينية ، والعاملة في تحقيق آمال الشعب الفلسطيني والمهتلة بثورته المسلحة ، بمساعدة مادية ومعنوية ، ضرورية لإنشاء هذه المكتبة السينمائية الفلسطينية ، وإنشاء سينما فلسطينية قادرة على نقل تجربة الشعب الفلسطيني .

مصطفى ابو علي

الامر الذي يشجعه على تبني نشاطاتها وتوفر الدعم الادبي والمادي كي تحقق الجماعة اهدافها التي اعلنت عنها في بيان تأسيسها . وسوف يوظف المركز سمعته التي اكتسبها على كل صعيد كي يفتح أمام الجماعة مداخل واسعة تلج منها الى ميدان تحقيق طموحاتها وممارسة أعمالها على الوجه الاكمل . وقد احتوى المشروع اقتراحا لتعديل العلاقة بين المركز وجماعة السينما الفلسطينية شملت الصيغة العامة للعلاقة ، والنواحي الفنية ، والقضايا المالية وأمورا عامة . وفيما يلي أهم البنود التي وردت في مشروع مركز الابحاث :

« الصيغة العامة للعلاقة :

أ - اسم الجماعة : جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث .

ب - الجماعة تمثل المركز وتطلق باسمه في جميع الميادين السينمائية وهي تمارس عملها من ضمن هذه الصيغة ، وبذلك فان كل اتصال لها او نشاط معنوي أو مادي (مهرجانات انتاج ، انتاج مشترك ، تمويل) ينحصر في هذه الصيغة

د - تختار الجماعة احد اعضائها ليتفرغ للعمل السينمائي في المركز بشرط أن تتوفر فيه الشروط الفنية التي تؤهله لهذا العمل . «

وفي القضايا المالية :

« أ - ينشأ صندوق خاص باسم جماعة السينما الفلسطينية في مركز الابحاث ترصد فيه جميع الاموال التي ترد الى هذا المشروع . ويتم الصرف من هذا الصندوق على جميع الاحتياجات الفنية للجماعة . ومدخول هذا الصندوق يخص فقط للمشاريع السينمائية ولا ينفق منه على اي من مشاريع المركز الاخرى

د - يتم تدقيق الحسابات حسب الانظمة المتبعة في الصندوق القومي الفلسطيني . «

وتحت بند أمور عامة :

« أ - تضع الجماعة لنفسها نظاما داخليا يحدد سير عملها

(١) المقاومة الفلسطينية

اصبحت مستعدة لقصف وضرب تجمعات المدنيين على نطاق واسع . وقد كان نصيب لبنان ، ونصيب التجمعات الفلسطينية في لبنان ، كبيرا من هذه السياسة ، وادى مثلا الى اتفاق فدائي لبناني بتجهيد العمل العسكري المنطلق من مناطق الجنوب منذ عدة أشهر ، رغم قناعة حركة المقاومة بان اعتداءات إسرائيل ليست مرتبطة بنشاطات الفدائيين فقط .

وفي منتصف ليل ٢٠ شباط تأكدت قناعة حركة المقاومة ، وسقطت حجة الحكومة اللبنانية الداعية الى تجميد النشاط الفدائي ، وذلك حين اقدمت اسرائيل على شن هجوم عن طريق البحر على المدنيين الفلسطينيين في مخيم نهر البارد والبدواوي في المنطقة الشمالية من لبنان . وكان من الواضح ان هدف اسرائيل الاساسي ايقاع خسائر كبيرة بالمدنيين تحدث هزة معنوية في صفوفهم ، وضرب المكاتب الادارية للعمل الفدائي ، ليس لقيمتها العسكرية ، بل لما تمثله من رمز معنوي للفلسطينيين .

كان العدوان الاسرائيلي مفاجئا وسريعا واحداث خسائر كبيرة بالارواح . ولكنه بالرغم من ذلك ووجه بمقاومة باسلة من متطوعي الميليشيا في المخيمات ، لا تعني من القول بضرورة رفع كفاءتهم القتالية ودرجة تيقظهم ، وصياغة تواجدهم في المخيمات حسب خطط دفاعية تلائم كل مخيم على حدة . والجدير بالملاحظة هنا ان عبء المقاومة تحمله قوات اللبشيا في المخيمات دون اي تدخل من قبل الجيش اللبناني ، وان ردود الفعل على الحادث لم تكن فلسطينية فقط ، انها كانت هناك ردود فعل لبنانية على نطاق واسع . مخين شيعت طرابلس ١١ فدائيا من شهداء الاعتداء مسار وراء جناز التشييع اكثر من ٣٥ الفا من سكان المدينة

شهدت حركة المقاومة شهرا صاخبا مليئا بالحيوية والنشاط والمعارك السياسية والعسكرية التي شملت اكثر من بلد . وتميز هذا النشاط بتنوع انماطه وتعدد نتائجه ، وطرح اسئلة واحتمالات سياسية من نوع جديد . كما استطاع هذا النشاط ان يكون محورا لكثير من التحركات والمواقف العربية ، سواء على صعيد الانظمة او على صعيد الاحزاب والقوى الشعبية ، التي انشغلت كلها بما اثارته نشاطات حركة المقاومة طوال الفترة الممتدة من ١١ شباط الى ١٠ اذار ١٩٧٣ .

العدوان الاسرائيلي على مخيمات لبنان :

الموقف الاسرائيلي الدائم والمعلن ، ان اي نشاط فدائي يتطلق من البلاد العربية ، يكون الرد عليه في البلاد العربية نفسها ، وذلك تحقيقا لاهداف متعددة . في مقدمتها ضرب العمل الفدائي نفسه ، ودفع الحكومات العربية الى التضييق على حركة المقاومة تقاديا للخسائر التي تحدثها الاعتداءات واحداث انقسام بين الفدائيين والسكان المدنيين نتيجة الخسائر التي يتعرضون لها . وكذلك استخدام جسو التوتسر الناشئ لضرب الثورة العسكرية العربية . وسابقا كان التكتيك الاسرائيلي يحرص على توجيه الضربات العسكرية حين تكون هناك عمليات فدائية كبيرة ، او عمليات فدائية صغيرة يجري تضخيمها اعلاميا ، وذلك لايجاد مبررات تستخدم كغطاء في الاوساط الدولية . ولكن هذا الموقف تبدل بعد عملية ميونيخ الشهيرة . فعلى اثر هذه العملية اعلنت اسرائيل رسميا وبقرار من الكنيست ، انها ستتضرب في كل مكان وبكل وسيلة ، وبدون انتظار للمبررات ، معتبرة ان هناك معركة مفتوحة بينها وبين الفدائيين ، وبينها وبين كل بلد يقدم مساعدات للفدائيين . واضافة الى ذلك طورت اسرائيل اساليبها ، فاحذت تمارس رسميا سياسة الارهاب والاغتيال ، كما

كانوا يهتفون كلهم ضد الحكام الذين يلهثون وراء الحل السلمي ، ووزعت الاحزاب اللبنانية في الجناز بيانات تندد بموقف السلطة اللبنانية . وتكررت الظاهرة نفسها في تشييع مدينة صيدا بجناز ضخم لفدائيين من شهداء الحادث ، وفي جناز مماثل لفدائيين آخرين بمدينة بيروت ، واضرب الطلاب في بيروت وصيدا احتجاجا على عدم تدخل الجيش اللبناني في المعركة .

أما على الصعيد الرسمي فقد طرح موقف الحكومة للنقاش في مجلس النواب ، واثار ثواب المعارضة حملة عنيفة ضد الحكومة بسبب موقفها ، وردت اوساط الرئيس صائب سلام تقول ان عدم قيام رد فعل لبناني على الهجوم الاسرائيلي يعود الى عنصر الخناقة ، لان الحكومة كانت تتوقع الهجوم على جنوب لبنان وليس على منطقة الشمال . وحين سئل رئيس الوزراء عن السبب الذي لم يكتشف فيه الرادار تحرك طائرات الهايكوبتر التي نقلت الجنود الاسرائيليين اجاب بأن الرادار تنغصه بعض القطع الحساسة . واحيت هذه الردود من جديد منطق الحملة الاعلامية الرسمية التي حاولت تبرير هزيمة حزيران .

وفي جملة سعيه لتطويق نتائج الاعتداء الاسرائيلي قابل صائب سلام السيد ياسر عرفات وعرضا الوضع الناشئ عن الاعتداء . وفي نفس اليوم (٢٣ شباط) زار السيد عرفات موقع الاعتداء وخطب جماهير الخيم قائلا « لنغهم كل القوى المستسلمة في الارض العربية ان المقاتل الفلسطيني لن يستسلم ، وسيظل يعلق بندقيته حتى يفرض الفلاح الفلسطيني والفدائي الفلسطيني ارادتهما ، كما فرضها الفلاح الفيتنامي بعد اكثر من ١٩ عاما من القتال » .

الأردن وقضية أبو داوود :

اثرت قضية ابو داوود علنا صباح ١٥ شباط في جريدة النهار البيروتية ، بعد مضي خمسة أيام على اعتقاله مع ١٦ فدائيا آخرين توجهوا الى عمان من الحدود السورية والعراقية وعن طريق المطار . وكانت رواية النهار للقضية شبيهة بالروايات البرايسية ، وهي رواية تتلخص بان ابو داوود توجه مع رفاته لاحتلال عمان !! ومنذ البداية تبين ان هذا التضمين للعلنية يهدف الى استغلالها اعلاميا ضد حركة المقاومة ولصالح النظام الأردني، كما يمهّد لاستصدار احكام تاسيسية ضد الفدائيين

المعتقلين . وردا على هذا التضمين سارعت حركة المقاومة الى توضيح حقيقة الحادث . فعقد السيد محمد النجار (ابو يوسف) رئيس السدايرة السياسية في اللجنة التنفيذية ، ورئيس اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان اجتماعا مع السفراء العرب في بيروت عرض عليهم فيه اثناء الاعتقالات في عمان ، وسلمهم مذكرة بتوقيع اللجنة المركزية لحركة فتح جاء فيها : ان الحركة قررت دفع قياداتها الى داخل فلسطين المحتلة ، وان تقسما منهم دخل ليبيا فعلا ، ونتيجة للتسيق بين المخابرات الاسرائيلية والاردنية تم اعتقال عدد من ثوارنا كانوا يستعدون لدخول الاراضي المحتلة ، وفي مقدمتهم ابو داوود ورفاقه . ومضت المذكرة تقول : لا نجد ضرورة للسرود على الرواية الاردنية (رواية النهار) حول احتلال عمان، فاختلاف هذه الرواية هدفه ايجاد الأثران لارتكاب مجزرة سيكون ابو داوود جزءا منها . وحملت المذكرة السلطات الاردنية مسؤولية حياة ابو داوود ورفاقه ، وطالبت الدول العربية بتحمل مسؤولياتها ، لانها لا تستطيع ان تتقبل الصمت العربي على جرائم النظام الأردني .

ثم أعقب هذا اللقاء مؤتمر صحفي عقده السيد كمال عدوان احد قادة فتح ، عرض فيه اولا مجرى النقاش والقرارات في مجلس الدفاع العربي الذي عقد مؤخرا في القاهرة ، واتجاهها نحو المصالحة مع الاردن ونحو تطويع المقاومة لصالح النظام الأردني . ثم اوضح للصحفيين ان حركة فتح رأت ان مواجهة حالة العجز العربي لا يمكن ان تتم الا بدفع قيادات من مراتب عليا الى داخل الارض المحتلة لقيادة النضال الفلسطيني في المرحلة المقبلة، وقد نفذت الحركة ذلك فعلا ، تدخل البعض ، واشتبك البعض الآخر مع العدو ، واعتقل البعض في عمان ومنهم ابو داوود . واذاف كمال عدوان يقول : ان الحركة اختارت عمان للعبور باعتبارها احدى نقاط التماس مع العدو ، واكثر الواجهات العربية ددوا ، ولان اخر ما تتوقعه سلطات الاحتلال ، عبورا فدائيا من هذه الواجهة . ثم اوضح مؤكدا : ان المعتقلين من فتح ، وليس كما يقال تزويرا من ايول الاسود . والتركيز على انهم من ايول الاسود يهدف الى تبرير اجراءات منغلطة للتصفية ، وهي محاولة تريد ان تسبق قرارات مجلس الدفاع العربي بتشكيل لجنة عربية تذهب الى عمان لبحث امكان اعادة بناء الجبهة الشرعية

والجدير بالذكر ان هذه المقابلة اذيعت بعد ان كان النظام الاردني قد اعلن ان محاكمة ابو داوود ورفاقه قد بدأت يوم ١٩ شباط امام محكمة امن الدولة وبتهمة « دخول الاردن في محاولة للقيام باعمال تخل بالامن » . وقد بقي مكان المحاكمة ووقائعها وزمنها سرا لم يكشف عنه حتى الان . ولم يعرف ما اذا كانت المقابلة الثانية التي بثتها التلفزيون الاردني قد جرت اثناء المحاكمة او بعد انتهائها . ولكن لوحظ انه مع انتهاء عملية السفارة السعودية في الخرطوم اذاع الاردن يوم ٤ اذار نبا الحكم بالاعدام على ابو داوود وعدد من زملائه دون تحديد لهذا العدد !! وفي نفس اليوم اذاع الاردن ان الوزارة صادقت على الحكم ، وان الملك حسين صادق عليه بدوره . وكان واضحا من طريقة الاعلان عن النبا سعيه لأن يوحي بان الاعدام سينفذ بسرعة ، اما توقيت الاعلان فقد اراد الاستفادة بشكل واضح من اجواء عملية الخرطوم .

ردود الفعل :

اشار اعتقال ابو داوود ورفاقه ضجسة سياسية واعلامية كبيرة عربيا وعالميا ، ونشاطا دؤوبا على الصعيدين الشعبي والرسمي ، كانت أبرز ملامحه : نشاط حركة المقاومة (اللجنة التنفيذية - المنظمات الفدائية) . الاحزاب والهيئات الشعبية العربية (الاحزاب اللبنانية - الجبهة العربية المشاركة) . الاتحادات الشعبية الفلسطينية . الاتحادات العربية (نقابات المحامين - اتحاد الصحافيين - لجنة الدفاع عن الدستور والحريات في لبنان) . المنظمات الدولية (منظمة التضامن الاسبوي الاغريقي) . رؤساء الدول العربية (بومدين - السادات - الأسد - الصباح - فيصل - بورييه) . الجامعة العربية . شخصيات سياسية عربية (جنبلاط - الموسوي - كميل شمعون - ببير الجليل) . شخصيات فلسطينية (الحاج امين الحسيني) . هيئة السوفيات الاعلى التي ناشدت الملك الغاء احكام الاعدام ، والتي اشار موقعها استفرايا واسع النطاق لانه يشكل بادرة حي الاولى من نوعها ، وتعتبر خرقا للاعراف الدبلوماسية ، لم تقدم عليها هيئة السوفيات الاعلى مثلا عند صدور احكام الاعدام على عبد الخالق محجوب ورفاقه في السودان . وعناوين هذه القائمة (التي لا تحصر كافة ردود الفعل) كائنية لتبرز نوع الصّحة العربية والعالمية التي اثارها اعتقال ابو

من جديد كجبهة مقاتلة اساسها المقاومة . واخيرا قال كمال عدوان : ان القيادات التي اندفعت للداخل لن نسبح ان تصفى في عمان . وان الانظمة العربية التي ظلت تتفرج منذ ايلول ١٩٧٠ لم يعد امامها اليوم اي مبرر للصمت ، وان الموقع القيادي نالاح ابو داوود ورفاقته لا يسمح باي تلاعب بسميره . وختم كمال عدوان كلامه مهددا : **ليتحول الكل بعد هذا مسؤولية ردود الفعل اينما كانت وعلى اية ارض ، ولا يلومنا يوما احد .**

والقاسم المشترك بين مذكرة ابو يوسف ومؤتمر كمال عدوان السحفي : الحرص على حياة ابو داوود ، والاصرار على انه كان مكلفا بهمة في الارض المحتلة وليس في الاردن . ثم الانزعاج من الموقف الرسمي العربي والاستعداد الواضح للهجوم عليه .

يوم ١٩ شباط بث التلفزيون الاردني مقابلة مع ابو داوود جاء فيها : ان هدفه كان احتلال مقر رئاسة الحكومة الاردنية واحتجاز اعضائها من اجل اثبات وجود حركة فتح نائيا ان يكون قدم الى الاردن متوجها الى الارض المحتلة ، وقائلا ان الامداد للعملية تم في بغداد بالاشتراك مع السيد صلاح خلف (ابو اياذ) وان القصد منها اثبات الوجود ونسف التناهم بين الاردن والدول العربية الذي برز في مجلس الدفاع . وغورا نفت حركة فتح ان يكون ما اذيع هو صوت ابو داوود ، وقالت انهما تسجيلات مزورة تثير الكثير من علامات الاستفهام حول مصيره ، واعلنت انها ستذيع اشرطة بصوته من ندواته الشعبية السابقة في عمان .

ويوم ٢٠ شباط قالت اذاعة عمان في تعليق لها ان ابو داوود سيتحدث في مؤتمر سيحضره كل من يريد ان يسمع الحقيقة . وغورا قال مصدر رسمي في حركة فتح اننا : نتحدى ان يقوم النظام الاردني بعقد مؤتمر صحفي للاخ ابو داوود على ان يكون هذا المؤتمر مفتوحا للجميع ويتم باشراف لجتتين ، الاولى من اتحاد الاطباء العرب ، والثانية من اتحاد المحامين العرب .

ويوم ٢٥ شباط بث التلفزيون الاردني مقابلة ثانية مع ابو داوود جاء فيها : دعوة المقاومة الفلسطينية الى تركيز عملياتها في الارض المحتلة ، واتهام لحركة فتح بانها مسؤولة عن حوادث ايلول ١٩٧٠ ، مع اشارة الى وجود خلافات داخل القيادة ، وان المقاومة هي الان تحت رحمة الحكومات العربية .

داوود ورفاقه ، وهي ضجة بدأت فور الاعلان عن اعتقاله ، واستمرت الى ما بعد صدور احكام الاعدام ، وكان تصاعدها يتنامى يوماً بعد يوم . والى جانب المعاني العميقة التي يبرزها هذا التحرك الواسع تأييداً لمظهر واحد من مظاهر نشاط حركة المقاومة ، والذي يكشف عن الاحترام والتقدير الواسع الذي تتمتع به ، فمن المهم ان نسجل الملاحظات التالية :

١ - بدأت الحملة الاعلامية على اساس الافراج عن ابو داوود ورفاقه المعتقلين ، في جو من الادانة للنظام الاردني ، ثم تحولت بعد صدور احكام الاعدام على اثر عملية الخرطوم الى طلب تخفيف الاحكام .

٢ - شاركت في الحملة الاعلامية بعد عملية الخرطوم شخصيات سياسية رجعية تميزت مواقفها بالمناشدة والاسترحام ، وبالثناء على شهامة الملك حسين ، وبالتركيز على الجانب الانساني من القضية ، دون اي اشارة من قبلهم للجوانب السياسية في القضية . وساعدت هذه البرقيات في ابراز الموقف الاردني بمظهر من يتوجه الجميع لاسترضائه .

٣ - حاول الملك حسين ان يستغل الحملة الداعية للافراج عن ابو داوود ورفاقه لاملء شروط على الفلسطينيين وعلى الحكومات العربية ، فطلب في رده على رسالة الشيخ صباح السالم الصباح حاكم الكويت التي ارسلها بطائرة خاصة يوم ٥ اذار : وضع حد نهائي لما اسماه باعمال التآمر ، انتي تقوم بها حركة المقاومة ، على ان يكون ذلك بضمانة الدول العربية . وانتقد بعض الحكومات العربية قائلاً انها تعرف الحقيقة ولكنها تفرش الرياحين للذين يقومون باعمال التآمر ، ثم ألح الى ضرورة دعم الصف العربي ، وتهيئة فرص الدعم والصمود له ، في اشارة الى اموال الدعم التي اوقفت الكويت صرفها للاردن بعد احداث ايلول ١٩٧٠ . وقد ردت المقاومة على هذا الموقف الاردني فوصفته بالابتزاز السياسي وقالت : ان القضية ليست قضية ابو داوود بقدر ما هي قضية استراتيجية ، وموقفنا من النظام الاردني حسم منذ زمن ، وحددت منظمة التحرير هذه العلاقة في برنامجها السياسي . وهذه اشارة ضمنية الى ان مهمة ابو داوود لها جانب يتعلق بالاردن شبيهة بالاشارة التي وردت في تعليق لاذاعة المقاومة في

درعا يوم ٢٨ شباط وجاء فيها ان مهمة ابو داوود كانت القيام بعليات ضد النظام الاردني .

٤ - حاولت بعض الدول العربية ان تستفيد من طلب المقاومة منها التدخل للافراج عن ابو داوود ورفاقه ، لاثارة قضية مبدأ العلاقات بين الاردن والمقاومة ، وضرورة احياء اللجنة التي قرر مجلس الدفاع العربي تشكيلها للبحث في اساس عبودة المقاومة الى الاردن ، بما يضمن هيمنة النظام الاردني عليها . ولكن لم يظهر في الافق ما يشير الى ان هذه المحاولات قد اثرت .

٥ - تميزت حملة المقاومة الاعلامية بهجوم على مواقف الانظمة العربية واتهام لها بالتباطؤ في التحرك .

عملية الخرطوم :

في الوقت الذي كانت فيه قضية ابو داوود تتفاعل عربياً وعالمياً ، كان وزد من حركة فتح برئاسة ابو يوسف وعضوية ابو مازن وابو هشام وابو الفهد ، يقابل الملك فيصل في الرياض يوم ٢٣ شباط ، ويبحث معه امكانية تدخله للافراج عن ابو داوود ورفاقه . وواضح من طبيعة تشكيل الوفد ان فتح كانت تعطي اهتماماً خاصاً لهذه المقابلة وللنتائج التي يمكن ان تسفر عنها . ولكن ما ان مضت ستة ايام على هذه المقابلة حتى قام ثمانية من اعضاء منظمة ايلول الاسود مساء الاول من اذار باقتحام مبنى السفارة السعودية في الخرطوم واحتجاز خمسة دبلوماسيين كانوا يحضرون حفل استقبال في السفارة هم : (السفير السعودي - القائم بالاعمال الاردني - السفير الامريكي - القائم بالاعمال الامريكي - القائم بالاعمال البلجيكي) . واذاع رجال ايلول الاسود ستة مطالبات مقابل الافراج عن الرهائن ، مهددين باعدامهم اذا لم تلب مطالبهم . المطالب كانت : ١ - اطلاق ابو داوود ورفاقه الـ ١٦ خلال ٢٤ ساعة . ٢ - الافراج عن رافع الهنداوي وكل العسكريين الاردنيين المحتجزين بعد محاولة الانقلاب الفاشلة . ٣ - الافراج عن ٥٠ معتقلاً في سجون الاردن من اعضاء المقاومة . ٤ - ان تفرج الولايات المتحدة عن سرحان سرحان . ٥ - ان تفرج دولة الاحتلال الصهيوني عن الاخوات المعتقلات في السجون الاسرائيلية . ٦ - ان تفرج حكومة المانيا الغربية عن جماعة بادر - ماينهوف .

في اليوم الثاني للعملية (٢ اذار) انتهت مدة الانذار دون ان يستجيب اي طرف من الاطراف المعنية للطلبات المقدمة ، فمدد الانذار لفترة اخرى بناء على طلب اللواء الباتر وزير داخلية السودان ، مع طلب بتجهيز طائرة تقل رجال ايلول الاسود مع الرهائن الى الولايات المتحدة ، على ان يرافقتهم بالطائرة منصور خالد وزير الخارجية ، وعمرالحاج موسى وزير الاعلام . والا فان الاعداد سينفذ بالرهائن . لم تستجب حكومة السودان للطلب ، وانتهت مدة الانذار ، فاعدم ثلاثة من الرهائن هم (السفر الامريكي والقائم بالاعمال الامريكي والقائم بالاعمال البلجيكي) . وبعد ان تم الاعداد طلب الفدائيون مرة اخرى طائرة تقلهم مع السفر السعودي والقائم بالاعمال الاردني الى جهة رفضوا تحديدها ، وطلبوا مطالبهم السنة الى مطلب واحد هو الافراج عن ابو داوود ورفاقه المعتقلين في الاردن . وفي اليوم الثالث للعملية (٣ اذار) طلب السودان من الفدائيين تسليم انفسهم فرفضوا ، كما رفضوا تسليم جثث الرهائن الثلاثة ، وطلبوا من جديد طائرة تقلهم جميعا الى ليبيا . وفي اليوم الرابع استسلم رجال ايلول الاسود في الساعة السادسة صباحا بعد ٥٩ ساعة مضت على بدء العملية ، واثار استسلامهم دهشة واسمعة في الخرطوم . وخلال هذه الساعات الطويلة كانت ابرز مواقف الاطراف المعنية كما يلي :

الاردن : كان اول من تحرك ضد العملية وقال على لسان وزير الخارجية صلاح ابو زيد هذه العملية « ليست في مصلحة الفدائيين وستزيد الامور تعقيدا » . وفي اليوم التالي رفض الاردن مطالب الفدائيين واعلن انه يرفض اجراء « اي تسوية او مساومة مع المجرمين » .

السعودية : تميز رد فعلها بالبرود الشديد ، وارسل الملك فيصل في اليوم الثاني للعملية برقية الى النبري تال فيها « اننا لوائتتون من حكمة فخامتكم في تصريفكم للامور ووضع حد لمثل هذه التهديدات والاستفزازات التي تضر بقضايا العرب ووحددة الصف » . ثم نشرت ابناء صحفية على لسان مسؤولين سعوديين تقول ان السعودية ستعيد النظر في علاقاتها مع حركة المقاومة وفي وجود كثير من المواطنين الفلسطينيين لديها . ولكن السعودية سارعت الى نفي النبأ الذي يتعلق

بالفلسطينيين المقيمين في السعودية دون ان تنفي الشق الاول من الاتباء .

الولايات المتحدة : اعلن الرئيس الامريكي نيكسون ان الولايات المتحدة لن ترضخ للتهديد ولن تستجيب للمطالب . وبعد ان تم اعدام الرهائن دعا الى محاكمة رجال ايلول الاسود . ثم وجه رسالة رسمية الى الحكومة السودانية طلبت بشكل غير مباشر عدم تمكين رجال ايلول الاسود من مفادرة الاراضي السودانية . اما بعد ان استسلموا للحكومة السودانية فقد اعلن روجرز ان رجال ايلول الاسود يستحقون عقوبة الاعداد .

اسرائيل : رفضت اسرائيل بدورها الاستجابة للطلبات المقدمة ، وركزت صحفها على الاختيار الصعب المطروح امام النبري بين تأييد الفدائيين وبين حاجته للمساعدات الامريكية . وحين اعلن حظره لكل نشاط يتعلق بحركة المقاومة في السودان ، اثنت الصحف الاسرائيلية على هذا الموقف ودعت بقية الحكام العرب للنسج على منواله ، قائلة ان مثل هذه المواقف تمنح المجال امام انجحاح التسويات السياسية .

السودان : في اليوم الاول للحادث اجتمعت الوزارة السودانية في جلسة طارئة ، قامت على اثرها قوات عسكرية بتطويق مبنى السفارة السعودية . وفي اليوم الثاني تم تدعيم القوات العسكرية حول المبنى . وقد اتخذت هذه الاجراءات دون الاعلان عن اي موقف سوداني رسمي . ولكن ما ان استسلم رجال ايلول الاسود حتى بدأت الحكومة السودانية حملة على كافة المستويات استهدفت حركة المقاومة بمجملها بالادانة والتجريح . فقالت مصادر مطلعة ان المعتقلين سيحاكمون بتهمة القتل وشنت الصحف السودانية (٥ اذار) حملة ضد حركة فتح واتهمتها بالاشترك بالعملية . وفي اليوم التالي (٦ اذار) اعلن النبري في خطاب شعبي وضع حد لكل نشاطات المقاومة في السودان ، وأكد ان الفدائيين سيحاكمون « وسيكون عقابهم منصفا » ، واتهم مكتب حركة فتح بأنه يقوم بنشاطات تخريبية في السودان ، ويتصل بعناصر هدامة في اثيوبيا (ثوار اريتريا) بواسطة عناصر سودانية ، وتحدى عرفات ان يتدد علنا باحتلال السفارة ، واعتبر الحادث عدوانا على الشعب السوداني !! ثم بعث النبري برسائل الى الحكام العرب دعاهم فيها الى وضع قيود على حركة

في الموقف من حركة المقاومة بين السودان والاردن ،
واظهرت سرور اسرائيل لهذا التطور في الموقف
السوداني ، واوضحت مدى التأثير الامريكى على
السياسة السودانية ، واوجدت ازمة فدائية -
عربية ، اخذت مداها في السودان ، ولم يعرف
بعد كيف ستعبر عن نفسها في السعودية .

اوضاع المقاومة الداخلية :

تميزت اوضاع المقاومة الداخلية خلال هذه الفترة
بنشاطات جماهيرية اثارت اهتماما واسعا في
الايوساط السياسية . ففي ٢٥ شباط نظمت الجبهة
الديمقراطية مهرجانا شعبيا في مخيم شاتيلبا بمناسبة
ذكرى تاسيسها الرابعة . وتميز المهرجان بحضور
شعبي واسع ، وباسهام الاحزاب التقدمية اللبنانية
فيه بوزن ملحوظ ، وبحملة من قبل هذه الاحزاب
على موقف الحكومة اللبنانية اثناء الاعتداء
الاسرائيلي على مخيمي البراد والبدواي . والتي
ناهت حواتمة الايمن العام للجبهة الديمقراطية كلمة
طويلة في المهرجان عرض فيها للملامح البارزة
للسياسة العربية الراكضة وراء الحلول التصفية ،
مقارنا بينها وبين النضال الجماهيري الفلسطيني
والعربي . وحين تطرق في حديثه الى تاثيرات
المساعي باتجاه الحلول التصفية على مستقبل
حركة المقاومة نقل كلاما عن الرئيس صائب سلام
قاله لوفد من حركة المقاومة جاء فيه : ان على
المقاومة الفلسطينية ان تلهم بنادقها وترحل ،
لان الحل السلمي آت . واثار هذا المقطع من
الخطاب اهتمت الصحافة اللبنانية التي نقلته بشكل
بارز . وفي اليوم التالي نفى صائب سلام ما ورد في
خطاب حواتمه وقال : انا لا اعرف السيد حواتمه ،
واربا باي اخ فلسطيني . . . ان يضع على لساني
كلاما لم اقله بناتا ، ورأبى بالحل السلمي معروف
وهو ان ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، وموقفى
من المقاومة محبة وتفهم ومساندة . وعلى الفور
ردت الجبهة الديمقراطية فقالت : تؤكد صحة ما
ورد في حديث سلام بانسه لم يلتق يوما بالرفيق
حواتمه . ولكن الحديث صحيح وورد في لقاء مع
وفد من حركة المقاومة يوم ٧/٢/٧٢ ، وعلى اثره
صرح صائب سلام قائلا ان المقاومة هي الان على
مفترق طرق ١٠/٢/٧٢ . واضافت الديمقراطية
في ردحا : ان المحبة والتفهم للشعب الفلسطيني تتم
بالتضامن النضالي معه لا بالمواقف اللفظية . ولقد
كانت تجربة العدوان على مخيمي البدواي ونهر

الفدائيين مشيرا الى ان ليبيا تنف وراء الحادث .
ثم اتسع نطاق الحملة السودانية ليشمل اعتقال
سنة سودانيين واثنين من ثوار اريتريا ووجهت لهم
تهمة الاتصال بمنظمة ايلول الاسود . ثم اتسعت
الحملة اكثر ، فاعتقل مدير مكتب منظمة التحرير
بالخرطوم ، وطالبت السودان بتسليم مدير مكتب
فتح الذي غادر الخرطوم قبل الحادث متوجها الى
ليبيا لحاكمته ، واشاعت السلطات السودانية ان
المعتقلين كانوا ينوون اختطاف امبراطور الحبشة
عيلاسلاسي .

المقاومة : كان اول رد فعل لحركة المقاومة في اليوم
الثاني للعملية بعد ورود الانباء الاولى عن اعتقال
مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية ، اذ بعث
السيد ياسر عرفات ببرقية الى النميري استغرب
فيها اعتقال مدير المكتب ، مبينا انه ليس لمنظمة
التحرير علاقة بالحادث ، ومناشدا النميري استخدام
الحكمة حتى لا تتكرر مأساة حادث ميونيخ . وكان
رد الفعل الثاني لحركة المقاومة في اليوم الثالث
للعملية حين بدا من طيبة الحشد العمسكري حول
السفارة ان هناك نية لافتحها فامرسل عرفات
برقية اخرى الى النميري تال فيها ان قرار اقتحام
السفارة سيؤدي الى اراقة الدماء ، وان مندوبا
عن منظمة التحرير سيصل الى الخرطوم ليساعد
على حل الازمة . ثم اعلنت حركة فتح في يومين
متواليين ان لا علاقة لها بالحادث ، في اليوم الاول
(٥ اذار) ردا على حملة الصحف السودانية ،
وفي اليوم الثاني (٦ اذار) ردا على حملة النميري
نفسه . وهذا اضافت انها تحقق في الانباء التي
تحدثت عن اشتراكها في العملية ، وان النميري
اخطا حين وجه لها هذا الاتهام . وحين تصاعدت
حدة الموقف السوداني برز موقف هجومي لحركة
المقاومة ، عبر عن نفسه في الرسالة التي بعث بها
عرفات الى الحكام العرب ، محتجا على موقف
السودان من حركة المقاومة ، وقائلا ان هناك
مؤامرة صهيونية امريكية تحاك ضدها (٨ اذار) .
وفي نفس اليوم ردت حركة فتح على خطاب النميري
وعلى رسائله « التي تمثل اتجاها جديدا لا يرضاه
مخلص في السودان » ، وقالت ان هذا الموقف :
يشكل محاولة لتحويل الانظمة العربية ، وانعكاسا
للضغط الامريكى الاثيوبي ، وحكما مسبقا في قضية
لم ينته التحقيق فيها بعد .

وبذلك تكون عملية الخرطوم قد كشفت عن الانسجام

البارد مقياسا عمليا لسدى جديده هذين (المحبة والقبول) . واستمرت تفاعلات هذه القضية حتى يوم ٢ آذار حيث نسبت وكالة الاتباء الوطنية للسيد ياسر عرفات بعد لقاء له مع صائب سلام انه نفي خلال الزيارة صحة ما اعلنه نايف حواتمه في خطابه .

وانار مهرجان جماهيري اخر نظمه طلاب الجامعة الامريكية في بيروت ضجة مماثلة اثر خطاب القناه السيد هاني الحسن (فتح) يوم ٩ آذار حين كانت ازمة المقاومة مع السودان في ذروتها ، وكذلك قضية ابو داوود بعد تصديق احكام الاعدام . تميز خطاب هاني الحسن بالوضوح والعنف فهاجم المسؤولين المصريين الذين كانت لهم تحفظات على الاتحاد السوفياتي ولكنهم تحولوا الى الارتساء في احضان امريكا ، وحييا الصداقة الفلسطينية السوفياتية ، وثمن العلاقات المبدئية بين المقاومة والصين الشعبية ، ثم وصف الاردن والسعودية والسودان بأنها قلاع للامبريالية الامريكية في المنطقة ، وتال ان الثورة الفلسطينية عميقة تتقف في وجه المخططات الامبريالية ، وهي تتوقد شعبيًا سيطلق النار على قائد يعتقد اتفاقات على حساب الشعب الفلسطيني وحقوقه . واعلن ان المقاومة الفلسطينية تدعم الثوار في ايران وتركيا واريتريا .

اما على صعيد التوتر في العلاقات الداخلية فلم يكن هناك سوى حادث واحد جرت مواجهته بسرعة وذلك حين اقدمت الصاعقة على تعليق عضويتها في اللجنة السياسية العليا لشؤون الفلسطينيين في لبنان ، وسحبت عناصرها من قيادة الكفاح المسلح ، وذلك احتجاجا على اطلاق عناصر فدائية النار على المواطن اللبناني محمد راشد دوغان في منطقة صبرا . وقد تدخل السيد ابو يوسف فوراً للتفاهم مع الصاعقة حول معالجة الموضوع ، وتدخلت الشخصيات البارزة في الهي لتطويق ذبوله وازالة حالة التوتر التي رافقتة .

ومن القضايا التي اثارت نقاشا في اوساط المقاومة ، قضية العميد عبدالرزاق البيحي والشهادة التي ادلى بها امام المحكمة الفدرالية العليا في الولايات المتحدة . وهي المحكمة التي تنظر في قضية الطائرات التي استولت عليها الجبهة الشعبية ونسفتها قبيل مجازر ايلول ١٩٧٠ في مطاري القاهرة والزرقاء بالاردن ، وذلك بعد ان رفعت شركتا البان اميركان والخطوط الجوية الامريكية عبر العالم

دعوى امام المحكمة المذكورة للحصول على ٣٤ مليون دولار من شركات التأمين . ومع ان القضية قضية قانونية بحتة ، الا ان مجرى النقاش فيها تطور الى منحنى سياسي . فبحسب قانون شركات التأمين يجري دفع قيمة الطائرات المعطوبة ضمن ظروف متعددة منها حالة الحرب ، وحالة الحرب الاهلية . وانطلاقا من ذلك دار النقاش في المحكمة بين وجهتي نظر :

وجهة نظر شركات الطيران المعنية باثبات وجود حالة حرب بين الفلسطينيين واسرائيل والجهات التي تدعها (الولايات المتحدة) ، وبوجود حالة حرب اهلية بين الفلسطينيين والنظام الاردني ، حين تم خطف الطائرات ونسفها . وتعتمد شركات الطيران في سعيها لاثبات وجهة نظرها على ادبيات الجبهة الشعبية التي شرحت فيها عملية الخطف ودوافعها واهدانها .

ووجهة نظر شركات التأمين التي ترفض الاعتراف بذلك وتقول انه لا وجود لشعب فلسطين منذ عام ١٩٤٨ ، وان الذين خطفوا الطائرات مجموعة من رجال العصابات المسلحين ، ليسوا في حالة حرب مع اسرائيل ، ولا في حالة حرب اهلية مع النظام الاردني ، وان النظام الاردني اضطر لضرب هذه العصابات في ايلول ١٩٧٠ . وتعتمد شركات التأمين في دعم وجهة نظرها على مجموعة من الوثائق والمعلومات تقدمتها شخصيات اسرائيلية .

وقد اهتمت المؤسسات العربية والفلسطينية في الولايات المتحدة (الجامعة العربية ومكتب منظمة التحرير) بمجى النقاش السياسي الدائر في المحكمة . ورأت ان صدور حكم يستند الى وجود حالة حرب بين الفلسطينيين واسرائيل يقدم خدمة للقضية الفلسطينية ، اذ يعطي نوعا من الاعتراف بقانونية النضال الفلسطيني يمكن الاعتماد عليه في حملات الاعلام في الولايات المتحدة وعلى النطاق الدولي . وبناء على ذلك تجاوبت مع طلب المحامين المعنيين بالقضية . واقترحت عليهم مجموعة من الشهود من بينهم العميد عبد الرزاق البيحي باعتبار انه كان قائدا لجيش التحرير الفلسطيني اثناء معارك ايلول .

وحيث علم العميد البيحي باختياره للشهادة ، بحث الموضوع مع الجهات المعنية في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ، وبناء على هذا البحث سافر الى الولايات المتحدة . وقد تلقى مركز الابحاث

ولوحظ ان الوفد الفلسطيني اصطحب معه ممثلين عن الاتحادات والنقابات الفلسطينية ، واتاح ذلك فرصة اجراء اتصالات ومحادثات مع المؤسسات الشعبية في البلدين ، اضافة الى المحادثات السياسية التي اجراها وفد اللجنة التنفيذية . كذلك لوحظ بان الوفد الفلسطيني استقبل على مستوى رؤساء الدول ، وكشفت طبيعة الاستقبال عن مدى اهتمام البلدين بالزيارة وبالمحادثات التي اجريت خلالها . ومع انه لم يصدر رسميا ما يشير الى طبيعة المحادثات ، الا ان ما نشر عنها يكشف عن تأييد البلدين الحار لحركة المقاومة ونضالها ، واستعدادها لتقديم كل دعم تطلبه . ويأتي هذا الارتفاع في مستوى دعم دول المعسكر الشرقي لحركة المقاومة ، بعد المحادثات الهامة التي اجريت في الزيارة الاخيرة التي قام بها السيد ياسر عرفات الى موسكو .

بلال الحسن

الفلسطينية رسالة من شخصية فلسطينية مطلعة في الولايات المتحدة اشارت بالتقدير لمستوى ونوعية الشهادة التي أدلى بها العميد يحيى واعتبرتها خدمة « ممتازة لصالح القضية الفلسطينية » .

والجدير بالذكر ان جولدا مئير كانت قد حذرت السفارات الاسرائيلية في الخارج من استعمال العبارة التي تقول « بوجود حالة حرب بين اسرائيل والمنظمات الفلسطينية » . وذلك حتى لا تستعمل التصريحات الاسرائيلية التي تستخدم هذه العبارة كدليل في المحكمة الفدرالية التي تنظر بقضية الطائرات (هارتس - ك ١ - ١٩٧٢) .

محادثات بلغاريا والمانيا الديمقراطية :

قام وفد من المقاومة الفلسطينية برئاسة السيد ياسر عرفات ، يضم ممثلين عن كافة المنظمات الفدائية بزيارة الى دولتين من دول اوروبا الشرقية هما بلغاريا والمانيا الديمقراطية . واجريا في هاتين الدولتين محادثات هامة انتهت يوم ٢٢ شباط .

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب باللغة الانجليزية بعنوان

غسان كنفاني

بقلم

آني كنفاني

أربعون صفحة مدعومة بالصور عن حياة الشهيد غسان كنفاني :
غسان المناضل ، غسان الاب والزوج والكاتب والفنان .

اطلب الكتاب من : قسم التوزيع في مركز الابحاث الفلسطيني

ص.ب ١٦٩١ - بيروت

سعر النسخة ليرة لبنانية واحدة

تضاف اليها أجور البريد : ١٠٠ ق.ل. في العالم العربي ،
٢٥٠ ق.ل. في اوروبه ، ٥٠٠ ق.ل. في سائر الدول

غزة ثورة دائمة على الاحتلال

المواطنين ولو كان لصا فهو أولا وقبل كل شيء يهودي (!!) » .

كان هذا نص المقابلة الإذاعية التي أجزاها راديو العدو الصهيوني باللغة العبرية مع أحد جنود حرس الحدود الصهيانية ضمن أحد برامجها التي بثها يوم ١٩٧٢/٨/٢٥ .

كانت هذه المقابلة تتوجها لما اعلنه دايان قبل ذلك الوقت بتليل من ان المقاومة في غزة قد انتهت فضلا عن الاجراء العملي الذي اتخذته السلطات الصهيونية أيضا قبل ذلك الوقت ونقلت بموجبه مجموعات من حرس الحدود الذين استنزفت قواهم المقاومة طيلة أكثر من اربع سنوات فصلت ما بين الاحتلال الصهيوني لغزة عام ١٩٦٧ وحتى مجازر الاخراج تموز عام ١٩٧١ .

وقد اخترت هذه المقابلة بالذات لتكون مقدمة لهذا المقال لعدة اسباب بدءا من عنوان المقال « غزة مقاومة دائما » وهي قضية اساسية لا بد من تسليط الضوء عليها وانتهاء بان الإرادة القتالية الفلسطينية قد تعمتت أكثر وازدادت اخصابا بعد ان صقلت التجربة واكسبتها المؤامرات مزيدا من الصلابة والاصرار على النضال . . وهي قضية اساسية كذلك . وهوروا بالطبيعة الفاشية العنصرية للصهيونية التي تكرست في أبشع الصور والاشكال ممارسة ضد شعبنا في فلسطين المحتلة .

وعلى أي حال فانني لن أخوض تفصيلا في استنباط الفاشية العنصرية التي تميز حتى ذهن الجندي الصهيوني البسيط فذلك أمر يستطيع كل من قرأ الحوار في مقدمة المقال ان يتبينه بيسر وخاصة حينما يصل الى العبارة التالية : عندما كنا نقتل احد السكان العرب كانت الفرحة تعم الجميع . . . وهنا يختلف الوضع نهائيا (يعني في تل أبيب) لا سمح الله اذا اضطررنا لاصابة أحد المواطنين ولو كان لصا فهو أولا وقبل كل شيء يهودي !!

انه كلام واضح لا يحتاج الى كثير من غطنة ، انها العنصرية الفاشية يترجمها هذا الجندي الصهيوني بمنتهى البساطة وبدون اي تكلف .

تبقى اذن قضية غزة مقاومة دائمة في وجه الاحتلال ، وتعمق الإرادة القتالية الفلسطينية التي طرحت بشبهة خلال سؤال لماذا لا تقاوم الثورة الفلسطينية فوق

« المذبح : ما هو شعورك بعد انتقالك الى تل أبيب ؟

الجندي : ليس جيدا ولكن يجب ان نتغلب على ذلك . .

المذبح : لماذا ليس جيدا ؟

الجندي : لاننا نتعامل مع مواطنينا وهم ليسوا سكانا عربا وهذا أمر صعب . لقد تعلمنا أسلوب التعامل مع طبيعة العرب اما أسلوب التعامل مع مواطنينا فلم ندرسه بعد .

المذبح : ماذا تدرسون ؟

الجندي : ندرس كيفية التعامل مع مواطنينا وهو تعامل ليس مثل أسلوب التعامل مع العرب في غزة . المطلوب هنا أسلوب أكثر نعومة وأكثر اجتماعية هنا السكان « ليسوا عربا بل يهود » .

المذبح : ماذا كان الهدف من وجودكم في غزة ؟

الجندي : كان الهدف في غزة اثبات الوجود حتى يشعر العرب ان هناك قوى عسكرية . . . وشرطة تجوب الشوارع طول الوقت .

المذبح : الهدف الآن كما أفهم ان تشعر المصائب واللصوص في تل أبيب بمثل هذا الشعور .

الجندي : لن يكون شعوري بالمرتاح جدا عندما اصطدم بالسكان اليهود . لقد كان أسهل أن نصلدم بالسكان العرب وان نصيب المخربين رغم الخطر الذي نواجهه هناك . أما هنا في تل أبيب فهذا غير مفرح . سنحتاج للتعامل بليوننة أكثر وان نتصرف وفق القانون ، متقيدين بقوانين الشرطة ، والا فاننا لن نستطيع اعتقال اشخاص واذا اعتقلناهم فسوف يطلقون سراحتهم اذا لم نعتقلهم حسب نصوص القانون .

المذبح : اعتقد ان الاعتقال في غزة كان يتم حسب القانون ؟

الجندي : في غزة كان الموضوع بسيطا . . كنا نحولين باعتقال الشخص بمجرد قيامه بأي عمل . . او بمجرد الاشتباه به . . او في اي ظرف نشاء . . وفي غزة عندما كنا نقتل أحد السكان العرب كانت الفرحة تعم الجميع (!!) وهنا يختلف الوضع نهائيا . . لا سمح الله اذا اضطررنا لاصابة أحد

قوة غاشمة لتمهية النضال الجماهيري في القطاع
اولا في باقي المدن والقرى الفلسطينية الاخرى...
ولقد اتبع العدو بالنسبة لقطاع غزة كل الاساليب
التي تتاح لعدو عنصري يملك الامن والطهانية على
كل الجبهات ، كما يملك الادوات العصرية القادرة
على التمع :

● وسع العدو شوارع المخيمات في القطاع بحيث
تتيح لدورياته التحرك والتجول عبرها بحرية في
محاولة لقمع المقاومة الفلسطينية: « ان معسكر
اللاجئين في جباليا والذي كان منذ سنة مصدرا
«للارهاب» قد يخفي من الخارطة خلال فترة تربية .
ان عملية شق طرق الامن وتخفيف كثافة مباني
المعسكر التي جرت قبل سنة ادت الى خفض عدد
سكان المعسكر من اربعين الفا الى ثلاثين الفا
وسينقل حوالي نصف العائلات المخفضة الى مناطق
جديدة » . (أمنون نداد مراسل اذاعة العدو في
برنامج شخصيات واحداث في الاخبار باللغة العبرية).
(« وفا » ١٩/١٠/١٩٧٢) .

● أمنون في زج شباب القطاع في السجون لمجرد
الشبهة تارة وحتى بدونها تارة اخرى وقام بتفتيش
النازل والمحلات التجارية في عملية مسح استغرقت
العدو طوال شهر في مدينة غزة والمخيمات .

« بلغ عدد المعتقلين في قطاع غزة من المواطنين
العرب خلال عام ١٩٧٢ أكثر من ألفي مواطن
بعضهم بقى أشهر طويلة رهس الاعتقال ودون
محاكمة وبعضهم مثل أمام محاكم العدو العسكرية
وحكم عليه بالسجن والبعض الآخر أفرج عنه » .

● نثر عملاء وأعدائه في كل مكان من القطاع في
محاولة لتطويق الفدائيين وكشف مواقعهم .

● وجه حربه النفسية الى كل المواطنين
الفلسطينيين في كل الارض المحتلة وخاصة الى
المواطنين في قطاع غزة . وجند العملاء الذين
يحاورون الاردن « رشاد الشوا زار عمان اربع
مرات قابل الملك خلالها للمساهمة في تسليم القطاع
وتقسيمه بين الملك حسين واسرائيل » والعملاء
الطامعين في حكم القطاع عن طريق المجالس المحلية
« ذيب النهريبي وغيره » كل ذلك من اجل الإيحاء
للمواطنين في القطاع بأن لا أمل سوى الاستكانة
والخضوع والامتثال . ولقد وجه حربه النفسية
باتجاه القطاع والمواطنين الفلسطينيين في كل
الارض المحتلة وخارجها عبر اذاعته وصحفه

الارض المحتلة، هذا السؤال الذي يبدو ان طرحه قد
أصبح لهجة من لهجات القوى المضادة للتشكيك
بالثورة الفلسطينية والذي يبدو ايضا ان بعض
المثقفين من تسمار النفس ومن الذين لا يملكون غير
الصالحونات ينظرون للثورة من خلالها ضاربين صفحا
عن كل ما يحيط بالثورة الفلسطينية من تأمر
ومؤامرات متجاوزين الظروف الموضوعية القائمة
ورياح السلم الأمريكي الاسرائيلي التي تظلم وجه
المنطقة والتي استطاعت عبر وقت قصير نسبيا ان
تركع معظم انظمة هذه المنطقة ، ومتجاهلين كذلك
ان رأس الثورة الفلسطينية قد أصبح مطلبيا ليس
أمبرياليا صهيونيا نحسب وانما ايضا مطلب بعض
الانظمة التي تداعبها احلام الاتسحاب الاسرائيلي
بدون أي ثمن سوى الركوع !!

وفي الواقع فانه برغم ان عنوان المقاتل « غزة
مقاومة دائمة » فانه لا انفصال ... لغزة تقايل
حينما تدفع الثورة الفلسطينية لغزة بخيرة كوادرها
يتقودون القتال داخلها . وغزة تقايل حينما يمتد
القتال الى العمق من الارض المحتلة وفوق اي جزء
من اجزائها .

ان الارتباط بين النضال الجماهيري في غزة وفي
الضفة الغربية وفي الجليل وبين توغل الفدائيين
عبر خطوط المواجهة وامعابهم في ضرب العدو في
أعمق نقاطه داخل الارض المحتلة هو ارتباط جدلي
مادي يرتفع كلما تساعد مد الثورة وكلها مضت
عبر شعاب الارض المحتلة توقع الخسائر بالعدو
وينخفض كلما انكشفت العمليات وتضاعلت . ان
النضال الجماهيري داخل قطاع غزة يسحب نفسه
على كل شبر في القطاع عندما كانت الثورة
الفلسطينية تملك ان تعبر من اي نقطة فوق النهر
وعندما كانت العمليات الفدائية تشغل جزءا كبيرا
من قوات العدو العسكرية فضلا عن جزء آخر من
الاحتياطي ...

وعندما بدا ان الثورة الفلسطينية تذبح فوق الارض
العربية وعندما توقفت قتال الاستنزاف ، بدا واضحا
ان النضال الجماهيري داخل قطاع غزة سوف يتأثر
بل سوف يمتد بضربات تاسية وقاصمة . وعمليا
فانه لم تمض شهور على مجازر الاجراج وعلى
اغلاق الحدود أمام الثورة الفلسطينية ثم على وقوف
القوات الملكية الاردنية حارس أمن على طول خط
المواجهة مع العدو حتى انصرف العدو بمعظم قواه
نحو الداخل يهمن فيه تمعا مكرسا كل ما يملك من

١٩٧٣/٣/٨) .

« دارت صباح اليوم معركة مواجهة بين الثوار الفلسطينيين وقوات الاحتلال الصهيوني في غزة استمرت أكثر من ساعة وتكبد العدو خلالها عدة اسبابات بين جنوده لم يفسح عنها حتى الآن . وفي اعترافه بتطورات المعركة قال ناطق عسكري اسرائيلي ظهر اليوم ان المعركة بدأت في المساعات الاولى من صباح اليوم عندما فتح الفدائيون النار على قوات الاحتلال التي كانت تقوم بتمشيط منطقة حي الرمال بغزة ودارت الاشتباكات بين الجانبين ولم يعترف الناطق العسكري الصهيوني بخسائر قواته رغم اعترافه بأن الفدائيين هم الذين بادروا باطلاق النار .

وقال الناطق الصهيوني ان ثلاثة فدائيين بينهم قائد فدائي هو المناضل محمد محمود مسلم الاسود ويلقب تشي غينارا قد استشهدوا . أما المناضلان الآخران فهما كمال عبدالعزيز حنون وعبدالهادي ابراهيم عبدالعزيز الحايك .

ومن ناحية أخرى أعلن الناطق العسكري الصهيوني ان الدكتور رشاد موسى مسمار قد اعتقل في حي الرمال بغزة وزعم انه عثر في منزله على مخابىء للأسلحة وكمية من المنشورات ورسائل تهديد الى العملاء والمتعاونين مع الاحتلال . ومما يذكر ان الدكتور مسمار كان قد حكم عليه بالسجن خمس سنوات لاشتراكه في عمليات فدائية ضد قوات الاحتلال . « نشرة وكالة الانباء الفلسطينية «وما» ١٩٧٣/٣/٩) .

« انفجرت قنبلتان يدويتان في حي الرمال بمدينة غزة . زعم ناطق عسكري صهيوني اليوم ان دورية عسكرية اكتشفت القنبلتين اليدويتين وان خبير متفجرات قام بتفجيرهما . « وما » ١٩٧٣/٣/٩ .

كان ينبغي أن نقفز هكذا حتى نصل الى آخر العمليات التي نفذها الثوار الفلسطينيون فوق الارض المحتلة في قطاع غزة .

ذلك ان دايان كان قد أعلن في الاسبوع الاول من شهر أيار/مايو انه قد تم القضاء على شبكات « المخربين » في القطاع ثم أتبع ذلك بخطوة عملية هي نقل بعض حرس الحدود من قطاع غزة الى الداخل كترجمة عملية لما يؤكد ويقول كما اشرنا في بداية المقال .

وشائعاته مستغلا في ذلك ، ذلك الشرح العميق التي خلفته مجازر الملك في عبان ، أيلول الاسود عام ١٩٧٠ وفي احراج جرش وعجلون ، تموز عام ١٩٧١ .

وأمام هذا كان لا بد ان ينكبش النضال القطاع بدرجة كبيرة حتى لقد بدا لكل من لم يمارس الثورة ولم يؤمن بنضال الجماهير ان هذا النضال قد وصل الى نقطة النهاية . وفي الحقيقة ، فان سببين أساسيين دفعا الى هذه الحالة الانتكاشية النضالية : **الاول** ، ما ذكرناه من التوجه الملكي الاردني نحو ذبح الثورة الفلسطينية مضافا اليه توقف الرصاص العربي الرسمي فوق الارض العربية . **الثاني** ، هو ما اقتضته المرحلة الجديدة من ضرورة تغيير تكتيك النضال الجماهيري داخل الارض المحتلة .

« غزة في الليل للفدائيين » هكذا كان عنوان مقال افتتاحي للصنديا تايمز عام ١٩٦٩ .
« غزة يحكمها الفدائيون في الليل » بهذه العبارة اعترف دايان في يوم من ايام شهر سبتمبر/أيلول عام ١٩٦٩ . . .

ثم وذات يوم من ايام شهر مايو/أيار ١٩٧٢ يعلن دايان ان المقاومة في غزة قد انتهت ، وانه قد تمت تصفية آخر جيوب « المخربين » . ثم يأمر دايان بسحب حرس الحدود من قطاع غزة . . .

ثم تتوجه اجهزة الحرب النفسية بكل شراسة نحو القطاع توكلها مخططات لخم القطاع نهائيا الى العدو وذلك عن طريق توليد ارادة محلية داخل القطاع هي ارادة كبار التجار الذين تمثّلوا برشاد الشوا الذي بدا في تلك الفترة انه يلعب بالاضافة الى ضم القطاع الى اسرائيل لعبة الاداة التي يجري عبرها تكريس الصلح الواقعي بين المؤسسة العسكرية الصهيونية وبين نظام الملك حسين .

« قتل الجندي الاسرائيلي يتسحاق فيلدمان (١٩ سنة) من رمات جان واصيب جندي آخر بجروح اليوم في انفجار قنبلة يدوية تفتت على شاحنة عسكرية في غزة . وقع الحادث في الساعة العاشرة والنصف صباحا عندما تفتت أحد المخربين قنبلة يدوية الى داخل شاحنة عسكرية كانت تسير في شارع غزة الرئيسي وقد دخلت القنبلة قرب السائق وانفجرت وبارتت قوات الامن باجراء التحقيق » .
(نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، مركز الابحاث ،

ولكن لم تمض فترة على تصريحات دايان حتى بدأ ان ما يقوله لا يمثل الحقيقة والواقع على الاطلاق اذ بدأت تقابل غزة تتفجر واحدة بعد الأخرى وبدا ان الهدوء والامن الذي ظنوه لم يكن سوى عودة لترتيب الصفوف وامادة ترتيب التنظيم على صعيد المقاومة ثم انطلقت السواعد الثائرة في غزة تفجر من جديد أمن العدو معلنة ان غزة ثورة دائمة ضد الاحتلال .

ورغم انه وحتى في فترة الهدوء النسبي التي أرادها الثوار الفلسطينيون فانه كان هناك عمليات متفرقة بين حين وحين هي لتأكيد الوجود على المستوى العربي والعالمي اكثر منها لشن حملة جديدة من العمليات يوقتون لها ...

ولا تريد لهذا المقال ان يكون سردا لعمليات الثوار الفلسطينيين في قطاع غزة او غير قطاع غزة ... خلال سنة مضت مثلا ، لكنه لا بد من العودة الى سلسلة العمليات التي نفذها هؤلاء الثوار خلال فترة الربع الاخير من العام الماضي وحتى الربع الاول من هذا العام فيقطاع غزة بالتحديد. وستعرض لها باختصار شديد حتى تكون شاهدا على ان الثورة الفلسطينية ما زالت تتمترس في خنادقها متسلحة بشموخ ارادة القتال الصلبة فيها ... تقابل ما وسعها القتال ولكن يبدو لاكثر من سبب هو في ضمير الاعلام العربي وفي وعي معظم الحكام العرب الذين يسيطرون عبر الرقيب على أجهزة اعلامهم يبدو ان التركيز والقاء الضوء على عمليات الثوار الفلسطينيين غير وارد ... ان ثمة حقيقة باتت معروفة وهي ان تعتيا متعمدا بدأ يلف الثورة الفلسطينية وعمليات ثوارها بل اننا نذهب في القول الى ما هو أبعد من ذلك وهو ان بعض الانظمة العربية ممن هللت للثورة الفلسطينية وتصدت تضخيم عملياتها ذات يوم بات يقلعها ويؤرقها ويثير أعصابها كثيرا وكثيرا جدا ان يكون للثورة الفلسطينية عمل قتال متصاعد فوق الأرض المحتلة.

عنى أي حال فان المرء يستطيع أن يعد سبعا وعشرين عملية في قطاع غزة في الفترة ما بين ٨/٢٥ و١١/١٦ نفذها الثوار الفلسطينيون. وهذه العمليات اعترف العدو بخمس عشرة عملية ولم يعترف بالباقي . واننا لنود ان نلفت النظر الى ان كثيرا من العمليات لم يعلن العدو عن وقوعها بينما وقعت فعلا ... ذلك ان العدو لا يعلن الا عندما تكون العملية مكشوفة لا يستطيع ان يضرب حولها نطاقا

من السرية التي يضربها عادة من حول عملياته وخسائره ...

وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد نفذت ٢٧ عملية عسكرية في قطاع غزة على الاقل في الفترة ما بين ١٩٧٢/٨/٢٥ و١٩٧٢/١١/١٦ . (يمكن الرجوع الى اعداد شؤون فلسطينية السابقة لهذا الغرض) .

وأمام هذه الحقيقة التي انكر العدو جزءا منها — حينما استطاع اخفاء الكثير من عمليات الثوار الفلسطينيين التي تمت في مواجهة قواته العسكرية في قطاع غزة وكل الأرض المحتلة — لم يستطع العدو الا ان يعترف وفي مناسبات متفرقة وعلى لسان كبار زعمائه ومقاتله تارة وفي صحفه تارة اخرى ، من ان القتال الفلسطيني ما يزال واقعا يفرض نفسه على امتداد الأرض المحتلة ...

● يقول شلومو هليل في جزء من حديث له أمام المستوطنين وأذيع من راديو العدو باللغة العبرية يوم ١٩٧٢/١٠/٢ « علينا ان نعد انفسنا لمجابهة تجدد الارهاب على طول الحدود وداخل اسرائيل » (وفا) .

● وتدعو صحيفة عل همشمار يوم ١٩٧٢/١٠/١٢ الى الاستعداد جيدا لمواجهة الارهاب داخل دولة اسرائيل (رصد اذاعة اسرائيل — مركز الابحاث) .

● وتقول صحيفة داتار شبه الرسمية « ان الضائرت التي ألحقت بالدولة نتيجة للحرائق بلغت ٢٠٩ أشخاص بينهم ٣١ قتلوا و٧٢ اصاباتهم خطيرة و١٠٦ اصابات غير خطيرة » (وفا ١٩٧٢/١١/١٧) .

● وتقول صحيفة هاتسوفيسه « ان الحرب ضد الارهاب والتخريب هي حرب طويلة الأمد وعلى جهات الامن اظهار المبادرة والجرأة لقطع دابر المخربين » . (رصد اذاعة اسرائيل — مركز الابحاث ١٩٧٣/١/٢٣) .

● وتقول وكالة رويتر للانباء تعليقا على عمليات الثوار الفلسطينيين في القطاع والضفة الغربية والمعوق من اسرائيل « ومما يذكر ان السلطات الاسرائيلية تحدثت قبل أسابيع من ازدياد النشاط السياسي والتنظيمي للفدائيين في مناطق نابلس وجنين وقلقيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة واعتقل ١٢ شخصا بعلاقتهم بالمنظمات الفلسطينية » (رويتر ١٩٧٢/٢/٢) .

لقد وصل الامر بوكالة انباء رويتر الى أن تلاحظ

بان عمليات الفدائيين الفلسطينيين والى أن نشاطهم التنظيمي والسياسي في تزايد ... وهذه شهادة انتزعتها الثورة الفلسطينية رغم ما تحاط به من تعميم اعلامي متعمد وطوق حصار مادي على حركة ثوارها .

« ان الوضع اليوم هادئ تماما .. لقد انتهت مرحلة المظاهرات والاضطرابات وقضى على العمل التخريبي في هذه المرحلة بصورة نهائية » . (دايان في برنامج شخصيات وأحداث في الأخبار - رصد إذاعة اسرائيل ، ١٣/١٢/١٩٧٢) .

قال دايان ذلك ثم استسلم لابتسامة عريضة وغير الى مواضيع أخرى في حديثه . ولم يكن دايان يدري ان ما يدبره الثوار الفلسطينيون عبر خلاياهم في الضفة الغربية والقطاع وفلسطين المحتلة منذ عام ٤٨ سوف يقلق دايان كثيرا وسوف يقتلع منه الابتسامة العريضة .

وبالفعل لم تمض ايام على مقولة دايان هذه حتى تفجر الشمال في غزة من جديد وحتى تصادم هذا التفجر الى درجة انه استهدف عملاء العدو في غزة والقطاع بالإضافة الى جنود العدو نفسه ودورياته ومبشاته العسكرية ...

فعدا عن نصف عدد من خطوط المسكة الحديدية في القطاع وتفجر بعض مصانع العدو « اعترف العدو بذلك مؤخرا » (نشرة مركز الأبحاث ، رصد إذاعة اسرائيل ، شهر ٣/١٩٧٣) وعدا عن الهجوم على دوريات العدو وآلياته وجنوده فقد قتل الثوار الفلسطينيون المدعو ذيب الهريبطي الذي كان رئيسا للجان المجالس المحلية التي كاد العدو بالتعاون مع العملاء ان يفرغ من تشكيلها كما أطلقت النار على رشاد الشوا واصيب مرة أخرى .

ثم بعد ذلك كانت معركة الرمال الاخيرة ... معركة جيفارا غزة ورفيقه التي جاءت بعد ساعات فقط من القاء قنبلة على شاحنة عسكرية صهيونية قتلت سائقا وجرحت اثنين - اعتراف العدو ضمن مبدأ عدم الاعلان عن كل خسائر - وبعد ساعات أيضا من جرح جنديين صهيونيين نتيجة انفجار لغم في سيارة عسكرية للعدو في القطاع .

وقد وصفت هارتس (١١/٣/٧٢) المعركة التي تمكنت قوات الاحتلال الاسرائيلي فيها ، من اكتشاف مقر ثلاثة من قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القطاع : محمد محمود الاسود (٣٠ سنة)

عضو المكتب السياسي وقائد قوات الجبهة في القطاع ، وكامل المحمي (٢٥ سنة) ، وعبدالهادي حايك (٣٥ سنة) من قادة الجبهة في القطاع ، بقولها : « في الساعة الخامسة والنصف من فجر يوم الجمعة ، قامت قوات الجيش الاسرائيلي بتمشيط بيوت حي الرمال في غزة ، كعادتها كل يوم . وعندما دخلت القوة الى الفيلا التي ترتفع عليها لافتة : الدكتور راشد مسمار ، وجدت ابناء العائلة ، نساء واطفالا ، وعلى الطاولة فنجانين قهوة ، تدل على ان ثلاثة رجال ، انتهوا قبل دقائق قليلة من شربها . وعندما بدأ جنود الجيش الاسرائيلي يفتشون الغرفة بقفة ، وجدوا مسدسا وأربع بلاطات ملونة تحت أحد الاسرة ، لم تكن موضوعة في مكانها كما يجب . قرع الجنود على البلاطات فسمع صدى غريب . واتضح ان في المكان نفقا . وجه الجنود نداء بالخروج بأيد مرغوغة ، فلم يستجب أحد . وضعت عبوة ناسفة لتفجير النفق ، وعند تفجير العبوة ، بدأ اطلاق النار من اسلحة اوتوماتيكية من داخل النفق ، باتجاه الجنود الاسرائيليين ، غردوا بأسلحة اوتوماتيكية وقنابل . واتضح بعد قليل ، ان هؤلاء كانوا المخربين الثلاثة المطلوبين ، في الدرجة الاولى ، في القطاع . قتل اثنان منهم في المكان ، واصيب الثالث بجروح بليغة ... وتوفي بعد نقله الى المستشفى » .

وقالت هارتس أيضا ، انه « اتضح بصورة قاطعة انهم هم الذين قتلوا ذيب الهريبطي رئيس لجنة مخيم الشاطئ ، في ١١ شباط (فبراير) ، وقتلوا الكاهن يوحنا النري . ووجدت في الفيلا وفاق كثيرة تدل على نشاطهم ، واسلحة ... ٤٢ الف ليرة اسرائيلية مخصصة لتمويل عمليات التخريب في القطاع ... »

« لقد اختبأ الثلاثة في النفق الذي كان يستعمل كراجا داخل فيلا الدكتور مسمار . واستعمل النفق أيضا مقرا للقيادة ، وتجهز على ذلك المعدات الكثيرة التي وجدت فيه : آلة ستانسل ، طابع الجبهة ، جوازات سفر ... » .

وقالت هارتس : « ان الجريح عبد الهادي ، الذي توفي بعد ذلك ، كشف انه هو شخصا الذي القى القنبلة في مخيم الشاطئ يوم الاحد الماضي ، حيث اصيب ثلاثة جنود اسرائيليين . وان صديقه كامل هو الذي قتل ... الهريبطي والنري ... » . واضافت هارتس : « ان الدكتور مسمار الذي

جميع اللجان في الاحياء والمخيمات. وفي هذا الوقت لن يتم انتخاب رئيس جديد لبلدية غزة . وسيضطر أوري تشيشك ، رئيس البلدية الاسرائيلي ، الى الاستمرار في منصبه .

وأشارت هارتس الى معلومات تقول « ان على رأس المخربين في القطاع اليوم محمد الاسود الملقب بـ نفي غيفارا ... »

« والاسود معروف كجندي مدرب جيدا ... وقد تلقى ، قبل ٤ سنوات ، تدريباً عسكرياً في الصين ... وعندما شددت أجهزة الامن مطاردتها للمخربين نجح في الاختفاء ، وامتنع عن ممارسة اي نشاط تخريبي . ولكنه جدد الان نشاطه التخريبي . ويبدو انه يقوم بذلك بحذر شديد . ان النحدي الذي تقف أمامه أجهزة الامن الان في القطاع هو اعتقاله . »

ولقد أعلن العدو بعد معركة الرمال الاخيرة انه باستشهاد غيفارا غزة « محمد احمد مسالم الاسود » ورغيفيه ماته « قد تم تصفية آخر حلقات التخريب — دايان نشرة رصد اسرائيل مركز الابحث » وانه لم يعد هناك في قطاع غزة سوى الاستقرار والهدوء . وانهم الناطق العسكري الصهيوني غيفارا غزة ورغيفيه بالقاء قبلة على الشاحنة العسكرية التي قتل فيها احد جنوده وجرح آخران كما اتهمتهما بقتل ذيب الهريبي « وكالة وفا » . على انه لم تمض اربع وعشرون ساعة على ذلك حتى أعلن العدو من جديد بأن « رجال الشرطة الاسرائيلية تمكنت من القاء القبض على شاب عربي وصفته بأنه هو الذي ألقى قبلة الشاحنة ثم بعد ذلك بيومين أعلن ناطق عسكري آخر بأن عشرين من قطاع غزة قد اعتقلوا بتهمة انتمائهم الى شبكات التخريب » . (« وفا » ١٣/٢/١٩٧٣) .

ويتضح من هذا جيدا ان العدو لم يستطع أن يحفظ على وسائل حربه النفسية خطأ معيناً حتى لاربع وعشرين ساعة اذ سرعان ما دحضت الوقائع زعمه بأن المقاومة قد انتهت باستشهاد المناضل البطل محمد مسلم الاسود ورغيفيه في قطاع غزة ... واكدت غزة كعبيدها دائما انها المقاومة دائما وابدأ في مواجهة الاحتلال .

ويقينا فان غزة التي هي المثل على المقاومة الجماهيرية الثورية داخل فلسطين المحتلة كلها قد سحبت نفسها على كل مدن وقرى فلسطين . وان

اخذوا المخربون في بيته ، كان قد أطلق سراحه منذ وقت قصير من سجن غزة ، بعد أن حكم عليه بالسجن خمس سنوات لمساعدته المخربين ، أمضى منها ثلاث سنوات ... والان يتضح انه عاد الى مساعدة المخربين . »

وقالت هارتس : « ان جميع الدلائل تشير الى ان في القطاع مخربين آخرين ينتمون الى الجبهة » . وقالت هارتس ، في مكان آخر من العدد نفسه ، ان ضابطاً كبيراً من تادة الحكم العسكري في غزة أعلن « ان القضاء على قيادة منظمات الارهاب في القطاع هو ضربة مؤثرة ستؤدي الى فترة من الهدوء ، ولكن ينبغي عدم اعتبار ذلك نهاية لنشاط المخربين في القطاع » .

ووصف الضابط الاسرائيلي محمد محمود الاسود المعروف باسم غيفارا ، بأنه « كان معروفاً كتائد مدرب وخبير . لقد اعتقل قبل بضع سنوات وتضى فترة في السجن في غزة . وبعد اطلاق سراحه ، سافر الى الصين حيث أمضى فترة من التخصص ، وعاد الى القطاع عن طريق لبنان . وحتى يوم الجمعة كانت قد فشلت جميع الجهود لالتقاء القبض عليه » .

وكانت هارتس (٧٣/٢/٢) قد تحدثت عن تجدد النشاط الفدائي في قطاع غزة ، فكانت : « عاد المخربون الى العمل خلال الاسبوعين الاخيرين ... وقتلوا هذه المرة وجهاء معروفين » . « وكما حدث في الماضي يحدث الان ، بدأت عمليات القتل بأحجام صغيرة ، ثم أخذت تتزايد . وقد توقفت بعد نشاط متواصل من قبل أجهزة الامن تحت قيادة العميد ارئيل شارون ، قائد المنطقة الجنوبية ، الذي اشترك اكثر من مرة شخصياً في مطاردة المخربين . وكانت عملية المطاردة تستمر ٢٤ ساعة في اليوم في جميع أنحاء القطاع والمخيمات ... » .

واضافت هارتس : « ان الغرض من انتخاب لجان محلية في احياء غزة ومخيمات اللاجئين ، هو اجراء انتخابات بلدية على غرار ما حدث في الضفة الغربية . وفي اليوم الذي قتل فيه رئيس لجنة مخيم الشاطئ الهريبي كانت اللجان تنوي التداول في اختيار مرشح لرئاسة البلدية ، وكان القتل الاكثر حظاً في النجاح . ولم يكن مقتل الهريبي في اليوم نفسه مصادفة » .

وقالت هارتس : ان الفدائيين « نجحوا في تعطيل

العصابات وعلى استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد في مواجهة العدو ...

وبالتأكيد فان تصاعد النضال داخل فلسطين المحتلة رغم التعتيم الاعلامي سوف يعكس نفسه وينسحب بعيق اثره على حركة الجماهير العربية وسوف تشهد الارض العربية - رغم تيار السلم الامريكى الاسرائيلي المتدفع بشراسة نحو المنطقة مستندا الى بعض الانظمة العربية - تحولات كبيرة هي بالتأكيد لمصلحة القتال ضمن استراتيجية حرب الشعب وضمن خندقه الارض العربية وبالتالي غيى لمصلحة ارادة القتال الفلسطيني والقرار الفلسطيني باستمرار بقاء البندقية مشرعة في وجه العدو الصهيوني والامبريالي وفي وجود العملاء في المنطقة العربية .

ان استشهدا المناضل البطل محمد الاسود ، غينارا غزة ... قد دفع الى النضال الفلسطيني بشحنة جديدة من اليقين الجماهيري العربي بأن القرار الفلسطيني بمواصلة القتال هو القرار الحتمي المطلوب تسميمه لانتزاع النصر . وانه الطريق الوحيد لاتخاذ الحضارة والوجود والمصير العربي ...

ان في غزة ألف غينارا غزة وفي فلسطين المحتلة الالاف من غينارا غزة الذين يعمقون بالدم رؤية الجماهير العربية لطريق النصر والتحرير ... ويوما ما ، وهو يوم قريب جدا بالتأكيد ، سوف تحقق غزة مظلمة حققت دائها دحرا لاقاويل العدو ومزاعبه ... وسوف تبضي غزة ومعها كل جماهير الارض المحتلة والجماهير الفلسطينية في مخيمات البنادق الرائدة ... على الطريق الذي حفرته بدماء اعظم الرجال وأعز الرجال ... ولنكون غزة وكل فلسطين المحتلة ثورة دائمة في مواجهة الاحتلال .

زياد عبد الفتاح

جماهير هذه القرى والمدن قد أفرزت طلائع تبكت من خلال اتصالاتها بالثورة الفلسطينية المسلحة واتصال الثورة بها ان تتودد سلسلة عمليات ناجحة وفعالة ومؤثرة في مناطق العمق من فلسطين المحتلة ...

وان ما حملته الايام التي مضت عبر الشهر الحالي لتعبر عن ارتفاع في الخط البياني لعمليات الثوار الفلسطينيين ليس داخل قطاع غزة فحسب وانما ايضا في تل ابيب والقدس ويافا ونابلس وغيرها من مدن فلسطين المحتلة .

ان وضعا جديدا قد بدأ ينشأ بعد ان تبكت اطراف الحصار المادي والاعلامي والنفسي من أن تفعل فعليا في تقليص عمليات الثوار الفلسطينيين في الوطن المحتل فلسطين ... هذا الوضع تهطل في العودة الى القنص والاستفراد بالعسكريين الصهائنة فضلا عن الانتشار عبر اوسع رقعة من العمق لتفجير امن المستوطنين والحاق الخسائر النفسية والمادية بين صفوفهم .

ولعل من أبرز الامثلة على تلك الصورة حادثة طعن جندي صهيوني مسلح في اوائل هذا الشهر في مدينة القدس وانتزاع سلاحه منه على يد الثوار الفلسطينيين ... ثم حادثة قنص احد جنود العدو في هرتسليا في العمق والتي جاءت بعد ايام قليلة من الحادثة الاولى ... ثم عمليات يوم التاسع عشر من هذا الشهر الثلاث التي تمثلت في تدمير واجهة احد المطاعم في شارع الزهراء بمدينة القدس وتفجير سيارة أمام مركز البوليس في مدينة نابلس ثم اطلاق النار على احد رجال المخابرات في مدينة يافا المحتلة منذ عام ١٩٤٨ واصابته بجروح بالغة .

ان هذا كله يعني ان العمل الثوري المسلح داخل فلسطين المحتلة يمضي في تصاعده يوما بعد يوم وانه يسير في اتجاهه السليم والصحيح المرتكز على حرب

جيفارا غزة : رمز عطاء القطاع المتدفق المتواصل

على ان الصمت موت ... والاستكناة اذلال ...
والتراجع جريمة والانتظار عار وفقدان كرامة ...
وحيث لم يكن يتوفر السلاح كان ثوار القطاع
يصنعون السلاح ضمن ابسط الامكانيات المتاحة ..
وحيث لم تكن تتوفر الامكانيات كانت المدى هي
السييل لانتزاع السلاح من جندي اغلت من رقابة
الدورية في احد ازقة القطاع ...

وربما كان ثوار القطاع وبينهم جيفارا غزة ...
اعظم الثوار على الاطلاق ومن استشهد منهم فهو
بالتأكيد اعظم الشهداء ... ذلك لانه غير حب
فلسطين ... غير حب الوطن ... كانت تحركهم
ايضا ... ارادة ان يقولوا للامة العربية بالرصاص
ودون ان يخرجوا عن صمتهم بكلية واحدة ... ان
الرماصة المسيسة ... خير من اكداس من
الطائرات لا تعرف طريقها الى الهدف ... وانه
بابسط الاسلحة واقل الامكانيات تقطع الجهاهير
المسلحة المدربة المعياة المنظمة اوسع الخطوات
على طريق الانتصار .

ثم ...

استشهد محمد محمود الاسود جيفارا غزة في حي
الرمال لكن في غزة الف محمد محمود الاسود ، ألف
جيفارا غزة ، الف يمشون وعلى الدرب ألوف ..
فأرض غزة وأرض حيفا وأرض كل فلسطين خصبة
تنبت الرجال في كل حين ..

وهي ابدأ حبلى بالابطال يتوالدون بالثورة ...
ليرعدوا الثورة وليصفعوا بقبضات ايديهم العظيمة
وجوه المستسلمين والمتخاذلين والراكعين ومن قلب
المتوسط النادر الامواج على شواطئ غزة ...
ومن بين ازقة معسكر جباليا ومعسكر الشاطئ
ودير البلح في قطاع غزة ... من ازقة المعسكر
والمدينة في خان يونس ونواصبيها تبتت البنادق ويبتت
الرصاص .

وجيفارا غزة لم يكن يوما الابن الوحيد لرمال غزة
جيفارا له اخوة وله رفاق ...

والارض الحبلى بالثورة ... سوف تظل تعطي وتند
وتزهر وتنفجر الثورة ...

زياد عبد الفتاح

من بطن الارض العظيمة الحبلى بالرجال الابطال
ومن جوف ليها المخضب بدماء المناضلين تدفق
جيفارا غزة .

كان يخرج كل ليلة وكان يضرب بعزيمة قولاذية لا
تلين ...

محمد محمود الاسود ، جيفارا غزة ، كانوا
يعرفونه جيدا وكانوا يعلمون انه في شريط غزة
الساحلي الضيق ، وظلوا لاربع سنوات يبحثون
عنه ...

ولان جيفارا غزة ثائر ولانه عرف كيف يمارس الثورة
وكيف يقترب من الجماهير يلامس اعماق معاناتها
ويترجم منتهى طموحاتها وآمالها التضالية ، فان
العدو لم يكتشف لشهور طويلة مكان جيفارا . لقد
وضمته الجماهير في حدقات عينونها وأطبقت عليه
حتى اذا ما انتهى التمشيط عاد جيفارا برفاقه
ليضرب من جديد ليس في نقطة معينة وانما في نقاط
متعددة .

محمد محمود الاسود ، جيفارا غزة ، جند كل
طاقات العقل لخدمة الثورة ... وبينما كان العدو
يضرب في شوارع غزة بحثا عن جيفارا وعن حملة
البنادق رفاق جيفارا كان جيفارا بعيدا عن متناول
العدو ... لم يكن يمكث في مكان ست سماعت
متواصلة ... وعندما ضيق العدو الضناق كثيرا
كان لجيفارا مكان يلجأ اليه لا يهتدي اليه العدو ...
من بطن الارض العظيمة الحبلى بالرجال الابطال ...
من قطاع غزة ... من مدينة حيفا مسقط الرأس
في شمال فلسطين ... من معاناة قرية دير ياسين
المذبحة ... من احزان القهر في قرية كرقاسم ...
من محنة الاجتياح في تيبة وقمة مأساة الانتهاك
العربي الرسمي في قرية السموع ... من مذبحة
الشعب الفلسطيني في أيلول عمان الاسود ...
ومن قلب مخيم الوحدات يداس بالدبابات الملكية
الفاشمة ...

من هذا كله كان جيفارا غزة ... نبت وتشكل
وتعمد عاشقا لرمال غزة وحيفا ... ولكل ارض
فلسطين ...

وجيفارا مثله مثل كل ثوار القطاع الابطال وظف كل
ما يملك لاستمرار القتال ليعطي النموذج والمثل

(٢) القضية الفلسطينية عربيا

الدول العربية ، كما ان مشروع الملك حسين لن يطبق الا بعد انسحاب جيوش الاحتلال الصهيوني .
(النهار ١٤/١/٧٣) .

ويشدد النظام الاردني خلال ذلك كله على ان مساندة الاردن سياسيا واقتصاديا ضرورية وهامة للمعركة لان الجبهة الاردنية جبهة اساسية ، تلعب دورا اساسيا في معركة التحرير .

ويجد هذا التحرك الاردني تجاوبا عربيا واسما . وتلعب دول مثل المملكة العربية السعودية دورا بارزا فيه . ولذلك ظلت المملكة العربية السعودية حريصة ، ومنذ ايلول سنة ١٩٧٠ على بقاء النظام الاردني « وكان في نظرة المملكة ... انه يجب على الاردن ان يمسد مها كلف الامر » . ولكن كيف يمسد ؟ هنا يأتي الجواب واضحا على لسان الناطقين باسم المملكة العربية السعودية في بيروت: « لكي يمسد فلا بد من استمرار دعمه ماديا ومعنويا ، كما ولا بد من مواصلة المساعي لاجداد اي مقدار من التفاهم ما بين النظام الاردني من جهة ومنظمات المقاومة من جهة ثانية ، حتى تتوفر مع الايام ظروف ملائمة لاعادة المياه ما بين الجانبين الى مجازيها الطبيعية ، في هذه الظروف غير الطبيعية والبالغة الخطورة » . ولهذا ظلت المملكة العربية السعودية تقدم المساعدات التي قررها مؤتمر الخرطوم للاردن ، مع ان ليبيا والكويت قد قطعنا هذه المساعدات ، وربما زادت السعودية هذه المساعدات احيانا لتعوض الاردن « عن المعونات التي قطعتها بعض الشقيقات العربيات عنه » (الجديد ٢٢٠ ، ٢٢٦/١/٧٣) .

وتحاول المراجع السعودية ان تقتنعنا الان بان التطورات التي تحدث تتسجم مع المخطط السعودي مؤكدة « صواب وجهة النظر السعودية التي وضعها العاهل السعودي ضمن اطار استراتيجية قومية بعيدة النظر » . ذلك ان النظام الاردني حسب ما تذيعة هذه المراجع قد اخذ « ... يتزحزح ، ربما ببطء شديد ، انها بلبات واستمرار من مواقفه الاولى ... » . وتضيف هذه المراجع ان الملك الاردني قد خطا مجموعة من الخطوات الجذرية على الصعيدين الداخلي والعربي . فلتقد اصدر في الداخل اكثر من عفو عن رجال المقاومة .

ان الاتجاه العام الذي يتحكم بالسياسة العربية الان يمكن ان يسمى اتجاه المصالحة . وهذه المصالحة مزدوجة . انها على الصعيد العربي تقارب وتفاهم بين انظمة مختلفة ومتناقضة ، ولكنها الان تسمى من اجل التقارب والتفاهم في سبيل انقاذ نفسها من مأزق العجز الذي تعيشه ، العجز عن القتال والعجز عن الاستسلام . وهي على الصعيد العالمي محاولة لاجاد المدخل الملائم الى قلب الولايات المتحدة ، فلعلها « وعساها » تحن وتشفق على الجميع بنظرة حنون .

وقد اخذت الوفود تتحرك عربيا ، واخذ الرؤساء يتحركون ، كما لم يحدث من قبل . لقد زار حسين الرياض ، ثم زار الامير سلطان الاردن ، وزار السادات ليبيا ، ثم اجتمع السادات والاسد والقذافي في القاهرة . وتحرك « مسؤول اردني كبير الى دمشق ، ومسؤول كبير اخر زار القاهرة » ، كما زار « مسؤول مصري كبير عمان » (النهار ١٤/١/١٩٧٣) .

وكادت هناك تحركات واتصالات على الصعيد العالمي ، رافقت خطوات انهاء الحرب في فيلقنا مستبشرة بها .

ولقد كان الاردن نشيطا في هذا المجال ، لانه يرمي منه الى ما يلي : اولا عزل المقاومة عربيا ، ثانيا تدعيم وضعه السياسي والاقتصادي ، ثالثا ضمان عدم وجود معارضة جادة عربية لاي تحرك دبلوماسي يقوم به مستقبلا ، رابعا تحويل المقاومة الى « توة » تابعة للانظمة محتواة عربيا ، وانهاء دورها السياسي والعسكري .

ويحاول النظام الاردني في سبيل ذلك ان يقتنع الدول العربية بانه مستعد « للانفتاح من جديد على العالم العربي » ومستعد « للالتزام بكل ما تفرضه مقومات الوضع الراهن واهياء الجبهة الشرقية » . كما ان النظام الاردني يحاول ان يستمر موقفه من المقاومة ، بانه ليس ضد العمل الفدائي « لكنه كان في الاصل ضد خروج المنظمات على الفداء ، اذ حولت عملها ، المفروض ان يكون ضد المحتل ، الى ثورة ضد النظام في الاردن والخروج على القوانين » . ولهذا فالاردن مستعد لان يقبل المقاومة ضمن خطة عربية موحدة تتحمل مسؤوليتها

كما انه خطا عربيا عدة خطوات عامة باتجاه مصر وسورية (الجديد ، العدد ٣٢٠ ، ١/٢٦/٧٣) . وتضيف هذه المراجع ان تجاوب مصر وسورية تأكيد على صواب وجهة النظر السعودية .

وإذا كانت المملكة العربية السعودية تنفذ خطا رسمته ، فان عددا من الانظمة العربية يجد مصلحة له في التجاوب معه . ذلك ان القتال ليس مطروحا على محمل الجد. وتردد الاوساط العربية الرسمية ان العرب غير مهيبين للقتال . وان التهيؤ للقتال يستلزم جهدا عربيا موحدًا ، وهذا ما ليس حاصلًا كما يقتضي امكانيات عسكرية غير متوافرة . وعليه فان « الامكانيات العسكرية لحسم ازمة الشرق الاوسط ، آخذة في التضاؤل ، وان الحديث عن حرب ثارية ، مجرد الحديث ، أصبح غير مقبول » (الدستور ، ١٢٣ ، ١٩/٢/٧٣) .

ولقد قامت القاهرة باتصالات عربية واسعة من أجل تنسيق الجهد العربي . وكان من ثمره ذلك ، عدا الاتصالات والوفود ، مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع في الكويت ، ثم مؤتمر رؤساء الأركان في القاهرة ، ثم مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع أخيرًا .

وكان واضحًا ان هذه الاتصالات والوفود والمؤتمرات تريد شيئًا أو أشياء ، ولكن هذا الشيء أو هذه الأشياء ليست توحيد الجهد العربي من أجل القتال . ذلك ان الاتصالات والوفود والمؤتمرات لا توحد قوى متناقضة مستتسلة أو مهادنة من أجل القتال . وليس طريق توحيد الجهد هو طريق الاتصالات والوفود والمؤتمرات فحسب . ان العمل من أجل القتال ، بدء القتال ، اتخاذ مواقف قتالية هو الذي يجعل للاتصالات والوفود والمؤتمرات معنى قتاليًا . ولذلك فان المطلوب ، في حالة كالتى نعيشها ، ان تتفق الدول العربية على أمرين : أولهما — وضع المقاومة الفلسطينية ضمن خطة الانظمة العربية وثانيهما — السير على طريق الحل السلمى بلا مزايدات ولا مهاترات .

ولهذا أصبحت المقاومة الآن هي المشكلة . انها المشكلة لانها ترفض طريق الاستسلام . وهي مشكلة لان عملياتها تقود الى صدامات مع دولة الاحتلال الصهيوني . وهي مشكلة لان الانظمة العربية لن تستطيع التقدم على الطريق الذي اختارته ، اذا كان الشعب الفلسطيني مصمما على الاستمرار في القتال . ولهذا كله كانت المقاومة

مشكلة مؤتمر الكويت ومشكلة مؤتمر القاهرة . وستبقى مشكلة الانظمة العربية جميعًا ، ما دامت تقاتل وتصر على توحيد الجهد العربي ، من أجل القتال ، لا من أجل اي شيء آخر .

وليس غريبًا بعد هذا كله ان تحاصر المقاومة ، وأن تبذل المساعي لعزلها وتطويقها وضربها . فالمقاومة التي تريدها الانظمة غير هذه الموجودة . ان الانظمة تريد مقاومة مرتبطة بها ، تتحدث عن القتال ، ولا تقاتل ، وترفض الاستسلام ، ولكنها تبحث عن طرق ووسائل للتكيف معه ، تتلقق باسم الشعب الفلسطيني ، ولكن من أجل فرض استراتيجيات الانظمة العربية عليه . اما المقاومة الموجودة فهي مرفوضة . ولا بأس من ان يأخذ الرغص اشكالا عدة . فهي مرفوضة في جهة لانها لا تقاتل ! وهي مرفوضة في جهة اخرى لانها ماركسية ، وهي مرفوضة مرة ثالثة لانها غير موحدة الخ . . . وهي مرفوضة حتا لانها الطرف الوحيد المقاتل فعلا ، الواقف في طريق الاستسلام فعلا مهما كانت عيوبها واخطاؤها .

وما تريده الانظمة العربية منها هو ان تصبح غير ما هي عليه . ان تتوحد ، اي ان تتطهر من القوى المقاتلة ، المهادية للاستسلام ، وان تختار مواضعها السياسية والايدولوجية التي تؤهلها لدخول صالون الانظمة العربية . وهناك كثير من المحاولات لإبضاح هذه الحقيقة . (الجديد ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ١٢/١/٧٣ و ١٩/١/٧٣) .

ولقد جاء انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية والدفاع ما بين ١/٢٧ و ١/٣٠ في هذا الجو . وكان انعقاده جزءًا من التحرك العربي الشامل الذي يستهدف ما ذكرناه .

وكان واضحًا ان المؤتمر يستهدف إعادة النظام العميل في الاردن الى الحظيرة العربية ، وعزل حركة المقاومة . وتمثل ذلك فيما يلي :

١ — حذف موضوع الخلاف بين المقاومة والنظام الاردني من جدول الاعمال ، مع ان الجدول مقر في مؤتمر الكويت . وتبين ان الامين العام للجامعة العربية هو الذي طلب حذف هذا البند من الجدول .

٢ — لم يرد ذكر المقاومة اطلاقًا ، الا على اساس انها قوة ستشارك في الجبهة الشرقية .

٣ — قدم الفريق احمد اسماعيل تقريرًا الى

المؤتمر ، حدد فيه مهمات المقاومة بأنها عمليات العمق وأية عمليات أخرى في العالم ، دون أن يكون لها مثل هذا الحق على الحدود وبالقراب منها .

٤ - طالبت الخطة الموحددة بتخصيص مبلغ ٩٠ مليون جنيه استرليني (الانوار ٧٣/١/٢٩) لدعم مصر وسوريه والاردن . وقد استنفيت المقاومة . وعندما طالب مصلها بأن تكون لها حصة من المبلغ المخصص رفض اقتراحه . وحين تقدم رئيس الاركان الليبي باقتراح زيادة المبلغ وتخصيص قسم منه للمقاومة رفض اقتراحه ايضا .

٥ - تقدم وفد العراق بمشروع لبناء الجبهة الشرقية ، حدد فيه القوى التي ستشارك في الجبهة تخطيطا وتنفيذا ، بأنها دول الاقتصاد الثلاثي والعراق والاردن والمقاومة . وأعلن العراق استعداداه للمشاركة في الجبهة ، ولكنه اشترط مشاركته بتأميم النفط ، أو تخفيض الانتاج ، وبعدم بيع النفط للولايات المتحدة . ولقد رفض المشروع العراقي .

٦ - نوقشت طلبات المقاومة في الجلسة الختامية . وقد قدم اقتراح بتشكيل لجنة خاصة تقوم بزيارة الاردن والاجتماع بالملك حسين وبحث قضايا المقاومة معه ، بعد أن أعلن ممثل الاردن في المؤتمر بأنه لا يملك الصلاحيات للموافقة على مثل هذه المطالب . ولقد تشكلت اللجنة من : المغرب ، الجزائر ، مصر ، المملكة العربية السعودية ، الكويت ، سوريه ، والقائد العام للجبهات الثلاث الفريق أحمد اسماعيل والامين العام لجامعة الدول العربية . وما أن تمت الموافقة على تشكيل اللجنة حتى بدأ المؤتمر يناقش موضوع اصدار قراراته ومنها : بناء الجبهة الشرقية ورفع الحصار عن الاردن ، واعادة المساعدات المقطوعة . ولكن وفد المقاومة اعترض على ذلك ، وأيده الوفد الليبي ، مما حدا بالمؤتمر ان يربط اتخاذ مثل هذه القرارات بنتائج زيارة اللجنة الى عمان .

ولقد سافر الملك الى واشنطن ، وانشغل بشور العسل ، فلم تتمكن اللجنة من زيارته بعد . الا ان زيارة الملك للولايات المتحدة قد فتحت آفاقا جديدة . وجاء في الاخبار ان الملك مستبشر ، وبأنه سيخبر الدول العربية بما سمع ورأى من اهتمام الولايات المتحدة بأزمة الشرق الاوسط .

وتتردد في هذا الوقت أحاديث عن القتال في هذه

العاصمة العربية أو تلك ، في الوقت الذي يجري فيه الحديث عن بادرة امريكية جديدة . ولكن الاميركيين لم يطرحوا شيئا حتى هذه اللحظة . لماذا ؟ لانهم يريدون موافقة عربية ، تكلينا عربيا ، قبل أن يتكلموا . انهم هذه المرة لن يبادروا كما فعلوا في المرة السابقة ، ليقال لهم نعم أو لا ، انهم يريدون أن يبادروا والموافقة المسبقة في أيديهم . وما يطرحه الاميركيون واضح ومحدد : انه حل جزئي ، وفتح قناة السويس بالذات .

وقد ترددت ابناء في الايام الاخيرة (النهار ٧٣/٢/١٧) عن تمسيق مصري روسي بريطاني لقبول المبادرة الامريكية الجديدة على أن يسمى الحل الجزئي حلا مرحليا . وليس بمستبعد ان يكون اللجوء الى التسمية الجديدة مخرجا من المأزق . ان التسمية هامة جدا ، وما لا يمكن ان يقبل باسم الحل الجزئي ، يمكن ان يقبل ويبرر باسم الحل المرحلي . القضية الاساسية في هذا كله ان اي حل جزئي أو مرحلي لا يمكن ان يتحقق اذا ظلت المقاومة قوة معارضة . وعليه فلا بد من ان يكون ثمن الجديدة الامريكية خطوة أخرى على طريق تصفية المقاومة . فبل ستستطيع الولايات المتحدة ان تنجز هذه الخطوة ؟

ان ذلك يعتمد على موقف المقاومة ونضالها وعلى موقف القوى الوطنية العربية . ومعركة الايام القادمة هي معركة المقاومة بالذات . معركة استقلالها أو احتوائها ، معركة بقائها أو فنائها .

١ - قضية أبو داوود : دخل أبو داوود عمان في هذا المناخ . وكان دخول أبو داوود عمان يسير في الاتجاه المعاكس . ذلك ان الهدف كان من وجوده :

أ - هز ثقة النظام بنفسه ، وثقة ساداته (الولايات المتحدة) به . فالنظام يناور دوليا من أجل أن يؤكد صفته ممثلا وحيدا للشعب الفلسطيني ، وحرصا على تصفية ارادة القتال وعلى السير نحو التصفية . ولا بد لافشال لعينته الدولية من مفاجاته بضربة صاعقة ، لا تسقطه ، ولكنها تهزه هزا عميقا ، وتحرمه بالتالي من أن يدعي ضممان الاستقرار واستتباب الامن في ربوعه .

ب - افساد مناورات النظام لخلق مناخ انفتاح عربي ، يخرج الاردن الرسمي من عزلته العربية ، ويفتح امامه كل امكانيات التصفية المادية والمعنوية

لنشاطاته المشبوهة .

علاقتها مع الاردن خاصة ، والانظمة عامة .

وكان يطرح على وفد فتح هذا السؤال : كيف تريدوننا ان نتوسط في موضوع ابو داوود ، دون ان نخوض في القضية كلها ؟

ولقد عبرت هذه الازساط عن وجهة نظرها هذه ، من خلال صفحتها . وكتبت احدي هذه الصحف تسمى الوساطة الوساطة الناقصة . لماذا ؟ لان انقاذ ابو داوود ممكن و« ... بسهولة ويسر ... » « متى استطاع الوسطاء ان يقيموا قاعدة سليمة للتعايش بين العرب ، جميع العرب ، بصرف النظر عن آرائهم وميولهم واتجاهاتهم ... » (الحياة ٧٣/٣/٧) . وعادت الصحيفة لتؤكد انه : « ... اذا كانت قد اعلنت من خلال هذه القيوم الكثيفة بارقة أمل واحدة فهي استجابة الملك حسين للنداء الذي وجه اليه لعدم تنفيذ حكم الاعدام بابو داوود ورفاقه من الفدائيين ... غير ان بارقة الامل هذه لن يكون لها مردودها المثر على صعيد العلاقات العربية ، الا اذا تحولت الى بداية لجمع الكلمة ورس الصفوف ، وتناسي الاحقاد والعمل من جديد ، ضمن خطة موحدة ، وفي سبيل غاية واحدة ، وهدف مشترك ... » (الحياة ٧٣/٣/٨) . « وتحل قضية العلاقات بين الثورة الفلسطينية والنظام في الاردن بسهولة ويسر . ذلك اننا في كفاحنا ضد اسرائيل لا غنى لنا عن الاردن الذي يربط على أطول خط من خطوط مواجهتنا ضد العدو ، ولا غنى لنا عن العمل الفدائي الذي أصبح في آخر الشوط المخز الوحيد الذي ينجز في جوانب أعدائنا ، فهل يجوز لاي عربي ان يسكت عن استمرار الصراع بين هاتين القوتين العربيتين ؟ ... » (الحياة ، ١٩٧٣/٣/٧) .

ويتضح ان هدف هذا المنطق هو ان نصل الى ان المصالحة يجب ان تتم . كيف ؟ وعلى أي الاسس ؟ على اساس تنامي الاحقاد وبدء صفحة جديدة من العلاقات ! . ولكن هل يمكن ان تتم المصالحة وان يبقى من الثورة الفلسطينية غير أشلاء . هذا ما لا يجيبنا عليه الوسطاء علنا ، ولكن الخطط التي طرحت في الاشهر الماضية ، ومنذ محادثات جدة تالت كل شيء : ثورة فلسطينية ضمن استراتيجية عربية موحدة شاملة . وهذا يعني ان تخضع الثورة لاستراتيجية الانظمة خضوعا كاملا . وهذا يتطلب ان يحدث من التغيرات فيها ما يجعلها قادرة على ان تكون كذلك .

ج - رفع معنويات جماهيرنا في الارض المحتلة والاردن ، برد موجع على عمليات المطاردة والقمع والاذلال .

ولكن ابو داوود اكتشف يوم ٢/٨ . ولم يعلن النظام شيئا عن المحاولة الا يوم ٢/١٥ (النهار ٧٣/٢/١٦) ، دون ذكر ابو داوود ، بينما أعلنت فتح بيانها يوم ٢/١٦ (النهار ٧٣/٢/١٧) ، مع انها كانت تعلم بما حدث في حينه .

بدأت حملة المقاومة من اجل انقاذ ابو داوود ، باللقاء مع السفراء العرب في بيروت يوم ٢/١٦ ، والذكرات التي قدمتها فتح الى الحكومات العربية . ثم تحركت وفود من فتح الى بعض البلاد العربية ، وجرت اتصالات مع بلاد أخرى .

وكان رد الفعل على الصعيد الشعبي واسعا وعميقا ، ذلك ان المنظمات الشعبية العربية أصدرت بيانات الاستنكار ، ضد النظام الاردني . كما أن اتحادات المحامين تحركت من اجل الدفاع عن المعتقلين ، ولكن السلطات الاردنية لم تتح لها فرصة الوصول الى عمان ، وردت الوفد العراقي برئاسة فيصل حبيب خيزران ، نقيب المحامين العراقيين ، من مطار عمان ، على الرغم من ان الوفد ابرق لثقابة المحامين في الاردن ولوزارة العدل فيه بموعد قدموه .

ولقد عبرت المنظمات الشعبية العربية عن موقفها من النظام الاردني ، كما عبرت عن تأييدها لمهاجمة النظام الاردني في مواقفه الحساسة . ولكن الموقف الرسمي ، لم يكن كالموقف الشعبي ، وان كانت هنالك بعض الخلافات .

كان أول رد فعمل رسمي صادرا عن يومدين والقذافي ، ذلك انها كانا مجتمعين ، وأرسلا برقية الى الجامعة العربية تطالبها بالتدخل في سبيل انقاذ حياة ابو داوود . ولم يكن ممكنا ان يبرق يومدين والقذافي للسلطات الاردنية مباشرة ، لان العلاقات بينهما وبينها مقطوعة .

أما فيما عدا ذلك ، فقد كانت النظرة الى قضية ابو داوود مرتبطة بموضوع العلاقة بين الثورة الفلسطينية والنظام في الاردن . وأراد البعض ان يستخدم رأس ابو داوود رهينة للتفاوض والضغط ، وان يغتنم هذه الفرصة ، لا للمحافظة على حياة ابو داوود ، بل لدفع المقاومة الى خط جديد في

لقد تحدثنا في هذه الزاوية كثيرا عن هذه الناحية ، ولكن ما هو مطلوب يمكن تلخيصه بالآتي : توحيد الثورة الفلسطينية بتصفية الاتجاهات الثورية فيها ، وبنهاء طابعها الشعبي ، وبإخضاع كل قواتها العسكرية لبرنامج عسكري موحد ، وإخضاع دبلوماسيتها للدبلوماسية الرسمية .

وعاد الملك حسين من زيارته للولايات المتحدة فواجه الحملة بتصديق احكام الاعدام على أبو داود ورفاقه . ويبدو انه كان يريد من ذلك : أ - تعليق السيف على رقبة الثورة الفلسطينية في محاولة لارهاب قياداتها وجماهيرها ووضعها امام خيارين : اما أن تقبل بالتفاوض حسب شروط النظام نفي عمان أو تعطى المبرر لمزيد من التمع والبطش والارهاب . ب - دفع الانظمة العربية لممارسة مزيد من الضغط على الثورة الفلسطينية من أجل محاصرتها بالخيارين السابقين المذكورين أعلاه . ج - استغلال وساطة الانظمة لاستئناف الحوار معها من أجل اثناء حالة الحصار التي يعيشها الاردن الرسمي ، والحصول على المساعدات « الخطوة » .

وحين كتب أمير الكويت ، متمنيا على الملك الا ينفذ أحكام الاعدام أجابه الملك برسالة ، عممتها أجهزة الاعلام الأردنية وكان أهم ما جاء فيها : «... ان الحكم الذي صدر بحق المجموعة التي تصدت لتنفيذ الأمانة ، هو حكم قانوني وعادل صدر عن جهات قضائية ومسؤولة ... » . ب - ان نداء أمير الكويت كان له وقع ايجابي في نفس الملك ، وان الملك يسمع معه ايضا « ... نداء عميقا ينطلق من أعماق الضمير العربي كله ، داعيا الى بناء سد أبدي في وجه تيارات الفرقة والتصدع ، وإعادة النظر في قواعد التعامل بين اعضاء الاسرة العربية كلها ، والوقوف بموضوعية وأمانة أمام أنفسنا نتحرى فيها أسباب الضعف والخطأ ، والعزم على مراجعة المواقف بما يوفر للقضية المزيد من أسباب القوة والاعتدار » .

وطالب الملك أن يكون في مليعة ذلك : أولا : وضع حد نهائي وغوري والى الأبد لكل تأمر وعمل تخريبي مادي أو اعلامي ضد هذا البلد العربي وشعبه الوفي وجيشه البطل ومؤسساته جميعا ، وأن تتعهد المنظمات بأن توجه جهودها وطاقاتها ، وما تضعه الامة بين أيديها من طاقات لخدمة القضية خدمة أمينة مخلصة ، وأن لا تتعرض لا للاردن ولا لغيره

من البلدان الشقيقة بشيء قليل أو كثير ، بل ان يكون دورها أن تجمع ولا تفرق ، وأن تبني ولا تهدم ، وأن تكون سلاحا للقضية في وجه أعدائها لا سلاحا للاعداء في وجه القضية في كل عمل وقول ، وفي الدنيا بأسرها . ثانيا : ان يواجه الاشقاء مسؤولياتهم تجاه موقفنا هذا بجرأة وصراحة ، وأن تكون مواقفهم من اي أخلال بهذا التعهد صارمة ومعلنة « (الانوار ٧/٣/٧٣) » .

ومن الجدير بالذكر أن المصادقة على حكم الاعدام جاءت بعد تنفيذ مقاتلي أيلول الاسود حكم الاعدام بالدبلوماسيين الثلاثة في الخرطوم ، وبعد أن استشاطت الدوائر الحاكمة في الولايات المتحدة غضبا ، حتى أنها ما لبثت أن طالبت علنا باعدام منفي عملية الخرطوم .

هل هذا يعني أن باب الوساطة ما زال مفتوحا... انه ما زال فعلا ، بسبب وجود تيار عربي رسمي يرى المصالحة ضرورية ، ويرى ان حل قضية ابو داود ورفاقه بالعمل الدبلوماسي ، لا بالحملات الاعلامية ، ولا بالعمليات الانتحارية . ولهذا التيار امتداداته الفلسطينية .

والملك حسين أيضا يريد هذه المصالحة ، لأنها تصفي الثورة الفلسطينية من داخلها . وهذا ما يسهل على الملك خطواته ، ويريح من مشاكله الحالية والمقبلة مع الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني كبا يتوهم . وهو اذا كان يريد تصفية ابو داود ، فلا تهمه التصفية المادية بمقدار ما تهمه التصفية المعنوية . وهذا ما يحاوله النظام الآن . انه يعمل جاهدا لاستقاط خط ابو داود من خلال ابو داود . كيف ؟ من خلال اظهار ابو داود متراجعا عن خطه ومن خلال طرح المصالحة ثمنا لرأسه .

وبعد ، هل سيعدم ابو داود ؟

ان الاجابة مرهونة بعدد من العوامل السياسية والمواقف السياسية ، كما انها تتعلق بالثورة الفلسطينية والنظام الاردني والانظمة العربية . وأن يعدم ابو داود أو لا يعدم مرهون بعدد من هذه العوامل المتغيرة .

ولقد أعلن الملك حسين في ١٤/٣ ، في رسالة وجهها الى رئيس وزرائه بالوكالة تخفيف حكم الاعدام « لاعتبارات انسانية » واستجابة لنداءات عدد من القادة العرب . ويخطو الملك بذلك خطوة

أخرى على طريق المصالحة ، وعلى طريق تحريض الانظمة العربية ضد الثورة الفلسطينية ، اذا لم نستجيب « لشروط » المصالحة (البرق ١٦/٣/٧٢) .

٢ - قضية الطائرة الليبية : واستقطبت الطائرات الاسرائيلية المقاتلة في هذا الجو الطائرة الليبية . كان حافظ اسماعيل ، مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي يريد التوجه الى الولايات المتحدة . وقد خشي البعض ان يمنع الحادث الزيارة . ولكن الزيارة تمت ، وهذا ما رجاه رسميو الولايات المتحدة .

هل كان الحادث يستهدف التأثير في رحلة حافظ اسماعيل ؟ ان الاجابة على هذا السؤال ليست سهلة . ذلك ان كل الدلائل تشير الى ان الولايات المتحدة الامريكية ودولة الاحتلال الصهيوني ليمتا مختلفتين حول ما يسمى موضوع أزمة الشرق الاوسط . وما دامت ليستا مختلفتين فما الحاجة الى عرقلة المساعي الحسنة التي تقوم بها الولايات المتحدة لمصلحة دولة الاحتلال الصهيوني ؟ اذا قلنا بأن دولة الاحتلال الصهيوني تريد عرقلة المساعي قادنا ذلك الى الاعتقاد بأن هناك خلافا بين الولايات المتحدة ودولة الاحتلال الصهيوني . وهذا ليس حاصل الان . ذلك ان ما تطلبه اتولايات المتحدة لا يتعدى ما تطلبه دولة الاحتلال : حل جزئي ، يكون مقدما لحل شامل ، تحتفظ فيه دولة الاحتلال الصهيوني « بحدود آمنة » ، وتعال في المقابل بكاسب هامة لا حدود لها ، تبدأ من تصفية الثورة الفلسطينية ، وتنتهي بالاعتراف .

ما الدافع اذن الى مثل هذه الجريمة النكراء ؟

ربما استهدفت دولة الاحتلال من ذلك ما يلي : أ - خلق اسباب لمزيد من الخلافات بين ليبيا ومصر . ذلك أن ليبيا تعلن مواقف مضادة للحلول الاستسلامية وتعلن على لسان رئيسها : « ان موضوع تحرير فلسطين واعادة شعبها أصبحت منتهية من اذهان الحكام العرب » وان السياسة العربية تجاه فلسطين مصابة بـ « الالفلاس والعقم والشلل » (الحياة ٨/٣/٧٢) . بينما تتحدث مصر عن التهيئة والحرب وترسل الرسل الى واشنطن النخ . ان توسيع شقة الخلاف داخل اطار الاتحاد الثلاثي ، يربك مصر ، ويضعف امكانياتها القتالية والسياسية . ب - الانتقام من ليبيا بسبب تبني السلطة فيها عمليات « ايلول الاسود » ، وهو ما اعلنت عنه سلطات الاحتلال سلفا . ولقد استهدفت

دولة الاحتلال الطائرة ، لانها تسعى الى زعزعة ثقة المواطن العادي بخط حكومته . وليس غريبا بعد هذا ان تتجه المظاهرات العفوية التي حدثت ضد العلاقات المصرية الليبية . ج - « كسر أنف الغدافي » واشعاره ان دولة الاحتلال قادرة على الرد ، وانها « تهمل ولا تهمل » ، وان تحديها عبث ومكابرة .

وهناك احتمال آخر ان تكون استهدفت من ذلك استدراج الطائرة الليبية الى الاراضي المحتلة من أجل اصطياد « رهائن » ليبية هامة ، كانت تعلم بوجودهم على الطائرة . او لانها تريد استغلال اصطياد طائرة ليبية في عملية حوار تكون ليبيا فيه مضطرة .

وسيان كان هذا كله او كان غيره ، فان العملية واحدة من آلاف العمليات التي قامت بها دولة الاحتلال الصهيوني ضد شعبنا الفلسطيني وجماهيرنا العربية . وهي عملية اثار كثيرا من السخط العربي المؤقت ، مثل ميلانها ، الا انها سرعان ما أضيفت الى سجل الاعتداءات . وهي تؤكد اسلوب الحوار الدموي الذي انتهجته دولة الاحتلال منذ كانت ، او حتى قبل أن تكون .

ماذا ستفعل ليبيا ؟

يتوقع بعض منا ضربة مماثلة . ولكن جماهيرنا يجب ان تخرج من دائرة ردود الإنفعال . ان ما نطلبه ليس حادث طائرة مماثل . ان ما نطلبه يتلخص في التصميم على القتال فقط . ولأن هذا التصميم العربي غير مكرس رسميا تقبل جماهيرنا اية ضربة ، ردا على الضربة المؤلمة .

٣ - عملية ايلول الاسود في الخرطوم : اثارته عملية الخرطوم ما لم تثره عملية اخرى من عمليات ايلول الاسود على الصعيد العربي . وكان واضحا أن هناك على الصعيد العربي الرسمي ، وشبه الرسمي ، وفي محافل رجعية كثيرة توجسا وخيفة واستكراا وحيرة . لماذا حدث ذلك ؟

لقد قتل وصفي التل رئيس وزراء الاردن ، وفي القاهرة ، وخلال دورة اجتماعات عسي الجامعة العربية . ومع ذلك كان هناك تجاوب شعبي كبير ، ولم تكن هناك مظاهر السلبية التي اتضحت اثر عملية الخرطوم .

وجدير بالذكر ان اوساطا مثل جريدة النهار ، تبنت الدعوة لمتهج « ايلول الاسود » ، ووقفت هذه المرة

تقول : « ولكن ... ولكن ... هل يمكن ان يصبح « الارهاب الفدائي » ارقى مراتب النضال ، بل النضال الوحيد ومجال الثورة الابرز والافضل ؟ ذلك هو السؤال الذي تطرحه « قضية الخرطوم » خصوصا بعدما انتهت الى ما انتهت اليه ، ومرت بها جرت به » (النهار ٧٣/٥) ودعا في النهار داعية آخر من دعاة ايلول الاسود المحسنين ، الى الحوار مع قيادة الثورة من اجل « ... شق طريق اخرى غير هذه الطريق » (النهار ٣/٨) . واستنكرت صحيفة عربية اخرى الجاذفة بقولها : « ان عملية ايلول الاسود في الخرطوم جاءت بمثابة نكسة مذهلة للعالم العربي ، مثلما كانت جريمة مروعة » (الحياة ٣/٦ نقلًا عن الكويت تايمز) . ان الذي قاد الى هذا كله كان ما يلي :

أولا : ان كثيرين من الذين شجعوا فكرة « ايلول الاسود » وعملياتها كانوا يتعلون ذلك من اجل انتهاء وجود الثورة العنقني والشرمي . كانوا يطرحون « ايلول الاسود » بديلا لما هو قائم . وكان هذا يقتضي ان تزول الغسوات والمواقع والمعسكرات والمنظمات الجهادية مقابل عمل سري مجهول . ولكن هذا العمل السري أصبح واقعا الان واصبحت له مسؤولياته . ولذلك أسرع كثيرون ممن أيدوه وهو فكرة الى التوصل منه عندما أصبح واقعا . ثانيا : كانت عملية الخرطوم عملية على أرض عربية تستهدف أكثر من جهة عربية ، وأكثر من جهة دولية . وكونها قامت على أرض عربية ، وممت أكثر من جهة عربية ، بينها المملكة العربية السعودية ، أمر له اهميته الكبرى . فالمملكة العربية السعودية تلعب دورا بارزا في احداث المنطقة الان . وهي حتى الان تحاول ان تظل مهيبة في علاقاتها العربية والدولية . لذلك فان احتلال سفارتها وارتها سفيرا وضيوفه وقتل بعض منهم كان لا بد من ان يهز دوائر عربية معينة . كما ان قيام مثل هذه العملية على اراض عربية ، اخاف أنظمة وأوساطا عربية من أن تقوم عمليات مماثلة على اراضيها .

وزاد الامر تعقيدا بالنسبة لبعض الأوساط العربية ان دبلوماسيين امريكيين قد قتلا . وهو ما لا يرضاه انتصار الفناهم مع الولايات المتحدة .

اما موقف الخرطوم الرسمي فلم يكن متوقعا ان يكون غير ذلك . ذلك ان حكومة الرئيس النهمري

قد قررت منذ حركة هاشم العطا ان تسير في خط جديد ، دعائه ثلاث : الولايات المتحدة ، المملكة العربية السعودية ، قادة جنوب السودان . وقد تادت هذه الدعائم الثلاث السودان الى السير في الخط الامريكي . وجاءت عملية الخرطوم لتكشف هذه الحقيقة كما لم تكشف من قبل .

ولذلك استغلت حكومة النهمري هذه الحادثة لتتخذ حوقفا معاديا من الثورة الفلسطينية كلها . ولقد باذر النهمري فالحق خطابا اعلن فيه الحسرب الشعواء . ولم يكتف بذلك بل أرسل رسالة الى الملك والرؤساء العرب دعا فيها الى تحرير الناشئة الفلسطينية من سيطرة العقول المتعشمة للدم ووضع ضوابط للعمل الفدائي . وكان هذا يعني وتوقف السودان الى جانب الأردن في عملية سحق ارادة الشعب الفلسطيني .

ان ما حدث في السودان جدير بالاهتمام . ذلك ان هذا الموقف العنقني الصريح من الثورة الفلسطينية وانفعال المظاهرات المطالبة باعدام الذين نفخوا عملية الخرطوم ، لا تعبر عن « مدى الضغوط التي يتعرض لها النهمري الان من امريكا لاعدام الفدائين في الخرطوم ... » فقط (لسان الحال ٧٣/٨) . هناك أكثر من ذلك هناك خط داخلي يتطور في اتجاه الولايات المتحدة .

واليوم يعود الحوار مع الخرطوم من جديد . ويبدو ان الحوار قطع شوطا بعيدا على طريق انتهاء الازمة .

ولا بأس من الاعتقاد ان هذه الازمة مع حكومة السودان مستوى مؤقتا ، ولكن هذا لا يعني ابدا ان مواقف حكومة السودان كانت « نرفزة » عابرة ، وانها كانت بلا دلالات . ان دلالاتها كبيرة ، وهي تستحق ان نقف عندها باهتمام ، لانها مؤثر من المؤثرات الهامة على علاقة الثورة الفلسطينية بالانظمة العربية ، خلال مسيرتها المقبلة .

وبينما يجري هذا كله تظل الحياة السياسية العربية تتكشف كل يوم عن متناقضاتها ، وعن انحدارها على طريق الاستسلام . ففي لبنان قامت قوات الاحتلال الصهيوني بعدوانها على مخيمي البداري ونهر البارد ، دون ان تواجه بطلقة من غير « حرس المخيمات » . وفي المغرب أعلن الملك الحسن الثاني (البيرق ٢/٥) عزمه على ارسال متطوعين الى سورية في الوقت الذي كان زعماء

الإولى ما بين ٣ وه آذار ، الا انها جاءت دون اطراف اساسيين هم : سورية ومصر وليبيا . ومع ذلك فقد كان اجتماع امانتها العامة مفيدا ، أصدرت على أثره عددا من البيانات وقررت دعوة مجلسها العام في حزيران (الانباء ٧٢/٣/٩) .
ان المرحلة القادمة مرحلة اكثر تعقيدا ، وستزداد الاتجاهات نحو الاستسلام افتضاها ، وستزداد محاولات التصفية شراسة .

ناجي علوش

الحركة الوطنية في المغرب يعتقدون بتهمة القيام بأعمال مسلحة ، وفي الوقت الذي كان التحرك الشعبي يزداد منفا وحركة القمع تزداد شراسة .
وفي مصر استمر الحديث عن الحرب ، واستمر قرع الأبواب من أجل السلام ، واستمرت حركة التطهير في أجهزة الاعلام . أما في سورية فقد حاولت بعض الفئات تحريك فتنة دينية ، ولكنها ضربت بسرعة .
وضاع الحديث في هذه الاجواء عن الجبهة الشرقية ، وبسط سرعة الاحداث وضخبها .
اما الجبهة العربية المشاركة فقد جاءت دورتها

صدر حديثا عن مركز الابحاث كتاب بالانجليزية بعنوان

**THE LEGAL STATUTS OF ISRAELI - ZIONIST
FUNDRAISING IN THE U.S.A. : A LAWSUIT**

بقلم

عابدين جبارة

والكتاب مرافعة قضائية أعدتها الكاتب ضد سكرتارية وزارة المالية الامريكية وجهات حكومية اخرى لاعفائها الوكالة اليهودية من ضرائب الدخل وموضعا فيها الطبيعة الاستيطانية - الاستعمارية التي تنفذها اسرائيل والوكالة اليهودية من هذه الاموال المحببة .

اطلب نسختك من قسم التوزيع في مركز الابحاث ص.ب ١٦٩١ - بيروت

سعر النسخة ٢ ل.ل. يضاف اليها اجور البريد : ٥٠ ق.ل. في العالمن العربي

١٠٠ ق.ل. في أوروبا ، ٢٥٠ ق.ل. في سائر الدول .

(٣) القضية الفلسطينية دوليا

من خلال اتصالات خاصة ما لمسه من اهتمام حقيقي بقضية الشرق الاوسط في الولايات المتحدة». اما بالنسبة لمصر فقد اطلقت الدبلوماسية الامريكية احياء من النوع نفسه اخذ صورة ابداء رغبة الحكومة الامريكية باستقبال شخصية مصرية مسؤولة على مستوى رفيع لاجراء محادثات على أعلى المستويات في واشنطن . ويبدو ان بريطانيا كانت الوسيط الذي نقل هذه الرغبة الامريكية الى المسؤولين في مصر ، كما ان وليم روجرز أعلن عنها في مؤتمر صحافي عقده في منتصف شباط ١٩٧٣ . وعلى اثر ذلك يبدو ان الرئيس السادات قرر ارسال مستشاره الخاص حافظ اسماعيل اولاً الى الاتحاد السوفياتي للتشاور هناك بشأن التحرك الامريكي ومن ثم الى الولايات المتحدة ، مروراً بلندن ، لتبادل وجهات النظر مع المسؤولين الامريكيين بن فيها الرئيس نيكسون . ويبدو من نتائج الزيارة المصرية لموسكو (راجع : القضية الفلسطينية دولياً ، « شؤون فلسطينية » ، عدد ١٩) ، ان الزعامة السوفياتية لم تعترض على مهمة حافظ اسماعيل في لندن وواشنطن .

في لندن قابل حافظ اسماعيل رئيس الوزراء ووزير الخارجية . وقد اوضحت مصادر وزارة الخارجية البريطانية ان المحادثات اقتصرت على تبادل وجهات النظر حول امكانات تحقيق النسوية السياسية في الشرق الاوسط ولكنها لم تطرق الى أية اقتراحات محددة للوصول الى هذا الهدف . ويبدو ان السبب في ذلك الاعتقاد السائد حالياً لدى كافة الاطراف المعنية بأن مفتاح حل أزمة النزاع العربي الاسرائيلي هو في يد الولايات المتحدة . وقد اوضحت المصادر البريطانية انها « تؤيد التحرك الامريكي الجديد الرامي الى احياء الحوار غير المباشر بين الدول العربية واسرائيل » . كما ترددت انباء صحفية بأن المسؤولين البريطانيين قد اشاروا على حافظ اسماعيل بضرورة مسايرة مصر للتحرك الامريكي والقبول به « لان الظروف الدولية لا تسمح بأية حلول اخرى في الوقت الحاضر » .

اما في واشنطن فتد رحب الناطق باسم وزارة الخارجية بزيارة حافظ اسماعيل باعتبارها فرصة « للاطلاع على آراء الحكومة المصرية » حول أزمة الشرق الاوسط و« لعرض الرأي الامريكي على

بعد توقيع اتفاق وقف اطلاق النار في فيتنام تبلورت معالم حملة دبلوماسية عربية على الصعيد الدولي هدفها جذب اهتمام الدول الكبرى بشكل جدي الى النزاع العربي الاسرائيلي والى ضرورة ابراز بعض التقدم المتبول باتجاه حله سلمياً في اقرب وقت ممكن . وكانت المظاهر الاهم لهذه الحملة زيارة الملك حسين لواشنطن في كانون الثاني ١٩٧٣ ، وقيام حافظ اسماعيل — مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي — بزيارة كل من موسكو ولندن وواشنطن بالتتابع ، حيث اجري مباحثات مع كبار المسؤولين في تلك العواصم حول أزمة الشرق الاوسط . وكجزء من هذه الحملة الدبلوماسية يقوم وزير خارجية مصر — الزياد — بزيارة كل من الهند والباكستان وايران وتايلاند ، كما يقوم الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي — سيد مرعي — بزيارة عدد من دول أوروبا الشرقية . من جهة اخرى استمرت السياسة الامريكية الموجهة نحو الحكومات العربية المعنية بالاحياء بانها تنوي التحرك لاجراء أزمة الشرق الاوسط من المئزق الواقعة فيه (ولكن بدون أن تتحرك فعلاً) ، وهي تقدم احياءات يلغها الغموض المتعمد بهدف خلق اجواء هي في الوقت نفسه مزيج من التفاؤل والامل من ناحية ، ومن الحذر والتحفظ من ناحية ثانية . على سبيل المثال « أوحث » الدبلوماسية الامريكية للملك حسين اثناء زيارته لواشنطن (وفقاً لتمريراته هناك) بأن التفاؤل بإمكانية إيجاد حل مرض لطرفي النزاع في الشرق الاوسط ممكن لان امريكا تقوم بدور كبير في خلق جو يمكن ان يزدهر فيه السلام العالمي . كما « أوحث » له بأن دور منطقتة الشرق الاوسط سيأتي في المرتبة الاولى على جدول اعمال الرئيس نيكسون لان حكومته مهتمة كثيراً بمصيرها مما يعني ان تحركا ما سيحدث قريباً تأخذ فيه امريكا زمام المبادرة . وقد بررت الدبلوماسية الامريكية احياءاتها هذه بقولها ان العالم يسير الان نحو حل المشاكل المستعصية وازالة اسباب التوتر المزمته التي تهدد السلام العالمي ، لذلك لا بد لهذا الاتجاه من ان يشمل مشكلة الشرق الاوسط باعتبارها تشكل أهم مصدر للخطر على السلام العالمي . وعلى هذا الاساس أعلن الملك حسين اثناء زيارته الامريكية « انه سيبذل المسؤولين في سوريا ومصر

العلاقات الأمريكية المصرية ، فان المسؤول عن تحقيق هذه النتائج ليس بالتأكيد اي تغري او تساهل في الموقف الأمريكي ، مما يتركنا أمام احتمال واحد هو ان الموقف العربي قد أصبح أكثر تساهلا في الفترة الأخيرة . ويمكننا استخلاص ثبات الموقف الأمريكي حيال النزاع في منطقتنا واستمراريته من عدة تصريحات صدرت على أعلى المستويات . ففي منتصف شباط المنصرم عقد وليم روجرز مؤتمرا صحافيا حدد فيه موقف بلاده من مسألة تسوية النزاع العربي الإسرائيلي على النحو التالي :

(1) ضرورة البدء ، بما قريب ، بالمفاوضات بين الدول العربية المعنية واسرائيل . قال روجرز ان بلاده مستقومة بدور نشط جدا في الاسابيع المقبلة من أجل بدء هذه المفاوضات ، وستقبل كل ما تستطيعه لحل الجانبين العربي والإسرائيلي على التفاوض .

(2) التأكيد من جديد على أهمية « البدء بالمحادثات الخاصة بين جميع الفرقاء المعنيين » (اي محادثات الجوار بأشراف اريحا) والاصرار على ان الطريق الى السلام يكمن في الاجراءات الجزئية (أي التسوية الجزئية واعادة فتح قناة السويس) التي تشكل خطوة أولى نحو التسوية النهائية للنزاع . قال روجرز ان حكومة بلاده ستسعى في نشاطها للحصول على مثل هذه الاجراءات الجزئية . وأعرب عن اعتقاده بأن تحقيق تسوية جزئية للنزاع بين مصر واسرائيل يبدو أسهل من تحقيقها بين اسرائيل والاردن خاصة وان فكرة التسوية الجزئية صدرت أصلا عن الرئيس السادات نفسه .

(3) نفى روجرز ان يكون هناك ثمة شيء مثل المبادرة الأمريكية للسلام التي كثر الكلام عنها . قال بهذا الصدد ان بلاده لا تسعى الى عرض أي مشروع جديد لتسوية النزاع . والهدف من هذا النفي هو تأكيد الموقف القائل بأن الولايات المتحدة لن تفرض على المنطقة أي حل من الحلول مهما كان . وبعد تحديد الموقف الأمريكي على النحو المذكور بين روجرز ان حكومة بلاده قد نقلت وجهات نظرها هذه حول التسوية الجزئية الى الاطراف المعنية بالنزاع بما فيها الاتحاد السوفياتي ، ثم أعلن ان السلطات الأمريكية ترحب باستقبال شخصية مصرية بارزة ، وانها بالتأكيد ستترد الزيارة اذا تمت .

وبعد انتهاء زيارة حافظ اسماعيل الى واشنطن عادت المصادر السياسية هناك الى تأكيد الموقف

مصر حول الموضوع ذاته « . كما أبدت الاوساط الدبلوماسية الأمريكية ارتياها لان حافظ اسماعيل قد جاء الى واشنطن بعد المشاورات التي كان قد أجراها في موسكو ، ولان زيارته تأتي بعد محادثات الرئيس نيكسون مع الملك حسين وقيل مقابلته لنيولدا ماير . وقد قابل المبعوث المصري كلا من الرئيس نيكسون ووزير خارجيته وليم روجرز ومستشاره الخاص هنري كيسنجر . وفي استقبال المبعوث المصري عاد الرئيس نيكسون الى تكرار الإيحاءات العامة والغامضة حول عزم حكومته على التحرك لاجراء أزمة الشرق الأوسط من مأزقها . فقد أكد رغبة بلاده الكبيرة في المساعدة على احلال السلام في منطقتنا ، ثم اضاف ان حكومته تدرك أيضا ان تحقيق السلام الفوري ليس الا حلها (وهذا يعني تحقيق السلام على مراحل : أي التسوية الجزئية ، محادثات الجوار ، الخ...) . كما أشار الى أن هدفه الحالي بالنسبة للشرق الأوسط هو « تحريك القضية من مكانها » . وقام حافظ اسماعيل بتسليم الرسالة التي بعث بها الرئيس السادات الى نيكسون . وعلى اثر الاجتماع مع نيكسون أعلن الناطق باسم البيت الأبيض انه تم عقد الاجتماع في جو ودي ، وأعرب عن الامل الأمريكي بأن يكون بالإمكان اجراء مفاوضات عربية - اسرائيلية . وقد رددت المصادر السياسية الأمريكية ان الرئيس نيكسون ووزير خارجيته واثقان من ان محادثتهما مع اسماعيل « قد تسفر عن سعي أمريكي - مصري الى احلال السلام في الشرق الأوسط » . لذلك اعتبرت هذه الاوساط ان زيارة اسماعيل قد أسفرت عن نتيجة ايجابية مهمة . وعلى اثر اجتماع المبعوث المصري بوليم روجرز أعلن الطرف الأمريكي ان « العلاقات بين مصر والولايات المتحدة قد أصبحت أكثر انفراجا » وأن المحادثات مع وزير الخارجية « كانت مفيدة جدا وسجلت تقدما » .

على الرغم من كل هذه الإيحاءات الأمريكية فان التدقيق في هذا الموضوع يبين ان المحتوى الكامن خلف هذه الإيحاءات ما زال هو هو ، اي الموقف الأمريكي المعروف من النزاع العربي - الإسرائيلي . لذلك لا بد من الاستنتاج انه اذا كان صحيحا ان مهمة حافظ اسماعيل في واشنطن قد حققت نتيجة ايجابية مهمة بالنسبة « لتسعي الأمريكي - المصري لاحلال السلام في الشرق الأوسط » وان تقدما قد تحقق بهذا الاتجاه ، بالإضافة الى انفراج في

تمت أضرار حقة في مسلسل الزيارات الرسمية الشرق أوسطية لواشنطن في أوائل آذار حيث قابلت غولدا مائير كبار المسؤولين الأمريكيين بمن فيهم الرئيس نيكسون ، كما زارت لجنة العلاقات الخارجية التابعة للكونغرس الأمريكي . وعلى اثر محادثاتها مع نيكسون ، التي حضرها كيسينجر ، أعلن الجانب الأمريكي ان الاجتماع كان وديا وصريحا ومفيدا ، كما صرح ناطق باسم البيت الابيض بأن الرئيس نيكسون أكد لمائير استمرار الدعم العسكري والاقتصادي الأمريكي لاسرائيل ، وذكر انه ينبغي الا يتوقع احد حلولاً فورية لازمة الشرق الأوسط . ولكن مع ذلك فإن الحكومة الأمريكية ستواصل بذل كل ما في وسعها لإيجاد حل سلمي للزامة في المنطقة . كذلك أعلن جوزيف سيسكو ان حكومة بلاده لن تمارس اي ضغط على مائير من أجل التوصل الى تسوية سلمية في الشرق الأوسط ، لكنها « مستخدم ما لديها من نفوذ لدى اسرائيل في محاولة للتقريب بين مواقف الطرفين » . واثناء وجود مائير في واشنطن وافق الكونغرس الأمريكي على التشريعات المتعلقة بالمساعدات الخارجية الأمريكية التي تضمنت مخصصات لاسرائيل بلغت قيمتها ٣٠٠ مليون دولار لتحويل مشترياتها من المعدات الحربية و٥٠ مليون دولار لتحويل المشاريع الاقتصادية . وجدير بالإشارة هنا ان اثناء ترددت حول اجتماع الملك حسين بمائير اثناء وجودها معاً في واشنطن ، ما دعا الناطق الرسمي باسم وزارة الخارجية الأمريكية الى التصريح « بأن الملك حسين كان في واشنطن اثناء وجود مائير فيها الا انه لا علم لديه حول اي اجتماع تم بينها » .

ويبدو ان نيكسون يعيد الان ترتيب الاجهزة الحكومية العليا المرتبطة به مباشرة والمشرفة على تنفيذ السياسة الخارجية الأمريكية في المناطق الحساسة بحيث ينصب اهتمامها على أوروبا والشرق الأوسط، بعدما كان هذا الاهتمام موجهاً الى الحرب في فيتنام . وهذا يعني ان حكومة نيكسون مصممة على الدفع بخطها السياسي (الذي أوضحنا معالمه) بالنسبة للنزاع العربي الاسرائيلي والعمل على تنفيذه في المدى القريب . فقد أعلن البيت الابيض في الاسبوع الاول من شهر آذار ان مجلس الامن القومي الأمريكي يمر بمرحلة تحول كاملة بهدف نقل سياسة الرئيس نيكسون الخارجية من عصر فيتنام الى عصر أوروبا والشرق الأوسط . ومعروف ان

الأمريكي نفسه عن طريق الإشارة الى ان المسؤولين الأمريكيين يأملون بأن يبين المبعوث المصري للرئيس السادات ان الولايات المتحدة « لا تريد سوى تحريك قضية الشرق الأوسط من جمودها » . وذكرت هذه المصادر ان هؤلاء المسؤولين قد أمضوا ساعات طويلة يشرحون لحافظ اسماعيل كيف انه لا يمكن الوصول الى اية نتائج بالنسبة لازمة الشرق الأوسط الا بالعمل خطوة بعد خطوة ، وكيف ان اهم شيء الان هو البدء بعملية المفاوضات لان اول اجراء يبشر بنتائج ملموسة هو الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس . كذلك أكدت هذه المصادر ان نيكسون وروجرز اوضحا للمبعوث المصري ان الولايات المتحدة « غير راغبة وغير قادرة على فرض صيغة للتسوية في الشرق الأوسط ، ولهذا فإن تحقيق السلام يبقى مرهونا بالطرفين المتنازعين » . وفي مقابلة تلفزيونية أوضح جوزيف سيسكو - بعبارة دبلوماسية - ان الموقف الأمريكي من الشرق الأوسط لم يتغير (بالرغم من الزيارات العربية) وان امريكا لا تنوي استخدام نفوذها لدى اسرائيل (باعتبارها تمد اسرائيل بالمال والصلاح) لجعل موقفها « اكثر ليونة » بالنسبة لمسألة الأراضي العربية المحتلة . كما عاد سيسكو الى التأكيد على ان حكومة بلاده ما زالت متمسكة بفكرة تنفيذ التسوية الجزئية والعمل على البدء بمفاوضات بين الطرفين من أجل تحقيق هذا الهدف . وكثوع من التظلمين لمصر أقر سيسكو بأن الحكومة الأمريكية تدرك ان هناك صلة بين التسوية الجزئية (الهدف الأمريكي المباشر) وبين الجهود التي يبنيها بذلها فيما بعد من أجل تحقيق التسوية الشاملة عن طريق تطبيق قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ على المدى الأبعد (الهدف المصري الملح) . ورفض سيسكو الكلام الذي يقال عن وجود مبادرة أمريكية جديدة لان ذلك « يوحي بوجود مشروع سلام شامل ستعمل امريكا على فرضه في المنطقة » وهذا مخالف تماماً لموقف الحكومة الأمريكية وسياستها .

وجدير بالإشارة هنا ان حافظ اسماعيل اجتمع بالامين العام لهيئة الامم (غالدهايم) قبل مغادرته الولايات المتحدة . وقد صرح المبعوث المصري قائلاً ان مباحثاته مع غالدهايم « كانت مثمرة جداً وصريحة وشاملة » . أما الناطق باسم الامين العام لهيئة الامم فقد ذكر ان المحادثات تطرقت الى موضوع « محادثات الجوار » مع اسرائيل وامكانات تحقيقها .

الاهمية التي ما زالت حركة المقاومة تتمتع بها في عرقلة التدهور المستمر للوضع السياسي العربي الرسمي العام في المنطقة .

بالاضافة الى ذلك قام الرئيس تيتو بنشاط ملحوظ في تدعيم الجهود الدبلوماسية المصرية ، اولا عن طريق التصريح بأن تسوية أزمة الشرق الاوسط مرتبطة ، في نهاية الامر ، باتفاق بين الدول الاربعة الكبرى ، على ان تمر عملية الوصول الى هذه التسوية بمرحلة اعادة فتح قناة السويس بضمانة الدول الاربعة الكبرى . كما ذكر تيتو ان مثل هذه التسوية يجب ان تنص على وضع الاماكن الحساسة في الشرق الاوسط تحت رقابة الأمم المتحدة والدول الاربعة الكبرى ، وان الرئيس السادات (الذي كان في زيارة تيتو قبل فترة وجيزة) ما زال مستعدا للمواغاة على اعادة فتح قناة السويس كمرحلة اولى نحو تسوية شاملة ونهائية للنزاع في المنطقة . ثانيا ، قام الرئيس تيتو بتوجيه رسائل الى عدد من قادة الدول في العالم ناقش فيها أزمة الشرق الاوسط حيث طرح اقتراحاته وافكاره المذكورة ، وشدد على ضرورة تحقيق حل عادل وسريع للزامة مؤكدا المسؤولية التي تتحملها هيئة الامم في العمل على تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وكل القرارات الاخرى الصادرة عن المنظمة الدولية والتي ترفض اسرائيل تنفيذها .

أما بالنسبة لمواقف دول أوروبا الغربية ازاء النزاع العربي الاسرائيلي فلم تطرأ عليها اية تغيرات هامة باستثناء المزيد من الميل الواضح للانضباط ضمن اطار الخطوط العامة للموقف الامريكى وتكرار الحجج والاعتبارات التي يتستر بها ، مما يبين ان ما قيل في السابق عن الاستقلالية النسبية لموقف دول أوروبا الغربية الرئيسية ازاء النزاع في منطقتنا قد تبخر كليا (باستثناء فرنسا) . وكان هذا الاتجاه واضحا في التصريحات التي اطلقتها وزير الخارجية الايطالي بعد زيارته لكل من جدة والفاهرة وبيروت حيث اجري محادثات مع كبار المسؤولين تتعلق بأزمة المنطقة وباللاقات الايطالية العربية . وجدير بالاشارة هنا ان الدبلوماسية الايطالية اخذت تنشط منذ فترة غي العالم العربي على اساس الفكرة المطروحة عن ضرورة تحييد البحر الابيض المتوسط وسحب الاساطيل الغربية منه كجزء من التسوية المنتظرة في المنطقة ، مما سيتيح الفرصة امام الدول

المسؤول عن مجلس الامن القومي هو هنري كيسنجر الذي سيوجه اهتمامه الان بشكل متزايد الى منطقتنا . وهذا واضح من خروج بعض مساعدي كيسنجر المختصين بشؤون فيتنام من المجلس (مثل الجنرال اليكساندر هيغ) وتعيين اختصاصيين بمنطقة الشرق الاوسط مكانهم ، مثل الجنرال كروفيت الذي حضر اجتماعات نيكسون الاخيرة مع الملك حسين وحافظ اسماعيل وغولدا مائير . وتعيين وليم كواندت كمساعد لكيسنجر وهو من الباحثين المنتهين الى مؤسسة راند المشهورة وواضع دراسة مفصلة عن حركة المقاومة نشرتها مؤسسة راند نفسها .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي استمرت علاقاته بمصر في تأرجحها وترددتها بين الفتور من ناحية وبين الميل اللطيف نحو التحسن من ناحية اخرى . فقد ظهرت مقالات في الصحف السوفياتية مؤخرا تنتقد الاوضاع الاجتماعية والسياسية في مصر بصورة عامة . ومن جهة اخرى قام وفد عسكري مصري برئاسة وزير الحربية ، الفريق احمد اسماعيل ، بزيارة للاتحاد السوفياتي في اواخر شباط حيث قابل كبار القادة هناك . وقد اجتمع اسماعيل بليونيد بريجنيف لفترة طويلة بحضور وزير الدفاع السوفياتي الماريشال غريشكو ، ويبدو ان المقابلة جاءت استكمالا للمحادثات التي كان قد اجراها حافظ اسماعيل في وقت سابق مع الزعامة السوفياتية ، وذلك قبل سفره الى الولايات المتحدة وكجزء من الحملة الدبلوماسية المتشعبة بهدف تركيز اتهامات الدول الكبرى على المازق الذي وصل اليه النزاع العربي الاسرائيلي . وقد ترددت اثناء مفادها ان من الاهداف الرئيسية لهذه الزيارة حصول مصر على اسلحة سوفياتية . كما ذكرت هذه الأنباء ان الاتحاد السوفياتي سيستمر في تقديم الدعم العسكري والسياسي لمصر ، بدون اي تحديد حول ما اذا كان هذا الدعم يشمل طلبية طلبات مصر الحالية للحصول على المزيد من الاسلحة . وعلى صعيد آخر قامت هيئة رئاسة السوفيات الاعلى برئاسة الملك حسين الغاء حكم الاعدام الصادر بحق ابو داود ورفاقه لان مثل هذا « العمل الانساني يستوجب لصالح تعزيز القوى الوطنية للشعوب العربية في نضالها ضد العدوان الاسرائيلي ، ولانه سيحظى بالاستحسان من قبل جميع اصديقاء العرب » . ويعتبر هذا النداء تصرفا استثنائيا من جانب السلطات السوفياتية مما يبين

منتجات المصنع في السنوات الثلاث الأولى من مباشرة العمل .

اما في فرنسا فقد اوضح جورج مارشيه ، الامين العام للحزب الشيوعي (الذي خاض الانتخابات النيابية متحالفا مع الحزب الاشتراكي) السياسة التي يسترشدها بها تحالف اليسار ازاء اسرائيل والنزاع القائم في المنطقة . ولا يخرج الموقف الذي شرحه مارشيه عن حدود التفسير المصري — السوفياتي لمضى قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ومعنى تطبيقه . كما انه لا يختلف كثيرا عن الموقف الفرنسي المعروف الذي اعلنته الجنرال ديغول ازاء النزاع العربي الاسرائيلي بعد ١٩٦٧ ، مع العلم ان هذا الموقف قد تعرض لكثير من التبيح العلمي وعلى صعيد السياسات اليومية والتفصيلية بعد غياب الجنرال . على هذا الاساس شدد مارشيه على ضرورة موافقة اسرائيل على تطبيق قرارات الامم المتحدة واحترام الحقوق الوطنية للشعب فلسطين . كما ذكر ان تبني اسرائيل لمثل هذه السياسة سيؤدي الى زيادة تعاون فرنسا معها .

بالنسبة لبريطانيا قام اللورد كارادون واضع مشروع قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الشهر بزيارة لاسرائيل حيث اطلق تصريحات حول القرار تؤيد التفسير الاسرائيلي — الاميركي لنصوصه . ويكتسب هذا الموضوع بعض الاهمية للسبب التالي : من المتعارف عليه انه عندما يحدث خلاف جذري حول تفسير وثائق دولية من هذا النوع كثيرا ما ترجع الاطراف المعنية الى « النوايا » التي كان يريد واضعو الوثيقة التعبير عنها عند صياغتها من اجل اخذها بعين الاعتبار ، والاحتكام اليها في تسوية الخلاف . وقد اوضح اللورد كارادون في تصريحاته ان « النوايا » التي كان يراى التعبير عنها في قرار مجلس الامن كما صاغه هو وكما تبنت الموافقة عليه من قبل كل الاطراف المعنية لم تكن تشمل تحديد خريطة السلام في الشرق الاوسط ، بل كان فرضها دعوة اسرائيل لسحب قواتها من الاراضي العربية المحتلة الى حدود آمنة ومعترف بها ، وهذا لا يعني طبعاً الانتساب الى حدود ٤ حزيران ١٩٦٧ . لذلك ذكر كارادون ان الحدود الآمنة والمعترف بها ، او حدود السلام النهائية في المنطقة على حد تعبيره ، متروكة للمفاوضات بحيث يتم رسمها بين الاطراف في النزاع مباشرة .

كان لاسقاط اسرائيل طائرة الركاب المدنية

الاوربية الاكبر (ايطاليا وفرنسا بشكل خاص وبلاشتراك مع اسرائيل ، الدولة الاقوى في منطقتنا) للسيطرة على حوض البحر الابيض المتوسط كليا . أعلن وزير الخارجية الايطالي ان بلاده تعمل من اجل السلام في الشرق الاوسط ومن اجل تأمين الاتصالات السياسية الضرورية لتحقيق هذا الهدف . ومما يلفت الانتباه بهذا الصدد تشديد الوزير على اهمية بدء المفاوضات بين الطرفين العربي والاسرائيلي من اجل الوصول الى السلام في المنطقة . اي يبدو ان جهوده خلال الزيارة « لتأمين الاتصالات السياسية الضرورية » تعني على الصعيد العملي السعي لخلق الاجواء المناسبة من اجل بدء المفاوضات ، بصورة من الصور ، مع اسرائيل . وذكر الوزير « ان من مصلحة الجميع ان تبدأ المفاوضات السياسية التي ستحل كلا من مشكلة الاراضي العربية المحتلة ومشكلة اللاجئين الفلسطينيين » . ثم اشاد بالدور الذي ستقوم به اسرائيل بقوله « سنستطيع اسرائيل القيام بدور سلمي وتساهم في التقدم الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الاوسط » . كما عاد الوزير الى تكرار النعمة المطروحة من قبل امريكا وانصار التسوية السياسية الفائلة ان اتفاق وقف اطلاق النار في فينقمان والانفراج المتوقع في أوروبا قد جعلنا من النزاع العربي الاسرائيلي مصدر الخطر الوحيد المتبقي على السلام العالمي ، مما يستدعي القيام بعمل سريع ونشط لبدء المفاوضات السياسية بين الاطراف المعنية بالنزاع ، الخ ، على حد قول الوزير الايطالي .

وفيما يتعلق باوروبا الغربية من الضروري الاشارة ايضا الى ان الحكومة البلجيكية تدرس حاليا مشروعا اسرائيليا تشارك فيه كل من بلجيكا والولايات المتحدة لانتاج طائرات وصواريخ اسرائيلية على الارض البلجيكية (طائرات عرفا وصواريخ غابريال) . ويبدو ان الدبلوماسية العربية تسعى لدى الحكومة البلجيكية لاقتناعها بعدم الموافقة على تنفيذ المشروع . كذلك من المهم ملاحظة ان المصنع سيقيم في منطقة مختلفة نسبيا في ميدان التصنيع بحيث يستفيد من مساعدات الحكومة البلجيكية عملاً بسياستها في دعم المناطق المتخلفة من البلاد ، ومن تخفيضات ضريبية كبيرة بالاضافة الى غيرها من الضمانات والتسهيلات الحكومية . كما ستشتري الحكومة البلجيكية ما قيمته ١٠ ملايين دولار من

« بالعمل الذي لا يقتدر » لأنه كان عملا متعمدا جاء نتيجة أوامر صريحة أعطيت باسقاط الطائرة المدنية .

أما بالنسبة لعملية احتلال السفارة السعودية في الخرطوم ونتائجها ، فقد أصدر الرئيس نيكسون بيانا دعا فيه إلى « وقف دولية حازمة ضد الإرهاب » وإلى محاكمة الفدائيين المسؤولين عن العملية . كما أرسل مذكرة خاصة إلى الرئيس الثوري عبر فيها عن تقدير الولايات المتحدة للجهود التي بذلتها السلطات السودانية لاتساذ حياة الرهائن مع التأكيد على ضرورة اعتقال الفدائيين ومعاتبتهم . بالإضافة إلى ذلك صرح وليم روجرز قائلا ان اية دولة تمنح حق اللجوء السياسي للفدائيين الفلسطينيين المسؤولين عن عملية الخرطوم ستعتبر « شريكة في جريمة القتل » ، كما دعا إلى تنفيذ حكم الاعدام بهم وأثنى على ما سماه « بوقوف الحكومة السودانية الحازم » وأعرب عن أمله في ان تتصرف كل دول العالم بالحزم نفسه . كذلك أرسل الرئيس الثوري رسالة خاصة إلى نيكسون تدد فيها بمقتل الدبلوماسيين الأمريكيين في الخرطوم على يد منظمة أيلول الأسود وأرسل مبعوثا خاصا إلى واشنطن — عبد الرحمن عبد الله ، وزير الخدمات العامة — الذي أجرى محادثات مع الرئيس نيكسون ووليم روجرز حول عملية الخرطوم وذيولها . وفي الاتحاد السوفياتي انتقدت صحيفة « البرافدا » بعبارات معتدلة نشاط منظمة أيلول الأسود ، ونكرت ان عملية الخرطوم وأمثالها « تسمى إلى المقاومة الفلسطينية والكفاح المشترك للدول العربية من أجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلي » ، كما نشرت « البرافدا » بيانا لمنظمة التحرير تعلن فيه ان لا علاقة لها بحادث الخرطوم .

صادق جلال العظم

الليبية التي ضلت طريقها فوق سيناء المحتلة ، واحتلال الفدائيين الفلسطينيين للسفارة السعودية في السودان (حيث اعدموا السفير الأمريكي ومساعدته وديبلوماسيا بلجيكيا) اصداء وتأثيرات دولية عامة لا بد من الإشارة إليها .

عندما سقطت كل امكانات المكابرة بالنسبة لجريمة اسرائيل في اسقاط طائرة الركاب الليبية (كون قائد الطائرة فرنسيا وتكذيب التسجيلات اللاسلكية بين الطائرة وبرج المراقبة في القاهرة كل الحجج والتبريرات التي قدمتها اسرائيل بسرعة لتغطية جريمتها) لم يعد باستطاعة اكثر دول العالم تأييدا لاسرائيل واكثر الصحف العالمية عطفنا عليها الا استنكار هذا العمل البشع . ففي الامم المتحدة تبنت جمعية منظمة الطيران المدني الدولية قرارا باكثرية ساحقة نددت فيه بعمل اسرائيل وطلبت من رئاسة المنظمة اجراء تحقيق في الحادث . وبسبب نظاعة الحادث اضطرت الولايات المتحدة للتصويت الى جانب القرار بالرغم من غشل محاولاتها لتعديله بهدف تخفيف حدة عباراته المنددة بعمل اسرائيل . كذلك تبنت لجنة حقوق الانسان التابعة لهيئة الامم قرارا ادانت فيه « مذبة الابرء » الذي اقترفتھا اسرائيل باسقاطها طائرة الركاب الليبية ، كما قررت ، في اجراء غير مألوف ، ارسال برقية الى الحكومة الاسرائيلية للتهديد « بالعمل الوحشي الذي لم يكن له اي مبرر » وللتعبير عن استيائها الشديد من هذا العمل داعية اسرائيل « إلى احترام قواعد السلوك المتبذن والانساني بين الشعوب والدول وتطبيقها » . كما ان الاتحاد الدولي لجمعيات الطيران ندد بالعمل الاسرائيلي ودعا إلى اجراء تحقيق محايد في الحادث . وانتقدت جمعية الطيران البريطانيي العمل الاسرائيلي بشدة . وفي بروكسيل أصدر اتحاد العمال العالمي تنديدا شديدا للهجة بعمل اسرائيل ووصف سلوكها

رسالة من مراسلنا في السويد

وقد ذكرت الصحف السويدية ان مشروع القرار موجه بالدرجة الاولى ضد منظمة Ustaja وكذلك ضد تنظيمات فلسطينية لها علاقة بمنظمة ايلول الاسود . ولكن الواقع ان الجهة الاولى - اي منظمة Ustaja - لن تتأثر بالقرار وذلك للأسباب التالية :

١ - ان العاملين داخل هذا التنظيم والمروغين لدى جهات البوليس جميعهم يحملون الجنسية السويدية ، ولذلك فانهم لن يتأثروا بالقرار .

٢ - ان عددا كبيرا من المتعاطفين وكذلك العاملين داخل التنظيم المذكور تم احضارهم الى السويد عقب الحرب العالمية الثانية كلاجئين ولكونهم عنصرا مناهضا للشيوعية .

لقد ذكر عضو البرلمان وممثل الحزب الشيوعي السيد جورن سوينسن ان « الارهاب ضد الابرياء في السويد يمارس من جهة واحدة فقط وهي منظمة Ustaja . ومحاربة هذه الجهة لا داعي قط الى « قانون ارهاب » سيؤثر على التنظيمات الديمقراطية والتقدمية » .

يظهر واضحا اذا ان الارهابي ، او من يسمى ارهابيا بالامكان او بالاحتمال ، هو من ينتمي بالفعل الى تنظيم تقدمي مناهض للامبريالية والفاشية ، وبما ان منظمة Ustaja هي منظمة فاشستية معرونة بعلقتها خلال الحرب العالمية الثانية بالنازية والفاشية ، فان القانون بحد ذاته وبشكل غير مباشر يسقط هذا التنظيم الفاشستي من حسابيه ، ويحارب التنظيمات المناهضة للفاشية . ولذلك فقد دعا التقدميون القانون « بقانون الارهاب الفاشستي » . اذ ان اي شخص اجنبي يسكن في السويد يعتبر ارهابيا بالامكان يتم تطبيق بنود القانون عليه حتى وان لم يستطع البوليس اثبات التهمة الموجهة اليه . لقد تساءل احد المحامين السويديين قائلا : « هل ستقوم الحكومة السويدية بطرد جولدا مئير من السويد في حالة قيامها بزيارة لهذا البلد ، انطلقا من ان مشروع القانون الجديد ينطبق عليها ، لكونها رئيسة لتنظيم حكومي ارهابي ، يمارس الارهاب ليس فقط في المنطقة العربية بل في اوروبا ايضا » .

يناتش البرلمان السويدي خلال النصف الاخير من شهر فبراير ومطلع شهر مارس ، مشروع القانون المسمى « بقانون الارهابي » ، والذي قدمته لجنة خاصة تم تشكيلها بموجب قرار حكومي عقب حادثة اختطاف طائرة « الخطوط الجوية الاسكندنافية » SAS في شهر سبتمبر ١٩٧٢ . اما الجهة التي تحملت المسؤولية في عملية الاختطاف فقد كانت منظمة Ustaja الكرواتية (Croation) ، وهي نفس الجهة التي قامت باغتيال السفير اليوغسلافي في ستوكهولم عام ١٩٧١ ، ويعتقد بانها هي المسؤولة ايضا عن وضع قنبلة على متن طائرة تابعة للخطوط الجوية اليوغسلافية ، والتي انفجرت في الجو في طريقها من كوبنهاغن الى بلغراد عام ١٩٧٢ ، وقتل جميع من كان على متن تلك الطائرة .

تعرف اللجنة التي شكلت عقب حادثة الاختطاف ، تعرف مشروع القانون الجديد بما يلي :

« ... لمجابهة ازدياد الارهاب الدولي ، كما يظهر في خطف الطائرات والاعتقالات . (واذا ما صدق على مشروع القانون هذا) يصبح من الممكن بناء عليه طرد اي مهاجر يظن انه ينتمي الى منظمة تستخدم اعمال العنف التي قد يتأثر بها اناس ابرياء في السويد . اما اذا كان الشخص المعني لاجنا سياسيا ، فيمكن اخضاعه - بعد اتخاذ الحكومة قرارا بذلك - الى تفتيش شخصي وتفتيش بيته ومراقبة رسائله ومكالماته التليفونية ... » . ان الدافع المباشر لتقديم مشروع القانون ، كما هو مذكور اعلاه ، هو عملية اختطاف الطائرة . الا ان هذا الدافع في حد ذاته ، مجرد ذريعة ، حيث ان المراقبين السياسيين ذكروا ان مشروع قرار كندا تم بالفعل بحته ودراسته ومناقشته عقب عملية ميونيخ في مطلع شهر سبتمبر ١٩٧٢ ، وقد تم بالفعل استدعاء عدد من الفلسطينيين الى دوائر البوليس لاجراء تحقيقات معهم . وكان الشعور السائد في تلك الفترة ، هو شعور باليقظة من جهة السلطات تجاه الفلسطينيين ومناصريهم ، وكذلك انتظار اللحظة المواتية للمباشرة في عملهم ضد الجهات الفلسطينية .

اذن ، فان مشروع القرار في حد ذاته مشروع موجه بالدرجة الاولى ضد الفلسطينيين . هذا

يوصف بأنه حاد ، اذ ان جميع الاحزاب السياسية المهتلة في البرلمان باستثناء الحزب الشيوعي تساند مشروع القانون ، علما بان هناك معارضة شديدة في الصحف ولدى عدد كبير من اساتذة الحقوق والمحامين والصحفيين ومنظمة العفو الدولي وتنظيم « شعبية الاشتراكيين الديمقراطيين » وهي الشعبية التالية للحزب الحاكم في السويد ، والتنظيمات التقدمية السويدية والاجنبية .

وقد كانت الحملة التي شنتها صحيفة Dagens Nyheter « اخبار اليوم » وهي اكثر الصحف انتشارا ، كانت ولا تزال حملة مركزة ضد مشروع القانون الذي سمته « بأنه انتهاك للحركات الديمقراطية » ومن المعروف ان الصحيفة المذكورة تساند اسرائيل ، الا انها قامت في الوقت ذاته بحملة شديدة ضد اسرائيل عقب اسقاطها للطائرة الليبية . واما صحيفة Afton Bladet المسائية فقد طالبت برفض مشروع القانون واسقاطه ووصفته بأنه كارثة كبيرة .

وعلى الصعيد الشعبي قامت تظاهرات ضخمة في عدد من مدن السويد وكذلك ندوات اتخذت قرارات بمحاربة مشروع القانون .

ملاحظة : في حالة الموافقة على مشروع « قانون الارهابي » فان القانون سيكون ساري المفعول ابتداء من ١٥ ابريل ١٩٧٣ ولغاية ١٥ ابريل ١٩٧٤ ، ويتم تمديده لسنة ثانية في حالة موافقة البرلمان على تمديده .

• • •

ان مشروع القرار له نتائج خطيرة على الحركة التقدمية في السويد ، وبالدرجة الاولى على الحركة الفلسطينية وامكانية حظر ممارستها لاي عمل فلسطيني اعلامي مستقبلا . ان احد اهداف مشروع القانون الجديد هو ارهاب الاجانب العاملين اعلاميا لحركات التحرر العالمية ، واشعارهم بعدم الامان ويعزلهم عن المجتمع السويدي في حالة السماح لهم بالبقاء في البلد ، وفي حملهم على مغادرة البلد بسبب المضايقات التي سيسببها البوليس لهم . اذ ان مشروع القانون يعطي الصلاحية الكاملة للبوليس باصدار قرار الى اي شخص اجنبي يعمل في نشاط اعلامي سياسي او لا يعمل ينقله من المكان الذي يسكن فيه اما للعمل او للدراسة الى مكان اخر يقره البوليس السويدي ويطلب من ذلك الشخص اثبات وجوده في اوقات تحددتها دوائر البوليس .

ان رئيس وزراء السويد الذي شبه تصف غيتنام الشمالية في شهر ديسمبر ١٩٧٢ باعمال النازيين ، يجب ألا يعطى صورة مضللة ، فهو نفسه الشخص المتعاطف مع اسرائيل والذي قام عقب عملية ميونيخ بمرافقة سفير اسرائيل في السويد باقامة صلاة تذكارية ، وكذلك بادانة وشجب الفلسطينيين . الا ان رئيس الوزراء هذا لم ينطق بكلمة واحدة ولم يدن ولم يشجب اسقاط الطائرة الليبية خلال شهر فبراير من هذا العام . ان رئيس الوزراء هو الذي اصدر قرارا بتشكيل لجنة عقب حادثة الاختطاف وهو يساند مشروع قانون الارهاب مساندة كاملة . ان النقاش الدائر في البرلمان هذه الايام نقاش لا

(٤) المناطق المحتلة

أمر لا يريده احد من المهيمنين على زعامة حزب العمل او حتى جميع الاحزاب الاسرائيلية التي تدين باليهودية ، وكان من نتيجة ذلك ان اخذت هاتان الشهورتان تستقطب كل واحدة منهما انصارا لها من بين صفوف حزب العمل ، بيد ان هذا الاستقطاب ليس استقطابا جديا ، لانه ناجم عن عملية الاختيار بين شهورتين عزيزتين ، ولذا فاننا نرى دائما مسحة من الروح التوسعية تفوح بين فئة دعاة المحافظة على طهارة المجتمع اليهودي ، ومسحة مقابلة من المحافظة على صفاء المجتمع اليهودي ، تفوح بين فئة الداعين الى التوسع والضم . بين هاتين الشهورتين وجد حزب العمل نفسه منقسما على نفسه ، وما ينطبق على حزب العمل ينطبق أيضا على بقية الاحزاب العمالية والاشتراكية المؤمنة باليهودية في اسرائيل ، اما الاحزاب الدينية واليهودية فهي تجمع بين الشهورتين . وعملية الاستقطاب تجاه الشهورتين ليست واردة تقريبا لانها ترى ان عمليتي التوسع « والنقاء » يمكن لهما ان تتعايشا وتتسجما اذا ما ارتقت بعملية تهجير غير معلنة وذلك من خلال سياسة شمع السكان الاصليين ومصادرة اراضيهم .

لقد تقلبت شهوة « النقاء » عند رئيس الهستدروت على شهوة التوسع ، ولذا اخذ يبرز الخطورة الكامنة في العمل العربي في المرافق الاقتصادية الاسرائيلية ، ويضرب على وتر الاستغلال الذي يواجهه هؤلاء ، ليس لانه يعارض مبدئيا استغلال العامل العربي ، فلو كان الامر كذلك لاصدر تشريعات تنص على مساواة العامل العربي بالعامل اليهودي ، لكنه يستنبر هذا الاستغلال من اجل الحفاظ على « نقاء » المجتمع الاسرائيلي . ولكي نقف على التصريح الخطير الذي ادلى به بن اهارون لا بد من الرجوع قليلا حول نظراته للعمل العربي والامور المترتبة عليه ، ذلك انه يعتبره خطرا كبيرا يحيق بالمجتمع الاسرائيلي وحذر منه قائلا : « ان العمل العربي من المناطق هو بمثابة قنبلة زمنية سنحترق جميعا منها . هنالك استغلال واقع على العمال العرب الذين يتلقون ثمنا بخسا مقابل عملهم . لقد خلق نوع من طبقة افندية جديدة بالنسبة للعمال العرب .. ان استغلال موارد القوى البشرية في البلاد غير مستغل بما فيه

اتسمت هذه الفترة باحتدام الجدل السياسي حول مصير المناطق المحتلة بين صفوف حزب العمل الحاكم لدرجة اندفع فيها رئيس الهستدروت بن اهارون الى الخروج على الخطوط المألوفة والمجوجة للاجنحة المتصارعة داخل الحزب ، وبتصاعد النضال الوطني بين صفوف سكان الهضبة السورية ، الذي عبر عن نفسه في اقامة خلايا للمقاومة المحلية استطاعت ان تعمل طيلة عامين الى ان اكتشفت مؤخرا ، وباحتدام معركة التحدي بين الثورة والكتب ، بين جماهير القطاع ممثلة في رجال المقاومة الفلسطينية وبين الكيان العنصري الاسرائيلي ممثلا في قوات الاحتلال .

احتدام الجدل السياسي : احتدم النقاش السياسي مؤخرا بين زعامة حزب العمل الحاكم ، ولم يكن النقاش بحد ذاته امرا جديدا ، كما ان الاحتدام في الحوار والنقاشات لا يعتبر امرا جديدا ، انما الجديد الذي افرزته المناقشات الاخيرة هو التصريح الذي ادلى به رئيس الهستدروت بن اهارون حول امكانية الانسحاب من مناطق محتلة معينة دون التوقيع على اتفاقية سلام .

ومن الجدير بالاشارة هنا قبل التطرق الى تصريح بن اهارون وردود الفعل التي عكسها ، الى ان زعامة حزب العمل تقسم الى فئتين رئيسيتين ، تتحكم فيهما شهورتان متناقضتان الفئة الاولى تضم التوسعيين الذين يعرفون « بالمصقور » والفئة الثانية تضم دعاة التوسع الجزئي الذين يعرفون بالحمام ، يقف على رأس الفئة الاولى وزير الدفاع موشيه ديان واعضاء رافي « سابقا » في حزب العمل وكذلك رئيسة الحكومة (مباي سابقا) ونائبها (احدثت هعفوداه سابقا) يجال اللون ، اما الفئة الثانية فيتزعمها وزير المالية بنحاس سبير المنافس القوي لديان واللون على خلافة فولدا مثير ، ويقف الى جانبه اعضاء من حزب العمل مثل اريه الياف (مباي سابقا) وبين اهارون رئيس الهستدروت (احدثت هعفوداه سابقا) . تتحكم في ماتين الفئتين شهورتان ، شهوة التوسع ، وشهوة نقاء المجتمع اليهودي وهاتان الشهورتان متناقضتان لان التوسع يجلب معه تقيض الشهوة الثانية ، فهو يجلب اعدادا كبيرة من السكان « الاغيار » بين صفوف « المجتمع الجني على طهارة اليهود » وهذا

الكفائية ، كما وأن العمال اليهود يخرجون العمل اليودي ليحتله العرب ، ينبغي ان تشتمل هذه المشكلة بال الهيئات الحكومية » (هارتس ٧٢/٥/٢٣) .

ويبدو ان تخوف رئيس الهستدروت من « القبيلة الزمنية » قد اخذ يتساعد الى درجة ادت به الى تفجير « قبيلة » على شكل تصريح خطير يعتبر الاول من نوعه ، حين دعا بشكل مبطن خلال بحث السياسة الاسرائيلية تجاه المناطق في سكرتارية حزب العمل الى الانسحاب من مناطق معينة قبل التوقيع على اتفاقية سلام : « انني لا اعرف اذا كان ما تحتفظ به بايدينا (المقصود المناطق المحتلة) هو بمثابة اوراق مساومة او بمثابة جمرات متقدة تحت اسمنا . انني لست متأكدا تماما ، وربما اشذ في ذلك قليلا ، بأنه ينبغي علينا ان نرجى اتخاذ قرارات حاسمة تجاه المناطق حتى التوقيع على السلام ، انني لست متأكدا من اننا لن نصل في احد الايام الى استنتاج بأنه من الأفضل ان يكون هنالك قطاع معين من السكان ومنطقة معينة من البلاد ، خارج اطار سيطرتنا ومسؤوليتنا ، دون ان نحصل على توقيع الطرف الآخر » . (داغار ٧٣/٢/٢) .

لقد اثار هذا التصريح ردود فعل عنيفة بين اوساط الصقور ، كما وجعل فئة « الحمام » في موقف حرج ، فهي تتفق معه فيما يتعلق ببقاء المجتمع اليهودي وخطورة العمل العربي على « النساء » الا انها لا تستطيع ان تذهب اكثر من ذلك ، الى درجة المطالبة بشكل مبطن بالانسحاب من مناطق معينة دون التوقيع على اتفاقية سلام . أما فئة الصقور فقد تصدت له بعنف لخروجه عما يعرف بسياسة الاتفاق الشفهي ، ومن اجماع الحزب بأن « لا انسحاب قبل التوقيع على معاهدة سلام » . وكان اول من تصدى له اعضاء حزبه « اهدوت هعوداه » المنضمون الى حزب العمل حين قال موشيه طينكين « بأن المناطق المحتلة ليست اوراق مساومة وليست جمرات ، بل هي حجر اساس في الطريق المؤدي الى السلام » كما ودعا عضو الكنيست بن فورات (من حزب العمل) رئيس الهستدروت الى تقديم استقالته بقوله « ينبغي على بن اهارون ان يستقيل ومن ثم يكون بوسعه التعبير عن رأيه الشخصي تجاه المناطق ... ينبغي ان نقبل التذرع القائل بأن ذلك كان بمثابة رأي شخصي ، ذلك ان عضو

الكنيست او عضو اللجنة التنفيذية للهستدروت باستطاعته ان يعبر عن رأيه ، ولكن ليس الاشخاص المهيمون على السلطة التنفيذية . انه من غير المسموح لبن اهارون ان يتفوه باقوال مناقضة لسياسة الحكومة الا في حالة استقالته من السلطة التنفيذية ، ينبغي ان يتحلى الانسان بالجرأة عندما يقرر التخلي عن التقيد للعمل من اجل فكرة معينة ، ولكن ليس عندما تكون مرتبطا بكرسي التنفيذ الذي تجلس عليه » (هارتس ٧٢/٢/٨) .

ازاء حملة النقد التي تعرض لها اضطر بن اهارون للتراجع قليلا وانكار التفسيرات التي وردت في الصحف والقائلة بأنه يدعو الى « انسحاب ... دون توقيع الطرف الاخر » وانه لم يكن يعني ذلك ، بل انه اراد ايقاف المسؤولين على خطورة العمل العربي ، بيد ان جناح التوسعيين استغل حالة الضعف والهبلة التي سادت الفئة الاخرى واخذ يدلي بتصريحات حول تصوره لمسير المناطق المحتلة ، والحقيقة ان افكار هذه الفئة اتوى بكثير من افكار الفئة الثانية بحكم سيطرة اصحابها على معظم المؤسسات الفاعلة ، فقد اعرب ديان عن تصوره للسلام المنفرد مع الاردن قائلا : « ينبغي ان تنص اتفاقية سلام مع الاردن على حقنا في السكن والاستيطان في كل مكان من الضفة الغربية » واعرب عن اعتقاده بان من حق اليهود الاستيطان في جميع المناطق المحتلة بدون استثناء ووجه كلامه بشكل خفي الى رئيس الهستدروت قائلا « انني لا اعتقد ان هناك شخصا ما يحق له القول لليهود بانهم لا يملكون حق الاستيطان في ارض ابائهم » . كما وعرض خريطة « السلام » التي يؤمن بها بقوله : « لا نستطيع النزول من هضبة الجولان ، وينبغي على جيشنا ان يبقى مترابطا على ضفاف الاردن ، كما ينبغي ان يحظر على الجيوش الاخرى اجتياز النهر ، وينبغي علينا ايضا ان تحتفظ بشرم الشيخ الذي سيشكل بداية خط للحدود التي ستمن منه حتى مكان ما على البحر المتوسط . اما قضية اين سير هذا الخط ، فهي مطروحة للمفاوضات » (معاريف ٧٣/٢/٨) . يمكن تلخيص ما سبق بالقول ان الجدل الذي اجتمعت مؤخرًا حول مصير المناطق المحتلة ليس جديدا ، وانما الجديد فيه ربط قضية الانسحاب من المناطق المحتلة دون التوقيع على اتفاقية سلام ، بالقضية الاساسية التي شغلت المجتمع اليهودي قبل وبعد قيام اسرائيل ، الا وهي سياسة « العمل العبري »

التي تعني حصر جميع الاعمال في المجتمع اليهودي بايد يهودية ، الا ان عملية الربط الخطيرة هذه لا تملك اسباب النجاح بسبب قوة جناح التوسعيين في حزب العمل ، ومن المحتمل ان تخرج صاحبها من رئاسة الهستدروت .

مقاومة سكان الهضبة للاحتلال : تمتاز هضبة الجولان عن سائر المناطق المحتلة بامرير اساسيين (١) صغر حجم المنطقة بالنسبة للمناطق المحتلة الاخرى (٢) ضآلة عدد سكانها ، ويعود ذلك الى الهجرة شبه الجماعية التي سببتها حرب حزيران ، فقد بلغ تعداد سكانها عشية الحرب قرابة ٦٠ الف نسمة بقي منهم عقب الحرب ٦٣٠٠ نسمة وارتفع طيلة سني الاحتلال حتى غدا قرابة تسعة آلاف نسمة يعيشون في اربع قرى . وقد اغتصمت سلطات الاحتلال هاتين الميزتين ناخذت تشيد المستوطنات اليهودية هناك بغرض تهويد المنطقة ، وقطعت شوطا كبيرا في هذا المجال حيث غدا الطابع العام للهضبة يهوديا ، ذلك ان عدد المحتلين سواء كانوا على شكل مستوطنين او جنود يفوق بكثير عدد السكان الاصليين . اضف الى ذلك ان سلطات الاحتلال حاولت منذ ان وطأت اقدامها منطقة الهضبة العمل بانجاحين يخدمان اغراض ومخططات الاحتلال (١) خلق زعامة تقليدية في الهضبة (٢) اتباع سياسة اليد الناعمة تجاه سكانها العرب ، واعتبار ان هؤلاء السكان هم دروز في المقام الاول ، والعمل على تنمية روح « القومية الدرزية » بين صفوفهم ، اسوة بالمحاولة المتعثرة بين صفوف العرب الدرور في فلسطين المحتلة ، بيد ان هذين الاتجاهين لبقيا غشلا ذريعا بفضل الوعي الوطني لابناء الهضبة ، وخير دليل على ذلك شبكة المقاومة التي عملت طيلة عامين هناك قبل ان يعلن عن اكتشافها عند مطلع شهر فبراير من هذا العام ، ففي ذلك التاريخ اعلنت سلطات الاحتلال عن اكتشافها لخلية « تجسس وتخريب » بين صفوف سكان الهضبة وعن اعتقالها لستة افراد ، ثم اخذ عدد المعتقلين يزداد مع مرور الوقت مع اعلان سلطات الاحتلال عن اكتشاف افراد آخرين بين الفينة والاخرى الى ان استقر العدد النهائي على ٥٢ شخصا .

ومن الجدير بالذكر ان اعتقال المجموعة الاولى تم في شهر اكتوبر من العام الماضي ، ولم تكشف سلطات الاحتلال عن ذلك الا عند مطلع شهر فبراير من هذا العام . وبعد اعلان الاكتشاف فقط ،

اخذت سلطات الاحتلال تلقي القبض على اعداد من المواطنين على فترات متقطعة ، الامر الذي يدل على ان افراد المجموعة الاولى صمدوا امام وسائل القهر والتعذيب ولم يعترفوا عن زملائهم . لقد اعترفت المصادر الاسرائيلية بان هذه الخلية كانت من اخطر الخلايا التي عملت ضد اسرائيل واعتبرت المخابرات الاسرائيلية ان عملية اكتشافها « تطوي على اهمية بالغة » .

ما هي التهم المنسوبة الى افراد التنظيم ؟ تقسم التهم الى قسمين (١) تهمة جمع المعلومات العسكرية الامنية ، خاصة وان افراد التنظيم سخرخوا سياسة اليد الناعمة التي تتبعها سلطات الاحتلال تجاه سكان الهضبة ، لصالحهم ، حيث كانوا مطلقي الحرية في التجول من ايلات وحتى المظلة وكذلك داخل سيناء ، (٢) القيام بنشاط فدائي ، مثل تخزين السلاح والاعتدة ، وارسال طرود بريدية ملغومة بواسطة البريد الاسرائيلي من كريات شمونا الى الرئيس الامركي نيكسون ووزير خارجيته روجرز ووزير الدفاع ملين ليرد ، خلال شهر اكتوبر من العام الفائت وكذلك ارسال رسائل ملغومة بواسطة البريد الاسرائيلي الى شخصيات اسرائيلية في يناير ١٩٧٢ ، مما ادى الى جرح معلمة في كريات جات . وذكرت المصادر الاسرائيلية ان التنظيم عمل مسن خلال اربع خلايا بقيادة شكيب ابو جبل ، ولم يقتل التنظيم النشاط السياسي فقد قام بنشاط سياسي علني بين السكان كشف فيه مخططات الاحتلال وحقق نجاحين بارزين في هذا المجال (١) نجح في احباط مخطط سلطات الاحتلال بشأن تعيين لجان محلية لادارة اعمال القرى ، حيث وقف سكان الهضبة ضد هذا المخطط (٢) خلق معارضة بسين صفوف السكان بشأن المخطط الاسرائيلي الرامي الى اقامة محكمة شرعية من ابناء الطائفة في الهضبة ، وبالاضافة الى ذلك اخذ افراد الشبكة ينشطون في دعوة السكان الى الامتناع عن دفع الضرائب لسلطات الاحتلال .

كان وقع اكتشاف الشبكة على وسائل الاعلام الاسرائيلية شديدا ، فقد اخذت وسائل الاعلام تبدي استغرابها وتعجبها من لجوء سكان الهضبة الى مقاومة الاحتلال ، وتبرز في الوقت نفسه مدى البجوحة الاقتصادية التي « ينعم » بها سكان الهضبة ، وعلى سبيل المثال ذكرت بعض الصحف

طريف ، الا ان تحركه لم يجد نفعاً لتلقيه رسالة من السكان هناك يطالبونها فيها « تركهم وشأنهم » ، غير ان ذلك لم يرض الشيخ جبر معدي نائب وزير المواصلات الذي اخذ يدلي بتصريحات عنترية مثل قوله : « انا اعدكم بانه اذا خولتني الحكومة العمل في الهضبة غانني خلال فترة قصيرة لن تزيد عن ستة اشهر سأتمكن من تحقيق قطع أية صلة للدروز في الجولان مع سوريا ، حتى يصبحوا جهة مخلصه وموالية لدولة اسرائيل » (رعد اذاعة اسرائيل ، مركز الإبحاث) . وانصح الشيخ عن خطته فذكر انها تعتمد على تطبيق القانون الاسرائيلي في الهضبة والغاء الحكم العسكري واتخاذ اجراءات حاسمة ضد العناصر الحزفة ، والعمل على ضم الجولان .

التحدي الكبير : ان ما يجري في القطاع في الآونة الأخيرة هو بمثابة تلخيص امين لقصة القطاع الطويلة مع الاحتلال ، انه باختصار تحد كبير بين طرفين اثنين يسمى كل منهما لنصفية الطرف الاخر ، صراع بين الثورة والبطش ، بين جماهير القطاع ممثلة في رجال المقاومة الفلسطينية وبين الكيان العنصري الاسرائيلي ممثلا في قوات الاحتلال .

ماذا حدث في القطاع ؟ ان ما حدث في الآونة الأخيرة في القطاع مرتبط ارتباطا وثيقا بالاحداث التي سبقته ونكتفي هنا بالاشارة اليها لكي نضع الاحداث الأخيرة في سياقها الطبيعي .

في اعقاب حملة التهجير والتشريد والهدم التي قامت بها سلطات الاحتلال في شهر اب من عام ١٩٧١ بغرض تحويل سيطرتها من «سيطرة رمزية» الى سيطرة فعلية ، عينست رشاد الشوا رئيسا لبلدية غزة آملة ان تخلق منه نواة لزعامة تقليدية اسوة بالزعامة التقليدية في الضفة الغربية ، بعد نشلها في خلق زعامة تقليدية ووجاهة محلية في القطاع لان الرئيس السابق للبلدية راغب العلمي ومخاتير القرى والمخيمات كانت خاضعة لرجال المقاومة «خشية من مساعد المقاومة الذي لا يرحم» ، بيد ان محاولتها مع الشوا لم تجد نفعاً ، فقد حاول ان يكون له نوعا من الاستقلالية كما وانه كان يميل الى النظام الملكي في الاردن ، ولم تجد فيه سلطات الاحتلال الزعيم المحلي الذي يمكنها من تمرير مخططاتها ، هذا علاوة على انه كان يخشى على حياته فيما لو وافق على مخططات سلطات الاحتلال . ومن هنا ارتأت سلطات الاحتلال ان

ان سكان الهضبة كانوا يمتلكون عشية حرب حزيران ٤ وسائل خاصة بينما ومسل ععدد وسائل النقل الان الى حوالي ٣٠٠ ، وذكرت ايضا انهم كانوا يمتلكون ٤ جرارات ووصل عدد الجرارات الى ٨٠ جرارا لتستنتج ان « شبكة التجسس والتخريب » ناجمة عن شيء اسمه «بطر» ! أما معظم الصحف فقد ابتعدت عن الاسباب الحقيقية الكامنة وراء تنظيم المقاومة لاهناء الهضبة واوردت اسبابا بعيدة عن الواقع ويمكن ايجازها بالتالي (١) عامل القرابة ، حيث استغله المنظمون في تكوين خليتهم (٢) اقرب الجغرافي من سوريا (٣) الضغط السوري على السكان بواسطة احتجاز اقارب سكان الهضبة الموجودين في سوريا كرهائن !! ومع ذلك فقد اعترفت بعض الصحف بجزء من الحقيقة حين قالت ان «معظم شباب الشبكة الذين تم القبض عليهم هم شباب ذوو ايدولوجية تعمل للتضية العربية ، كما هي مطروحة في برنامج حزب البعث السوري » وأعاد مراسل وكالة عتيم للاذهان « ان فرع حزب البعث قد لعب دورا نشيطا في الهضبة ابان الحكم السوري وان قسما من اعضاء الشبكة كان نشيطا في هذا الفرع » ، اما الحقيقة الكاملة التي تعابت عنها وسائل الاعلام الاسرائيلية هي ان الاحتلال يولد المقاومة ، حتى ولو كان عدد المستوطنين والجنود في المنطقة المحطة يفوق بكثير عدد السكان الاصليين . وليست هذه هي المرة الاولى التي يتصدى فيها سكان الهضبة لسلطات الاحتلال ، فقد سبق وان صفع الشيخ كمال كنج الذي حاولت سلطات الاحتلال فرض البسط الحبراء امامه بغرض اقامة نواة لزعامة تقليدية ، سلطات الاحتلال عندما ظهر لها انه يعمل سرا لمصلحة وطنه سوريا (للاستفادة انظر شهريرات المناطق المحطة ش. ف. عدد ٤) كما وتمثل تصدي السكان للاحتلال من خلال التظاهرات الوطنية مثل ، التظاهرة الكبيرة التي قام بها سكان الهضبة خلال مسيرة الحداد على الرئيس عبد الناصر والتسي تحولت الى تظاهرة ضد الاحتلال ، وكذلك من خلال توزيع المنشورات المعادية لاسرائيل داخل مدارس الهضبة .

بعد اعلان السلطات الاسرائيلية اكتشاف تنظيم المقاومة في الجولان ، حركت سلطات الاحتلال الزعامة التقليدية للطائفة الدرزية في فلسطين المحتلة على امل التأثير على ابناء الهضبة لمصلحة سلطات الاحتلال ، فتحرك الزعيم الروحي للطائفة الشيخ

تقوم بنفسها بفرض تلك المخططات دون الاخذ بعين الاعتبار رأي الزعامة المحلية ، فأقدمت في شهر اب من العام الماضي على تنفيذ مخطط لتصفية قضية لاجئي قطاع غزة الذين يشكلون ثلثي السكان هناك بواسطة اقامة ضواح جديدة بالقرب من مخيماتهم والحاق المخيمات والضواحي بالمجالس البلدية القريبة منها بغرض توطين اللاجئيين في اماكنهم وتصفية قضيتهم ، وقد تمت التجربة الاولى في مخيم رفح ومن ثم امتدت الى سائر المخيمات حتى وصلت الى مخيم الشاطئ في غزة ، وعندما رفضت بلدية غزة الاجراء الاسرائيلي ، اصدر قائد المنطقة أمرا بتنحية الشوا من منصبه ، وبذلك اصبحت غزة مرة اخرى بدون مجلس بلدي محلي ، ونصبت سلطات الاحتلال الضابط اوري تشاشيك رئيسا لبلدية غزة بالوكالة (للتوسع حول مخطط تصفية المخيمات واقالة الشوا ، أنظر شهريات المناطق المحظلة ش. ف عدد ١٤ ، ١٦) وخلال ذلك كانت المقاومة الفلسطينية قد اعادت تنظيمها من جديد واخذت تقوم بنشاطات ضد العدو الاسرائيلي ، وقامت بمحاولة لتصفية رشاد الشوا. ويبدو ان هذه المحاولة كانت من بين الاسباب الرئيسية التي منعت من الموافقة على ضم مخيم الشاطئ لبلدية غزة . الا ان سلطات الاحتلال استمرت في تنفيذ مخطط التصفية وابتكرت طريقة جديدة لخدمة اغراضها فاعلنت عند منتصف شهر اكتوبر من العام الماضي ضم مخيم الشاطئ الى مدينة غزة وارسلت دعوات الى ٢٥٠ شخصا من سكان المخيم لحضور اجتماع يعقد في مدرسة فلسطين في غزة دون ان يحاط الدعوون علما بماهية الاجتماع ، وقد فوجئ الكثيرون منهم عندما علموا بأن قائد قطاع غزة المقدم ي. عيني قد دعا لهذا الاجتماع بغرض انتخاب لجنة محلية «للمشاركة في تطوير المخيم » وقد بدأ قسم من المجتمعين يحتج على فكرة اجراء انتخابات ، بيد ان المقدم عيني أصر على موقفه ودعا لهم لترشيح أسماء من بينهم، وتحت وطأة الضغط تم ترشيح ٢٠ شخصا ونودي على كل شخص مرشح الى المنصة لكي يقف امام المجتمعين بفرض التعرف عليه ! وانتهت مهزلة الانتخابات، التي وصفناها وسائل الاعلام الاسرائيلية بـ « السابقة الديمقراطية » داخل المخيمات ، بفوز سبعة اشخاص في اللجنة المحلية لادارة المخيم يقف على رأسهم ديب اليريطي .

ومن الجدير بالذكر هنا ان شباب المخيم عبروا

عن غضبهم جهارا لمخططات الاحتلال كما ذكر مراسل صحيفة هآرتس على لسان شباب المخيم « اذا كان الحكم العسكري يريد لنا ان نعيش كما يعيش الناس في اسرائيل فعليه ان يدعنا نعود الى منازلنا التي سلبتمونا اياها عام ١٩٤٧ . اننا نريد العودة الى اراضينا وبيوتنا التي سكنناها قبل ٢٥ عاما . اننا لا نريد خدمات للمخيم ولا نريد طرقا ممهدة انما نريد فقط العودة الى بيتنا » (هآرتس ٢٧/١٠/٧٢) الا ان ديب اليريطي اراد عكس ذلك فربط نفسه في خدمة سلطات الاحتلال . على ضوء « السابقة الديمقراطية » في مخيم الشاطئ ارتأت سلطات الاحتلال ان تميمها على مدينة غزة بواسطة تقسيمها الى ثماني حارات ، وتهدف من وراء ذلك تحقيق هدفين اساسيين خطيرين : (١) انتخاب مجلس بلدي في غزة بواسطة مندوبي لجان الحارات الذين سيشكلون فيما بينهم لجنة تنسيق ، حيث تقوم هذه اللجنة بانتخاب رئيس البلدية من بين صفوفها (٢) اشترك مندوبين عن لجنة مخيم الشاطئ في لجنة التنسيق وهذا يعني موافقة على ضم المخيم الى البلدية . وبالفعل أقدمت سلطات الاحتلال في النصف الثاني من شهر يناير هذا العام بالبداة بعملية انتخاب لجان الحارات ، التي انتهت في ٧٢/١/٢٤ . كانت طريقة الانتخاب بسيطة وشبيهة الى حد كبير بعملية انتخاب لجنة الشاطئ ، حيث يرسل الحاكم العسكري دعوة لمثلي العائلات التي تدفع ضرائب في كل حارة لحضور اجتماع انتخابي يعتد في مدرسة اليرموك ، وقد خصص لكل حارة يوما معيناً لانتخاب اعضائها ، وقد حرص المقدم عيني على حضور كل اجتماع والقاء كلمة فيه تدور حول « مدينة غزة التي تعتبر أكبر مدينة عربية في البلاد ، بيد انها منككة وفقيرة وتفتقر الى زعامة موحدة . ان الحكم العسكري سعى الى خلق زعامة من السكان بيد أنهم لم يعرفوا كيف يتنظموا ، ولذا فان جهاز الحكم العسكري يجيء لتشجيع السكان في هذا المجال ، ومن هنا جاءت مبادرة انتخاب لجان الحارات » (معاريف ٧٢/١/٢٦) . ويبدو ان بعض الوجوه التقليديين قد سقطوا اسرى كلمة المقدم الاسرائيلي وتعاموا عن الطرف الاصيل في القطاع ، فقد اخذ البعض منهم يلقي كلمات يشيد فيها بالاجواء الديمقراطية « .. واخيرا وصلت الديمقراطية الى القطاع » الامر الذي دفع بعض المعلقين الاسرائيليين الى القول « ان الايام الثمانية

للانتخابات أثبتت مدى بعد الشوط الطويل الذي قطمه سكان غزة في العام الأخير من عالم الإرهاب» (المصدر السابق) .

في أعقاب النتائج التي أسفرت عنها الانتخابات (للتوسع انظر مجلة الهدف عدد ١٩٢) أخذت الزعامة التقليدية تعدد الحفلات والاجتماعات لدخول المرحلة الاخطر : انتخاب مجلس بلدي ورئيس له ، كما كانت تهدف سلطات الاحتلال ، وأخذ الحديث يجري عن اعتزام عبد الرحمن الدربي احد أثرياء غزة ترشيح نفسه لرئاسة البلدية وتعيين ديب الهريبطي نائبا له ، وعن اعتزام الشوا العودة الى رئاسة البلدية . وقد عملت سلطات الاحتلال على انكفاء روح التنافس بين الأطراف المختلفة ، الأمر الذي اعمى ابصار الزعامة التقليدية عن وجود الطرف الاصيل وتحذيراته المستمرة من المخطط الاسرائيلي ، وفي ١٠/٢/٧٣ تحرك افراد المقاومة الفلسطينية ووضعو حدا لحياة رئيس لجنة الشاطئ ديب الهريبطي ، وفي اليوم التالي تحركت المقاومة مرة اخرى حين اطلقت مجموعة فدائية النار على الشوا عندما كان متوجها الى معمل التوضيب ، فاصابت زجاج سيارته ، مما تسبب باصابته بجروح في وجهه ، ومن الجدير بالذكر هنا ان وسائل الاعلام الاسرائيلية اخذت تستبعد ان يكون الفدائيون وراء الحادث، واخذت تلجح الى ان الحادثين نجمتا عن التنافس بين اتصار الشوا والهريبطي ، كما ان الشوا تفاجأ ان يكون طرف واحد وراء الحادثتين عندما صرح للصحف الاسرائيلية « كيف يمكن ربط الحادثتين معا ؟ لقد اراد الهريبطي ضم مخيم الشاطئ لمدينة غزة ... بينما انا استقلت من رئاسة البلدية لانني رفضت ضم الشاطئ للمدينة . فقد عارضت محو هوية مخيم اللاجئ طالما ان قضية اللاجئ لم تحل » الا انه في مكان اخر اعترف بأن « المنظمات » تريد قتلي ، لا استطيع القول اي تنظيم او مجموعة منها . لقد استمرت محطات الاذاعة التابعة للتنظيمات في مصر وسوريا بهاجمتي . انهم لا يريدون ان يكون هنالك رجل قوي في المناطق باستثناءهم . انهم يدركون بأن الرجل القوي سيتحدث وان حديثه سيجد من يستمع اليه . انهم يريدون ان يستمعوا لهم فقط » (معاريف ٣/٢/٧٣) . كما وحاولت سلطات الاحتلال الايحاء بأن الفدائيين ليسوا وراء الحادثتين ، واخذت

تدلي بتصريحات بأن ذلك لن يؤثر على عملية الانتخابات ، بيد ان ذلك كان امرا بعيد المثال ، فبعد مرور اسبوع اصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في القطاع بيانا تم توزيعه في مدن القطاع وقراها طالبت فيه لجان الحارات في المدينة « بالكف عن العمل في اللجان ، وعدم التعاون مع الحكم الاسرائيلي » وبالفعل استجاب معظم اللجان للطلب خشية من ساعد الثورة ، وتنافست فيما بينها باعلان استقالتها من اللجان في الصحف العربية التي تصدر في المناطق المحتلة ، الا ان شخصا استمر ، في غيه ، وانحرف عن وظيفته كرجل دين الى رجل احتلال الا وهو المطران يوحنا النمري ، الذي اخذ يعمل من اجل « الصداقة اليهودية العربية » ويروج لذلك بين صفوف من الشباب الخاضعين «لنفوذ» «فهؤلاء الشباب زاروا اسرائيل وعملوا من اجل الاخوة والصداقة بين اليهود والعرب ، نحو غد مشترك » الامر الذي دعا رجال المقاومة لوضع حد لحياة النمري كرجل احتلال في ٢٦/٢/٧٣ . ومن الجدير بالذكر ان وسائل الاعلام الاسرائيلية اعترفت في النهاية ان رجال المقاومة هم الذين يقفون وراء الاحداث بقولها « أصبح الان واضحا تماما سبب ذهول الـ ٥٦ شخصا الذين انتخبوا كمثليين في لجان الحارات والذين اخذوا يسرعون نحو الصحف العربية في اسرائيل للاعلان بانهم اصبحوا بحكم المستقلين من مناصبهم » (معاريف ٢٧/٢/٧٣) . اما رد الفعل لدى جهاز الحكم العسكري فقد اتسم بالعجز الكلي عن مواجهة الموقف حين أعلن انه لا يتدخل في موضوع استقالة اللجان، مع أنه بذل جهودا كبيرة من اجل الانتخابات . وبذلك كسبت المقاومة الفلسطينية في القطاع المعركة مع سلطات الاحتلال بانفصال مخططها الرامي الى تولين اللاجئ مسن خلال اقامة زعامة تقليدية شبيهة بزعامة الضفة الغربية . ولم يبق امامها الا الاستمرار في توجيه الضربات ضد قوات الاحتلال ، وبالفعل اخذت المقاومة الفلسطينية تنشيط عسكريا في معركة المواجهة مع العدو ، سقط خلالها شهداء من خيرة الرجال وعلى رأسهم عضو اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين الملقب « تشي فيفارا » واثنين من زمقاته ، وبقي التحدي الكبير بين الثورة والقبع قائما في القطاع .

عبد الحفيظ محارب

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

تقدم شؤون فلسطينية اعتبارا من هذا العدد بابا جديدا في شهرات القضية الفلسطينية
يعنى بعرض وتحليل التطورات التي تطرأ على ميزان القوة العسكرية بين الدول
العربية واسرائيل ، كما يعنى بعرض وتحليل النشاطات العسكرية التي تقوم او
تشارك بها المقاومة الفلسطينية او الدول العربية او اسرائيل .

بعد ذلك بطائرات الهليكوبتر ، على حين نفذت
العمليات الثانية مجموعات من القوات المحمولة
بالبليكوبتر .

ولعل اغرب ما يلاحظه دارسو هذه العملية المزدوجة
هو انها حققت المفاجأة الاستراتيجية والمفاجأة
التكتيكية . واذا كان من واجبا ان نسجل لرجال
المقاومة والمليشيا في المخيمين اندفاعهما البطولي
لقتل عدو يتوسع بكل فوائد المفاجأة ، فان
من واجبا ايضا ان نسجل على المقاومة وتوقعها في
فخ المفاجئين بشكل غير مبرر .

فلقد ظهر من سير العمليتين (عدم اطفاء الانوار
خلال المعركة — وجود مراكز تجمع للمقاتلين —
عدم وجود خطة دفاعية متكاملة — عدم وجود نقاط
اسعاف ميدانية — اعتقاد السكان بان صوت
الرميات تدريب ليلي — عدم شن هجمات معاكسة
منظمة ... الخ) ان المخيمين الواقعين في شمال
البلاد لم يكونا ينتظران ضربة بمثل هذا العمق ،
وفي مثل تلك الفترة الهادئة على الحدود اللبنانية
الاسرائيلية . لذا حقق العدو مفاجأته الاستراتيجية
في الزمان والمكان . كما ان المقاتلين ورجال
المليشيا الذين قاتلوا خلال الاشتباك ببسالة وتقدموا
عشرات الضحايا لم يكونوا ينتظرون ضربة من هذا
النوع يستخدم العدو فيها هذا الأسلوب ، ولذا
تحققت المفاجأة التكتيكية بالزمان وأسلوب القتال .
ويكمن السبب الرئيسي لهذا الخطأ في ضعف
مستوى الحذر الثوري وانخفاض مستوى الاستنفار
النفسي والمادي بشكل دائم . وهما نابعان من
عاملين هما : ١ — عدم فهم السياسة الاسرائيلية
الجديدة وما تتضمنه من استمرارية احتمال الصدام
طالما ان هناك شعبا فلسطينيا ثائرا يحمل السلاح
ويرفض الطول الاستسلامية . ٢ — جهل طبيعة
الحرب : لقد حبلت المقاومة السلاح وأعلنت الكفاح
المسلح حتى يتحقق النصر . وهذا يعنى انها أعلنت
استخدام العنف الثوري بكل اشكاله . وكان عليها

اولا : عملية مخيم نهر البارد ومخيم البداوي :

تمثل عملية ٧٣/٢/٢١ البحرية — الجوية ضد
مخيمي البداوي ونهر البارد وقواعد المقاومة
الجاورة لهما تنفيذا للسياسة الاسرائيلية الجديدة
التي تحدث عنها قادة العدو بعد عملية ميونخ
ولا يزالون . وتتلخص هذه السياسة في التخلي عن
مبدأ العين بالعين والسن بالسن . وعدم ربح
العمليات الانتقامية بعمليات المقاومة ، وعدم الرد
على الضربة بضربة ، بل وضع خطة كاملة لمجابهة
المقاومة في كل مكان على الارض العربية ، وتسديد
ضربات متعاقبة تكون في جوهرها فعلا لا رد فعل ،
تستهدف دمع قوات المقاومة الى التخلي عن الهجوم
والانتقال الى خندق الدفاع .

وكانت العملية تستهدف تحقيق الاغراض التالية :
١ — ضرب قواعد التدريب التابعة للجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين والقاعدة البحرية التابعة لفتح وعدد
من المكاتب التابعة لحركة المقاومة .

٢ — ردع حركة المقاومة عن طريق تهديدها بامكانية
الوصول الى المخيمات وضربها وتهديد حياة المدنيين
فيها : خاصة وان المخيمات هي اكبر هدف حساس
تستطيع اسرائيل ضربه والحاق الخسائر به لردع
حركة المقاومة بشكل غير مباشر ، بعد ان فشلت
كل محاولات الردع عن طريق ضرب القواعد .

٣ — فصل رجل المقاومة عن الانسان الفلسطيني ،
واقناع هذا الاخير بان وجود رجل المقاومة الى
جانبه يعرض حياته وامنه لخطر لا قبل له به .

ولقد تم تنفيذ الهجوم الاسرائيلي بقيادة الرائد
ايتزك في الساعة الاولى من الصباح بعملياتين
استهدفت اولاهما عددا من مكاتب المقاومة
وقواعدها في مخيم نهر البارد ، ومعسكرا للتدريب
في مخيم البداوي . وكانت القوات المشتركة في
المعركة الاولى عبارة عن مجموعات كوماندس بحرية
تم نقلها بمرابك شيربور ثم جرى انزالها على
الشاطئ بواسطة مرابك مطاطية ليتم انسحابها

ومحوريتها بالنسبة للصراع العربي - الاسرائيلي الى افراد مقال خاص بها في هذا العدد (الصفحة ٣٣) يشرح جوانبها المتعددة التاريخية والتكنولوجية واحتمالات المستقبل وتأثيراتها المنتظرة .

وفي مطلع اذار كانت غولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل تزور الولايات المتحدة الامريكية بغية اجراء مباحثات سياسية - عسكرية تتعلق بوضع الاحتلال، وامكانات انسحاب اسرائيل من بعض الاراضي المحتلة وشروط هذا الانسحاب . ولقد طلبت غولدا مائير من الرئيس الامريكى اعتمادات عسكرية ببلغ ٣٠ مليون دولار لشراء ٦٠ طائرة (٣٠ فانتوم و ٣٠ سكايبوك) وقذائف تقاد باشعة ليزر وقذائف تقاد تليفزيونيا وطائرات هليكوبتر من طراز كوبرا وصواريخ بحر - بحر وعددا من الزوارق المحولة بالطائرات العمودية (الهليكوبتر) . كما طلبت الحصول على اعتمادات غير عسكرية ومنح يبلغ مجموعها ٢١٥ مليون دولار (نشرة رصد اذاعة اسرائيل رقم ١٧٦ 1/3/73 L'Orient - Le Jour) .

ويأتى هذا الطلب الاسرائيلي منسجما مع سياسة تل ابيب وادعاءاتها حول ضرورة الحصول على التفوق العسكري بغية تحقيق السلام . فلقد صرحت غولدا مائير في واشنطن (٧٣/٣/١) في نادي الصحافة الوطني « ان اسرائيل قوية هي افضل ضمانة لا للشعب الاسرائيلي فحسب . . . بل انها تشكل افضل ضمانة للسلم العالمي » (هيرالد تريبون ٧٣/٣/٢) . ويشبه الطلب بجوهره طلبات عزيز وايزمان وموشي دايان وغيرهما من قادة العدو لتأمين التفوق العسكري الاسرائيلي بشكل يجعل اسرائيل قادرة على ردع العرب ومنعهم من شن الحرب ، والانتصار عليهم اذا ما انخفض مستوى الردع واندلع القتال .

ولقد حملت غولدا مائير طلباتها الى واشنطن لتساوم عليها ، وتعتبر الحصول عليها شرطا « للتعاون » مع المحاولات الدبلوماسية المبذولة لتسهيل الوصول الى حل سلمي لازمة الشرق الاوسط .

وبالرغم من الصعوبات المتزايدة التي تتعرض لها برامج المساعدة الامريكية واهمها ازمة الدولار ، فقد حصلت غولدا مائير من الكونغرس الامريكى على تأكيد كامل باعطاء الاعتمادات الاسرائيلية المطلوبة للتسليح افضلية على غيرها من الاعتمادات (أ . ب) . وفي مساء ١٩٧٣/٣/٢ اكد الرئيس

ان تعرف بان العدو الراغب في الحفاظ على وجوده الاستعماري سيلجأ الى استخدام العنف القمعي المضاد حتى يلقي آخر مقاوم بنديته . وما دامت حركة المقاومة صامدة تتنازل كل يوم ، وتخطط لتصعيد المعارك التحررية ، فان من طيبة الامور ان يخطط العدو لتصعيد المعارك القمعية حتى في فترات الهدوء النسبي . ان الحرب بطبيعتها هي « العنف المدفوع الى حده الاقصى » . وما دام هناك طرفان متحاربين ، فان العنف هو الحكم الاخير بينهما ، وكل من ينسى ولو لحظة واحدة هذه الحقيقة عبارة عن شخص بجهل جوهر الحروب ومفهومها واسلوبها ، ويدفع من دمائه لمن جهله .

٣ - **انعدام الحذر الثوري** : لقد كانت عملية مخيمي البداوي ونهر الباردي من الجانب الاسرائيلي مغامرة محسوبة تعتمد على تحقيق التفوق على ارض المعركة والافادة من المفاجأة وضعف تدابير الامن والحذر عند الخصم . وكانت من الجانب العربي صهودا ومقاومة شرسة غير مرتبطة باستعداد محسوب مسبق . ولو توافقت الجراة والاستعداد للتضحية مع التخطيط الجيد والصد والانداز المتكاملين لانتقلت مغامرة العدو المحسوبة الى مصيدة باعظة التكاليف ، ولترك القزاة على ارض المعركة عشرات القتلى والجرحى ، ولعلمتيم فداحة خسائرهم ان ضرب المخيمات لم يعد « نزهة عسكرية » سهلة .

ثانيا : زيارة الفريق اول احمد اسماعيل موسكو وزيارة غولدا مائير لواشنطن :

في ١٩٧٣/٢/٢٦ زار وزير الحربية المصرية الفريق اول احمد اسماعيل موسكو برفقة وفد عسكري على مستوى عال ، لاجراء مباحثات تتعلق بتسليح الجيش المصري . وابتدت الاوساط العالمية اهتماما بالفا بهذه الزيارة التي جاءت بعد سبعة اشهر من خروج الخبراء السوفييت من ج.ع.م. وتباينت التكهانات حول سبب هذه الزيارة ومراميها ، وطبيعة المحادثات والنتائج التي ستنتج عنها والتي ظهرت بوادرها الاولية في التأكيد على انتقال العلاقات المصرية - السوفييتية الى مرحلة جديدة ضمن اطار توثيق التعاون العسكري المصري - السوفييتي ، دون التفكير بعودة الخبراء السوفييت الذين خرجوا من مصر في شهر تموز من العام الماضي (L'Orient - Le Jour, 3/3/73) .

ولقد دفعتنا اهمية مسألة التسليح السوفييتي

الامريكي نيكسون في خطاب القاه خلال مأدبة العشاء التي دعا اليها البيت الابيض على شرف رئيسة الوزراء غولدا مائير ان الولايات المتحدة ستنتف دائما الى جانب اسرائيل « من اجل قضية السلام » (الاوريان — لوجور ٧٣/٣) .

وتذكر المصادر الاسرائيلية ان محادثات غولدا مائير خلال زيارتها كانت « مغيبة جدا » بالاضافة الى انها « صريحة وواقعية » . ولكنها تتكتم حول نتيجة طلب الاسلحة الجديدة . ولقد دلت تصريحات وزير العمل الاسرائيلي يوسف الوجيه في مطار اللد وتهربه من الاجابة عن اسئلة الصحفيين حول نوايا واشنطن بالنسبة لتزويد اسرائيل بالاسلحة على ان الاوساط الرسمية الاسرائيلية تلقت تعليمات صارمة مشددة بعدم اعطاء اية معلومات حول هذا الموضوع . بيد ان تلامي السياسة الامريكية الراهبة في فرض سلام امريكي — اسرائيلي في المنطقة عن طريق اركاع العرب بعد تبيسهم من امكانية تحقيق أي نصر عسكري ، والسياسة الاسرائيلية التي تربط دعوتها الى السلام بقوة عسكرية متفوقة ، وتريد من العرب ان يوقعوا شروط السلام الاستسلامي والسدس مصوب الى صدغهم ، ان تلامي هاتين السياستين يؤكد ان اسرائيل ستحصل على جبتها من الاسلحة لتأمين التفوق العسكري المادي الذي يضمن الحفاظ على «الوضع القائم » تماما كما حصلت منذ حرب حزيران حتى الان على اسلحة امريكية وغير امريكية تضمن بقاء الاحتلال الى ان يقبل العرب حلا هو في جوهره تهديئة كاملة للمنطقة وتخل مطلق عن حقوق الشعب الفلسطيني .

وتشير الاتباء الواردة من نيويورك في ٣/١٤ (و . ص . ف — ي . ب — رويتر) على أن من المحتمل ان تقدم الولايات المتحدة لاسرائيل ٢٤ طائرة فانقوم (ف — ٤) و ٢٤ طائرة سكاي هوك (أ — ٤) خلال عامين على أن يبدأ التسليم بعد انتهاء تسليم صفقة عام ١٩٧١ التي نصت على تسليم الطيران الاسرائيلي ٢٤ طائرة فانقوم (ف — ٤) و ٨٠ طائرة سكاي هوك (أ — ٤) [انترناشونال هيرالد تريبيون ٧٣/٢/١٥] ويأتي الاختلاف بين عدد الطائرات التي طلبتها مائير (٦٠ طائرة) وعدد الطائرات المحتمل تقديمها الى اختلاف في طرق حسابات موازين القوى في الولايات المتحدة واسرائيل واذا كانت اسرائيل قد طلبت ستين طائرة

لتحقيق التفوق الجوي وفق حساباتها والمعلومات المتوفرة لديها عن التسليح العربي ، فان موافقة واشنطن (في حالة تأكدها وانتقالها من حالة الاحتمال الى حالة الواقع) تعني ان الحسابات الامريكية ترى ان ٨ طائرة عدد كاف لتحقيق التفوق المتشود وتعويض الخسائر المحتملة الناتجة عن حوادث التدريب او خسائر المعارك المحدودة خلال العامين المقبلين اذ ما بقي الوضع العسكري في الشرق الاوسط على ما هو عليه .

والاسلحة التي طلبها اسرائيل متعددة الاغراض متباينة الاهداف . واذا كان طلب طائرات فانقوم وطائرات سكايهوك يستهدف زيادة القوة الضاربة الاسرائيلية في مجابهة الجيوش العربية ، فان محاولة الحصول على القذائف المزودة بكاميرا تلغزيونية (سمارت بومب) التي جربت في فيتنام والقذائف المقادة باشعة ليزر عبارة عن محاولة لرفع المستوى التقني للسلاح الجوي الاسرائيلي ، وزيادة القدرة على التسديد والاصابة . الامر الذي

يؤدي الى زيادة القدرة النارية الحقيقية لسلاح الجو الاسرائيلي ورفع كفاءته في القتال الجوي وتصف الاهداف البرية وتدمير قواعد الصواريخ أرض — جو ، وتخلخل بالتالي ميزان القوى لصالح اسرائيل حتى لو لم تزد عدد طائراتها . ومن المعروف أن قلب ميزان القوى الجوية لا يتم دائما بزيادة عدد الطائرات ، بل يمكن ان يتم عن طريق تحسين التدريب ، ورفع مستوى اجهزة التسديد والتوجيه والكشف والمراقبة ، وزيادة طاقة الخدمات الارضية لزيادة عدد الطلعات .

اما الزوارق الخفيفة السريعة (سرعة ٤٥ عقدة) المحولة بطائرات الهليكوبتر والمسماة بـ « السمكة القناصة » فغابيتها ولا شسك تشكيل قوة بحرية — جوية متحركة قادرة على مجابهة قوارب المطاردة التي يمكن ان تهدد الملاحاة المدنية الاسرائيلية ، ومجابهة التسلل البحري الذي تقوم به قوات المقاومة الفلسطينية لتسديد الضربات الى عمق اسرائيل او لتكوين القواعد الداخلية العاملة في قلب خطوط العدو . لان مثل هذه القوة تادرة على نقل القوارب المسلحة الخفيفة بطائرات الهليكوبتر بسرعة ، وانزالها على مقربة من قوارب المقاومة أو قوارب المطاردة بغية الاشتباك معها بمعركة مفاجئة غير متوقعة .

ويدل الاتجاه نحو الحصول على طائرات هليكوبتر

السلاح العربي واعادتها الى الخدمة في الصف الاول .

ونذكر صحيفة معاريف ١٣/٢/٧٢ ان الصناعة الحربية الاسرائيلية ادخلت على الدبابات الانكليزية سننوريون - ٥ التي كانت دبابة الخمسينات تصيّنات تكنولوجية جعلتها دبابة صالحة للاستخدام في السبعينات . وتتمثل هذه التصيّنات في تركيب مدفع عيار ١٠٥ وزيادة عدد الذخيرة التي تحملها الدبابة (اي زيادة القوة النارية ومدى الرمي) . واستبدال المحرك البريطاني Matawar الذي توقف صنعه بمحرك امريكي Continental يعمل بالمازوت ، بشكل رفع قوة المحرك من ٦٥٠ حصانا الى ٧٥٠ حصانا ، وتحسين الغيارات (اي زيادة سهولة الاستعمال) ، وزيادة السرعة من ٣٥ كم/ساعة الى ٤٣ كم/ساعة (اي زيادة القدرة الحركية اللازمة للمناورة) . ويمكن تقييم اهمية هذا العمل اذا عرفنا انه يحقق الامور التالية : — زيادة عدد الدبابات الاسرائيلية القادرة على الاشتراك في القتال بدلا من تنسيق هذه الدبابات واخراجها من الخدمة . — توفير ملايين الدولارات .

— الحصول على دبابات قادرة على مجابهة الدبابات العربية (السوفييتية الصنع) ت - ٥٤ و ت - ٥٥ . مع عدم القدرة طبعا على مجابهة الدبابات السوفييتية الحديثة ت - ٦٢ التي حصلت ج ٢٠٠٠ ع على مدد منها .

المقدم الهيثم الايوبي

مقابلة من طراز كوبيرا (٣٠٩ - كينغ كوبيرا) والمزودة بمدافع عيار ٢٠ - ٣٠ ملم و ٤ صواريخ هيوز tow و ١٩ قذيفة صاروخية عيار ٧٠ مم تحت كل جناح وتغزيون يعمل بالاشعة تحت الحمراء الى ان في اسرائيل اتجاها لتجاوز مرحلة استخدام الهليكوبتر لحمل القوات الى حقل المعركة ودعمها بشكل محدود ، والانتقال الى مرحلة خلق قوات محمولة بالهليكوبتر القادرة على نقل الجنود ودعمهم بشكل فعال خلال الاشتباك . الامر الذي سيخلق امام القوات العسكرية العربية وقواعد حركة المقاومة مهمات جديدة ، ومعضلات متزايدة تتعلق بمجابهة القوات المحمولة بالهليكوبتر . وبالرغم من صناعة اسرائيل لصواريخ بحر - بحر من طراز غبريل المستخدمة في المراكب الفرنسية شيربور والمراكب الاسرائيلية الجديدة المشابهة فان طلب صواريخ بحر - بحر امريكية يعني محاولة رفع مستوى كفاءة القوة البحرية الاسرائيلية لمجابهة القوة البحرية العربية في البحرين الابيض المتوسط والاحمر ، وخاصة في البحر الاحمر الذي تعتبر اسرائيل ان انقطاع مواصلاتها فيه امر حيوي يؤدي الى « الخنق الاستراتيجي » .

وفي معرض الحديث عن الاسلحة الاسرائيلية نذكر ان محاولات اسرائيل للحصول على اسلحة امريكية متطورة لا يوقفها عن متابعة تطوير صناعتها الحربية التي تستهدف صناعة اسلحة ومعدات محلية او تطوير الاسلحة القديمة المتوفرة التي تجاوزتها التطورات الحديثة بغية جعلها قادرة على مجابهة

((تقرير))

صواريخ سام السوفياتية

١٩٧٠ ، وازداد الاهتمام بها في الاونة الاخيرة ، عندما اسقطت صواريخ سام ٢ المتطورة ، وفي فترة قصيرة ، اكثر من ثلاثين قاذفة امريكية عملاقة من طراز ب ٥٢ . والحقيقة ان المعارف الغربية عن صواريخ سام كانت ، والى حد قريب ، محدودة جدا ، « وهي ما زالت كذلك بالنسبة لبعض انواعها مثل سام ٥ و ٦ » . الا ان استخدام هذه

اتضحت فعالية صواريخ سام السوفياتية الصنع* قبل انتهاء حرب الاستنزاف بقليل ، عندما تمكنت من اسقاط عدد من طائرات العدو يوم ٣٠ حزيران

* نظم هذا التقرير وفق المعلومات الفنية المأخوذة عن مجلة الطيران والبحرية الإيطالية ، عدد تشرين الثاني ١٩٧٢ .

ثانية مع محرك مسير "Sustainer" يعمل بالوقود السائل ، مدة الاحتراق فيه ٢٢ ثانية ، والرأس الحربي في النماذج رقم ٢ و ٣ من سام ٢ محشو بمفجرات تظليلية، مع اصناف متعددة من الموائع تفجر بالصدمة ، او الاقتراب ، او باللاسلكي . وهناك نماذج متعددة من سام ٢ ، فالنموذج رقم ١ "M-2" وبعدها S2 واخيرا سام ٢ " يمكن تمييزه بوضوح بهوائياته القائمة الزاوية على شكل شفرات مثبتة حول الرأس الحربي ، وادار توجيهه من طراز فان-سونغ -١ "FAN SONG-A" (بقاموس حلف الاطلسي) يعمل على الموجة S ، وهو رادار غير دقيق ويمكن التأثير عليه بسهولة باجهزة الحرب الالكترونية المضادة (ECM) .

اما نسبة اصابة الصاروخ فلم تكن تزيد عن ٤ - ٨ بالالف ، وقد وزع على دول حلف وارسو بالإضافة الى كوبا ، واندونيسيا ، والعراق وفيتنام الشمالية . تبعه بعدها النموذج رقم ٢ ، المميز بهوائياته المائلة بدلا من القائمة الزاوية ، وتحسين نظام توجيهه برادار من طراز فان سونغ - ب ، والذي يحقق اصابات تزيد عن ٨ بالالف ، اذا اطلقته جنود مهرة ، ويتراوح مداه العامل ما بين ٥٠٠ متر كحد ادنى الى ١٨٠٢٠٠ متر . وفي يوليو ١٩٦٢ بدى باستخدام نموذج جديد من سام ٢ هو "V-750 VK VII/62" مع تحسين كبير في نظام التوجيه ومدى العمل الذي يصل الى ١٩٠٠٠ متر ، وربطه برادار طراز فان سونغ - د ، الذي زاد دقة الصاروخ الى ٤ - ٥ بالمئة ، مع تحسينات كبيرة فيما يتعلق بالنوعية ، ومن الخارج يمكن تمييز التعديلات التي ادخلت على هيكله ، بالإضافة الى توسيع سطح زعانف طبقتة الثانية .

وجميع نماذج سام ٢ المذكورة تطلق بزاوية مقدارها ٨٠ درجة ، « وتشبك » برادار التوجيه بعد ٦ ثواني من اطلاقها ، ويبقى بالامكان توجيهه لمدة ١٥ ثانية ، دون ان تتعرض لعدد زائد من التعديلات في اتجاهها .

وأحدث انواع سام ٢ هو النموذج رقم ٤ الموجه برادار فان سونغ - ي الذي ظهر في نوفمبر ١٩٦٧ ، وقد زود به حلفاء الاتحاد السوفيتي ، بالإضافة الى مصر وفيتنام الشمالية والهند ، ولهذا النموذج رأس أطول بـ ٤٠ سم من النماذج الأخرى، وبمكانته حمل رأس نووي ، وبفضل جهاز راداره الذي يعمل على الموجة C ، فان بإمكانه العمل على ارتفاع أقل من ٥٠٠ متر ، ويتابع الهدف حتى

المواريخ في صراعات دولية ، خاصة حرب فيتنام والحرب العربية - الاسرائيلية ، اوصل عدة وحدات منها الى ايدي المراقبين الغربيين ، بالإضافة الى المعلومات التي حصلوا عليها نتيجة مراقبتهم لطريقة عمل هذه المواريخ خلال العمليات الحربية ايضا .

وتجدر الإشارة هنا الى ان حلف شمال الاطلسي (ناتو) يطلق اسماء خاصة على انواع الاسلحة الشرقية ، وهذا الاسم تطلقه لجنة خاصة مكونة من اعضاء من البلدان الانكلوسكسونية الحليفة للولايات المتحدة ، وتتميز هذه الاسماء بان الحرف الاول فيها يوضح نوعية السلاح ، فالحرف S يشير الى المواريخ ارض - ارض (باستثناء المواريخ التكتيكية من فئة الصاروخ الامريكى اونست جون "Honest John") ويبدل حرف G على المواريخ ارض - جو مثل سلسلة صواريخ سام ، وحرف K على القذائف جو - ارض ، وحرف A للمواريخ جو - جو . بالإضافة الى ذلك تستعمل وزارة الدفاع الامريكية رموزا من حروف وارقام ليس لها صلة برموز حلف الاطلسي .

واصول المواريخ السوفياتية غير معروفة ، ولكن يعتقد بان السوفيات قد استولوا على اعداد كبيرة من المواريخ الالمانية المضادة للطائرات طراز (F.V.P. C-2 WASSERFALL) وكانت هناك ابناء عن استخدام السوفيات لاعداد قليلة من المواريخ الالمانية المذكورة لصحابة تواعدهم المهمة، حتى بدأت في اوائل الخمسينات الدراسات لتطوير صاروخ ارض - جو متوسط المدى للدفاع ضدقاذفات القنابل الاستراتيجية المعادية من صنف مشابه لصاروخ نايك - اجاكس "NIKE-AJAX" الامريكى .

وكانت المفاجأة في ٨ نوفمبر ١٩٥٧ في العرض العسكري السنوي بمناسبة ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عندما ظهر نوع جديد من الاسلحة هو الصاروخ سام ٢ او (V-75 SM) حسب التسمية الروسية اذالك مركب على جرار تجره شاحنة من طراز زيل ١٥٧ ، وقد سمي "M-2" من قبل وزارة الدفاع الامريكية ، واسماه حلف الاطلسي غايدلاين "GUIDELINE" ، وهو مكون من صاروخ دافع "booster" يعمل بالوقود الصلب مع اربع زعانف على شكل شبه منحرف ، كسطح للسيطرة على الصاروخ ، وطبقة اساسية

بطبقتين ، الطبقة الاولى قصيرة وضخمة تطرحها حوالي ٥٠ سم ، فيها ٤ زعانف قائمة الزاوية ، والطبقة الثانية بها زعانف على شكل شبه منحرف تنتهي بهوائيات شبيهة بتلك المثبتة على سام ١ ، وهو يعمل بالوقود الصلب مع مدى يتراوح بين ١٥ - ٢٠ كم ، وعلى ارتفاعات تتراوح ما بين ٣٠٠ - ١٢٤٠٠٠ متر .

وتتملك مصر صواريخ سام ٣ الخفيفة الحركة ، ويعتقد كذلك بأنها تمتلك الصاروخ سام ٤ ، والذي صمم خصيصا لمواجهة المواقف التي تتطلب حركة سريعة ، وقد ظهر لأول مرة في عرض مايو ١٩٦٤ ، وهو يشبه صواريخ « المدرسة الانكليزية » يدفع بمحرك ثابت ، او بأربعة صواريخ دافعة ، تعمل بالوقود الصلب مركب على ناظفة مجنزرة هي قاعدة اطلاق ايضا لكل اثنين معا ، ومجنزرة اخرى تحمل رادار التوجيه طراز "PAT HAND" تشكل مع الناظفة الاولى وحدة متكاملة ، وتؤمله مواصفاته للعمل على ارتفاعات منخفضة ولمسافة تبلغ ٥٠ كيلو مترا .

واطلق اسم سام ٥ على صاروخ مستوحى بشكل عام من سام ٢ ، وقد عرض لأول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٣ ، وهو صاروخ بطبقتين الى ثلاث طبقات ، مكون من صاروخ دافع يعمل بالوقود الصلب ، ومحرك مسير يعمل بالوقود السائل ، ورأس يمكن فصله مجهز بمحرك صاروخي يعمل بالوقود الصلب لتعديل سر الصاروخ في المرحلة الاخيرة ، وتؤكد التصريحات الرسمية من ان لدى سام ٥ القدرة لاستخدامه كضاد للصواريخ ، ويعتقد انه دخل الخدمة عام ١٩٦٠ ، وان بإمكانه العمل حتى ارتفاع ٢٧٠٠٠ متر ، ولمسافات تزيد عن ٥٠ كيلو مترا ، ومن المفروض ان يكون قادرا على اعتراض كل انواع الطائرات ، (يعتقد بان صاروخا مشابها هو الذي اسقط طائرة التجسس الامريكية يو - ٢ بتاندها باورز في مايو ١٩٦٠) بالاضافة الى الصواريخ جو - ارض والصواريخ التكتيكية .

اما احدث الصواريخ السوفياتية فهو سام ٦ ، وهو صاروخ صغير يعمل بالوقود الصلب ، ويحمل على قاعدة مجنزرة كل ثلاثة معا . ظهر لأول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٧ ، ودخل الخدمة في الاتحاد السوفياتي في النصف الثاني من عام ١٩٦٠ ، وقد وزع حديثا على فينتام الشمالية ويعتقد مصر ايضا (نيويورك تايمز ١٢/١١/١٩٧٢) ، ولا يعرف نوع

ارتفاع ٩٠ مترا شريطة ان تتم السيطرة عليه بالرادار من ارتفاع اعلى .

وهناك نموذج بحري من سام ٢ هو "SA-N-2" الذي يقتصر استخدامه على الطراد السوفياتي دزيرجنسكي .

وقبل سام ٢ طور الاتحاد السوفياتي صاروخا موازيا له في الصنف هو سام ١ ، الذي ظهر لأول مرة في ٧ نوفمبر ١٩٦٠ ، وهو مشابه للطبقة الثانية من سام ٢ ، وقد اعتقد الخبراء الامريكيون في البداية انه صاروخ سابق لسام ٢ ولكن اتضح فيما بعد انهما سلاحان مختلفان . فمقاسات سام ١ اكبر وزعائفه مختلفة ، وقد احاطت الشكوك بنظام دفعه ، فني البدء اعتقد البعض انه يدفع بصاروخ يعمل بالوقود السائل ، ولكن فيما بعد رجحت فرضية في انه يدفع بواسطة محرك يعمل بالوقود السائل ، اما مداه فيتراوح بين ٤٠ - ٤٨ كيلو مترا ويعمل على ارتفاعات من ٤٨٠ - ١٨٤٥٠٠ متر ، وهو مستخدم على نطاق ضيق في الجيش السوفياتي .

اما سام ٣ الذي اشتهر لاسقاطه عددا من طائرات الفانتوم فوق القناة ، فهو صاروخ بطبقتين ، صمم خصيصا ليكون سلاحا أساسيا لاستخدام القوات البحرية ، وتستخدم الوحدات البحرية السوفياتية الحديثة مثل « موسكفا » صواريخ من طراز "SA-N-3" وهو نوع محسن من سام ٣ صالح لجميع الاحوال الجوية والصاروخ الجديد "SA-N-4" والذي يعتقد بأنه من صنف مشابه لصاروخ « سي سبارو » "SEA SPARROW" الامريكسي ، وهو موجه برادار من طراز "HEADLIGHT".

والصنف البري من سام ٣ محمول على شاحنة هي تساعد اطلاقه من طراز زيسل ١٥٧ ، والحقيقة ان للقواعد المتحركة اهمية كبرى خاصة في الاوضاع المشابهة لوضع مصر على قناة السويس ، حيث تستطيع المدافع الاسرائيلية الثقيلة ذاتية الحركة من عيار - ١٧٥ ملم تصف قواعد الصواريخ الثابتة التي تقع على مدى اكثر من ٣٠ كيلومترا بسهولة ، بعد تحديد مواقعها ، ولكن الامر يختلف بالنسبة للصواريخ المحمولة على قواعد متحركة التي تستطيع تغيير مواقعها بسهولة ، لتفادي تصف المدفعية ، او لتصب كمانئ للطائرات المعادية . وكما سبق وقلنا نسام ٣ صاروخ

وصواريخ من هذا الطراز ، وقال الخبراء الامريكيون ان فيه مفاجآت عديدة وهو صاروخ لا يزيد طوله عن ١٤٢٠ متر وقد وصفه الطيارون الذين رأوه يعمل بأنه سريع جدا .

وهكذا نرى ان قوات الدفاع الجوي العربي تملك صواريخ من طراز سام ٢ للاهداف الملحقة على ارتفاعات عالية ، والانواع الحديثة من هذه الصواريخ مزودة باجهزة مضادة للحرب الالكترونية المضادة (ECCM) . وصواريخ طراز سام ٣ وسام ٦ للارتفاعات المتوسطة والمنخفضة ، والمعارف المتوفرة عن هذه الصواريخ قليلة جدا . ومهما يكن من امر غالشبكة المصرية المكونة من هذه الصواريخ هي احدى افضل الشبكات ، وكان هذا رأي الخبراء العسكريين حتى قبل حديث المصادر الغربية عن استلام مصر لصواريخ سام ٦ .

ومن بين هذه الصواريخ يحظى باهمية خاصة الصاروخ الفردي سام ٧ (سغريل) والذي يعتبر سلاحا رهيبا ضد الطائرات الملحقة بسرعة تقل عن سرعة الصوت ، سواء اكانت مروحية او هيلوكبتر ، بالاضافة الى امكانية استخدامه في وحدات المشاة الصفرى ، او في مفاوز المغاوير او الغدائين التي تستطيع ان تكمن به في اماكن مناسبة لاصطياد الطائرات المعادية ، ويستطيع هذا الصاروخ ان يقلب الموازين تماما اذا ما استخدم لمواجهة العمليات الخاصة التي تقوم بها قوات العدو الموجهة (المحولة جوا) .

رادار سام ٦ ، ولكن المؤكد انه رادار حديث يعمل على الموجة X او S ، ومن الصعب تحديد قدراته ، ولكن يمكن القول ان بإمكانه العمل على ارتفاع يتراوح بين ٩ - ٩٠ مترا كحد ادنى والى ارتفاع ١٠٠٠٠ متر .

وقد اختلف الخبراء الامريكيون على تحديد الصاروخ سام ٧ ، فقد اطلق هذا الاسم على صاروخ ضخم ، اطلق عليه حلف الاطلسي ايضا اسم « غالوش » "GALOSH" ، واطلق كذلك على صاروخ فردي في مستوى صاروخ « رد أي » "REDEYE" الامريكي ، وسمي « جافير » "GAFFER" . وكان اطلق على غالوش اسم سام ٧ ، ولكن هذه التسمية اهتزت الان بعد ظهور الصاروخ الفردي المسمى « ستريلا » "STRELA" ، وفي تاموس حلف الاطلسي اطلق عليه اسم « غريل » "GRAIL" وهو صاروخ صغير مزود بنظام توجيه بسيط بواسطة الاشعة تحت الحمراء ، وصفين من الزمانف التي يمكن طيها . وفي الايام الاولى لاستعماله في فيتنام تمكن من اسقاط ٥ طائرات سكاى رايدر المروحية ، وطائرة هيلوكبتر « هوي » "HUEY" وطائرة مراقبة سيزنا ، ولم تتأكد مسؤوليته عن اسقاط هيلوكبتر اخرى و ٢ - ٤ مقاتلات نفاثة . وتمكنت طائرة مراقبة سيزنا من تفاديه ، وفي هذه العمليات كانت التقديرات الاولى لدقته في الاصابة ٤٠ بالمئة . وقد استولى الامريكيون على عدة قواذف ، وهي ترمى بعد الاستعمال ،

النوع	تسمية القانو	الطول	فتحة الزعانف	القطر	أدنى	أقصى	المدى
سام ١	GUILD	١٢٤م	؟	؟	٤٨٠م	١٨٤٥٠٠م	٤٠كم
سام ٢	GUIDELINE MK2	١٠٦م	١٤٧م	٠٠٠٦٦م	٥٠٠م	١٨٤٥٠٠م	٤٠كم
سام ٣	GOA	٥٤٩م	١٢٢م	٠٠٠٥٠م	٣٠٠م	١٢٤٠٠٠م	٢٠كم
سام ٤	GANEF	٩٤١٥م	٢٤٣٠م	٠٠٠٤٨٠م	؟	٢٤٤٤٠٠م	٤٨كم
سام ٥	GRIFFON (?)	١٦٥٠م	٤٤٦٠م	١٤٠٧م	؟	٢٧٤٠٠٠م	٥٠كم
سام ٦	GAINFUL	٦٤م	؟	؟	٩٠م	١٠٠٠٠٠م	؟
؟	GALOSH	٢٠٤٤٠م	—	٢٤٧٥م	؟	؟	؟
سام ٧ (9)	GRAIL	١٤٢٠م	؟	؟	١٠٠م	١٤٠٠٠م	؟

هشام عبدالله

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية ٢/١١ - ١٩٧٣/٣/١٢

الرقم	تاريخ العملية	موقعها	نوع العملية	السلح	البشرية	خسائر العدو	خسائر المقاومة	المصدر	تاريخه
١ - ١	٢/٩	سويبة/غور الازن	الاشتباك	أسلحة رشاشة غير محددة وقذائف صاروخية	غير محددة	غير محددة	٥	تصريح عسكري رقم ٦٨٦/٢	٢/١٣
٢ - ٢	٢/١١	القدس (١)	حرق	—	—	حرق وطبيعة ٠٠ أنت النار على قسم الملاحج والارشيف العسكرية	—	تصريح عسكري رقم ٦٨٧/٢	٢/١٣
٣ - ٢	٢/١٦	بين عكا وسند	تفجير	عبوات ناسفة	غير محددة	تدمر جسر وسيارة عسكرية	—	تصريح عسكري رقم ٦٨٨/٢	٢/١٦
٤ - ٢	٢/١٦	تقع تلهم	تفجير	عبوات ناسفة	غير محددة	اصابة بسنك مدبر سجن الرملة الياس درتس	—	تصريح عسكري رقم ٦٨٩/٢	٢/١٦
٥ - ٥	٢/٢٠	بين القطرة وقل العرحان/الجولان	تفجير	عبوات ناسفة	—	نسف ٢٠٠ متر من اسلاك شائكة وتفجير حقل الغمام	—	تصريح عسكري رقم ٦٩١/٢	٢/٢١
٦ - ٢	٢/٢٠	قل العرحان/الجولان	مجموع	قذائف صاروخية مختلفة وأسلحة مختلفة	غير محددة	غير محددة	١	تصريح عسكري رقم ٦٩٢/٢	٢/٢١
٧ - ٢	٢/٢١	نهر البارد والبدواي/لبنان	الاشتباك	أسلحة رشاشة وقذائف	غير محددة	غير محددة	١٥	تصريح عسكري رقم ٦٩٠/٢	٢/٢١
٨ - ٢	٢/٢٢	الطللة	مجموع	موزاربخ	غير محددة	اشغال النيران	—	تصريح عسكري رقم ٦٩٣/٢	٢/٢٥
٩ - ٢	٢/٢٣	خلة غزال/الجيليل الاعلى	مجموع	قذائف صاروخية وأسلحة رشاشة	غير محددة	غير محددة	١	تصريح عسكري رقم ٦٩٣/٢	٢/٢٥
١٠ - ٢	٢/٢٣	جيل الشيخ	مجموع	قذائف صاروخية غير محددة	غير محددة	تدمر آلية	—	تصريح عسكري رقم ٦٩٣/٢	٢/٢٥
١١ - ٢	٢/٢٣	أزايح/الجيليل	مجموع	أسلحة مختلفة	غير محددة	اصابة المربع	—	تصريح عسكري رقم ٦٩٣/٢	٢/٢٥

٢/١٢	١٢٢٢	تصريح	تصريح عسكري رقم ١٢٢٢	—	—	اعطاب سيارة	غير محدد	عبوة ناسفة	تفجير	على طريق بيت لحم (١)	—	٢/٢٥ — ١٢
٢/٢٦	١٩٤	تصريح	تصريح عسكري رقم ١٩٤	—	—	اعطاب سيارة في الحي الاثني	غير محدد	عبوة ناسفة	تفجير	القدس (١)	—	٢/٢٥ — ١٣
٢/٧	٦٩٨	تصريح	تصريح عسكري رقم ٦٩٨	—	—	تدمير آلية عسكرية	غير محدد	شبكة انعام	تفجير	صيحة/غور الارض الجنوبي	—	٢/٢٥ — ١٤
٢/٢٨	٦٩٥	تصريح	تصريح عسكري رقم ٦٩٥	—	—	تدمير آلية	غير محدد	عبوات ناسفة وأسلحة رشاشة	كهن	بين الشيخ زويد والعريش/سجاء	٢٠٠٠	٢/٢٧ — ١٥
٢/٥	٦٩٦	تصريح	تصريح عسكري رقم ٦٩٦	—	—	اصابة افراد الدورية	غير محدد	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	كهن	مخيم الشاطئ/غزة	١٨٠٠	٢/٤ — ١٦
٢/٦	٦٩٧	تصريح	تصريح عسكري رقم ٦٩٧	—	—	تدمير جزء من مطعم	غير محدد	عبوة ناسفة	تفجير	تل ابيب	—	٢/٦ — ١٧
٢/٨	٦٩٩	تصريح	تصريح عسكري رقم ٦٩٩	—	—	تفجير خط سكة الحديد بين القدس وطل ايبب وتعطيله	—	مبوات ناسفة	تفجير	غربي قرية بئر	—	٢/٨ — ١٨
٢/٨	٧٠٠	تصريح	تصريح عسكري رقم ٧٠٠	—	—	اصابة افراد الدورية	غير محدد	أسلحة رشاشة	كهن	غزة	١٠٠٠	٢/٨ — ١٩
٢/٩	٧٠١	تصريح	تصريح عسكري رقم ٧٠١	—	—	تجريد الجندي سلاحه	١	وقنابل يدوية	كهن	القدس	٢٠٠٠	٢/٨ — ٢٠
٢/٩	٧٠٢	تصريح	تصريح عسكري رقم ٧٠٢	—	—	حرق ملهى ليلي	غير محدد	قنبلة يدوية	تفجير	نهاريا	—	٢/٨ (٥) — ٢١

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٢/١١ - ١٩٧٣/٣/١٢

الرقم	تاريخ العملية	المساحة	موقعها	نوع العملية	السلح	خسائر العدو	خسائر المدعو	خسائر المقاومة	تاريخه
١ - ٢/١٢	غور الاردن	—	غور الاردن	المتفجرات	غير محدد	غير محدد	—	١ - ٤	٢/١٣
٢ - ٢/١٤	مطوت/الجيل	—	مطوت/الجيل	تفجير	الغام	٢ -	اصابة شاحنة	—	٢/١٥
٣ - ٢/١٦	جفلم	—	جفلم	تفجير	عبوة ناسفة	غير محدد	اصابة منزل ومدرسة	—	٢/١٦
							سجن الرملة الجباس		
							موتقصر		
٤ - ٧/١٦	بين عكا ومسد	—	بين عكا ومسد	تفجير	عبوة ناسفة	—	اصابة سيارة	—	٢/١٦
٥ - ٢/٢١	نهر البارد و البداوي	١٠٠	نهر البارد و البداوي	المتفجرات	امساحة مختلطة	غير محدد	غير محدد	—	٢/٢١
٦ - ٢/٢٠	التيطرة	٢٢٠٠	التيطرة	المتفجرات	امساحة مختلطة	غير محدد	—	—	٢/٢١
٧ - ٢/٢٧	سنياء	—	سنياء	تفجير	الغام	٢ -	اصاب سيارة	—	٢/٢٨
٨ - ٧/٤	مخيم الشاطئ/قزة	—	مخيم الشاطئ/قزة	تفجير	تنبلة يدوية	٢ -	—	—	٧/٥
٩ - ٧/٦	تل ايب	—	تل ايب	تفجير	عبوة ناسفة	—	تفجير جزء من مطعم	—	٧/٦
١٠ - ٧/٨	قزة	—	قزة	تفجير	تنبلة يدوية	١ -	اصاب سيارة	—	٧/٩

١ - اعترف العدو بالعملية ، راجع نشرة رصد ادارة اسرائيل رقم ١٦٠ بتاريخ ١٧١ بتاريخ ١٩٧٣/٢/٢٦ ، ص ٦ .

٢ - كما قامت منظمة ابول الامود بعملية في المسطرة السعودية في الظروف

٣ و ٢ - اعترف العدو بهاتين العمليتين ، راجع نشرة رصد ادارة اسرائيل

تعريف بالمصطلحات الواردة ذكرها

- ١ - تصدر التصاريح العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة المساحة
- ٢ - نشرة رصد ادارة اسرائيل اليومية التي تصدر من مركز الاجتاك في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

اسرائيليات

البدائي ونهر البارد : معركة في « حرب زمام المبادرة »

الاسرائيليون من رسميين وشبه رسميين ومعلقين ، حول موضوع المواجهة والاهداف التي تسعى اسرائيل الى تحقيقها على هذا الصعيد ، وفي هذه المرحلة ، وحول الوسائل والاساليب التي تستخدمها ، او تدعو - بلسان بعض معلقها - الى استخدامها .

والسؤال الاول : ما هو الجديد في المواجهة الفلسطينية - الاسرائيلية ، وما هو التطور الابرز في سلم الاولويات للاهداف الاسرائيلية في هذه المرحلة الجديدة ؟

قبل كل شيء ، يجدر التذكير ، بأن ما تعتبره اسرائيل « المرحلة الجديدة » ، هو الفترة التي بدأت بعملية ميونخ الفدائية في شهر أيلول (سبتمبر) الماضي ، وما زالت مستمرة . وفي هذه المرحلة يركز الاسرائيليون في تعداد اهدافهم على ثلاث نقاط :

- 1 - اباد الفدائيين ، بكل معنى كلمة الابداء .
- 2 - الغاء أي وزن أو تأثير للعمل الفدائي في أي تطور سياسي في الشرق الاوسط .
- 3 - عزل الفدائيين عن التيارات العالمية المناصرة لحقوق الشعب الفلسطيني ، والعمل على كسب عناصر هذه التيارات الى جانب وجهات النظر الاسرائيلية .

وكان الجنرال دافيد العازار رئيس أركان جيش الاحتلال ، قد ردد في مقابلة طويلة اجرتها معه جريدة معاريف (٧٢/١١/٣) تعبير « اباد الفدائيين » ثلاث مرات ، وتعبير « القضاء على الفدائيين » أكثر من ذلك ، وقال : « ان جيش الدفاع الاسرائيلي سيستمر في ضربه للمخربين ، حيث التوقيت ، والاساليب والوسائل والمكان ، تفحص جميعا بمقياس واحد هو : احراز أكبر نتائج تصفية الفدائيين ، ... وانني أعطي المعركة المباشرة

ثلاث قضايا ، على ثلاثة أصعدة مختلفة ، كانت هي الهم بين أحداث شهر شباط (فبراير) الماضي الاسرائيلية :

1 - على صعيد المواجهة الفلسطينية - الاسرائيلية ، كان الحدث هو الغارة التي قامت بها قوات من جيش الاحتلال على مخيمي نهر البارد والبدائي في شمال لبنان .

2 - على صعيد « أزمة الشرق الاوسط » ، كانت زيارة غولدا مئير الى الولايات المتحدة ، والتي قابلت خلالها الرئيس الامركي نيكسون .

3 - وعلى الصعيد الاسرائيلي الداخلي ، كان الجدل الذيثار من جديد حول « المسكر والسياسة » في اسرائيل .

بعد أقل من أربع وعشرين ساعة على « أعقب غارة نفذها مقاتلون من الكوماندو البحري ومظليي جيش الدفاع الاسرائيلي ، الذين أنزلوا (الى الشاطئ اللبناني شمال مدينة طرابلس) من السفن ، وأعيدوا الى اسرائيل بطائرات الهليكوبتر » (معاريف ٧٢/٢/٢١) ، أسقطت مقاتلات اسرائيلية طائرة ركاب مدنية ليبية فوق رمال سيناء المحتلة ، فغطت هذه الجريمة بردود فعلها العنيفة في كافة اقطار الارض ، على الغارة التي لم تحظ ، نتيجة ذلك ، من المعلقين الاسرائيليين (وغيرهم) بما تستأمله من اهتمام ، ولم تفرد لها من افتتاحيات الصحف الاسرائيلية ، غير افتتاحتي جريدتي « معاريف » و « يديعوت احرونوت » المسائيتين يوم ٧٢/٢/٢١ ، والتتين صدرتا في الفترة التي فصلت بين الغارة واسقاط الطائرة الليبية .

من هنا ، فان محاولة التعرف على موقع هذه الغارة في خريطة المواجهة الفلسطينية - الاسرائيلية ، ومن وجهة النظر الاسرائيلية بشكل خاص ، تستلزمنا العودة الى بعض ما قاله

ضد المخربين ، ابادتهم ، وتشويش نمط حياتهم ،
الاضغلية في سلم الاولويات .. » .

وفي مناقشة اجرتها اذاعة العدو يوم ٧/١٠/٧٢ ،
وشارك فيها اربعة من الاساتذة في مؤسسات
التعليم العالي في اسرائيل ، تردد مثل هذا
الكلام ، حيث قال البروفيسور يهوشوع اريئيلي
« ان حربنا ضد الارهاب يجب ان تكون بتصنيفه
الارهابيين وليس القيام بارهاب مضاد .. » ،
وقال البروفيسور بنيامين اكتسين المشهور بعنصريته
وكراهيته للعرب ، « من الواضح انه يجب اتخاذ
وسائل جدية لهدم جهاز الارهاب ، بوسائل جدية
وحتى شديدة » .

لكن اوري دان ، الصحافي الاسرائيلي الذي كتب
مقالا في معاريف يوم ١٦/٢/٧٣ (أي قبل اربعة
ايام فقط من العدوان الاسرائيلي على مخيمي نهر
البارد والبدواوي) ، كان أكثر تواضعا في تحديد
الاهداف التي يجب ان تسمى اسرائيل الى
تحقيقها ، حيث قال : « يبدو انه لا مفر — رغم
ما في الامر من ازعاج — من اجراء فحص دقيق
ومتزن لامكانية محاربة المنظمات بصورة مباشرة
(أي ليس بتوجيه الضربات لـدول عربية للتأثير
عليها واضطرابها للضغط على الفدائيين ليقصف
نشاطهم) ، وذلك بضربهم لضعفهم الى درجة
لا يعودون معها يشكلون مشكلة » ، وكان اوري
دان في مقاله المذكور بعنوان « كيف نحارب الارهاب
العربي بعيدا عن حدود اسرائيل » قد وصل الى
هذه النتيجة بعد تأكيده « ان الخبراء في الشؤون
الفلسطينية في أوروبا ، مستعدون الى الاعتراف
حاليا بملء أفواههم ، بأنهم أخطأوا عندما
استهانوا بنوعية هذه الحركة (الفدائية) ، وذلك
عندما التقوا بنشيطتها في فرانكفورت ، باريس ،
روما وغيرها ، وأن بياننا بعد «عمليات الارهاب»
ضد الفلسطينيين والتي كانت مبنية بمشاعر
« الانتصار النهائي » عليهم ، تثير حاليا السخرية ،
حيث انه لم يتم القضاء على المشكلة » .

وحول النقطة الثانية من سلم الاولويات الاسرائيلية
في مواجهة الفلسطينيين الاسرائيلية ، قال دايفد
الغازار في المقابلة المذكورة : « .. ويجب ان
نحارب مستهدفين تقليص تأثير المخربين على جميع
التطورات في الشرق الاوسط . وأنا أريد ان لا
يكون المخربون عنصرا ذا وزن في اية خطوة
سياسية في الشرق الاوسط ، وان لا يكونوا هم

ممثل الفلسطينيين ، وان لا يكون لهم تأثير حاسم
على احتمالات السلام في المنطقة ، وعلى التسويات
لتأمين قواعد حياة ، حتى وان كانت هذه القواعد
غير واردة في اتفاقيات سلام كاملة وموقمة ، وعلى
الاتصالات مع الدول العربية وعلى احتمالات
استمرار وقف اطلاق النار » .

وحين كان الجدل في اسرائيل ، دائرا حول مسألة
الرد على « الارهاب العربي » بارهاب مضاد ،
كان الصوت الاثوى هو الذي طالب بأن يكون الرد
محصورا في الجهات الرسمية المسؤولة خشية ان
يؤدي الاخذ بوجهة النظر المعاكسة الى التأثير
سلبيا على صورة اسرائيل لدى الاوساط المؤيدة لها
في العالم ، واشترط بعض الاسرائيليين ان تقوم
هذه الجهات بتنفيذ « الاعمال القذرة » على ان
لا تعلن الحكومة مسؤوليتها عنها ، حيث انه
« بشكل عام هناك قواعد ونظم دولية ، وهناك
لعبة قذرة تمارسها جميع الدول ، وهناك معاهدات
دولية بشأن الموضوع ، واللعبة تقتضي اولا :
الصمت ، وثانيا : عدم اخذ اية حكومة مسؤولة
العمل على عاتقها . ولكن تبقى فقط حقيقة ان العمل
قد نفذ » (حديث مع العميد اول (احتياط) حاييم
هرتسوغ — رصد اذاعة اسرائيل ٢/١٠/١٩٧٢) .

واذا كان ذلك عن الاهداف الاسرائيلية على مسعيد
المواجهة حاليا ، فماذا عن الاساليب ؟

عن سؤال شبيه بهذا ، اجاب الغازار — وهو
المسؤول الاول عن هذا الموضوع في اسرائيل — في
المقابلة المذكورة ، بتأكيده : « كما في كل حرب
أخرى تنقسم هذه (الحرب ضد الفدائيين) الى
أسلوبين معروفين : الدفاع والهجوم ، وانني لا
استهين بأي من الوسائل المعدة للدفاع في مواجهة
المخربين .. لكن ، ليكن واضحا دون ادنى شك :
لا يمكن بوسائل الدفاع حسم اية معركة او اية
حرب . وفي الدفاع لا يمكن الانتصار على المخربين
وارهابهم . وهدفنا ليس ان ندافع ، بل ان
نتنصر .. ولا يمكن القضاء على الارهاب العربي
وابادة المخربين بوسائل دفاعية محسب . وهكذا ،
فاننا في هذه الحرب ، كما في كل من حروبنا ،
مأزومون بالحفاظ على زمام المبادرة ، وذلك يعني :
ان نفرغ على الطرف الثاني الخطوط والقواعد
(التي يتبناها) ، وان نبادر الى عمليات واعمال ،
ان نهاجم — ونفحص النتائج فيها بعد » .

« .. وبالنسبة لنا ، وبرغم ان رغبتنا في الحفاظ

أركانها) يحيط بكل الاهداف والمثمنين الاسرائيليين في العالم « .

ومن هنا نصل الى السؤال الاهم ، وهو : ماذا حققت اسرائيل من اهدافها في هذه الغارة ؟

وكما ذكرنا ، فان عملية اسقاط الطائرة الليبية ، قد طغت على الغارة على المخيمين ، ولم تحظ هذه بأي تقييم من قبل المسؤولين الاسرائيليين ، او على الاقل ، فان صحف العدو ، واجهزة اعلامه الاخرى قد خلقت تقريبا ، من اي تقييم لها .

لكن ما يبدو واضحا ، ان جميع الاهداف الاسرائيلية لم تتحقق ، بل ان بعضها غير قابل اصلا للتحقيق . ومن جميع التجارب التي سجلها التاريخ الحديث ، يظهر تماما ان محاولات الابادة التي قامت بها دول وجيوش تنوق اسرائيل وجيشها قوة ، قد فشلت ، وبشكل ذريع ، في احراز هدف الابادة الشوفيني والوحشي ، الذي هددت به شعوب وثورات اقل قوة من الشعب الفلسطيني وثورته .

ومحاولات اسرائيل المستمرة من اوائل الخمسينات وبعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، لغرض « زعامة » فلسطينية متعاونة معها ، قد فشلت هي الاخرى حتى الان ، وليس هناك مسا يشر الى احتمال النجاح في فرض مثل تلك الزعامة ، وهذا ما اكدته مؤخرا تطورات غزة حيث قضت الرصاصات التي اعدمت ذيب الهريبطسي (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٢/١٢) وتلك الرصاصات التي استهدفت رشاد الشوا ، رئيس بلدية غزة السابق ، على محاولات اسرائيل خلق زعامة عربية متعاونة ، واستقتال اعضاء لجنة مخيم الشاطئ وجدد نشاط جميع لجان بقية الاحياء في غزة ، ثم استقتلت ثلاث لجان اخرى ، ولحق ذلك استقتال جميع اعضاء اللجان . (رصد اذاعة اسرائيل ، ١٥ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢/٢/٧٣) .

يبقى أن يقال بأن الغارة الاسرائيلية ، تنسجم تماما مع الخط واسلوب التفكير الاسرائيليين ، وهي ، وان تكون تصعيدا — نظرا « لعمتها » وطريقة تنفيذها — لم تكن وان تشكل مفاجأة الا « لهواة التفاجؤ » على حد تعبير مراقب فلسطيني.

على وقف اطلاق النار كاملة ، فانها ليست اكبر من رغبتنا وصلابة قرارنا بمحاربة المخربين . ولهذا ، فان رغبتنا في الحفاظ على وقف اطلاق النار ، لا يمكن ان تمنعنا من القيام بعمليات ضد المخربين ، حتى وان كانت هذه العمليات تمرض وقف اطلاق النار للخطر ... ولقد قضينا على نشاط المخربين في منطقتنا ، وسوف نضربهم ايضا في أماكن اخرى ... »

وبكلمات مشابهة ردد حايم هرتسوغ وجهة النظر ذاتها ، بقوله : « اعتقد ان مثل هذه العمليات (ضد قواعد الفدائيين داخل الدول العربية) جيدة ، بشرط أن تكون ضمن نطاق خطة شاملة ، وليست عمليات مفردة . وهذا يتطلب الا تكون مجرد رد على اية عملية للمخربين ، لاننا اذا ما انتظرنا قيامهم بالعمليات حتى نرد عليها ، فائنا نكون قد تركنا المبادرة في أيديهم ، وان ما يجب ان يحدث هو العكس . يجب ان نكون نحن المبادرين ، ويجب ان يكون هدفنا مطاردتهم في كل مكان . والتواعد في الدول العربية احد هذه الاهداف ... وان المخربين لا يقيمون في لبنان لاسباب صحية فقط او للتمتع بجمال الطبيعة ، بل انهم يستعدون للعمل ضدنا ، ... وحسب اعتقادي فان مجرد وجودهم هناك يبرر عملياتنا ، ... والاساس في هذه الحرب كما هو الحال بالنسبة لاية حرب ، هو اخذ زمام المبادرة ، لانه بدون المبادرة في الحرب ، لا يمكن تحقيق الانتصار » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٢/١٠/٢) .

و« انتقادا » للسياسة الاسرائيلية ، حتى الى ما قبل قيام قوات الاحتلال بالغارة على المخيمين في شمال لبنان بأربعة ايام ، قال أوري دان نسي معاريف (٧٣/٢/١٦) : « ... ولقد عملنا اقل مما ينبغي ، وتأخرنا اكثر مما ينبغي ، لقد جررنا ولم نبادر . وتمترسنا خلف ابواب مصنحة وسياجات ، ورجال أمن واجهزة تصوير تلفزيونية في دوائر مغلقة ، وكأنه بالامكان ان نجعل « خط بارليف » (خط الدفاع الذي اقامه جيش الاحتلال على جبهة السويس انشاء تولى بارليف لرئاسة

زيارة غولدا مئير الرابعة لواشنطن

وضع علاقاتها مع الولايات المتحدة افضل مما هو عليه ، والفروقات بين تعابير الوزراء هي فروقات صياغة اكثر منها فروقات في المحتوى » . (ملحق هارتس ٧٣/٢/٢٣) ، ... « وفي حين انه في كل زيارات غولدا مئير السابقة الى الولايات المتحدة ، أرسلت كمهاجم وسط (في لعبة كرة القدم) يبذل جهدا لتسجيل هدف وتغيير النتيجة ، فانها هذه المرة قد أرسلت كحارس مرمى مهمته المحافظة على استمرار الوضع الحاضر » (المصدر السابق) . بهذا الجو من التفاؤل الاسرائيلي ، بدأت غولدا مئير زيارتها الرابعة — بصفتها رئيسة للحكومة — الى الولايات المتحدة ، وكانت زيارتها السابقة قد تمت على التوالي في السنوات ١٩٦٩ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١ .

وقبل اسبوع واحد من وصول مئير الى اميركا ، كان بنحاس سابير قد أعلن في واشنطن ، بمسند اجتماعه مع وزير المالية الاميركي جورج شولتس ، انه أقر في الاجتماع تشكيل لجان مشتركة لدراسة الجوانب المختلفة ، للمشاكل الاقتصادية الاسرائيلية . وبرغم رفض سابير الاعلان عن حجم الطلبات المالية الاسرائيلية من اميركا ، فان مراسل معارف في واشنطن قد ذكر انه « علم من مصادر موثوقة للغاية ان المبلغ الذي طلبته اسرائيل من اميركا ومن البنوك الاميركية هو ٦٢٥ مليون دولار ، موزع على النحو التالي : ٢٠٠ مليون دولار اعتماد عسكري ، ٥٠ مليون دولار مساعدة ، ٥٠ مليون دولار لاستيعاب يهود الاتحاد السوفياتي (وذلك بموجب توصية من الكونغرس) ، ١٠٠ مليون دولار لمشاريع اسكانية ، ٦٥ مليون دولار فائض اغذية ، ٣٠ مليون دولار قرض جديد من بنك التصدير والاستيراد للتطوير الاقتصادي ، وحوالي ٣٠ مليون دولار كمنح لمؤسسات ثقافية وصحية في اسرائيل ، وعلم كذلك ان جهودا تبذل لانهاء عمل هذه اللجان قبل لقاء غولدا مئير ونيكسون » (معارف ٧٣/٢/٢١) .

وفي الاول من آذار (مارس) ، قبيل اللقاء مئير بنيكسون ، قالت يديعوت احرونوت « ان اللقاء سيكون ذروة الزيارة ، لانه اذا كان نيكسون يرغب في التراجع عن موقفه المتعاطف معنا ، فقد أعطيت له الفرصة الان ، وسنعلم اليوم ما اذا كانت

لو ان اسرائيل ، رسميا ، هي الولاية الواحدة والخمسون في دولة الولايات المتحدة الاميركية ، لما حظي مسؤولوها بالكثافة ذاتها من الدعوات واللقاءات في واشنطن مع الرئيس الاميركي نيكسون .

ومنذ اعادة انتخاب نيكسون في نهاية العام الماضي ، لفترة رئاسته الثانية والاخيرة ، وحتى الان ، زار الولايات المتحدة من الوزراء الاسرائيليين كل من : موشي دايان ، يقال ألون ، ابا ايان ، بنحاس سابير ، وأخيرا رئيسة حكومة العدو غولدا مئير ، كما زارها ايضا رئيس دولة العدو زلمان شازار وغيره كثيرون من حلة الالغاب الاكثر تواضعا .

وما نحن بصده الان ، هو آخر هذه الزيارات وأهمها ، التي بدأتها غولدا مئير في السابع والعشرين من شهر شباط (فبراير) الماضي ، واستمرت اسبوعين ، وقابلت نيكسون خلالها ، رغم انها « زيارة غير رسمية » كما ذكرت المصادر الاميركية والاسرائيلية .

ومع ان الزيارة بحد ذاتها هي حدث هام ، فان مجيئها بعد زيارة كل من الملك حسين ، والسيد حافظ اسماعيل مستشار الرئيس انور السادات الى واشنطن (انظر حول هاتين الزيارتين مقالا في مكان آخر من هذا العدد) قد زاد من اهميتها ، خاصة وان سفر اسرائيل السابق لدى واشنطن ، اسحق رابين (أنهى عمله يوم ٧٣/٢/٩) ، كان قد ذكر « ان الرئيس نيكسون كلف هيئة من الخبراء اعداد دراسة سرية شاملة حول امكانات التسوية (لازمة الشرق الاوسط) وان غولدا مئير معنية بمحاولة الاستباق في ممارسة وسائلها الاتقاعية على الرئيس قبل ان يتخذ قراره » . (هارتس ٧٣/١/٩) .

قبل بدء الزيارة كانت جميع الاوساط الاسرائيلية تقريبا متفائلة جدا من نتائجها ، الى درجة دعت المعلق الاسرائيلي المعروف دان مرغلث الى القول : « ان هذه الزيارة مرتكزة على تقدير سياسي لم تعرف اسرائيل مثيلا له من قبل ، ولم يكن جيدا الى هذا الحد في اي وقت مضى ، حتى انه لا مجال لتوقع حدوث تحسن (في العلاقات الاسرائيلية الاميركية) ، ومن كل زوايا حكومية يسمع حاليا التقدير القائل بأن اسرائيل لم تأمل ابدا ان يكون

مستحقق تنبؤات اولئك الذين قالوا ان نيكسون سينكر لنا، او اذا ما صدقت رئاسة الحكومة عندما قالت عنه انه صديقنا الكبير في البيت الابيض .

واجتمعت مثير مع نيكسون ، ثم خرجت بعد المقابلة التي استغرقت ساعة ونصف لتقول « انه لم يكن هناك اي جدل بينها وبين الرئيس ، ولفتت الانتظار الى انها في مقابلتها السابقة للرئيس قالت انه يوجد لنا صديق في البيت الابيض ، وانه ليس هناك من داع لتغيير ما قالته » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٢) .

وذكر مراسل اذاعة العدو نقلا عن « مصادر علمية » قولها « ان الولايات المتحدة تعلم بأن حل النزاع هو في نهاية المطاف امر يخص الاطراف نفسها وانها لا تعتزم غرض حل او الضغط على اسرائيل » واشارت المصادر ايضا ، الى ان الرئيس نيكسون « لم يطلب اسرائيل بإبداء مرونة ، كما انه لم يتقدم منها بأية مطالب » . (المصدر السابق) .

ومن ناحية أخرى « تمهد الرئيس نيكسون لرئاسة الحكومة غولدا مثير ، باستهارة تقديم المساعدات الاميركية في المجال العسكري والاقتصادي ... وحذر الناظر الرسمي بلسان البيت الابيض من الامل بايجاد حل سريع ، ورفض الادلاء بتفاصيل عن المساعدات التي ستقدمها الولايات المتحدة ، وقال فقط ان الولايات المتحدة ستواصل تقديم المساعدات » (المصدر السابق) .

وفي جميع التصريحات التي نسبت الى مثير في واشنطن ، لم يلاحظ اي تغيير على سياسة اسرائيل ، بل ان العكس هو الصحيح ، حيث لوحظ تشدد وتشديد على المواقف الاسرائيلية المعلنة بشأن حل أزمة الشرق الاوسط باستثناء موقف واحد فسره بعض المراقبين المتفائلين ، على انه قد يكون اشارة الى استعداد اسرائيل « التنازل » عن أجزاء من الاراضي العربية المحتلة في حرب حزيران ، لم تكن في السابق تترك مناسبة الا تؤكد فيها عزمها على « الاحتفاظ » بها ، وذلك في قول مثير اثناء مؤتمر صحافي عقده في واشنطن يوم ٧٣/٣/١ : « ان اسرائيل لا تستطيع التنازل عن هضبة الجولان ، ولكن اسرائيل لا تعتبر قناة السويس ، الحدود النهائية بينها وبين مصر ، ... وكذلك لا يمكن اعادة شرم الشيخ الى مصر لان هذه النقطة هي خط حياة لاسرائيل » .

وكما كان متوقعا من قبل ، فان غولدا مثير قد تبكت بنصيحة راين التي لخصها دان مرغلين في جريدة هآرتس (٧٣/٢/٨) والتي تقول « ان جميع الانكار الجديدة زائدة ، وفي اكثر الحالات مضرة » . وشدد راين على ضرورة التركيز على التسوية الجزئية ، وقال : « لا ادري كيف يمكن التقدم نحو التسوية الشاملة » (داغار ٧٣/٢/٢) ، وكان يرد بذلك - كما يبدو - على قول وزير الخارجية الاميركي وليم روجرز في خطاب القاها يوم ٧٣/١/١٧ ، وطلب فيه « العمل لتحقيق تسوية جزئية ، يعاد بها فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، على ان تكون هذه خطوة أولى على طريق التسوية الشاملة » .

وهكذا ، فانه على صعيد أزمة الشرق الاوسط ، لم تحدث زيارة مثير لواشنطن اي تطور كان ، الا اذا اعتبرنا ترميخ التعاون بين اسرائيل والولايات المتحدة تطورا يذكر . ويبقى بعد ذلك ملاحظتان :

الاولى : هي ان غولدا مثير التي كانت في كل مرة تسأل فيها عن احتمال استمرار توليها منصب رئاسة الحكومة بعد الانتخابات النيابية المقبلة في اسرائيل (في شهر تشرين الثاني - نوفمبر - المقبل) تؤكد اصرارها على رمض البقاء في منصبها ، ولكنها في مقابلة تلفزيونية اذيعت عبر احدى الشبكات الاميركية يوم ٧٣/٣/٤ ، ردت على سؤال حول هذا الموضوع بأسلوب مغاير ، حيث قالت : « ان استهاري في منصبتي يرتبط بقرار الحزب » وازافت : « وجهوا هذا السؤال الى حزبي » . (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٥) .

وعندما بدأ واضحا ان مقابلات مثير في واشنطن ، وخاصة مع نيكسون ، هي السبب الاهم وراء تراجع مثير عن موقفها المذكور ، سأل مراسل اذاعة العدو ، سكرتير حزب العمل اهرن يادلين : « لماذا - حسب اعتقادك - قالت السيدة مثير مثل هذه الامور في الولايات المتحدة بالذات ، وليس في اسرائيل ؟ » ، ورد يادلين : « لا اعرف . من الممكن ان تكون قد ارادت ان تسرع بزف البشرية لنا ، من انها استجابت للاحاح الزملاء (ولم يقل أي زملاء) ، ولم تنتظر قدومها الى اسرائيل لاعلان هذا النبا المسار » .

وألح المراسل : « هل بالامكان القول ان هذا

القرار تبلور لديها اثناء جولتها في الولايات المتحدة»
فقال يادلين : « من الممكن ان تكون جولتها في
الولايات المتحدة قد اضافت اعتبارا آخر لمجمل
الاعتبارات ، التي استمعت اليها في محادثاتها مع
كثير من الزملاء » .

والثانية : هي حرص نيكسون اثناء لقائه مع
مئير ، وهو اللقاء الذي حضره الدكتور هنري
كينجر مستشار الرئيس نيكسون ، واسحق رابين
وسحا دينتس ، مدير مكتب مئير سابقا وسفير
اسرائيل الجديد لدى واشنطن ، على تهيئة السفير
رابين بعيد ميلاده الواحد والخمسين ، وقوله
« اننا سنفتقد السفير رابين كثيرا ، فقد كان

سفيرا كبيرا لدولته ، ونأمل ان تحسنوا استغلال
جواهبه » وقد لوحظ في هذا الكلام اكثر من مجرد
مجاملة ، ولم يستبعد ان يكون نيكسون قد قصد
من وراء هذا « الاطراء » ايضاح « تبني » البيت
الابيض لرابين ، مع كل ما هو معروف عن رابين
وخلافاته الزمنة مع ابا ايان وزير خارجية
اسرائيل .

ورغم ان اي من المصادر الاسرائيلية — المتوفرة —
لم تبرز اهمية ودلالة النقطتين المذكورتين ، فان
فيهما ما يؤكد قدرة اميركا ليس على التأثير في
سياسة اسرائيل الخارجية فحسب ، بل قدرتها على
التدخل والتأثير في الشؤون الاسرائيلية الداخلية .

((عسكرة السياسة ، وتسييس الجيش))

وقبل جبيع هؤلاء ، كان الصحافي الاسرائيلي
المعروف امنون روبنشتاين قد كتب مقالا في غاية
الاهمية في جريدة هارتس (١٩/٧٣/١) ، عن علاقة
الجيش بالسلطة المدنية في اسرائيل ، واكد فيه
— استنادا الى وقائع واسباب اوردها — ان
الحكومة الاسرائيلية لا تمكح حق اقرار او حتى
تقديم النصح بالنسبة الى تعيين رئيس اركان
الجيش الاسرائيلي .

وهذه الفورة في نقاش مسألة « عسكرة السياسة
وتسييس الجيش » في اسرائيل ، هي في الواقع
حلقة جديدة من مسلسل متصل ، تكاد لا تنتهي
احداها الا لتبدأ الاخرى ، وكانت الفورة السابقة
قد بدأت لدى انعقاد المؤتمر العام الاخير — قبل
بضعة أشهر — لحزب العمل الاسرائيلي الحاكم ،
حيث عارض « شباب الحزب » استيلاء كبار ضباط
الجيش (المتقاعدين) على المراكز الصمامة في
الحزب ، وأطلق هؤلاء على الضباط في حزبهم وفي
الاحزاب والمؤسسات الاخرى لقب « العمداء
المظليون » ، اي اولئك الذين يهبطون بالمظلات
بباشرة من الجيش الاسرائيلي الى مناصب كبرى
في السياسة .

اما الحلقة السابقة لهذه ، فكانت قد بدأت في مطلع
العام الماضي ، عندما عين الجنرال حاييم بارليف
الرئيس السابق لاركان جيش الاحتلال ، وزيرا
للتجارة والصناعة في الحكومة الاسرائيلية ، التي

في الثالث عشر من شهر شباط (فبراير) الماضي ،
اجرى مراسل اذاعة العدو ، مقابلة مع دوف بن
مئير ، سكرتير حزب العمل الاسرائيلي في لواء تل
ابيب ، وذلك بمناسبة قرب صدور كتابه (يفترض
ان يكون قد صدر في مطلع آذار (مارس) الماضي)
الذي يناقش — بين ما يناقشه — مسألة دخول
رجال الجيش ميدان الحياة السياسية في اسرائيل .
(رصد اذاعة اسرائيل ١٤/٢/٧٣) .

وقبل هذا التاريخ بأربعة ايام فقط ، اجرى مراسل
اذاعة العدو مقابلة مع الدكتور شيفاح غايس ،
الباحث في العلوم السياسية ، حول الموضوع
ذاته ، بمناسبة بحث اجراه غايس عن التوزيع
الوظيفي لكبار ضباط الجيش في اسرائيل . (رصد
اذاعة اسرائيل ٩/٢/٧٣) .

وبعد ثلاثة ايام فقط من اجراء المقابلة مع دوف بن
مئير ، « انضم العميد اول (احتياط) شلومو لاهط
رسميا الى حزب الاحرار ، واعلن رئيس الحزب
البيميلخ ريملط في جلسة الادارة ، انه سيقتراح بان
يوضع لاهط في طليعة مرشحي حزب الاحرار لبلدية
تل ابيب ، وعلى هذا ، يقترح ايضا ان يرئس
تائبة غاحال (المكونة من الاحرار وحيروت) . وقال
لاهط في الجلسة ، انه انضم الى حزب الاحرار
اقتناعا منه بمبادئه على اثر المباحثات التي اجراها
مع زعماء الحزب » (رصد اذاعة اسرائيل ١٧/٢/٧٣) .

كانت تضم حتى قبل دخوله عددا من كبار ضباط الجيش السابقين ، بينهم موشي دايان ، ويغال ألون ، ويسرائيل غالييلي وغيرهم .

وقد سأل مراسل في اذاعة العدو حاييم بارليف (رصد اذاعة اسرائيل ٧٣/٣/٩) : « لقد تمت بعملية هبوط بالمظلات من الطائرات في الجيش ، فكيف تشعر بعد أن نزلت الى السياسة ؟ هنالك من يعتقد بأن الهبوط هنا اخطر بكثير حتى من عملية الهبوط الحرة ؟ »

ورد بارليف : « كلا ، لا اشترك في هذا الرأي ، ولا أرى هنا أي شيء خطر ، وأعلم ان حجم خيبة الأمل هو من حجم الأمل ، وانا لم اقدر ان الوضع بالنسبة لي سيتبدل بصورة اساسية ، فقد كانت لدي الفرصة كرئيس للاركان ، للاطلاع المباشر على اعمال الحكومة » .

وشبه دوف بن منير النزاع الذي ادى - عشية حرب حزيران - الى تسليم موشي دايان وزارة دفاع العدو ، بذلك النزاع الذي سبقه بسنتين ، وادى الى عزل بنحاس لامون من وزارة الدفاع ، وتقال في المقابلة المذكورة : « ... وانا اتصد بهذا التأثير السياسي الذي كان لتضحية لامون وللمواجهة بين القيادة الرسمية ، وبين القيادة التقليدية في السياسة الاسرائيلية ، وهي الواجهة التي وصلت اوجها خلال المصدام بين وزير الدفاع بنحاس لامون وبين جيش الدفاع الاسرائيلي . ولهذه الواجهة آثار وابعاد ، من بينها طرد وزير الدفاع انذاك ، او اجباره على تقديم استقالته . وهنا اعتقد ان الضغط الذي مورس لانتزاع وزارة الدفاع من ايدي ليفي اشكول في سنة ١٩٦٧ (وتسليمها للجنرال دايان) له نفس الطابع . وانا استغرب اذا كان بالامكان في الظروف الحالية وضع وزارة الدفاع في ايدي شخص مدني ، وما اذا كان بإمكان شخصية مدنية ، خلال مواجهة جديدة (مع العرب) ، لا تسمح الله ، ان تتودد جيش الدفاع الاسرائيلي في المعارك . وهذه هي احدى المشاكل التي لها ابعاد بالطبع في موضوع عسكرة الدولة ودخول الجنود والضباط السابقين الى معترك الحياة السياسية » .

وعن النتيجة التي سيؤدي اليها هذا المسار ، قال بن منير : « اننا في النهاية منفصل الى وضع متوازن ، تنجح فيه تلك الفئة الناجحة من الضباط ، واما غير الناجحين فلن يتم استيعابهم في السياسة » .

وعلى الذين يتوقعون استيلاء العسكريين - في النهاية - ، للسلطة ، واحتكارهم لها ، رد الدكتور شيفاح فايتس - عبر بحثه الذي اجراه على ٧٥ شخصا فقط من الضباط الذين انهموا الخدمة ، وليس بفعل السن ، وعبر المقابلة الاذاعية المذكورة - ان « المنتخبين في مراكز سياسية من هؤلاء الضباط الذين خلعوا البزة العسكرية يشكلون ١٣،٢٪ فقط من مجموع الضباط المتقاعدين بينما يعمل في وظائف ادارية داخل جهاز الامن وفي الادارة الجامعية ومديري الوزارات ٧٥٪ من مجموع الضباط » . ورد فايتس بسبب وجود الانطباع باستيلاء العسكريين على الحياة السياسية الى « النقاش الشعبي الذي جرى حول ضباط مثل بارليف ورابين ودايان ، ومثل عيذر وايزمان اليوم » .

اما امنون روبنشتاين ، فقد تطرق الى الموضوع من زاوية اخرى ، واثبت « استقلالية » الجيش الاسرائيلي عن الحكومة ، واستدل على ذلك بابرازه بعض الاحداث التي وقعت مؤخرا ، على النحو التالي :

« ١ - قرر الجيش تخفيض مدة الخدمة العسكرية بالنسبة الى المهاجرين الجدد . وقد اتخذ الجيش هذا القرار ، دون عرضه على أية جهة اخرى لاتقراره ، وحتى الكنيست لم يطلب الحصول على معلومات حول هذا الموضوع .

٢ - ان قرار عدم تخفيض الخدمة العسكرية لجنود الخدمة الاجبارية ، بحث وبت فيه على الصعيد العسكري فقط .

٣ - وقع العميد ، قائد المنطقة الشمالية (الجليل) امر اغلاق تربيته اقترت وكثر برعم قبل ان يلفت نظر الحكومة الى هذا الموضوع ، ودون عرضه على الكنيست مطلقا » .

ويتابع روبنشتاين : « ... وفي حين تقرر الحكومة تعيين كل سفير وكل متصل اسرائيلي في الخارج ، فانها لا تملك صلاحية اقرار ، او حتى تقديم النصح ، بالنسبة الى تعيين رئيس الاركان ، فهذه المسألة تعود بالكامل قانونيا ، الى وزير الدفاع الذي يحق له ان يفعل بالنسبة الى التعيينات داخل الجيش ما يشاء ... ويعرض التعيين على الحكومة بعد ذلك كحقيقتة منتهية » .

ولاحظ روبنشتاين ان في اسرائيل وثيقة واحدة فقط تتعلق بتكوين الجيش وهي « امر جيش الدفاع

الاسرائيلي « ، الذي صدر خطأ عن رئيس الحكومة في ايار (مايو) ١٩٤٨ ، ولم يصدر كما يفترض بصورة تشريعية ، ويحظى بموافقة مجلس الشعب (الذي سبق انتخاب اول كنيست) . « ... وكانت هذه الوثيقة مبهمة ومتسرعة ، ولكنها مع ذلك لم تغير حتى الان ، وبعد مرور ٢٥ سنة على اصدارها » . وخطر ما في هذه الوثيقة باعتقاد روبنشتاين هو خلوها من اية كلمة عن تعيين رئيس الاركان ، ومدة خدمته وخضوعه للحكومة ، وفي نص الامر المذكور انه « بموجب بنشأ جيش الدفاع الاسرائيلي ، المكون من اسلحة البر والبحر والجو ... ويحظر تشكيل قوات مسلحة خارج نطاق الجيش الاسرائيلي » ... وينتهي الامر - غير الشرعي - بالقول : « ان وزير الدفاع مسؤول من تنفيذ هذا الامر » ، ولاحظ روبنشتاين ان هذه الكلمات القليلة ، منحت وزير الدفاع (وهو في حينه بن غوريون) صلاحيات غير محددة وغير مقيدة مكنته ان يفعل ما يريد داخل الجيش . دون الرجوع الى الحكومة او البرلمان .

وفي « امر جيش الدفاع الاسرائيلي » ليس هناك اي ذكر للمناصب الرئيسية في الجيش ، مثل مدير المخابرات ، ورئيس شعبة العمليات . بل ان تسميات المناصب لم تعدد ايضاً ، ويذكر ايسر هرتيل « المشرف » الامبق على المخابرات الاسرائيلية انه قد حصل على لقبه المذكور (اي

« المشرف ») في حفل حضره مع بن غوريون ، فقدمه هذا الى ضيف اجنبي على انه « السيد هرتيل ، المشرف على المخابرات » ، واصبح لقب « المشرف » بذلك اسماً ومنصباً رسمياً . (كتاب « المشرف » تأليف بارزوهـر) . عموماً فان اول ما يلاحظه المراقب ، هو الازدياد المستمر في نسبة الضباط الاسرائيليين الذين يتحولون الى العمل السياسي ، ويتسلمون المناصب العالية في المجتمع الاسرائيلي ، من ادارة المطارات المدنية ، الى الموانئ الى الشركات الكبرى والمؤسسات العامة ، وبموجب اخر احصاء متوفر فان « ٤٥٪ من سياسي اسرائيل على الاقل ارتبطوا بالعمل العسكري بشكـل او باخر » (كتاب « رجال السياسة الاسرائيليين » - سلسلة حقائق وارقام - رقم ٢٣ ، تحرير انيس صايغ واعداد غازي دائيال - مركز الابحاث الفلسطينية - بيروت - ١٩٧٠ ص ١٨ ، و« رجال السياسة » في هذا الكتاب هم اعضاء الكنيست الاسرائيليين) .

ولا يستبعد ان يثور الجدل والنقاش في اسرائيل مجدداً ، ويصل الى ابعاد لم يصلها من قبل ، وذلك بعد عودة اسحق رابين في اذار (مارس الماضي) الى اسرائيل بعد انتهاء فترة عمله كسفير لدى الولايات المتحدة ، واحتمال تعيينه وزيراً في حكومة العدو ، ليصبح فيها اذاك ثلاثة رؤساء اركان سابقين .

عماد شقور

وثيقة خاصة : افادات اعضاء الجبهة الحمراء

تفرد « شؤون فلسطينية » فيما يلي بتقديم ترجمة عن الاصل العبري لليبانيين اللذين ادلى بهما خلال محاكمتها كل من داوود تركي ، زعيم التنظيم العربي - اليهودي الذي درجت الصحافة العربية على تسميته باسم « الجبهة الحمراء » ، واودي اديف ، احد الاعضاء الاربعة اليهود في التنظيم . ويظهر البيانان ، بما لا يدع مجالاً للشك ، ان الحملة الاسرائيلية لتصوير التنظيم بانه شبكة تجسس للاستخبارات السورية لا اساس لها من الصحة وانها مجرد محاولة للتشهير به . والمجلة اذ تقدم ترجمة لهذين البيانيين ، اللذين تمكنت من الحصول عليهما بوسائلها الخاصة ، تود ان توضح انها تتعامل معهما كوثقتين توضحان الدوافع الايديولوجية والسياسية وراء التنظيم ، وانها لا تتبنى او ترفض كل ما جاء فيهما ، ولها تحفظات شديدة ازاء بعض النقاط الواردة . ونوه بان محاكمة كل من داوود تركي واودي اديف ، مع اربعة آخرين من اعضاء التنظيم ، بدأت يوم ٢٥ شباط ١٩٧٣ ، وان الحكم بشأن الاشخاص الخمسة الاساسيين من بين الذين تم تقديمهم للمحاكمة لم يصدر بعد . ويحمل بيان داوود تركي تاريخ ١٩٧٣/٢/٥ ، ولم نتمكن من قراءة التاريخ على بيان اديف .

(١) افادة داوود تركي

الملف رقم ٧٣/٢٩
١٩٧٣/٣/٥

القاضي : تركي ! جاء دورك الان ! وعليك ان تختار احد الاسلوبين التاليين :
بوسعك ان تدلي بشهادتك بعد حلف اليمين ، وفي هذه الحالة سيتولى ممثل النيابة استجوابك ، كما ان بوسعك ان تدلي ببيان من مكانك دون حلف اليمين ، وفي هذه الحالة لك ان تختار عدم الادلاء بشهادة .

داوود تركي : اختار الادلاء ببيان من مكاني !

هيئة المحكمة الموقرة ! اود تقديم نفسي ، وقد سجلت رؤوس اقلام عن القضية بأسرها من بدايتها الى نهايتها ! اسمي داوود سمعان تركي . ولدت لاب وام من الفلاحين الفقراء في قرية المغار عام ١٩٢٧ ، وقد عشت في قريننا هذه نحو خمسة اعوام . وكان والدي ووالدتي يعملان في صنع الفحم والكلس ، غير ان ما كانا يكسبانه من ذلك لم يكن يكفي لاعالة العائلة ، ولذلك اضطررنا الى النزوح الى حيفا في عام ١٩٣٢ حيث اشتغل والدي عاملا في بلديتها . وعند اعتقالي كنت اعمل في مكتبي التي اسستها عام ١٩٦٢ ، وقبل ذلك مارست مهنا مختلفة لم تكن تشبع ميولي ولا توافق اهوائي . فقبل تأسيس المكتبة اشتغلت مدة خمس سنوات كعامل طباعة في مطبعة « الف وواحد » في حيفا . وقبل ذلك

عملت في البناء والصيد وفي حائوت بقالة وفي صناعة البلوكات ، ورغم ان هذه جميعا هي مهن شاقة فانه لم يكن يتيسر لي العثور على عمل فيها بسهولة وذلك نتيجة الظروف التي كان يواجهها العامل العربي وبسبب ملاحقة الهستدروت للعمال غير المنظمين واقدامها على طرد العرب من هؤلاء من اعمالهم متغافلة عن واقع انها حينذاك لم تكن تسمح للعرب بالانضمام اليها وان عضوية الهستدروت كانت تقتصر على اليهود فقط . اما النقابات المهنية الخاصة بالعرب والتي كانت تعمل في اطار ما يدعى « بمؤتمر العمال العرب في اسرائيل » فقد كان قسم منها يؤمن العمل لبعض العمال العرب ولكنه كان عملا هامشيا ولا يستوعب سوى قطاعا ضئيلا من المجموع بينما لم يكن لدى القسم الاخر من هذه النقابات ما يقدمه . . . وفي عام ١٩٤٦ اثناء فترة الانتداب البريطاني قدمت طلبات للعمل لجميع الدوائر الحكومية وتلقبت ردا ايجابيا من ثلاث منها - دائرة الجمارك في حيفا ، ودائرة البريد ومصلحة السمك الحديدية - وقد اخترت من بين الدوائر الثلاث هذه دائرة الجمارك التي شعرت ان العمل فيها يناسبني أكثر من غيرها . وظللت اعمل هناك من مطلع عام ١٩٤٦ حتى انتهاء فترة الانتداب . في تلك الفترة ، عندما تقدمت بطلبات العمل هذه ، لم اكن بحاجة الى « محسوبة » او « واسطة » ، بل كانت مؤهلاتي هي التي حددت قبولي . اما بعد قيام دولة اسرائيل فقد اصبح الزاماً على من يريد الحصول على عمل ان يستنجد « بالحاسيب » ، خاصة اذا كان طالب العمل مثلي عربيا ويعتق ايدولوجية يسارية - اشتراكية - شيوعية .

واثر سقوط حيفا انتقلت الى قريتي « المغار » للاقامة فيها وبقيت هناك حتى عام ١٩٤٩ . وخلال فترة اقامتي في المغار كان يتحتم علي من اجل العمل خارجها الحصول على تصريح للخروج . ولم يكن بالامكان الحصول على تصريح كهذا بسهولة ولا سيما لأولئك الاشخاص الذين يحملون اراء سياسية معارضة لسياسة وآراء النظام السياسية . وهذا الوضع ، بالإضافة الى امور اخرى مثل سلب الاراضي وعدم المساواة في الحقوق للاقلية العربية في البلاد وملاحقة العمال والاهالي العرب وهدم البيوت - كل ذلك اهاج في خاطري ذكرى ان ابي - رحمه الله - كان في ايامه يؤيد ويتعاطف مع الشيوعيين الذين كان يعرفهم باسم البلشفيين . وقد سئحت لي الفرصة في حياته - وكنت حينئذ صبيا يافعا - ان اتعرف شخصا على سكرتير الحزب الشيوعي الفلسطيني ، وكان انذاك عربيا يدعى نجيب سبيريدون . وقد كان هذا الشخص بالنسبة لي مثالا للانسان الشيوعي في مسلكيته . فالتحقت بالحزب حينئذ ومن ثم التحقت بصفوف الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » في عام ١٩٤٨ . وقد كان انتمائي هذا علاوة على كوني عربيا هو العلة في كل تلك الملاحقات التي تعرضت لها .

وقد آمنت بأنه ما من أحد يستطيع ان يفرض على اي انسان آراء ومواقف تخالف آراءه ومواقفه تجاه اي شيء او تجاه سياسات النظام القائم اذا كان هو مقتنع بما يحمله من آراء وافكار ازاء السياسة العامة للحكم القائم . . .

لقد كنت مضطرا للعمل خارج قريتي لتأمين لقمة العيش لعائلتي المؤلفة من خمسة افراد (أنا وزوجتي وبناتي الثلاث) ، ولذلك كنت احتاج الى تصريح من الحاكم العسكري يسمح لي بالتنقل بين قريتي ومكان عملي ولم اكن احصل على هذا التصريح الا بشق النفس . وقد كان الصراع من اجل الحصول على هذا التصريح يستغرق اسبوعا كاملا اذ كان يتعين علي ان انتظر قدوم الموظف المختص التابع للحاكم العسكري ، كما كنت اضطر الى خسارة يوم عمل كلما حان اجل تجديد التصريح . وكانت قضية الحصول على هذا التصريح مشكلة بالنسبة لي ولجميع العرب الذين كانوا يقطنون خارج المدن (أماكن عملهم) . واذكر انه في سنة ١٩٥٨ ، وبعد ان كنت قد خضت نضالا مريرا لنقل مكان اقامتي الى حيفا الى ان تم لي ذلك ، اذكر في ذلك الوقت أنني رغبت في زيارة قريتي

المغار لمناسبة عيد الفصح لقضاء عطلة العيد مع اهلي واقرباي ، فحصلت من مركز الشرطة في حيفا على تصريح للسفر الى الناصرة حيث كان يتوجب علي الحصول من مركز الشرطة هناك على تصريح آخر للسفر الى قريتي المغار . وهناك في الناصرة ، عانيت الامرين اذ رفض الموظف المختص اعطائي التصريح . لقد حدث هذا في الوقت الذي علمت فيه ان بعض الاشخاص قد حصلوا في هذه المناسبة - مناسبة توافق حلول عيد الفصح وعيد المسلمين في الوقت ذاته - على تصريح لقضاء عطلة العيد مع اهلهم رغم انهم قدموا من خارج الحدود - من شرق الاردن - هذا ، بينما انا الذي لم اغادر بلادي توضع العراقيل في طريق وصولي الى قريتي لقضاء عطلة العيد بين اهلي ونوي . واخيرا ، وبعد جهد جهيد وعناء ومساع شاقة لدى جهات عدة في الشرطة والحكم العسكري اعطوني تصريحا لمدة يومين فقط ، وعدت بعدهما الى حيفا . . .

ان انواع المشاكل التي تواجه الانسان العربي في هذه البلاد ، واليساري منهم بشكل ، كثيرة جدا وتستحق الوقوف عندها طويلا ، بيد ان الوقت المتاح اضيق من ان يسمح لي بأن انتقصها جميعا . لقد كنت عضوا في الحزب الشيوعي الاسرائيلي « ماكي » وذلك من خلال الايمان بالاشتراكية وليس انطلاقا من الايمان بافراد معينين . وفي سنة ١٩٦٠ ثار الخلاف والجدل بين الحزب الشيوعي السوفييتي والحزب الشيوعي الصيني . ولقد ساهمت بتوسط فعال في هذا الجدل داخل صفوف الحزب مؤيدا موقف الحزب الشيوعي الصيني ، وعلى هذا الاساس فصلت ، او بالاحرى انفصلت ، عن صفوف الحزب . ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي في حينه ، وقبل انقسامه ، لم يقدم الحل الصحيح في معالجته للنزاع الاسرائيلي - العربي ، بل كان يغير مواقفه وفق الظروف وبموجب الحقائق التي خلقت بعد ذلك . وبناء على ذلك ، ومن ناحية مبدئية ، لم اعتبر توجه الحزب هو الحل الصحيح ، مما ادى الى خروجي من صفوف الحزب نظرا لايماني باستحالة التعايش السلمي بين الشيوعية والاشتراكية من جهة وبين الرأسمالية والامبريالية من جهة اخرى . وانا اؤمن بأنه يتعذر الحاق الهزيمة بالاستعمار والامبريالية سوى بالقوة والنضال وابعاد الجماهير لهذا النضال من اجل قيام الثورة الاشتراكية التي توفر الحل للمشاكل القومية فيعيش تحت لوائها كل انسان بمساواة مع اخيه الانسان دون فرق في القومية او الدين او الجنس . ومنذ خروجي من الحزب « ماكي » كرست اهتماماتي للسياسة المحلية والعالمية ، واعتبر نفسي جزءا لا يتجزأ من الحركة الثورية العالمية . فكفاح وبطولة شعب فيننام هو كفاحي . . . وكفاحي من اجل التحرر الوطني والاجتماعي هو كفاح جميع المناضلين من اجل الحرية في امريكا اللاتينية ، وهو كفاح جميع اولئك القابعين في السجون من اجل هذا الهدف . . . ولقد اعطيت ، واعطي ، وماستمر في بذل كل ما لدي وكل ما استطيع وحياتي من اجل هذا الهدف . لقد كانت اوضاع العرب الذين يعانون في هذا البلد من صنوف التمييز الذي يمارس ضددهم هي احد العوامل التي ساهمت في تشكيل آرائي ، فسلب الاراضي والحكم العسكري والطرد من العمل الخ . . . كل هذا ترك اثرا بالغا في نفسي ، وشعرت بأنه يتحتم علي الكفاح من اجل تغيير هذه الاوضاع . وبعد حرب الايام الستة طرأ تغير على موقفني من دولة اسرائيل . قبل الحرب ربما كنت افكر هكذا : انني ضد الالام التي لحقت بالشعب اليهودي على ايدي النازيين والفاشست غير ان الحرب ضد مضطهدي الشعب اليهودي هي حرب جميع الشعوب وليست حرب الشعب اليهودي وحده . انا اؤمن ان الشعب اليهودي كان جزءا لا يتجزأ من جميع المضطهدين في ذلك الزمن عندما كان يعاني من اضطهاد النازيين والفاشست . وكان يتوجب على الشعب اليهودي ان يخوض نضاله ضد اي شكل من اشكال التمييز القومي او الطائفي على الارض التي يتواجد فيها . ان احضار اليهود من جميع البلدان الى فلسطين التي انا جزء منها ومن شعبها ليس هو الحل الصحيح . ان الحل الصحيح هو في ان يكافح كل شعب وكل

أناس يعانون من الاضطهاد أو الظلم ضد ما يعانون منه لإيجاد حل للمشاكل في البلد الذي يوجدون فيه . ان الصهيونية التي حملت لواء فكرة جلب اليهود من جميع أنحاء العالم الى فلسطين على اساس الصلة التاريخية بين اليهود وهذه البلاد قد أساءت استغلال هذه الصلة ولم تضع في حسابها وجود شعب فلسطيني في هذه البلاد له حياته وثقافته التي استمرت خلال الفين من السنين . وعندما فكرت في قيام دولة اسرائيل على اساس العطف على الشعب اليهودي والتضامن معه في كفاحه ضد مضطهديه اتضح لي في سنة ١٩٤٧ ان الشعب اليهودي يرغب حقا في ايجاد مكان له يجيء فيه بهدوء ويدبر فيه أمور حياته القومية كما يرغب ، لكن الصهيونية لم تقدم له ذلك بل فعلت العكس . فقد اظهرت رغبتها في التوسع . ولم تكف بالمليون انسان عربي الذين طردوا او هربوا من الحرب ، بل ان لديها رغبات في التوسع تتعدى الاماكن التي احتلتها بعد حرب عام ١٩٦٧ ، وتطمح في تحقيقها في مراحل قادمة لاكمال احتلال المناطق التي بقيت للتوصل الى حدود مملكة اسرائيل التاريخية .

ان جيش الدفاع الاسرائيلي عندما دخل الى الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء لم يستقبله السكان المحليون اصحاب الحق المبدئي والاساسي فيها بالترحاب والاكبار كما كان الحال ، ابان الحرب العالمية الثانية ، في فرنسا والاتحاد السوفيتي وجميع البلدان التي كانت تحت ظل الاحتلال . ان من حق السكان العرب الذين برزحون تحت نير الاحتلال ، بل من واجبه ان يحاربوا الاحتلال بجميع الوسائل التي يرونها صحيحة ويتسنى لهم استخدامها ، كما ان هذا ايضا هو واجب جميع محبي السلام والحرية في دولة اسرائيل سواء كانوا عربا او يهودا .

ان الاحزاب في دولة اسرائيل هي في غالبيتها احزاب صهيونية . ورغم ان هنالك احزابا لا تنتمي الى الفكر الصهيوني فان مجرد موافقتها او تسليمها بالحقائق التي تخلقتها الصهيونية تجعلني اعتبرها مساعدة للصهيونية ومتقبلة لها . ولهذا لا اجد لي مكانا في اي حزب من هذه الاحزاب رغم ان البعض القليل منها لديه استعداد لقبول الاعضاء العرب في صفوفه . وبعد الحرب تسعرت بالحاجة الى اقامة تنظيم جديد يسير على هدى الماركسية — اللينينية ، آخذا بعين الاعتبار تجارب وتعاليم الثوريين الاخرين في العالم مثل البطل الاممي تشي غيفارا وزعيم الحزب الشيوعي الصيني ماوتسي تونغ . وقد توخيت في التنظيم الذي فكرت في اقامته ان يضم ، قبل كل شيء ، جميع أولئك الاشخاص في اسرائيل ، من يهود وعرب ، ممن يتوفر لديهم استعداد للالتزام بالعقيدة والايديولوجية الاشتراكية ، والعمل من اجل هذا البرنامج والمشاركة في جميع نشاطاته الفكرية والتنظيمية . ان هدف هذا التنظيم هو اقامة نظام اشتراكي في اسرائيل والدول العربية . وللأسف الشديد لم تتم بعد صورة هذا التنظيم كما توخيت ، وقد راعيت في تحديد اطار العلاقات بين الاعضاء الانضباط بالديمقراطية المركزية بحيث يختار الاعضاء ، بصورة سرية ، قيادة التنظيم التي تتولى ادارة وتوجيه نشاطات التنظيم بحيث لا يتصرف كل عضو كما يحلو له . انا اؤمن بأن أعضاء التنظيم من اليهود لهم مكان فيه وهم يشاركونني في هذا الهدف لانني لا ارى أي تنظيم فلسطيني يأخذ في برنامجه الشعب اليهودي بالحسبان . وبغض النظر عن عدد اليهود الموجودين في البلاد فأنا لا ادعو ولن ادعو في أي وقت الى طرد اليهود او القائهم في البحر . بل على النقيض من ذلك ، انا اتف ضد هذا التوجه بكل قوة ، وانا على استعداد لتقديم كل ما بوسعي لتقديمه للحيلولة دون معاناة أي انسان بسبب أصله او دينه او قوميته . والاعضاء اليهود في التنظيم يشاركونني في هذا الهدف . ونحن يوجد لنا برنامج هدفه الاشتراكية . ان الاشتراكية هي الهدف المشترك لجميع الكادحين والفلاحين والمضطهدين في المجتمع الامرائيلي . ويوجد لليهود قسط ، ويجب ان يكون لهم قسط ، لانهم أعضاء متساوون معي في التنظيم ،

من أجل إقامة حكم جديد ونظام جديد يوفر للشعب اليهودي وللشعب العربي المشاركة
بفعالية في نضال الشعب العربي من أجل التحرير .

ان الصهيونية في كل تاريخها في البلاد سواء قبل قيام الدولة او بعد قيامها وضمت
الشعب اليهودي والسكان اليهود في صراع مع الشعب العربي الفلسطيني وباتى
الشعوب العربية . وهي بدل ان تتخذ لها موقفا سياسيا مائلا ومحايذا أو مؤيدا
للصراع العربي من أجل التحرير الوطني والاشتراكي تقف بجانب عدوه ، بجانب
الامريكيين الذين يزهدون الشعب الفيتنامي . والى جانب الامبريالية الامريكية التي
تستغل شعوب امريكا اللاتينية وشعوب اسيا وافريقيا ، وتضع الشعب اليهودي ضد
الشعب العربي الى الابد ، واني اعتقد ان هذا الموقف هو موقف اجرامي بحق الشعب
اليهودي والشعب العربي على حد سواء .

ليس هناك اى اساس للاعتقاد بأن منظمنا مرتبطة بالاستخبارات السورية او
بالاستخبارات المصرية او مع اية استخبارات اخرى . نحن نعتقد اننا هنا لسنا الوحيدين
المشتركين بل لنا شركاء من دول عربية اخرى لا يؤمنون بالحدود الحالية القائمة ، واذ
كان لنا اى ارتباط مع اية دولة اخرى فهو ارتباط على اساس المشاركة الايديولوجية
والمشاركة في الهدف .

ان حبيب تهوجي متهم كعميل اجنبي وانا متهم بالارتباط او بالاتصال معه . لقد ولد حبيب
في فلسطين ، وهو من مواليد قرية فسوطه الموجودة على حدود دولة اسرائيل . انه
انسان ، اعرفه بصفته معلم وشاعر وكاتب وبصفته انسان وطني ومتطور بأفكاره .
اني اعرفه منذ خمس وعشرين سنة ، وحبيب تهوجي عندما كان موجودا هنا في البلاد
الى حين حرب الايام الستة كانت له اراء قومية متطرفة ، ولكنه بعد الحرب ابتدأ يفكر
بشكل آخر ، ولقد ابتدأ يفكر بالمضمون الاجتماعي لحركة التحرير القومية العربية .

انا لا اقول ذلك للتصويه بل لانه سبق لي وتناقشت مع هذا الانسان ، وعندما ناقشته
فيما يتعلق باشتراك اليهود في التنظيم وبمكانهم فيه ، وافق على هذا الاشتراك وقال انه
عدل ولليهودي كل الحق ، ولقد اعترف بحق الشعب اليهودي بالعيش معنا في دولة
واحدة ، تتصرف بمساواة تجاه جميع مواطنيها . وهو — كما اعتقد — وحتى الآن ، لا
أؤمن انه عميل اجنبي . وهو غير مرتبط مع اية استخبارات ، انه يقاتل من أجل الحرية ،
انه مضطهد وقد طرد من البلاد على ايدي السلطات الصهيونية ، واذ كان له اى اتصال
مع عرب من خارج البلاد ، فهذا الاتصال هو مع اناس وليس مع سلطات او غيرها ،
اتصال مع اشخاص يشاركونه كفاحه من أجل التحرير الوطني والاجتماعي سواء كانوا
من منظمات فلسطينية او من احزاب قائمة في الدول العربية بما فيها سوريا . لقد ابتدأ
اتصالي مع هذا الشخص بعد ان استلمت منه رسالة عن طريق جد امراته ، يطلب مني
فيها كتبا اختارها انا والتي ارى فيها انها تتوافق مع افكاره لانه يريد مطالعتها ، فارسلتها
له بشكل منظم بالسبل الأكثر قانونية وبواسطة البريد . ان الطرود التي ارسلتها
لحبيب تهوجي كتبت عليها عنوانه الكامل وعنواني الكامل في اسرائيل . لقد كان لي
اتصال مع حبيب تهوجي وتحدثت معه عدة مرات بالاضافة الى الاحاديث اليومية التي
كنا نتبادلها عندما كان في البلاد حتى عام ١٩٦٨ . وقد قلت له في الخارج عندما تحدثت
اليه اننا نعتقد اننا العرب واليهود يجب ان نمنع هذه الحرب الدموية الدائرة منذ ٢٥
سنة . وحسب ما نرى اليوم لا نهاية لهذه الحرب ، وان من واجب كل انسان وطني ،
وكل انسان يفكر بمستقبل شعبه والشعوب الاخرى وشعوب العالم ، ان يجد طريقنا
لتنظيم يهودي — عربي يكافح ويحارب من أجل تغيير انظمة الحكم ، والسلطات الحاكمة
في البلاد وفي الدول العربية .

وكان حبيب قهوجي مشاركا لرأيي وهو أيضا ضد مضطهدي الشعوب في البلاد وفي الدول العربية . وهو يرى أن هذا الاضطهاد يعمق الانقسام بين الشعب اليهودي والشعب العربي مع أن مستقبلهم واحدا اذ سيعيشون معا في وطن واحد وفي ظل دولة واحدة ، متحررة من أي تأثير اجنبي ومتحررة من كل استغلال اجتماعي .

عندما اعترفت امام المحققين قلت انني طلبت من حبيب قهوجي سلاحا ، وكان قصدي ان ذلك سيكون لآمد بعيد ، أي من اجل الدفاع عن النفس ، أي في حالة تعرض تنظيمنا لهجوم من جانب « رابطة الدفاع اليهودية » التابعة للحاخام كاهانا . وقلت في اعترافي ان تنظيمي سيكون سريرا ، ليس لاني اخاف التعبير عن افكاري ، وانما لان مجرد التعبير عن آرائي سيسبب لي الاضطهاد والمضايقة في سبل العيش . ولو عبرت عن آرائي فان مصادر رزقي ستضرب ، كما علمتني التجارب .

ان الديمقراطية في دولة اسرائيل هي ديمقراطية الطبقة الحاكمة . وهي ليست ديمقراطية كاملة . واذا حدث ان ادى استعمال هذه الديمقراطية الى تضارب مع مصالح الطبقة الصهيونية الحاكمة ، فعندئذ لا تبقى هناك ديمقراطية ، بل تنقلب للعكس تماما .

ومن تجربتي ، عندما كنت عضوا في الحزب الشيوعي خلال ١٦ سنة تعرضت لاضطهاد الدولة لانني عبرت في حرية عن آرائي وكان يجب ان احصل على حماية من هنا وهناك او ان ابيع آرائي ومعتقداتي واتنازل عن ابسط الحقوق الاولية لاي انسان ، وهو حقه في التفكير دون حدود ، ومع أن هذا التفكير وهذا الحق مؤمنان في الديمقراطية وجدت ان هذه لا تكون ديمقراطية كاملة اذا لم تؤمن العيش لانسان يفكر بعكس ما يفكر الحكم ، وعقليته تتعارض مع عقلية الحكم القائم . واليوم كل انسان يعتقد بأمور تناقض ما يعتقد الحكم ، او يتنفس هواء دون موافقة الطبقة الحاكمة في البلاد هو عميل ، وخائن . وقد تأثرت جدا البارحة من شهادة الخبير عندما وقف وقال بالاضافة الى كل ما قاله . . . ان هذا الذي يأكل بيده اليسرى هو يساري رديء يكسره اليهود ويريد ان يفني الشعب اليهودي .

لانه يمثل هذه العقلية ويمثل هذا التفكير يصعب على الصهيونية محاربة العرب الذين يناضلون من اجل الحرية ، والصهيونية تبحث لها دائما عن دواع ووسائل للدعاية امام الامم لتظهر المناضلين العرب بانهم ضد اليهود وانهم يكرهون اليهود ويغنون ابادته الشعب اليهودي . ان هذا الحكم وهذه العقلية لا تتحمل اشخاصا مثلنا ، يعملون معا يهودا وعربا ، لأن هذا الوضع يخرّب لهم كل برامجهم ، والطريق التي يسرون عليها والتي ساروا عليها منذ تأسيس الحركة الصهيونية والهجرة الاولى الى هذا البلد ، والطريق التي ساروا عليها هي طريق التفرقة ، لقد كانوا ضد سكان البلاد الاصليين ومع المهاجر الغريب . لقد قلت في سياق اعترافي انني قابلت حبيب حسب طلبي ، وقد قابلني مع شخص شعرت من لهجته بانته فلسطيني مقيم في مصر . ان هذا الشخص ليس من الاستخبارات المصرية ، ولكنه ، حسب ما اعتقدت في ذلك الوقت ، وفي تلك الساعة ، انه رجل يستطيع ان يشاركني في قسم كبير من آرائي .

ان هدف تنظيمي لم يكن ليمس سيادة دولة اسرائيل ، ولكن ضمن هذه الحدود ، ومن خلال هذا النضال المشترك كنت انا — والذين سيجيئون من بعدي — وعندما يحين الوقت سنعمل ما اردنا الا وهو ثورة اجتماعية — وهذا كان سياخد منا وقتنا كثيرا جدا حتى نصل اليه . وعندما اقول : « عندما يحين الوقت » لا أعني غدا او بعد غد . ان الشكل النهائي لتنظيمي لم يكتل . قبل كل شيء نحن عشرون شخصا او مئة شخص لا نستطيع ان نجرب اسقاط حكم او قلب نظام حكم .

من قبل ، كان هذا الشيء أصعب بكثير من ان يجرؤ شخص في مثل ظروفنا ان يفكر به

كان هذا الشيء بعيدا جدا عن التفكير ، او حتى ان يسمح اي انسان لخياله ان يتصور انه يمكن ان يحصل غدا او بعد غد او بعد عشر سنين .

ان هذا الشيء وهو قلب الحكم واقامة حكم من طبقة العمال والفلاحين يستغرق وقتا كثيرا من التهيئة الفكرية ، والتنظيم ، ودرس المشاكل ، وكل هذه الاشياء . ورغم كل هذا فنحن نقول ونعترف اننا لا نستطيع اسقاط هذا الحكم الذي يمثل طبقة الحاكم — الطبقة البرجوازية — طبقة الذي يمثل الصهيونية ، نحن لا نستطيع ان نغير هذا الحكم او ان نسقطه الا بالقوة . انا اعترف بذلك ملء نهي . وعندما فكرت بالعمل ضمن حدود تنظيمي ، لم افكر بمساعدة العدو ، ولم افكر بمساعدة اي عدو كان ضد اسرائيل . وفي ارتباطي مع حبيب قهوجي ، انا وهو بصفتنا اعضاء في هذا التنظيم الذي هو تنظيم اقليمي محض وبصفتنا شركاء في هذا التنظيم تبادلنا معه الآراء ، واذا سلمته اي شيء فلم اسلمه سوى معلومات عن الاعضاء في التنظيم وعن التنظيم ذاته .

وانا لم اسلم له اية معلومات تمس أمن الدولة او تساعد اعداء الدولة او تساعد العدو . وخلال وجودي في سوريا ، زرت دمشق ، ولم يكن لي اي اتصال مع اي شخص ذي صفة رسمية .

ان اهم اتصال لي كان مع حبيب قهوجي ومع اشخاص اخرين غير مرتبطين بالسلطة حسب ما فهمت من آرائهم وانهم فلسطينيون حسب ما تأكد لي جيدا من لهجتهم العربية الفلسطينية .

انني استغرب اعتقال حبيب قهوجي عند اندلاع حرب الايام الستة ، لا اعرف التهمة الموجهة اليه ، بل التهمة المزعومة بان له ارتباطات مع الاستخبارات المصرية . انني استغرب ، كيف تطلق السلطات بعد عام سراحه مع انها تقول انها تملك مستمسكات ضده . بودي ان اذكر واشير هنا ان زيارتي له في ١٩٦٩ كانت على اساس انه لا يعتبر رجلا خطرا في نظر السلطات ، ذلك انه لم يقدم الي المحاكمة ، الامر الذي دفعني للاعتقاد بانه من الممكن والمسموح اجراء اتصال مع هذا الرجل ، والاستمرار بتسمية زمالتي وعلاقتي معه .

عند الساعة الحادية عشرة والنصف قدمت مجموعة من عناصر الاستخبارات « الشين بيت » برفقة شرطي واحد يدعى مثير ياشي ، واخذت تفتش منزلي ، وبعد ذلك بساعة واحدة اعتقلت حيث اعتليت سيارة برفقة الشرطي والسائق توجهت بي الى مكان ما لم اتمكن من معرفته الا بعد مضي وقت على اعتقالي . وصلت الى المعتقل بعد ٤٥ دقيقة وهناك ادخلوني غرفة معزولة ، استطعت ان انام فيها ساعة واحدة ، وفي الساعة الثانية والنصف ليلا ايقظني المحققون فجأة . لقد كان النعاس يداهمني لانني لم اذق طعم النوم خلال ٤٨ ساعة بسبب كثرة المشاكل التي كنت اواجهها .

داهمني المحققون بهذا السؤال : اين ابنتك عابدة الان ؟ عابدة هي ابنتي البكر ، وهي غالبية على نفسي ، ان ما افترقت اليه في هذه الحياة اردت ان اصل واياه اليه . ان ابنتي عابدة الفتاة العربية الوحيدة والاولى التي قبلت في معهد الهندسة التطبيقية (التخنيون) في حيفا ، حيث درست ثلاثة اعوام موضوع الهندسة الكيميائية . والان يجيء المحققون ليسألونني عن اعز ما املك . اين ابنتك عابدة ؟ انني اعلم ان ابنتي تتلقى دراستها في جامعة استانبول في تركيا . ان واقص طرح السؤال بهذا الشكل اثار في نفسي الشكوك حول مصيرها . فلربما حدث لها مكروه على يد رجال الشين بيت . فسئلت : اين هي ؟ قلت لهم انها في تركيا ، بيد انهم قالوا لي لا . قلت لهم انها في تركيا ، وسألتهم اين هي ، هل هي موجودة هنا ؟ قالوا لي « احزر » . اذا اردت ان لا يمسخها مكروه وان لا يتحدث معها احد لتستمر في دراستها في تركيا فما عليك الا ان تحدثنا حول

تضيقك بالتفصيل وحول ما جرى معك . في تلك اللحظات كنت اريد ان اكون مطمئنا عن وضع ابنتي عائدة ، هل هي بخير ام لا . قال المحققون : ان باستطاعتنا عمل كل شيء ، لان ذلك امرا سهلا بالنسبة لنا ، فنحن مرتبطون مع السلطات التركية بعلاقات حسنة للغاية ، وباستطاعتنا الاتصال مع السلطات التركية لابلاغها باننا سحبنا الجنسية الاسرائيلية عن هذه الشابة ، لانها تقوم عندكم بنشاط سرى ، فيقومون باعتقالها ، وانت تدرك سلوك السلطات التركية وتصرفاتها الوحشية . انهم يعرفون كم اعز ابنتي عائدة فهي بالنسبة لي عالمي الذي اريده . قالوا لي : اذا اردت ان لا يحدث لابنتك مكروه فما عليك الا ان تروي لنا ما جرى ، وبذلك نضمن لك سلامة ابنتك ومواصلة دراستها في تركيا . لم اكن انا الذي طلبت من المحققين اتفقا كهذا . منذ اليوم الاول بل الدقيقة الاولى من التحقيق ، اثاروا موضوع ابنتي عائدة واستفطوها في جميع المناسبات في التحقيق ، استغلوها عندما وجدوا صعوبة في ارغامي على التفوه بامور ليست قائمة حول زملائي ورجال اخرين .

قال لي المحققون انك تراسل ابنتك عائدة ، لتقوم هي بدور تحريرها الى الاستخبارات السورية والمصرية . قلت : نعم انني ارسل ابنتي عائدة ، وليس الاستخبارات سواء منها المصرية او السورية . بل حبيب قهوجي الذي كنت ارسله واكتب اليه حول المشاكل التي واجهها في التنظيم ، كما وكان يكتب الي حول مشاكله هو الاخر في التنظيم ، ومشاكله مع اصدقائه الذين يعيشون معه في البلدان العربية .

اثناء اتصالاتي مع حبيب ، كنت اجهل ان يكون له ارتباط مع الاستخبارات السورية ، ولا زلت حتى الان متأكدا من انه لا ينتمي الى اية استخبارات ، ومن هنا فانني لم ارسل معلومات الى اية استخبارات . ليس هدي ، او هدف تنظيمي ، المس في امن الدولة .

خلال استجوابي وجدت نفسي مضطرا لاستخدام المصطلحات التي يستخدمها المحققون ، لانهم ارادوا ان اقول : منظمة تخريب ومواد تخريب واستخبارات . واذا ورد على لساني اسم شخص مصري ، كانوا يهتمون باضافة صفة عليه دون علي . لم يقرأوا الاستجواب الذي اخذوه مني ، كانوا يضيفون في افادتي مصطلحات وتعابير مثل : استخبارات سورية او استخبارات مصرية ، او مواد متفجرة ومنظمات تخريب .

كان التنظيم يسعى الى الثورة الاشتراكية واقامة النظام الاشتراكي ولم يدر بخلاي ولو للحظة واحدة انه يمكن الوصول الى هذا الهدف بواسطة قتل اناس او التعرض للمواطنين . بل اعتقد ان الطريق للوصول الى هذا الهدف يأتي فقط عن طريق تجريد العدو الطبقي من سلاحه وسلبه امكانية الاستمرار في حربه ، كما وانني لم افكر بانسه ينبغي على ان اكون البادئ في حرب من اجل هذا الهدف ، انني لا اعتقد بانه من الممكن بهذا العدد البسيط البدء في ذلك . واذا كان لدينا عدد اكبر فاننا نبدأ فقط اذا اصبحنا في وضع لا نستطيع فيه تحمل اساليب القمع والاستغلال التي يتبعها النظام . هذا ما اعتقدته ولا زلت اعتقده حتى اليوم .

بالرغم من كوني مواطنا اسرائيليا فانني اعتبر نفسي عربيا فلسطينيا وجزءا لا يتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني الذي يعتبر جزءا من هذه الامة الكبيرة ، الامة العربية ، ومع ذلك فان نظرتي هي نظرة اُممية ولا اجد اية حواجز بيني وبين رفاتي اليهود ، انني اؤمن ان من واجبي كعربي ، واؤمن ايضا انه من واجب رفاتي اليهود كيهود ، من اجل مصلحة شعبيهم ، ان نعمل جميعا جنبا الى جنب في الطريق الطويل . وان هنالك مكانا للشعب اليهودي ، بل ومن الضروري ان يساهم في هذا الهدف ، للحيلولة دون حروب اخرى وسفك مزيد من الدماء ، ومنع العناصر الاجنبية من التدخل في سياستنا وشؤوننا . انني لا اكن الكراهية لاي شعب ، لا للشعب اليهودي ولا للافغاني ، ولا للفرنسي ، الا

إذا كان هذا الفرنسي ، بالرغم من انه يؤمن بنفس الديانة التي أوّمن بها ، يجيء الى هذه البلاد بنفس الشكل الذي سلكته الصهيونية ، فأنني أعارضه .

ان تاريخ شعب هذه البلاد ، اثبت ان مقاومة الشعب العربي للمستوطنين الذين يأتون رغبا عنه ، لم تكن من خلال نظرة عنصرية أو شوفينية ، بل من خلال منطق مقاومة الاحتلال والسلطة الاجنبية .

(٢) افادة اودي اديف

انني اعتبر نفسي شيوعيا ، صاحب فلسفة حياة ماركسية لينينية ، وعندما اقول فلسفة حياة ، فأنني أقصد النظرة الى التاريخ ، وبموجب هذه الفلسفة فان التاريخ ليس مجموعة عشوائية من الاحداث تتكرر دونما نظام أو أسلوب بل هو مسيرة ذات بداية واتجاه مسيرة مليئة بالتناقضات والمفارقات التي تخلق أحيانا انطبعا بأن لا قانون يحكمها وليس ثمة شيء ما يتخطاها بينما هي مسيرة تحكمها قوانين معينة تكتسب الاحداث ضمن اطارها معناها ووجهتها . وهذا التطور التاريخي (بموجب المسطر الاول في البيان الشيوعي) ليس الا تاريخ حرب الطبقات ومنذ المرحلة التاريخية التي أصبح الإنسان فيها قادرا على حيازة ممتلكات وبشكل خاص طعاما وجدت الفروقات بين الطبقات وعندما حوّل صاحب الاملاك ابن القبيلة الاخرى الذي اعتاد سابقا أن يقتله الى عبد لديه ، وفي هذه المرحلة تماما نجحت ضرورة قيام نظام حكم يحمي أصحاب الاملاك من عبيدهم الذين لا أملاك لهم (ويمكن الافتراض أن مثل هذا التطور قد حدث في تاريخنا عندما طلب ابناء اسرائيل من شموئيل أن يتوج ملكا عليهم) ومنذ ذلك الوقت وحتى الان تفسر كل الحروب وكل الثورات الكبرى ، جميعا على هذا الاساس ، صراع الطبقة المضطهدة ضد مضطهديها ، وفي مرحلتنا أصبحت الطبقة المتسلطة طبقة عالمية تتخطى اطار الدول مركزها في الولايات المتحدة الامريكية واسمها الاستعمار . ان الاستعمار من الناحية الاقتصادية نظام معقد لا مجال لشرحه هنا بل انني أيضا لا ادعي فهمه حتى النهاية ولكنه في الاساس نظام جمع رأسمالا كبيرا على مدى مئات السنين ويستعبد بواسطته جميع اجزاء العالم الأخرى .

ويقوم الاستعباد على مبدأ هدم الاقتصاد التقليدي المحلي وادخال البلد في اطار سوق منتوجاته ، وهي عملية تمت في القرن الماضي ومطلع القرن العشرين عن طريق الاحتلال العسكري واحياء الاستعمار الجديد بمساعدة حكومات الدمى (التي تضطر ، نتيجة لضغط الجماهير أن تتحول الى نظم ديكتاتورية أكثر فأكثر) . ان جوهر علاقات الولايات المتحدة وأوروبا الغربية مع دول افريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية هو اخراج المواد الخام بسعر رخيص ثم بيعها كمنتجات صناعية جاهزة بسعر غال مع الحرص الدائم على ألا تنجح اية دولة في الوصول الى وضع تصبح فيه مؤهلة بمفردها لاستغلال كنوزها الطبيعية والافلات بذلك من اطار وصيغة استغلالها من قبل الاستعمار .

كل ذلك كان صحيحا حتى الثورة الروسية حين تحررت دولة او الاصح نصف قارة لاول مرة من علاقات الاضطهاد هذه . وأقصد بذلك ان طبقة العمال في روسيا استولت على السلطة وحاولت لاول مرة في التاريخ أن تقيم نظاما لا يكون كله اضطهاد للأغلبية العاملة من قبل الاقلية صاحبة الاملاك بل على العكس نظاما يدافع عن الاغلبية ، العمال والفلاحين ، ضد الزعماء الحاكمين في العالم بأسره والذين اتفقوا معا على العمل

لاسقاطه (وجدير بالذكر ان هذا ليس الا تفسيرا شعبيا بعيدا عن الادعاء بأنه تحليل علمي دقيق للثورة الروسية) .

لكن الناحية الاقتصادية ، تقدم تفسيرا فقط وتصف الاساس أي اطار النظام الذي هو في النهاية نظام انساني . ولكي نفهم ونستوعب المعنى الكامل للاستعمار ، يجب ان نلقي نظرة على قيمة الانسان في هذا النظام ولا أعتقد بأنه سيصعب عليّ تصوير ذلك . ها أنا أرى الحقائق الواضحة التالية ماثلة أمام عيني : الظلم ، المقاساة من التمييز العنصري ، ملايين الناس المقتولين من أبناء البشرية من جانب ومن الجانب الأخر أقلية صغيرة صاحبة امتيازات هي المسؤولة عن الوضعية التي يقاسي منها أولئك الملايين . ولا بد من ان أضيف هنا المقولة التي تظل صحيحة على المستوى العالمي وان كانت ليست بذات المقدار من الوضوح في أوروبا حيث يتم توزيع بشكل أكثر تساويا ولكن هذا لا يغير الصورة العامة لوضعية الانسان داخل هذا النظام ، هذه هي الخلفية العامة للموضوع المسمى الصهيونية — دولة اسرائيل — الثورة الاشتراكية .

ان الحركة الصهيونية منذ بداية نشوئها وأعني بها الصهيونية السياسية التي أسسها هرتسل والتي رأت في الإمبريالية التي كانت أوروبا آنذاك حاميتها وراعيتها ، ليست حركة تحرير قومية للشعب اليهودي كما يحاولون تصويرها وانما هي ترتيب مع المظهد (بكسر الهاء) يصبح الشعب اليهودي بموجبه محاربا مرتزقا وشرطيا لحساب راعيه في كل انحاء العالم الثالث . وكما قال هرتسل ، كان الهدف اقامة مستعمرة أوروبية في آسيا ، مستعمرة تحمي مصالح أوروبا . ومن الواضح ان تاريخ الحركة الصهيونية يعزز وجهة النظر هذه . في البداية كانت تركيا والمانيا هي الراعية للصهيونية ومن ثم حلت محلها انكلترا . وبالطبع لم تكن الامور بهذه البساطة . أقصد بذلك انه من الصعب القول ان الصهيونية كانت وما تزال مجرد أداة في أيدي القوى الكبرى الإمبريالية حيث انه كان وما زالت لها مصالحها الخاصة . وكانت خذمة مصلحة الاستعمار في المنطقة وراء الرغبة في قيامها . ومن المهم ان نشدد هنا على الفرق الكبير القائم بين الصهيونية السياسية الهرتسلية ، ومتميها ، وايزمن ، بن غوريون وبين كل حركات حب صهيون وعلى سبيل المثال حركة « احاد هعام » ، وهي التي رضعت من مصادر اخرى تماما . ان فكرة احاد هعام عن صهيون كمركز روحي كمكان لهجرة* ثقافية من الشعب اليهودي ، كطريق لاعادة ايمانه بنفسه ولتجديد حياته ليس فيها ما هو مرفوض ، وكل علاقة بينها وبين الصهيونية السياسية هي محض صدفة ، وهكذا كانت العلاقات فعلا كما هو معروف بين احاد هعام وهرتسل .

ولاثبات الموضوع المذكورة اعلاه ، الارتباط بين الصهيونية والاستعمار ، قد يكون من الضروري ان نورد هنا تاريخ الحركة الصهيونية في فلسطين في الـ ٧٠ سنة الاخيرة . ولكن لا أتوي القيام بذلك حاليا وانما سأكتفي هنا بذكر عدد من المؤثرات الهامة :

أولا : وعد بلفور ، تصريح من الدولة الاستعمارية الاولى في العالم يتضمن حقيقة التبني . تعترف بريطانيا انها تنظر بعين الرضى الى الحركة الصهيونية وتؤوي دعمها .

ثانيا : الارهاب العربي في فترة ١٩٢٦ — ١٩٣٩ المسمى في قاموس المصطلحات الصهيونية « أحداث الـ ٣٦ » . تمرد جزء كبير من السكان العرب في فلسطين ضد الاستعمار البريطاني ولكي يقمعه البريطانيون حشدوا عددا من الفرق العسكرية وهي قوة كبيرة بالمقاييس التي كان متعارفا عليها ، وما كان معروفا باسم السكان اليهود تم تجنيده لقمع هذا التمرد (أنظر كتاب « شيبتي طبيت » ، موسى دايان) .

ثالثا : حرب ١٩٤٨ ، مؤامرة بريطانية صهيونية اشترك فيها الملك عبدالله لتقسيم الدولة

* الكلمة العبرية التي تعني « هجرة » هي ذاتها التي تعني « حج » وقد يكون المقصود المعنى الثاني للكلمة .

الفلسطينية التي كان من المفروض قيامها مع خروج البريطانيين في ١٥ ايار (مايو)
١٩٤٨ .

وجدير بالملاحظة ان تسلم حزب العمال للسلطة بعد الحرب العالمية الثانية للمرة الاولى
ادى الى جعل الزعامة الصهيونية على مدى فترة قصيرة جدا تتخذ خطا معاديا لبريطانيا
ولكن هذا الوضع كان استثنائيا ومخالفا لطابع العلاقات الذي ساد دوما بين الزعامة
الصهيونية وبين بريطانيا - وحتى هذا الخلاف سوي بعد وقت قصير . ولاعطاء فكرة
عن تناقض وجهات النظر بين الصهيونية وبريطانيا نانه شبهه الى حد بعيد مع ما هو
قائم (او كان قائما) بين المستوطنين الفرنسيين في الجزائر وبين باريس ، وحيث كانت
الصهيونية ، كما هو الوضع حاليا مع الولايات المتحدة تحاول ان تقنع بريطانيا بما هو
افضل بالنسبة لها (بريطانيا) .

رابعا : عملية سيناء ، ربما كانت هي التعبير الاوضح ، والاقل اثارة للاختلاف من كل
الاحداث التي اثرت اليها عن التماثل بين الزعامة الصهيونية والاستعمار وتضامنها
معه .

خامسا : حرب الايام الستة والفترة التي تلتها حددتا نهائيا موقع دولة اسرائيل كقلعة
للاستعمار في هذه المنطقة .

ان جميع هذه المؤشرات تشرح السياسة فقط اي الارتباطات والاطار الذي عملت
الحركة الصهيونية ضمنه ولا تزال . لكن الذنب الاساسي الذي ارتكبته هو عملية سلب
الشعب العربي الفلسطيني الذي سكن هذه الارض . وما أقصده هنا ليس كل تلك
الحكايات عن شراء وبيع الاراضي حتى سنة ١٩٤٨ رغم أن جرائم ليست قليلة نفذت في
هذا المجال أيضا . انني أقصد عملية السلب الكبرى العظيمة في حرب ١٩٤٨ والتي
تمثلت في سلب مئات الالاف من البشر () ايا كانت ضحية السلب () مدنا كاملة ، مئات
القرى ، ملايين الدونمات الزراعية ، كلها افرغت من سكانها ببساطة وسهولة . هذا هو
بخطوط عامة ، تاريخ دولة اسرائيل ولقد رافقت هذه الاعمال نقاشات حادة بين الاطراف
المختلفة في الصهيونية ، التي تستطيع ان تثبت نوايا اخرى (نوايا) افضل ، مثلا عند
« هشومير هتسعير » (الحارس الشاب) . لكن كل هذه (النوايا) ظلت مجرد نوايا
حسنة . وكما هو معروف فان الطريق الى جهنم مغروس بالنوايا الحسنة .

وربما كان بالامكان تبرير الصهيونية لو انها على الاقل مثلت حلا للشعب اليهودي .
وبالنسبة لي كيهودي ، يكفي هذا التفسير لمعارضة هذه الحركة او تأييدها لكن
الصهيونية كأيدولوجية ، ليس فقط لا تحل مشكلة اليهود بل انها تجعلها أكثر خطورة .
ومسيكون من غير الضروري ان نستعرض الحثيثات المضادة للصهيونية سواء جاءت من
اليمن او من اليسار ، من المتدينين او غير المتدينين . وربما اود ان اذكر حثيثة واحدة
متجسدة في أناس من أمثال مئير كهانا* الذين يدعون ان ينتظر يهود امريكا - الولايات
المتحدة - كارثة على غرار الكارثة النازية ولذلك غان عليهم أن يتركوا « أن يهربوا »
الى الدولة الملجأ - دولة اسرائيل . ولو كانت وجهة النظر هذه خاصة فقط بكهانا ، كان
يمكن ان نفهم ، ولكن ان يتقبل جمهور كبير مثل المؤتمر اليهودي ويدعم الموضوعة التي
تقول بأن الولايات المتحدة ستترغب في ابادتها وتقدم دولة الملجأ التي سيهربون
اليها في الوقت ذاته ، مثل هؤلاء ، في الحركة الصهيونية أناس ساذجون الى حد
اعتقادهم بأن دولة اسرائيل تستطيع الصمود ليوم واحد دون دعم الولايات المتحدة .
ان هذه سخافة مفضوحة . لكن الاساس ليس الايدولوجية التي لم تكن في يوم من الايام
مقتنعة وهي اليوم أقل اقتناعا ، وانما المهمل العمل الصهيوني . واذا كان الوضع غير

* رئيس رابطة الدفاع اليهودية ، يميني عنصري معروف .

واضح أبدا لليهود المقيمين في اسرائيل قبل حرب الايام الستة ، فانه أصبح بعدها واضحا تماما . فقد حولت الصهيونية ، او ، لزيادة الدقة ، الزعامة الصهيونية ، اليهود في دولة اسرائيل الكبرى الى شعب من الاسياد وفق النمط الكلاسيكي ، ومع كل العلامات الفارقة للاستعمار الاستيطاني والاضطهاد الاوروبي ضد شعوب العالم الثالث . كل ذلك بدعم رأس المال الاميركي والسلاح الاميركي .

لقد قدمت المناطق المحتلة حديثا والممتدة على مساحة تزيد كذا ضعف عن المساحة السابقة ، والتي يستوطنها ما يزيد عن المليون عربي ، للاقتصاد الاسرائيلي ايد عاملة عربية من ناحية ، وقدمت من الناحية الثانية سوفا كبيرة للمنتجات . ويتم كل ذلك في ظل حكم عسكري يمنع عن هؤلاء المواطنين كل امكانية لمقاومة هذا الوضع او رفضه . ولكن الحقائق الجافة ، كالعادة ، لا تكفي للوصول الى فهم دقيق للوضع بل يمكن التوصل لمثل هذا الفهم من خلال نظرتنا الى قضية اللاجئين في غزة . في سنة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ ، طردتهم الصهيونية من المجدل على سبيل المثال ، وحولتهم الى معدمين يسكنون في اكواخ لا تليق حتى بالحيوانات . واليوم ، وبعد عشرين سنة ، جاءت (الصهيونية) لاتمام المهمة ، لاستخدامهم كعبيد لاقتصادها . وعندما يتجاسرون لرفع رؤوسهم للمعارضة ، يدخلون لهم حرس الحدود والجرائفات وينكلون بهم . ان حكومة اسرائيل تعرض اليهود امام عين العرب في المناطق القديمة (المحتلة سابقا) والجديدة ، وفي الشرق العربي بكامله ، على انهم محتلون « اصحاب عمل » * ومضطهدون (بكسر الهاء) . ان هذا الوضع يخلق هوة من الكراهية تتعمق وتتسع مع كل يوم يمر ، اذ انه من الواضح تماما ماذا سيكون عليه رد اولئك العرب — اللاجئين في غزة على كل ما يعاملون به : قتل اليهود . وهذا هو بالضبط ما يحاولون القيام به . وحكومة اسرائيل ترد عليهم باللغة الوحيدة التي لديها « قوة جيش الدفاع الاسرائيلي الرادعة » ، وهي طبعا التي تجعل مقاومة الجانب العربي أكثر حدة ، وهكذا الى ما لا نهاية .

ان الدرس الذي تعلمته من تاريخ صراع المضطهدين (بفتح الهاء) من أجل التحرير ، هو انه ليس هناك اي نظام حكم أو دولة صمدت زمنا طويلا في هذا الوضع . كل الامبراطوريات الكبيرة ، التي كان يبدو انها ستصمد بقوة حرابها الى الابد قد اختفت ، نزلت من على مسرح التاريخ . وأنا كشيوعي مقتنع بذلك دون أدنى شك . ان صراع المضطهدين (بفتح الهاء) عادل وسينتصر في نهاية المطاف . وفي ذلك اليوم ، وربما قبل ذلك بكثير ، اذا لم يتغير شيء في الوسط اليهودي في اسرائيل ، فسيكون مصير اليهود هنا سيئا ومريرا . انهم سيضطرون الى دفع ثمن غال جدا لاعمالهم ، بل حتى لسكوتهم في حال كونهم غير مشاركين عمليا في كل أعمال الصهيونية . ان وعي هذا الواقع الاعوج يجعل من الصعب التسليم به (أو الجلوس بهدوء) .

ومن المهم التأكيد انه ليس صدفة ان كل نشاطي السياسي ، وليس نشاطي أنا فقط ، قد أصبح مكثفا الى درجة كبيرة بعد حرب الايام الستة ، حيث نشأ وضع دولة محتلة ، وضع يضيف مع كل يوم يمر حقائق لا نهاية لها تعزز آرائي . وكما ذكرت ان نظرتي (فلسفتي) الى الصهيونية ، هي جزء من نظرتي الى العالم بشكل عام ، وحرب الايام الستة لم تغير ولم تحدد شيئا بشكل أساسي .

ما العمل ؟ كرد على هذا السؤال وضع لينين كتابا كاملا تقريبا ، أما أنا فسأحاول الاكتفاء بأقل من ذلك . الشيء الاول : ماذا تقترح الاحزاب أن يعمل ، وماذا تقترح المنظمات الشيوعية في اسرائيل ، راحا — الحزب الشيوعي المؤيد للاتحاد السوفياتي ، وهو وفي للخط الروسي في التعايش السلمي ، ويسلم ، بل حتى يؤيد دولة اسرائيل السـ ؟

* ربما كان المقصود « مستعبدون » (بكسر الهاء) .

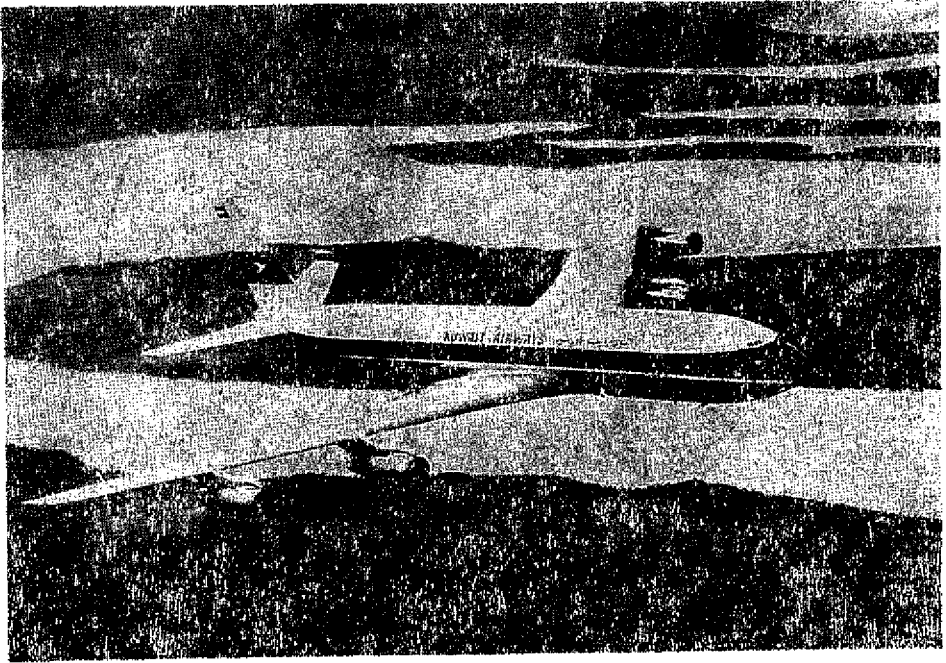
حزيران (يونيو) . انها تتجاهل تماما المشكلة الفلسطينية — الصهيونية التي هي في اساس كل الصراع الشرق اوسطي ، اي انها ترى مشكلة الشعب العربي الفلسطيني كمشكلة اقلية مضطهدة في دولة اسرائيل ، ومهمتها هي تبني نضاله العادل للمساواة في الحقوق . ان هذه (النظرة) لا تحل المشكلة ، انما هي تحاول جعلها اكثر صعوبة للضم ، ونوع دعايتها أيضا هو انه سيكون من الافضل لاسرائيل أن تقبل قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وأن تكون حيادية في الصراع بين الكتل ، وما شابه ذلك ، الامر الذي يدل على عدم فهم مطلق ، أو تجاهل واع لطبيعة الحركة الصهيونية وكان بإمكان الصهيونية ودولة اسرائيل ان تختارا لنفسيهما طريقا آخر ، معادية للاستعمار . وبشكل عام يمكن القول عن نظرة رايكاح انها ، كما ذكرنا ، انعكاس لنظرة البيروقراطية الحاكمة في الاتحاد السوفياتي ، التي ينست من قدرة الجماهير المضطهدة في بقية العالم على القيام بما قام به عمالهم وجنودهم قبل ٥٦ سنة ، اي القيام بثورة اشتراكية ، وهذه نظرة لا شيوعية ولا ماركسية ، لا اقبلها بالطبع . ماتسيين ، المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، بكل تياراتها ، هي صاحبة نظرية ، ايدولوجية صحيحة ، لكنها تفتقر تماما الى فصل « ما العمل » للوصول الى ذلك الشرق اوسط المتعدد القوميات ، الاشتراكي ، الذي نتحدث عنه ، وجميعهم في نشاطهم السياسي يقصرون كلامهم على دولة اسرائيل اليهودية وحدها . أي انهم يشغلون انفسهم باقتناع اليهود ، ويتجاهلون تماما النضال العربي ، وخصوصا ، النضال العربي الفلسطيني ضد الصهيونية ودولة اسرائيل . ان دلالة هذا التجاهل كبيرة ، اذ ينتج عنه نوعان من النضال ضد السلطة : أولهما : « ليس عن طريق القوة » كما يقول زعماء ماتسين ، وهذا لا يؤدي الا الى كلام فقط . وثانيهما ، وهو الخاص بالعرب ، عمل غير نظيف وعنيف ودموي ، ولا اثر فيه للكلمة او الايدولوجية . ان هذا الوضع ، أبقى المشكلة ، من جديد ، بدون حل ، أي انه لم يقلص حتى الهوة القائمة بين اليهود والعرب في هذه البلاد، ولقد بقيت كل مسببات انعدام الثقة والشكوك والكرهية من جانب العرب ، قائمة حتى بالنسبة الى اليسار اليهودي .

ان هذا الوضع الاعوج يجب تغييره ، وهذا ما حاولت ان افعله ، بالتهيئة للنضال ضد دولة اسرائيل وهو ذلك الذي كان حتى الان بمثابة حرب من جانب العرب ضد اليهود ، ونضال للمضطهدين ضد مضطهديهم ، في الوقت الذي يتف فيه كل من العرب واليهود على جانبي المتراس ، ونحويله من نضال قومي الى نضال طبقي ، وهذا يمكن عمله فقط بأن يقوم يهود ويثبتون للعرب الذين يحاربون الصهيونية منذ عشرات السنين ، بأنهم (أي اليهود) يقفون الى جانبهم ، ومستعدون أن يضحوا بكل ما لديهم ، وان يتعرضوا « للمعاملة » ذاتها وأن يقتسموا واياهم كل الامور ، دون أي تمييز أو افضلية لكونهم يهودا . وبدون ذلك لن يثق أي عربي بصدق ثورية أكثر ثوري يهودي استقامة . وان اية ايدولوجية ، ولو كانت الأكثر مساواة وتقدمية ، لن تستطيع أن تقنع العرب ما لم يرافقها عمل من قبل اولئك الذين يحملونها . ان التنظيم الذي كنت عضوا فيه أصدر عددا من النشرات شرحت أهدافه وبرنامجه . وبما ان حلفاءنا في صراعنا هم المنظمات الماركسية اللينينية في المنطقة ، فقد حاولت وسأحاول طالما استطعت ذلك أن أتصل بهم من أجل خلق جبهة عمل مشتركة . ان موقفي من الكفاح المسلح هو موقف ايجابي ، طالما كان يعمل على دفع الثورة ، اي عملية تحرير الجماهير الى الامام ، وبشكل ملموس ، فان المقصود هو تنظيم يضم بعض مئات من الاشخاص ، ويعمل بشكل شرعي ، اي عن طريق الصحف والمنشورات والدعاية ، وبشكل غير شرعي ، اي عن طريق الجناح العسكري للتنظيم ، الذي يعمل من أجل تحقيق كل ما ذكر أعلاه .



أخطوط أجيّة الكويتية

شبكة خطوط عالمية تغطي مختلف بقاع العالم العربي وأوروبا والشرق الأوسط بطائرات بوينج ٧٠٧ النفاثة

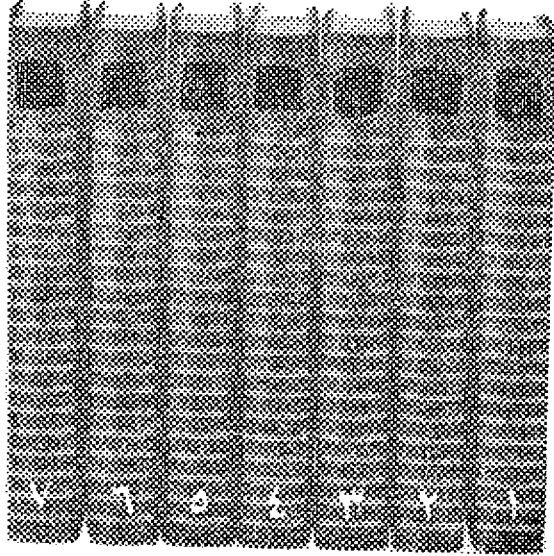


مكاتب رئيسية في كل من:

الكويت - البحرين - الدوحة - دبي - الظهران - عدن - عمان - دمشق - بيروت - القاهرة
طهران - عبادان - آينسا - جنيف - فرانكفورت - باريس - روما - لندن - نيويورك - هيوستون
شيكاغو - ديترويت - تورونتو .

صدر المجلد السنوي السابع من

السياسة الدولية



- مرشح عالمي للعاملين في الحقل السياسي والدبلوماسي والإعلامي .
- المجلد مزود بفهرس تحليلي وفهرس للمعاهدات والاتفاقات الدولية .
- ١٥٥٥ صفحة ... الثمن ١٥٥ قرش
- يطلب من قسم الاشترايات بمؤسسة الأهرام ومكتبة الأهرام بشاع محمد فريد والمكتبات الكبرى في الوطن العربي
- يضم الأعداد ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ الصادرة خلال عام ١٩٧١

مدير التحرير
د. عبد الملك عمورة

رئيس التحرير
د. بطرس بطرس غالي